



2273
. 8237
v.5

2273.8237 v.5
Muhammad ibn al-Hasan
al-Tibyān tafsīr al-
Qur'ān

DATE	ISSUED TO

DATE ISSUED DATE DUE DATE ISSUED DATE DUE

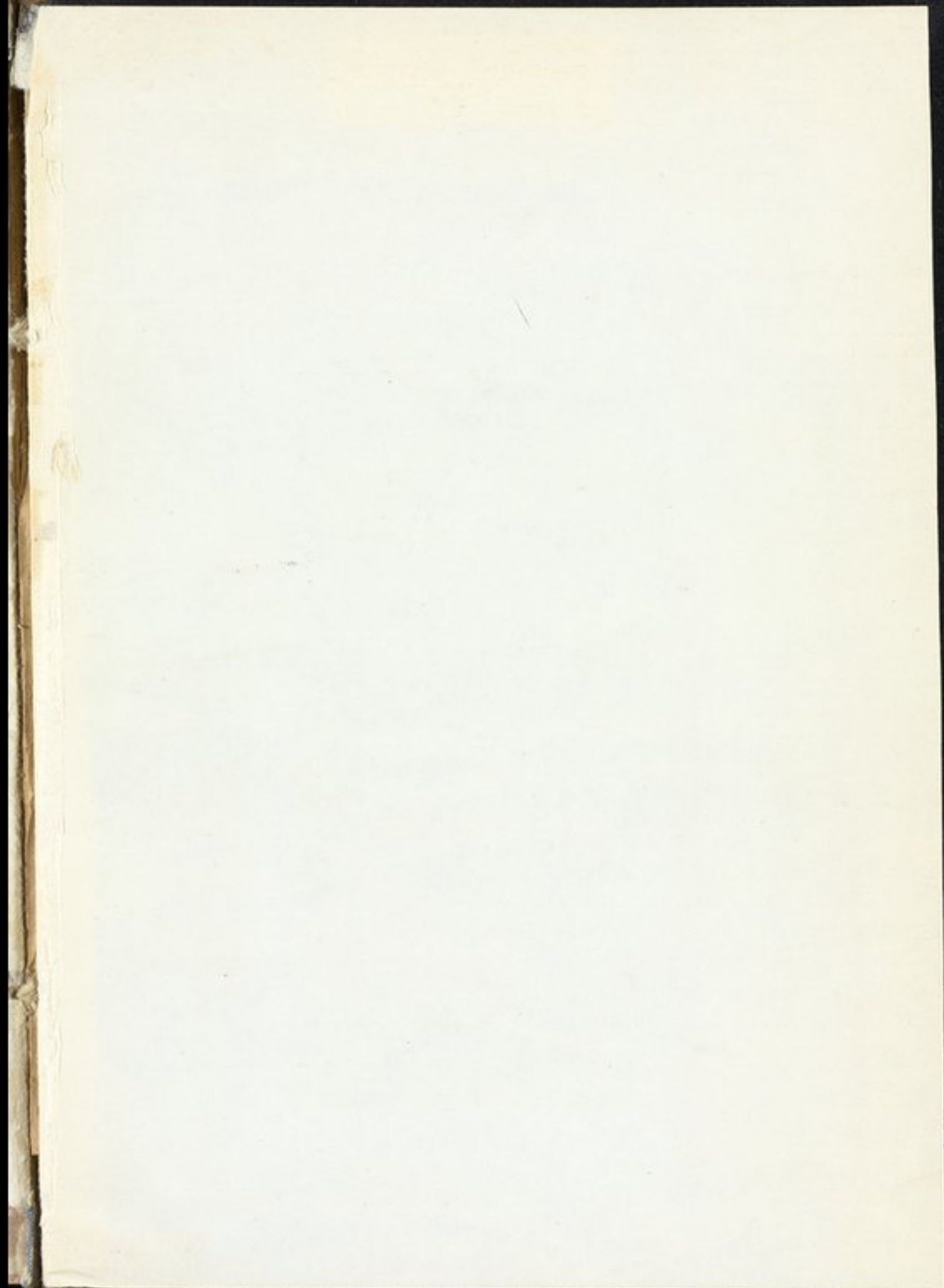
CARREL USE
1987-1988

DUE JUN 15, 1994

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY



32101 015067133



WAR. 1398. al-Tūst.

Tafsīr al-Tibyān.

(Vol. 5).

تَفْسِير

التَّبْيَانِ

لِشَيْخِ الطَّائِفَةِ الطُّوسِيِّ قَدِسَ سِرُّهُ

٤٦٠ — ٣٨٥

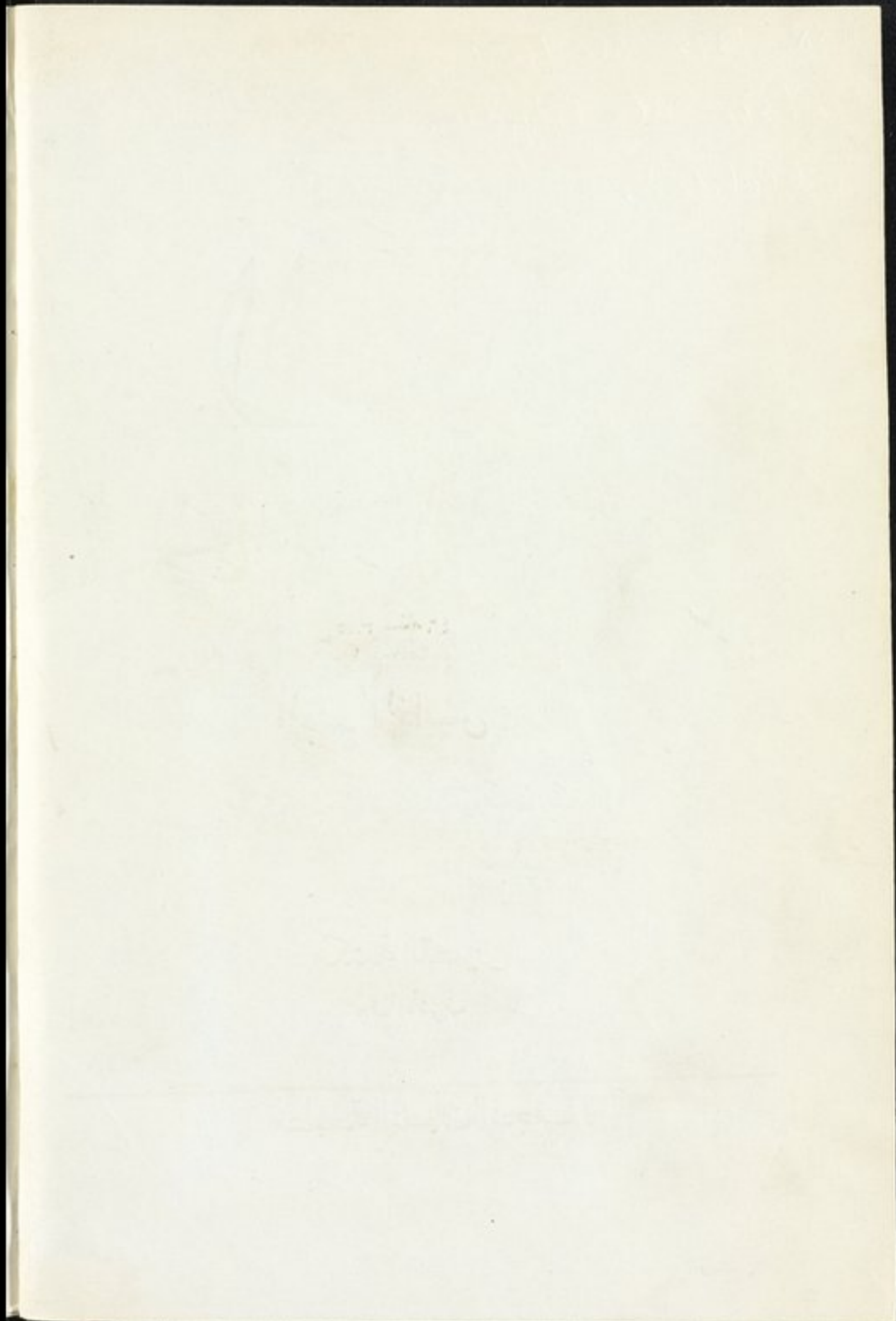
المجلد الخامس

صَحَّحَهُ وَرَتَبَهُ وَعَلَّقَ حَوَاشِيَهُ وَوَضَعَ فِهْرِسَهُ
إِسْمَاعِيلُ حَبِيبُ قَصِيرٍ

مكتبة القصير

النجف الأشرف

مطبعة النعمان النجف



Muhammad ibn al-Hasan, al-Tustī

التبیان

al-Tibyān

في

تفسير القرآن

تأليف

شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي قدس

السنه ٤٦٠ هـ

صححه ورتبه وعلق حواشيه ووضع فهرسه :

أحمد حبيب قصير العالمي

مكتبة القصير

النجف الأشرف

١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي وفقنا لطاعته والعمل على فهم كتابه وأحكامه . وإني أشكره
إستتماماً لنعمته ورضاءً بتدبيره وإعترافاً بربوبيته واعتقاداً بحكمته . وصلى الله على محمد
رسوله الأمين وعلى آله الميامين الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .
وبعد فإني أقدم لآخواني المؤمنين العاملين بأحكام القرآن هذا المجلد الخامس
من تفسير التبيان . وقد لاقيت من العناء في اخراجه الشيء الكثير .
واسأله سبحانه ان يوفقنا لإكماله على النهج السليم ، وقد عثرت على مخطوطتين
ناقصتين أحدهما تنتهي بانتهاء المجلد الرابع ، والاخرى ترافقنا الى آخر الكتاب
إلا انها ناقصة بمض الاوراق .

والفت نظر القارىء الى ان العناوين مثل (اللغة ، الاعراب ، المعنى)
هي من وضعنا . وكذلك ارقام الآي . والله هو الملمم الموفق للسداد

إِحْرَاقُ حَبِيبِ قَصِيرٍ

قوله تعالى :

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ
 مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا
 بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ
 تَهْتَدُونَ ﴾ (١٥٧) آية بلا خلاف .

المعنى :

امر الله تعالى نبيه ﴿ ع ﴾ ان يخاطب الخلق ، ويقول لهم اني رسول الله
 ارسلني اليكم يعني الى الناس اجمع « الذي له ملك السموات والارض » يعني ارسلني
 اليكم الذي له التصرف في السموات والارض من غير دافع ، ولا منازع « لا إله
 الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله » امر من النبي ﴿ ع ﴾ للخلق بأن
 يصدقوا بتوحيد الله ويقرروا بذبوة « الامي الذي يؤمن » يعني يصدق بالله وكلماته
 وامرهم بأن يتبعوه ويرجعوا الى طاعته لكي يهتدوا الى الثواب والجنة .

الاعراب :

وجميعاً نصب على الحال من ضمير المخاطب الذي عمل حرف الاضافة فيه والعامل
 في الحال معنى الفعل في « رسول » الا انه لا يتقدم على حرف الاضافة ، لانه قد
 صار بمنزلة العامل .

المعنى :

وانما وصفه بأنه يحيي ويميت لأنه لا يقدر على الاحياء إلا الله ، ولا على

2273
 .8237

الامانة ايضاً سواء لانه لو قدر احد على الامانة لغدر على الاحياء ، لأن من شأن القادر على الشيء أن يكون قادراً على ضده وانما استعمل بمنى لتهدتوا على الرجاء والطمع في الفوز به من المذاب .

قوله تعالى :

﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾

(١٥٨) آية بلا خلاف .

المعنى :

أخبر الله تعالى ان من قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون .

قال ابن عباس والسدي : قوم وراه الصين .

وقال ابو جعفر (ع) : هم قوم خلف الرمل لم يغيروا ولم يبدلوا .

وأنكر الجبائي قول ابن عباس ، وقال شرع موسى (ع) ، منسوخ بشرع

عيسى (ع) وشرع محمد (ص) فلو كانوا باقين لكفروا بنبوة محمد .

وهذا ليس بشيء ، لأنه لا يمتنع ان يكون قوم لم تبلغهم الدعوة من

النبي (ص) فلا نحكم بكفرهم .

وقال الجبائي يحتمل ذلك وجهين :

احدهما - انهم كانوا قوماً متمسكين بالحق في وقت ضلالتهم (١) بقتل انبياءهم

والآخر - انهم الذين آمنوا بالنبي (ص) مثل ابن سلام وابن صوريا وغيرها .

وتقدير الكلام في معنى الآية اذاً : كان من قوم موسى امة يهدون بالحق وبه

(١) أي في وقت ضلالة قومهم

يعدلون ، قد مدحوا بذلك وعظموا فعلى كل امة ان يكونوا كهذه الامة الكريمة
في هذا المعنى .

اللغة :

والامة الجماعة التي تؤم امراً بأن تقصده وتطلبه . وامة محمد (ص) تؤم
شريعة . وامة موسى وعيسى مثل ذلك .

المعنى :

وليس في الآية ما يدل على ان في كل عصر امة هادية من قوم موسى لأن
بعد نبوة نبينا (ص) لم يبق احد يجب اتباعه في شرع موسى (ع) وكذلك قوله
تعالى «ومن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون» (١) ولا ذلالة في ذلك على ان تلك
الامة موجودة في كل عصر ، بل لو لم توجد هذه الامة الا في وقت واحد هادية
بالحق عادلة به صح معنى الآية على ان عندنا في كل عصر لا يخلون من قوم به هذا
الوصف وهم حجج الله على خلقه ، المعصومين الذين لا يجوز عليهم الخطأ والزلل ،
فقد قلنا : بموجب الآية .

وصريح الآية يدل على بطلان قول من قال لا يهدي الى الحق ، الا الله تعالى ،
لأن الله تعالى بين ان فيمن خلقه امة يهدون بالحق وبه يعدلون ، وظاهر ذلك الحقيقة
وصريح الآية بخلاف ما يقوله المخالف ، ولا ينافي ذلك قوله تعالى «من يهد الله
فهو المهتدي» (٢) لانه يصبح اجتماعه مع ذلك والمعنى من يهدية الله الى الجنة فهو
المهتدي اليها على ان قوله تعالى «من يهدي الله فهو المهتدي» لا يمنع من ان يهديه
ايضاً غير الله ويهتدي ، لان المتعلق بذلك تعلق بدليل الخطاب . وهو ليس بصحيح

(٢) سورة الأعراف آية ١٧٧

(١) سورة الأعراف آية ١٨٠

عند أكثر العلماء على ان من هدى غيره الى الحق فانما يهديه بأن ينبيهه على الحجج التي نصبها الله على الحق فجاز ان يضاف ذلك الى انه بهداية الله . ومن حمل قوله تعالى « يهدون » على ان المعنى يهتدون فقد غلط ، لان ذلك لا يعرف في اللغة .

قوله تعالى :

﴿ وَقَطَعْنَا لَهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ سَبْطًا أَيَّمَا أَوَّلَادِ مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ يَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّانَ وَالسَّلَامَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (١٥٩) آية بلا خلاف .

الاعراب :

قد مضى تأويل معنى اكثر هذه الآية في سورة البقرة (١) فلا معنى للتطويل بذكر ما مضى وانما نذكر ما لم يذكر هناك : انما انت قوله اثنتي عشرة اسباطاً لان النية التقديم والتأخير والتقدير وقطعناهم ايماً اثنتي عشرة اسباطاً ولم يقل سبباً لاحد ثلاثة اشياء :

احدهما - انه بدل ليس بتمييز والمعنى قطعناهم اسباطاً ذكر ذلك الزجاج .

الثاني - على ان كل قسم اسباط لان الواحد يقال له سبط ، فيجوز على هذا

عندي عشرون دراهم على ان كل قسم منها دراهم قال كثير :

علي والثلاثة من بنيه هم الاسباط ليس بهم خفاء

فسيب سبب ايمان وبر وسبب عيبته كربلاء (١)
الثالث - ان يكون أقام الصفة مقام الموصوف . وتقديره انتي عشرة
فرقة اسباطاً .

اللغة والمعنى :

والسبب : الجماعة التي تجري في الامر بسهولة لا تقاومهم في الكلمة على انه
مأخوذ من السبوط .

وقيل انه مأخوذ من السبب ضرب من الشجر، فجعل الاب الذي يجمعهم كالشجرة
التي تنفرع عنها الأغصان الكثيرة .

وقال ابو علي لانهم كانوا بني اثني عشر رجلا من ولد يعقوب .
وقيل انما فرقوا اسباطاً لاختلاف رتبهم .

والانبجاس : خروج الماء الخاري بقلة ، والانفجار خروجه بكثرة ، فكان
يبتدى . بقلة ثم يتسع حتى يصير الى الكثرة ، فلذلك ذكره ههنا بالانبجاس وفي
البقرة بالانفجار .

والظلة السترة التي تقي من الشمس ، والأغاب عليها العلو .

فجاء الله عز وجل لهم من الغمام ظلة نكنهم لما احتاجوا الى ذلك في التيه كما
اعطاهم المن والسلوى . والمن ضرب من الحلاوة يسقط على الشجر . والسلوى طائر
كالسماني . وانما انت « اثنتا عشرة أ-باطاً » مع ان السبب ذكر ، لا أحد ثلاثة اشياء :
احدهما - انتي عشرة فرقة ثم حذف .

الثاني - وقطعناهم قطماً انتي عشرة ، فحذف على هذا التقدير .

الثالث - ان السبب لما وقع على الأمة أنت ، كما قال الشاعر :
 وان كلاباً هذه عشر أبطن وانت برىء من قبائلها المشر (١)
 وقوله تعالى « وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون » معناه : ما نقصونا شيئاً ولكن نقصوا انفسهم تقول العرب : ظلمت سقماك اذا سقيته قبل ان يخرج زبده ، ويقال : ظلم الوادي اذا بلغ الماء منه موضعاً لم يكن ناله فيما مضى ، قال الفراء وانشدني بعضهم :

يكداد يطعم ظلاماً ثم يمنعه عن الشواهدق فالوادي به شرق (٢)
 ويقال هو أظلم من حبة . لانها تأتي جحراً لم تحفره فتسكنه ويقال ما ظلمك ان تفعل كذا أي ما منعك . والارض المظلومة التي لم ينلها المطر .

قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً نَنْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَمْزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٦٠) آية بلا خلاف .

القراءة :

قرأ اهل المدينة وابن عامر ويعقوب (ينفرو) بالياء وضمها ، وفتح الفاء الباقون بالنون وكسر الفاء ، وقرأ اهل المدينة ويعقوب (خطيئاتكم) على جمع السلامة ورفع التاء ، وقرأ ابن عامر على التوحيد ورفع التاء ، وقرأ ابو عمرو (خطاياكم) بغير همز على جمع التكمير ، الباقون وهم ابن كثير واهل الكوفة (خطيئاتكم) على جمع السلامة وكسر التاء

الحجة :

من قرأ « يغفر » جملة على قوله تعالى « وإذا قيل لهم ادخلوا ، يغفر ، والتي في البقرة (يغفر) بالنون ، فالنون هناك أحسن لقوله « وإذا قلنا » وجاز ههنا بالنون كأنه قيل لهم ادخلوا تغفروا . أي ان دخلتم غفرنا .

ومن قرأ تغفر بالناء المضمومة فلانه اسند اليها خطيئاتكم وهو مؤنث فأنت وبنى الفعل للمفعول اشبه بما قبله ، لان قبله واذ قيل .
ومن قرأ بالنون فلقوله « وستزيد المحسنين » .

اللغة :

وخطايا جمع خطيئة جمع تكسير (وخطياتكم) مسكناً لأنه يكثر فيه السكون وسميت القرية قرية لأن الماء يقرى اليها يقال قرية الماء في الحوض أقربه قريباً إذا جمعت . ويجوز ان يكون مشتقاً من اجتماع الناس اليها .

المعنى :

وقد مضى تفسير مثل هذه الآية في سورة البقرة (١) فلا معنى لاعادته .
وإنما نذكر جملة ذلك فنقول :

هذا خطاب من الله تعالى لتبديع محمد (ص) بقوله اذكر يا محمد اذ قيل لبي
اسرائيل اسكنوا هذه القرية وهي بيت المقدس على قول وغيره الجبائي من المفسرين .
وقال الحسين هي ارض الشام .

وقال قوم غير ذلك . وقد ذكرنا اختلافهم في سورة البقرة (٢) لأنه كان امرهم بدخولها واخراج من فيها من الكفار وغيرهم ووعدهم ان يوسع عليهم فيها الرزق

ويبيحهم ذلك لياً كلوا من حيث شاؤوا ما يريدون من أنواع الاغذية والرزق . وقال لهم : « كلوا من حيث شئتم » على كثرة الرزق والغذاء في هذه القرية وفي كل ناحية منها .

وقوله تعالى : « وادخلوا الباب سجداً » يعني متواضعين وكانوا امرؤا بأن يدخلوا باباً منه معيناً في هذا الموضع كانوا فيه - في قول الجبائي . وقال ذلك قبل دخولهم الى بيت المقدس قال ولم يرد ان يدخلوا الباب سجداً منحنين . وقال ابن عباس كان هناك باب ضيق امرؤا بان يدخلوه ركعاً فدخلوه على استاهم . وقيل لهم « قولوا حطة » أي مغفرة ، فقالوا حنطة . وذكرنا اختلاف الناس في ذلك .

وقوله « وقولوا حطة » معناه قولوا حط عنا ذنوبنا وهو بمنزلة الاستغفار والتوبة . وقوله « نغفر لكم خطاياكم » جواب الأمر وفيه معنى الجزاء . والتقدير انكم ان فعلتم ذلك غفرنا لكم خطاياكم . وقوله « سنزيد المحسنين » معناه سنزيد المحسنين منكم نعماً وفضلاً في الدنيا والآخرة ، ولا تقتصر لهم على نعم هذه القرية .

الاعراب :

ورفع حطة على تقدير مسئلتنا حطة ومطلوبنا حطة . وان نصب جاز بمعنى حط عنا حطة .

وقوله سجداً نصب على الحال من دخول الباب . وقال ابو علي ليس بحال لدخول الباب ، لانهم بدلوا في حياة موسى .

قوله تعالى :

﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾

فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظَاهِرُونَ ﴿١٦١﴾ آية
بلا خلاف .

اخبر الله تعالى عن هؤلاء الذين اسرهم بدخول القرية متواضعين ، وان يقولوا
حطة لذنوبنا ، انهم بدلوا قولاً غير الذي قيل لهم .
والتبديل تغيير الشيء رفعه الى بدل ، فقال الحسن قالوا حنطة بدل حطة .
وقال قوم : قالوا قولاً ينافي الاستغفار وبخالف التوبة . وقالوا ما يدل على الاصرار .
واخبر تعالى انه ارسل عليهم عند ذلك رجزاً وهو المذاب والمقوبة جزاء بما
كانوا يفعلونه من معاصي الله تعالى ويظلمون بها انفسهم .
واصل الرجز الميل عن الحق فبه الرجاسة وما يعدل به الحمل اذا مال عن خفة
والرجز عبادة الوثن ، والناقة الرجاء التي تميل في احد شقيها لداة يمرض لها في عجزها .

قوله تعالى :

﴿ وَ-ثَلُومٌ عِزِّ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ
فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ رِحْمَتَانِ مِنْهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ
لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبَلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ (١٦٢) آية بلا خلاف .

القراءة والحجة :

القراء كلامهم على فتح الياء في قوله تعالى ﴿ لا يسبتون ﴾ وروي عن الحسن ضمها
من قال أسبتوا اراد دخلوا في السبت ومن فتح الياء اراد يفعلون السبت اي
يقومون بأمره كما يفعل المسلمون يوم الجمعة ومثله أجمعنا اي سررت بنا جمعة ، وجمعنا
شهدنا الجمعة .

قال الفراء قال لي بعض العرب اترأنا أشهرنا منذ لم نلتق؟ يريد مرئنا شهرآ .

المعنى :

امر الله نبيه ﴿ ع ﴾ ان يسأل بني اسرائيل الذين كانوا في وقته عن القرية التي كانت حاضرة البحر ، وعن سبب هلاكها ، سؤال تقرير وتوبيخ لا سؤال استنهام . كما يقول الرجل لغيره انا فعلت كذا؟ وانت تعلم انك لم تفعل ، واء — تسأله لتقريره وتوبيخه ، فوجه امر النبي ﴿ ع ﴾ ان يسأل اهل الكتاب عن اهل هذه القرية مع ما خبره الله تعالى بقصتها لتقريرهم تقديم كفرهم وتعلمهم ما لا يعلم الا بكتاب او وحي ، وهو ﴿ ع ﴾ لم يكن ممن قرأ الكتب ، فعلموا بذلك ان ذلك وحي انزل عليه .

اللغة والاعراب والمعنى :

وقوله تعالى ﴿ اذ يعدون في السبت ﴾ معناه اذ يظلمون في السبت ، يقال عدا فلان يعدو عدواناً . وعدا عدواً اذا ظلم .

وقوله تعالى ﴿ اذ تأتبهم حيثانهم ﴾ في موضع نصب يبعدون .
والمعنى سألهم اذ عدوا في وقت اتيان الحيتان شرعاً اي ظاهرة والحيتان جمع حوت واكثر ما يسمى العرب السمك بالحيتان والنيقان وكانت الحيتان فأتى ظاهرة فكانوا يحتملون بحبسها يوم السبت ثم يأخذونها في يوم الأحد .

وقال قوم : جأهروا بأخذها يوم السبت .

وقوله تعالى ﴿ كذلك نبلوهم ﴾ اي مثل هذا الاختبار الشديد نختبرهم .
وموضع الكاف نصب بقوله : ﴿ نبلوهم بما كانوا يفسقون ﴾ اي شددت عليهم المحنة بفسقهم .

قال الزجاج ويحتمل ان يكون ﴿ ويوم يسبتون لا تأتبهم كذلك اي لا يأتبهم

شرعاً ويكون « كذلك نبلونهم » مستأنفاً . والأول قول أكثر المفسرين .
 والوجه في تشديد المحنة التي هي التكليف ان الله تعالى امر بني اسرائيل
 بامساك السبت والتفرغ فيه للعبادة وان لا يتشاغلوا بشي من امر الدنيا فيه فتهاون (١)
 قوم ممن كان يسكن هذه القرية وهي ايلة في قول قوم من المفسرين . وقال قوم هي
 مدبن ، ورويا جميعاً عن ابن عباس ، ولم يقوموا بما (٢) وجب عليهم فشدد الله على من
 احذوه ، قال الحسن كانت تشرع على ابراهيم كأنها الكباش البيض فيعدو فيأخذونها
 وتبعد عنهم في باقي الايام وامرهم ان لا يصطادوه يوم السبت فيمكن ذلك تشديداً
 للتكليف وتعليقاً للمحنة والبلوى وكان ذلك عقوبة على تهاونهم بما اوجب الله عليهم
 نخالفوا فأرسلوا الشباك يوم السبت واخرجوها يوم الاحد .

قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَتِ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ
 أَوْ مَعْدِيهِمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَنبَاءٌ يَّتَقُونَ ﴾
 (١٦٣) آية بلا خلاف .

القراءة والحجة :

قرأ حفص وحده عن عاصم « معذرةٌ » بالنصب . الباقر بالرفع .
 من رفع فعلى تقدير موعظتنا معذرة الى ربكم . ومن نصب فعلى المصدر ،
 كما يقول القائل لغيره معذرة الى الله واليك من كذا على النصب .

(١) في المطبوعة (فيها فيه) بدل (فتهاون) .

(٢) (في المطبوعة ولم يعم بها) بدل (ولم يقوموا بما) .

المعنى :

والمعنى قالوا نعتذر معذرة واعذاراً .

قال ابو زيد عذرتة اعذره عذراً ومعذرة وعذرى . والتقدير واذكر اذ
قالت أمة منهم لطائفة منهم لم تعظون قوماً علمتم انهم هالكون في الدنيا ويمذبهم الله
عذاباً شديداً في الآخرة ، فقالوا في جرابهم وعظناهم اعذاراً الى الله اي نعظهم
اعتذاراً الى ربكم لئلا يقول لنا لم لم تعظوهم ولما هم ايضاً بالوعظ يتقون ويرجعون .
وفي ذلك دليل على انه يجب النبي عن القبيح وإن علم الناهي ان المنع
لا يضر ولا يقبل ، وان ذلك هو ضد الحكمة والصواب الذي لا يجوز غيره .

واختلفوا في هذه الفرقة التي قالت لم تعظون قوماً الله مهلكهم ؟ هل كانت من
الناجية او من الهالكة عن الاعتداء في السبت . ذهب اليه ابن عباس وقال نجت
الطائفتان من الهلاك الناهية والتي قالت لها لم تعظون ، وبه قال السدي .

وقال قوم الفرقة التي قالت لم تعظون قوماً الله مهلكهم كانت من الفرقة الهالكة
ذهب اليه ابن عباس في رواية اخرى عنه .

وقال قتادة عن ابن عباس هم ثلاث فرق التي وعظت والموعظة فنجت الاولى ،
وهلكت الثانية ، والله اعلم ما فعلت الفرقة الثالثة ، وهم الذين قالوا لم تعظون
واختاره الجبائي .

وقال الكلبي : هما فرقتان الواعظة والموعظة .

وقال الجبائي لم يريدوا بذلك الا نهيهم اياهم عن ذلك القبيح . وانما قالوا ذلك
على سبيل الايام من قبولهم منهم .

وقوله « لم » اصله (لما) الا انه حذف الألف مع حرف الجر نحو « عم يتساءلون »
ولم يقولوا (عن ما) .

قوله تعالى :

﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ
السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِمِزَابٍ مَّيِّسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾
(١٦٤) آية بلا خلاف .

القراءة واللغة :

قرأ أبو بكر الا العملي « بيئس » بفتح الباء وبمدها ياء ساكنة وبمدها همزة
مفتوحة على وزن فيعل . وروي عنه بكسر الهمزة . وقرأ اهل المدينة والداحوني
عن هشام بكسر الهاء وبمدها ياء ساكنة من غير همز .
وقرأ مثل ذلك ابن طامر الا الداخوني عن هشام الا انه همز . الباقيون بفتح
الياء وبمدها همزة مكسورة بمدها ياء ساكنة على وزن فيعل .
وروي خارجة عن نافم بفتح الباء بمدها ياء بلا همز على وزن فعل .

اللغة والحجة :

قال ابو زيد : قد يؤس الرجل يبؤس بأساً اذا كان شديد البأس وفي البؤس
بئس وبيس يبأس بؤساً وبيئساً وبأساً . والبأساء الاسم .
قال ابو علي من قرأ على وزن فيعل يحتمل امرين :
احدهما - ان يكون فيعلا من بؤس يبؤس اذا كان شديد البأس مثل « من
عذاب شديد » قال ابو محمد الفقهسي :
اشعث غير حسن اللبوس باق على عيش له بئيس
اي شديد .

والثاني - ان يـكـون من عذاب ذي بيئس . فوصفه بالمصدر والمصدر قد يجيء على فـعـيل مثل نكير ونذير وشحيح وعذير الحي ، والتقدير من عذاب ذي بيئس أي عذاب ذي بؤس .

ومن قرأ بكسر الباء من غير همز فانه جعلها اسماً ، فوصفه به مثل قوله (ص) إن الله نهى عن قيل وقال ومثله : منذ شب الى رب . ونظيره من الصفة نقض وبسق . ومن فتح الباء من غير همز فهو ايضاً فعل في الاصل وصف به وابدات الهمزة ياء . وحكى سيديويه انه سمع بمض العرب يقول بيئس فلا يحقق الهمزة ويدع الحرف على الاصل الذي هو فعل كانه يسكن العين كما يسكن عن علم ويقاب الهمزة ياء الا أنه لما اسكنها لم يجز ان يجعلها بين بين فأخلصها ياء .

وقراءة ابن عامر مثل قراءة نافع الا ان ابن عامر حقق الهمزة .

وقراءة ابي بكر على وزن فيعل ، فانه جعله وصفاً كضيغم وحيدر وهذا البناء كثير في الصفة ولا يجوز كسر العين من بيئس لأن فيعل بناء اختص به ما كان عينه ياء او واواً مثل سيد وطيب ولم يجيء مثل ضيغم وجاء في المعتل حكى سيديويه عيناً وانشد لرؤبة :

ما بال عيني كالشعيب العين (١)

فينبغي ان يحمل بيئس على الوهم عن رواء عن عاصم والاعمش بالكسر وقد

انشد بعضهم :

كلاهما كات رئيساً بيئساً يضرب في يوم الهياج القونما (٢)

(١) وقيل قاتله الطرماح . اللسان (عين) العين - بتشديد الياء : الجديد .

(٢) قاتله امرىء القيس بن غابس الكسندى . تفسير ابن حبان ٤ : ١٤٣

وتفسير الطبري ١٣ : ٢٠٠

أعلى كل شي قونسه بكسر العين .
فن كسر العين حمله على هذه اللفظة .

المعنى :

أخبر الله تعالى انه لما ترك اهل هذه القرية الرجوع عن ارتكاب المعصية بصيد السمك يوم السبت بعد ان ذكروهم الواعظون ذلك ولم ينتهوا عن ذلك انه أنجا الناهين عن ذلك واخذ الذين ظلموا انفسهم بعذاب شديد جزاء بما كانوا يفسقون ويخرجون عن طاعة الله الى معصيته .

وروي عن عطا ان رجلا دخل على ابن عباس وبين يديه المصحف وهو يبكي وقد اتى على هذه الآية إلى آخرها ، فقال ابن عباس قد علمت ان الله اهلك الذين اخذوا الحيتان وانجى الذين نهوهم ، ولا ادري ما صنع بالذين لم ينهوهم ولم يوافقوا المعصية وهي حالنا .

و« نسوا » في الآية معناه تركوا وبجتمل ان يكون تركهم القبول في منزلة من نسي ، ولا يجوز ان يكون المراد النسيان الذي هو السهو لانه ليس من فعلهم فلا يذمونه عليه .

وقال الجبائي العذاب الشديد لحقهم قبل ان يمسخوا قرده خاسئين .

قوله تعالى :

﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾

(١٦٥) آية بلا خلاف .

المعنى :

أخبر الله تعالى عن هؤلاء العصاة الذين عصوا بصيد السمك في السبت ونهوا

فلم ينتهوا ووعظوا فلم يتمظوا وانه انزل عليهم العذاب الشديد ، فلما عتوا عما نهى الله وتمردوا في معصيته مسخهم الله قردة خاسئين .

اللغة :

والعاني الشديد الدخول في الفساد المتمرد الذي لا يقبل موعظة . والعتوا الخروج الى الجراءة على أخش الذنوب . وقوله « خاسئين » معناه مبعدين من قلوبهم خسأت الكلب اذا اقصيته خساً اي بعد .

المعنى :

وقال الحسن معناه صاغرين وقال ان اهل المسخ يتناسلون .
وقال ابن عباس لا يتناسلون . واجاز الزجاج كلا الامرين .
وسئل ابو مالك اكانت القردة والخنازير قبل ان يمسخوا ؟ قال : نعم وكانوا فيما خلق الله من الامم .
وقول ابن عباس اصح ، لان المعلوم ان القردة ليست من ولد آدم كما ان الكلاب ليست من ولد آدم .

قال قتادة : صاروا قردة لها اذنان تماوى بعد ما كانوا نساء ورجالا .
وقوله تعالى : « كونوا قردة » صيغته صيغة الامر والمراد به الاخبار : من انه جعلهم قردة على وجه يسهل عليه ولم يتعب به ولم ينصب كما قال تعالى : « إنما قولنا لشيء إذا اردناه ان نقول له كن فيكون » (١) . وقال « اثمتيا طوعاً او كرهاً قالنا أتينا طائعين » (٢) ولم يكن هناك امر لانه تعالى لا يأمر الممدوم ، وانما هو إخبار عن تسهيل الفعل ، واجاز الزجاج ان يكون قيل لهم ذلك بكلام سمموه فيكون

ذلك بلغ في الآية النزلة بهم لما يدل على وقوع الأول الذي تبعه الثاني ، وليس كذلك اذا قلت ، لما جاء المطر خرج النبات .
وقوله تعالى : « ولو ردوا لعادوا » فلا يقع الرد اصلا .

قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٦٥) آية بلا خلاف .

المعنى :

التقدير اذكر يا محمد « إذ تأذن ربك » ومعنى تأذن : اعلم ، والعرب تقول تعلم ان هذا كذا بمعنى اعلم ، قال زهير :
تعلم ان شر الناس حي
ويسار اسم عبد . وقال زهير ايضا :
فقلت تعلم ان للصيد غرة
وقال الزجاج معنى تأذن تألا ربك ليعمثن .
وقال قوم : معناه امر من اذن يا اذن .

وقوله : ﴿ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ قسم من الله تعالى انه يبعث عليهم من يسومهم سوء العذاب اي من يوليهم سوء العذاب .

(١) الاغانى - دار الثقافة بيروت - ١٠ : ٣١٧ . الشعار علامة ينصبونها في سفرهم .

(٢) تفسير القرطبي ٧ : ٣٠٩ . وروايته (تضييعها) بدل (تضييعه) .

قال ابو جعفر (ع) وابن عباس وقتادة وسعيد بن جبير والحسن : اراد به اممة محمد (ص) يأخذون منهم الجزية .

فان قيل فقد جعلوا قردة كيف يبقون الى يوم القيامة ؟

قلنا : ان الذكر لليهود فمنهم من مسح فجل منهم القردة والخنازير ومن بقي قم بذل من الله ، فهم اذلاء بالقتل او اذلاء باعطاء الجربة ، فهم في كل مكان اذل اهله لقوله تعالى « ضربت عليهم الذلة اينما تقفوا الا لا يحبل من الله وحبل من الناس » (١) اي الا ان يعطوا الذمة والعهد .

وفي الآية دليل على أن اليهود لا يكون لهم دولة الى يوم القيامة ولا عز لهم ايضاً وقيل في معنى البعث ههنا قولان :

احدهما - الامر والاطلاق .

والآخر - التخلية ، وان وقع على وجه المصيبة ، كما قال تعالى : « انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً » (٢) .

وقوله تعالى : « ان ربك لشديد العقاب » معناه ان ربك يا محمد لسريـم العقاب لمن يستوجهه على كفره ومصيبته « وانه لغفور رحيم » اي صفوح عن ذنوب من تاب إليه من معاصيه ورجع الى طاعته يستر عليهم بعفوه وبفضله رحمة بهم فلا ينبغي لاحد ان يصر ويأمن عقابه بل ينبغي ان يحوز سرعة عقابه فيبادر إلى التوبة والاستغفار .

قوله تعالى :

﴿ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا مِّنْهُمْ الْأَصْحَابُونَ وَمِنْهُمْ دُونُ

ذَلِكَ وَبَلَّوْنَاہُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٧﴾
آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى انه قطع بني اسرائيل يعني فرقمهم فرقاً في الارض « انما » يعني
جماعات شتى متفرقين في البلاد ، وهو قول ابن عباس ومجاهد ، وعلى اي وجه
فرقمهم ؟ قيل فيه قولان :

احدهما - فرقمهم حتى تشدت امرهم وذهب عزهم عقوبة لهم .

الثاني - فرقمهم على ما علم انه اصلح لهم في دينهم .

ثم اخبر عنهم فقال : من هؤلاء الصالحون يعني من بني اسرائيل
الصالحون وهم الذين يؤمنون بالله ورسوله ، ومنهم دون ذلك يعني دون الصالح ، وإنما
وصفهم بذلك لما كانوا عليه قبل ارتدادهم عن دينهم ، وقبل كفرهم بربهم ، وذلك
قبل ان يبعث قوم فيهم عيسى ﴿ع﴾ .

وقوله : « وبللوناہم بالحسنات والسيئات » معناه اختبرناہم بالرغاء في العيش
والحفض في الدنيا والدعة والسعة في الرزق ، وهي الحمضات ويعني بالسيئات الشدائد
في الحبس والمصائب في الأُنفوس والأموال « لعلمهم يرجعون » اي لكي يرجعوا
إلى طاعته وينيبوا إلى إمتثال امره .

فان قيل كيف قال لكي يرجعوا الى الحق وهم لم يكونوا عليه قط ؟!

قلنا عنه جوابان :

احدهما - انهم ما رآون على وجوههم الى جهة الباطل فدعوا إلى الرجوع إلى
جهة الحق لأن الانصراف عن الباطل رجوع إلى الحق .

الثاني - انهم ولدوا على الفطرة وهي دين الحق الذي يلزمهم الرجوع اليه .

قوله تعالى :

﴿ نَخْلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ
عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ
يَأْخُذْهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا
الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأَخْرَءُ خَيْرٌ لِمُذِّبِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ ﴾ (١٦٨) آية بلا خلاف .

معنى الآية إن الله أخبر أنه خلف بعد القوم الذين كانوا فرقتهم في الأرض
خلف وهم قوم نشؤا بعدهم من اولادهم ونسبهم .

اللغة :

يقال للقرن الذي يجيء في اثر قرن خلف ، والخلف ما اخلف عليك بدلا مما
أخذ منك . ويقال في هذا خلف ايضاً . فأما ما اخلف عليك بدلا مما ذهب منك ،
فهو - بفتح اللام - افصح . قال الفراء . يقال اعطاك الله خلفاً مما ذهب لك ، فأنت
خلف صدق وخلف سوء ، قال الله تعالى « نخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة » (١)
واكثر ما تجيء في المدح - بفتح اللام - وفي الذم بتسكينها - وقد تحرك في الذم
وتسكن في المدح فمن ذلك في تسكين اللام في المدح قول حسان بن ثابت :

لنا القدم الاولى اليك وخلفنا لاولنا في طاعة الله تابع (٢)

ويقال خلف اللبن اذا حمض من طول تركه في السقاء حتى يفسد . قال رجل الفاسق

(١) سورة مريم آية ٥٩

(٢) ديوانه الفصيحة : ٨ . واللسان (خلف) وتفسير القرطبي ٧ : ٣١ وغيرها كثير

مشبه به ، ومنه مخلوف فم الصائم وهو تغيره . واما بتسكين اللام في الذم فقول لبيد:
ذهب الذين يعاش في اكنافهم وبقيت في خلف كجلد الاخرس (١)

المعنى :

وقيل ان الخلف الذين ذكرهم الله في هذه الآية أنهم خلقوا من قبلهم هم
النصارى - ذهب اليه مجاهد - وهذا الذي قاله جاز ، وجاز ايضاً ان يكون المراد به
قوم خلقهم من اليهود .

وقوله تعالى ﴿ ورتوا الكتاب يأخذون عرض هذا الاذني ﴾ . قال قوم : كانوا
يرتشون على الأحكام ، ويحكمون بحجور .

وقال آخرون : كانوا يرثون ويحكمون بحق وكل ذلك عرض خسيس ، ومعنى
« هذا الاذني » هذا العاجل . و « يقولون سيغفر لنا » معناه إذا فعلوا ذلك يقولون
الله يغفر لنا ذلك تمنياً منهم للباطل ، كما قال تعالى « فويل للذين يكتبون الكتاب
بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم
وويل لهم مما يكسبون » (٢) .

وقوله تعالى ﴿ وإن يأثمهم عرض مثله يأخذوه ﴾ دليل على اصرارهم وانهم تمنوا
ان يغفر لهم مع الاصرار ، لان المعنى وإن جاءهم حرام من الرشوة بعد ذلك اخذوه
واستحلوه ، ولم يرتدعوا عنه ، وهو قول سعيد بن جبيرة وقتادة والسدي وابن عباس .
وقال الحسن معناه لا يشبعهم شيء .

وقوله ﴿ ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا
ما فيه ﴾ معناه ألم يؤخذ على هؤلاء المرتشين في الاحكام القائمين سيغفر لنا هذا إذا

(١) ديوانه الفصيحة : ٨ . واللسان (خلف) وتفسير الفرطبي ٧ : ٣١٠ وغيرها كثير

(٢) سورة البقرة آية ٧٩

عوتبوا على ذلك و « ميثاق الكتاب » هو ما أخذ الله على بني اسرائيل من اليهود باقامة التوراة والعمل بما فيها ، فقال تعالى لهؤلاء الذين قصمهم توبيخاً لهم على خلافهم امره ونقضهم عهده وميثاقه : ألم يأخذ الله عليهم الميثاق في كتابه ان لا يقولوا على الله إلا الحق ، ولا يضيفوا اليه إلا ما انزله على رسوله موسى في التوراة ولا يكذبوا عليه .

وإنما إحتج عليهم بميثاق الكتاب ولم يحتج عليهم بالعقل ، ليعلمنا ما لا نعلمه بما هو في كتبهم من أدلة تؤكد ما في العقل وقوله تعالى : ﴿ ودرسوا ما فيه ﴾ والمعنى قرؤا ما فيه ودرسوه فضيعوه ، وتركوا العمل به .

اللغة :

والدرس تكرر الشيء يقال درس الكتاب اذا كرر قراءته . ودرس المنزل : اذا تكرر عليه مرور الامطار والرياح حتى يمحى اثره .

المعنى :

وقوله تعالى ﴿ والدار الآخرة خير للذين يتقون ﴾ اي ما أعده الله تعالى لا ولياؤه في دار الآخرة من النعيم والثواب وذخره للعاملين بطاعته الحافظين لحدوده « خير للذين يتقون » يعني يجتنبون معاصي الله ويحذرون عقابه .

وقوله : ﴿ أفلا تعقلون ﴾ فمن قرأ بالياء معناه أفلا تعقل هذه الطائفة التي تقدم ذكرها وهم الذين يأخذون عرض هذا الأدنى على احكامهم ويقولون سيفقر لما . ومن قرأ بالياء قال معناه قل لهم أفلا تعقلون ان الامر على ما اخبر الله به .

اللغة :

وحكي ان طياً تقول في جمع ميثاق ميثاق وفي جمع ميزان ميازين ، وحكى
غيرهم عن اهل الحجاز ايضاً ذلك وانشد بعض الطائيين :
حى لا يحل الدهر الا باذتنا ولا نسل الاقوام عقد الميثاق (١)

قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ
أَجْرَ الْمُصَلِّحِينَ ﴾ (١٦٩) آية بلا خلاف .

القراءة والحجة:

قرأ ابو بكر ﴿ يمسكون ﴾ بتصكين الميم ، الباقون بفتحها وتشديد السين .
من خفف السين فلقوله تعالى « فامسك بمعروف » (٢) وقوله « امسك عليك
زوجك » (٣) وقوله « فكلوا مما امسكن » (٤) .
ومن شدد اراد التكثير وهو أولى لقوله تعالى « وتؤمنون بالكتاب كله » (٥)
اي لا تؤمنون ببعضه وتكفرون ببعضه بل يؤمنون بجميعه .
ويقوي التشديد ماروي عن ابي انه قرأ « مسكوا بالكتاب » ومعني ﴿ يمسكون ﴾
اي يأخذون بما فيه من حلاله وحرامه .

(١) قائله عياض بن درة الطائي . اللسان (وثق) . في المطبوعة (تسئل) بدل (نسل)

(٢) سورة البقرة آية ٢٢٩ (٣) سورة الأحزاب آية ٣٧ .

(٤) ، المائة آية ٤ (٥) سورة آل عمران آية ١١٩

المعنى :

أخبر الله تعالى ان الذين يعملون بما في الكتاب و يقيمون الصلاة مع دخولها في التمسك بالكتاب لجلالة موقعا وشدة تأكدها انه لا يضيع جزاء عملهم ، ويثيبهم بما يستحقونه ، لاني لا اضيع لاحد - أصلح عمله ، فعمل بطاعتي - أجر عمله ، وهو قول ابن زيد ومجاهد ، وجميع المفسرين . والتقدير انا لا نضيع اجر المصلحين منهم لأن من كان غير مؤمن وأصلح فأجره ساقط ، لانه يوقعه على خلاف الوجه الذي يستحق به الثواب .

اللغة والاعراب :

ويعسكون بالكتاب ويعسكون ويتمسكون ويستمسكون بمعنى واحد اي يعتصمون به ويعملون بما فيه . وخبر الذين قوله : ﴿ انا لا نضيع اجر المصلحين ﴾ فاستغنى بذكر العلة عن ذكر المعلول .

قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ أَعَلَيْكُمْ نَتَقُونَ ﴾ (١٧٠)
آية بلا خلاف .

المعنى :

هذا خطاب لنبينا محمد ﴿ ص ﴾ يقول الله له : اذكر يا محمد الوقت الذي نتقنا فيه الجبل اي رفعناه فوقهم حتى صار كأنه ظلة .
وقيل انه رفع الجبل على عسكرهم فرسخا في فرسخ .

اللغة :

وامرأة منتاق وناقق كثيرة الولد . وقال ابن الاعرابي الناقق الرافع ، والناقق
الفاقق ، والناقق الباسط ، وقال المعجاج :

ينتق انتاق الشليل نتقا (١)

يعني يرفعه عن ظهره . وقال الآخر :

ونتقوا احلامنا الا ناقلا (٢)

وقال النابغة :

لم يحرموا حسن الغذاء وامهم دحقت عليك بنانق مذكار (٣)
ويروى طفحت عليك بنانق . ويقال نتق السير اذا حركه . ويقال ما ينتق
برجله ولا يركض والنتق نتق الدابة صاحبها - ا حين تعدو به وتتبعه حتى تربو
فذلك النتق (٤) .

وقال بعضهم معنى (نتقنا - الجبل فوقهم) فرؤناهم بنتقه نتقا . قال سميت
من يقول اخذ الجراب فنتق ما فيه اذا نثر ما فيه . ابو عبيدة اصل نتقت كل شي .

المعنى :

وقوله عز وجل (كأنه ظلة) يعني به غماماً من الظلال . وقوله (وظنوا انه

(١) دبوانه : ٤٠ . وتفسير الطبري الطبعة الثانية ٩ : ١٠٩ وكان في المطبوعة :
(يبيق انتاق السليل نتقا) .

(٢) اللسان (نتق) . وتفسير الطبري الطبعة الثانية ٩ : ١١٠ .

(٣) اللسان (نتق) . ، ، ، ٩ : ١١٠ ومختار الشعر الجاهلي : ١٦٨

(٤) كان في المطبوعة (النتيق نيق الدابة صاحبه يعني يمدوا به وسعة تربو
فلذلك النتق) .

واقع بهم ﴿ قال الحسن معناه علموا .
وقال الجبائي والرماني هو الظن بعينه ، لأنه قوي في نفوسهم ذلك .
وقوله ﴿ خذوا ما آتيناكم بقوة ﴾ اي قلنا لهم خذوا ما آتيناكم بمجد يعني
ما ألزمتكم من احكام كتابنا وفرائضه فأقبلوه باجتهاد منكم في اوانه من غير
تقصير ولا توان .

وقال الجبائي معناه خذوه بالقدرة التي آتاكم الله واقدركم بها لانهم لو لم يكونوا
قادرين لما كلفهم الله ذلك . وذلك يفسد مذهب من قال القدرة مع الفعل .
وقوله ﴿ واذكروا ما فيه ﴾ معناه ما في كتابه من العهود والمواثيق التي اخذناها
عليكم ، بالعمل بما فيه لكي تتقوا ربكم فتخافوا عقابه بترككم العمل به . إذا ذكرتم
ما اخذ عليكم فيه من المواثيق .

وكان سبب رفع الجبل عليهم ان موسى ﴿ ع ﴾ لما أتاهم بالتوراة ووقفوا على
ما فيها من الاحكام والحدود والتشديد في العبادة أبوا ان يقبلوا ذلك وان يتمسكوا
به وان يعملوا بما فيه . وقالوا ان ذلك يغلظ علينا ، فرفع الله الجبل كالظلة عليهم ،
وعرفهم موسى انهم ان لم يقبلوا التوراة ولم يعملوا بما فيها وقع عليهم فأخذوا
بالتوراة وقبلوا ما فيها وصرف الله نزول الجبل عليهم . قال ابن عباس فلذلك صارت
اليهود تسجد على قرنها الايسر لانهم سجدوا كذلك ينظرون الى الجبل وكانها
سجدة نصبها الله . وانما اتخذت النصراني المشرق قبلة لان مريم عليها السلام اتخذت
مكاناً شرقياً حين حملت بميسى ﴿ ع ﴾ .

وقال مجاهد معناه ان اخذتموه بمجد وحسن نية والا التي الجبل عليكم .
وقال ابو مسلم ان رفع الجبل كان ليظلمهم من الغمام وذلك خلافاً اقوال
المفسرين وما يقتضيه سياق الكلام .

قوله تعالى:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ
وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ
الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧١) أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ
وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ آبَاؤُنَا بِإِخْلَافِ﴾ (١٧٢) آياتان بلا خلاف.

القراءة والحجة واللغة :

قرأ ابن كثير واهل الكوفة « ذريتهم » على التوحيد . الباقون ذرياتهم على
الجمع . وقرأ ابو عمرو « وان يقولوا ، أو ان يقولوا » بالياء فيها . الباقون بالتاء .
الذرية قد يكون جمعاً نحو قوله تعالى « وكننا ذرية من بعدهم » وقوله تعالى
« ذرية من حملنا مع نوح » (١) وقد يكون واحداً كقوله : « هب لي من لدنك
ذرية طيبة ... فناده الملائكة... إن الله يبشرك بيحيي » (٢) فهو مثل قوله : « هب
لي من لدنك ولياً يرثني » (٣) فقال الله : « يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيي » (٤)
فن أفرده جملة اسماً واستغنى عن جمعه بوقوعه على الجمع .
ومن جمع قال : لانه ان كان واقماً على الواحد فلا شك في جواز جمعه وإن كان
جمعاً فجمعه ايضاً حسن ، لانه قد وردت الجموع المكسرة وقد جمعت نحو الطرقات
وصواحيب يوسف .

وحجة من افرده قال لا يقع على الواحد والجمع . فلما وزن (ذرية) فانه يجوز

(٢) سورة آل عمران آية ٣٨

(٤) ، مريم آية ٦

(١) سورة الاسراء آية ٣

(٣) ، مريم آية ٤

ان تكون فعلولة من الذر فأبدلت من الراء التي هي لام الفعل الاخيرة ياء كما أبدلت من دهرية ، يدلك على البديل فيه قولهم دهرورة ، ويحتمل ان تكون فعلية منه فأبدلت من الراء الياء كما تبدل من هذه الحروف في التضعيف وان وقع فيها الفصل . ويحتمل ان تكون فعلية نسبة الى الذر وابدلت الفتححة منها الضمة كما ابدلوا في الاضافة الى الدهر دهري والى سهل سهلي .

ويجوز ان تكون فعلية من ذرأ الله الخلق ، أجمعوا على تخفيفها كما اجمعوا على تخفيف البرية .

ويجوز ان يكون من قوله ﴿ نذروه الرياح ﴾ (١) ابدلت من الواو الياء لوقوع ياء قبلها وحجة ابي عمرو في قراءته بالياء ان ما تقدم ذكره من الغيبة وهو قوله عز وجل « واذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على انفسهم » كراهية ان يقولوا او اثلا يقول ، ويؤكد ذلك ما جاء بعد من الاخبار عن الغيبة وهو قوله : « قالوا بلى » .

وحجة من قرأ بالتاء انه قد جرى في الكلام خطاب وهو قوله « ألسنت بر بكم قالوا بلى شهدنا » وكلا الوجهين حسن ، لان الغيب هم المخاطبون في المعنى .

المعنى :

هذا خطاب للنبي ﴿ ع ﴾ قال الله تعالى له : واذا ذكر ايضاً الوقت الذي اخذ الله فيه من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على انفسهم الست بر بكم .
واختلفوا في معنى هذا الاخذ فيه وهذا الاشهاد :

فقال البلخي والرماني اراد بذلك البالغين من بني آدم واخرجه ايام ذرية قرناً بعد قرن وعصراً بعد عصر واشهادهم ايام على انفسهم تبليغه ايام واكمله عقولهم ،

وما نصب فيها من الأدلة الدالة بأنهم مصنوعون وان المصنوع لا بد له من صانع وبما
اشهدهم مما يحدث فيهم من الزيادة والنقصان ، والآلام والأمراض الدال بجميع ذلك
على ان لهم خالقاً رازقاً يجب معرفته والقيام بشكره ، وما أخطر بقلوبهم من تأكيد
ذلك والحث على الفكر فيه ثم ارساله الرسل وانزاله الكتب ، لئلا يقولوا اذ صاروا
الى العذاب انا كنا عن هذا غافلين لم يذنب علينا ولم تقم لنا حجة عليه ولم تكمل عقولنا
فنفكر فيه ، او يقول قوم منهم انما اشرك آباؤنا حين بلغوا وعقلوا فلما نحن فكنا
اطعالا لا نعقل ولا نصلح للمكرة والنظر والتدبير .

وقال الجبائي اخذه ذرياتهم من ظهورهم انه خلقهم نطفاً من ظهور الآباء ثم
خلقهم في ارحام الامهات ثم تعلمهم من خلقه الى خلقه ، وصورة الى صورة ثم صاروا
حيواناً بان احيام الله في الارحام وأتم خلقهم ثم اخرجهم من الارحام بالولادة .
وقوله تعالى : « واشهدهم على انفسهم » يعني عند البلوغ وكمال العقل وعندما
عرفوا ربهم يقال لهم على لسان بعض أنبيائه « ألسن بر بكم » ؟ فقالوا : بلى شهدنا
بذلك واقربنا به لانهم كانوا بالله عارفين انه ربهم .

وقوله تعالى « ان تقولوا انا كنا عن هذا غافلين » معناه لئلا تقولوا يوم القيامة انا
كنا عن هذا غافلين فأراد بذلك اني انا قررتكم بهذا لتواظبوا على طاعتي وتشكروا نعمتي
ولا تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين .

وقوله تعالى « او تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم »
فنشأنا على شركهم فتحتمجوا يوم القيامة بذلك فيبين اني قد قطعت بذلك حججتكم
هذه بما قررتكم به من معرفتي واشهدتكم على انفسكم باقراركم وبمعرفتكم ايادي .

وقوله « افتهلكنا بما فعل المبطلون » من آباءنا . وهذا يدل على انهم
مخصوصة في قوم من بني آدم وانها ليست في جميعهم لان جميع بني آدم لم يؤخذوا
من ظهور بني آدم لان ولد آدم لصلبه لا يجوز ان يقال انهم اخذوا من ظهور بني آدم

فقد خرج ولد آدم لصلبه من ذلك وخرج أيضاً اولاد المؤمنين من ولد آدم الذين لم يكن آباؤهم مشركين لانه بين ان هؤلاء الذين اقرؤا بمعرفة الله واخذ ميثاقهم بذلك كان قد سلف لهم في الشرك آباء فصح بذلك انهم قوم مخصوصون من اولاد آدم .
 فأما ما روي ان الله تعالى اخرج ذرية آدم من ظهره واشهدهم على انفسهم وهم كالذرء فان ذلك غير جائز لان الاطفال فضلا عن هو كالذر لا حجة عليهم ولا يحسن خطابهم بما يتعلق بالتكليف ثم ان الآية تدل على خلاف ما قالوه لان الله تعالى قال :
 « وإذا أخذ ربك من بني آدم » وقال « من ظهورهم » ولم يقل من ظهره . وقال « ذريتهم » ولم يقل ذريته ثم قال « او تقولوا إنما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون » فأخبر ان هذه الذرية قد كان قبلاهم آباء مبطلون وكانوا هم بعدهم .

على ان راوي هذا الخبر سليمان بن بشر الجهني وقيل مسلم بن بشر عن عمر ابن الخطاب . وقال يحيى بن معين سليمان هذا لا يدري اين هو . وايضاً فتمليل الآية يفسد ما قالوه لانه قال فعلت هذا ائلا يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين .
 والمقالة اليوم في دار الدنيا عن ذلك غافلون .

فان قيل نسوا ذلك لطول العهد او لان الزمان كان قصيراً كما يعلم الواحد منا اشياء كثيرة ضرورة ثم ينساها كما ينسى ما فعله في أمسه وما مضى من عمره .
 قلنا : إنما يجوز ان ينسى ما لا يتكرر العلم به ولا يشتد الاهتمام به فأما الامور العظيمة الخارقة للعادة ، فلا يجوز ان ينساها الماقل . ألا ترى ان الواحد منا لو دخل بلاد الزنج ورأى الأفيلة ولو يوماً واحداً من الدهر لا يجوز ان ينسى ذلك حتى لا يذكره اصلاً مع شدة اجتهاده واستذكاره ؟ ولو جاز ان ينساه واحد لما جاز ان ينساه الخلق بأجمعهم . ونو جوزنا ذلك للزمننا مذهب التماسخ وان الله كان قد كلف الخلق فسباً مضى واعادهم ، اما لينعمهم او ليعاقبهم . ونسوا ذلك ، وذلك

يؤدي إلى التجاهل .

على ان اهل الآخرة يذكرون ما كان منهم من احوال الدنيا ولم يجب ان ينسوا ذلك لطول العهد ، ولا المدة التي مرت عليهم وهم اموات وكذلك اصحاب الكهف لم ينسوا ما كانوا فيه قبل نومهم لما انتبهوا مع طول المدة في حال نومهم ، فعلمنا ان هؤلاء العقلاء لما كانوا شاهدوا ذلك وحضروه وهم عقلاء لما جاز ان يذهب عنهم معرفة ذلك لطول العهد ، ولوجب ان يكونوا كذلك عارفين .

وقال قوم وهو المزوي في اخبارنا انه لا يعمن ان يكون ذلك مختصاً بقوم خلقهم الله واشهدهم على انفسهم بعد ان اكل عقولهم واجابوه بـ (بلى) ، وهم اليوم يذكرونه ولا يغفلون عنه ، ولا يكون ذلك عاماً في جميع العقلاء وهذا وجه ايضاً قريب يحتمله الكلام .

وحكى ابو الهذيل في كتابه الحجية : ان الحسن البصري واصحابه كانوا يذهبون الى ان نعيم الاطفال في الجنة ثواب عن ايمانهم في الذر .

وحكى الرماني عن ابن الاحبار : انه كان يخبر خبير الذر غير انه يقول ليس تأويل الآية على ذلك . وإنما فعل ليجروا على الاعراف الكريمة في شكر النعمة والاقرار لله بالوحدانية ، كما روي انهم ولدوا على الفطرة .

ويبدل على فساد قولهم قوله تعالى « والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئاً » (١) فهم لو كانوا اخرجوا من ظهر آدم على صورة الذر كانوا ابعدهم من ان يعلموا او يعقلوا ومتى قالوا اكل الله عقولهم فقد مضى الكلام عليهم .

وذكر الازهري وروي ذلك عن بعض من تقدم ان قوله : « واذا اخذ ربك من نبي آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم ألسنت بر بكم قالوا بلى » تمام الكلام . وقوله « شهدنا ان تقولوا يوم القيامة » حكاية عن قول الملائكة انهم يقولون

شهدنا لثلاث قولوا .

وهذا خلاف الظاهر وخلاف ما عليه جميع المفسرين لأن الكل قالوا (شهدنا) من قول من قال (بلى) وان اختلفوا في كيفية الشهادة على ان الملائكة لم يجبر لها ذكر ، فكيف يكون ذلك اخباراً عنهم .

قوله تعالى :

﴿ وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (١٧٣) ﴾

آية بلا خلاف .

المعنى :

إنا كما بينا لكم هذه الآيات كذلك تفصلها للعباد وتبينها لهم . وتفصيله الآيات هو تمييز بعضها من بعض ليتمكنوا من الاستدلال بكل واحدة منها على جهتها وبين انه فعل ذلك بهم ليتوبوا ويرجعوا عن معاصيه الى طاعته وعن الكفر الى الايمان به .

قوله تعالى :

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبِعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ (١٧٤) آية بلا خلاف .

المعنى :

هذا خطاب من الله تعالى لنبيه ﴿ ص ﴾ يأمره بأن يقرأ على بني اسرائيل وغيرهم من امته خبر الذي اتاه الله حججه وبياناته فانسلخ منها فاتبعه الشيطان .

وكان من جملة الغاوين الخائبين الخاسرين . وقيل معناه الضالين الهالكين .
واختلغوا في المعنى بقوله « آيتناه آياتنا » :
فقال ابن عباس ومجاهد : هو بلعام بن باعورا من بني اسرائيل . وقال : معنى
« فأنسلخ منها » ما نزع منه من العلم .
وروي عن عبد الله بن عمرو أنها نزلت في أمية بن أبي الصلت . وقال مسروق
وعبد الله : هي في رجل من بني اسرائيل يقال له بلعم بن باعورا .
وقال قوم هو رجل من الكنعمانيين .
وقال الحسن هذا مثل ضربه الله للكافر اتاه الله آيات دينه : « فأنسلخ منها »
يقول اعرض عنها وتركها « فأتبعه الشيطان » خذله الله وخلي عنه وعن الشيطان ،
وهو مثل قوله تعالى « كتب عليه انه من نولاه فإنه يضله » (١) اي كتب على
الشيطان انه من تولى الشيطان فإن الشيطان يضله .
وقال الجبائي اراد به المرتد الذي كان الله اتاه العلم به وبآياته فكفر به وبآياته
وبدينه من بعد ان كان به طرفاً فأنسلخ من العلم بذلك ومن الايمان .
وقوله « فأتبعه الشيطان » معناه ان الشيطان اتبعه كفار الانس وغوانهم
حتى اتبعوه على ما صار اليه من الكفر بالله وبآياته .
وقيل اتبعه الشيطان بالترزين والاغراء حتى تمسك بحبله وكان من الغاوين
الخائبين من رحمة الله ، قال وهو رجل من المتقدمين يقال له بلعام بن باعورا .

اللغة والمعنى :

اتبعه الشيطان ، واتبعه لغتان وبالتخفيف معناه قفاه وبالتشديد حدا حذوه
واذا اردت اقتدا به فبالتشديد لا غير . فأما ما روي ان الآية كانت النبوة

فانه باطل فان الله تعالى لا تؤتي نبوته من يجوز عليه مثل ذلك وقد دل دليل العقل والسمع على ذلك قال الله تعالى ﴿ ولقد اخترناهم على علم على العالمين ﴾ (١) وقال ﴿ المصطفين الأخيار ﴾ (٢) فكيف يختار من ينسخ عن النبوة .

وقيل ان الآية كانت الاسم الأعظم وهذا ايضاً نظير الاول ، لا يجوز ان يكون مراداً والقول هو ما تقدم من اكثر المفسرين ان المعنى به بلم بن باعورا . ومن قال امية بن ابي الصلت قال كان اوتي علم الكتاب فلم يعمل به . والوجه الذي قاله الحسن يليق بمذهبنا دون الذي قاله الجبائي ، لان عندنا لا يجوز ان يرتد المؤمن الذي عرف الله على وجه يستحق به الثواب .

والنبا الخبر عن الامر العظيم ومنه اشتقاق النبوة : نباه الله جعله نبياً وإنما آناه الله الآيات بالاطف حتى تعلمها وفهم معانيها وقال ابو مسلم الآية في كل كافر بين الله له الحق فلم يتمسك به . وقال أبو جعفر ﴿ ع ﴾ في الاصل بلم ثم ضرب مثل لكل ، وثر هواه على هدى الله تعالى من اهل القبلة .

قوله تعالى :

﴿ وَلَوْ شَدَّنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ
هَوَاهُ فَشَلُّهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ لَمَنْ تَحَمَّلَ عَلَيْهِ يَلْمَسَتْ أَوْ تَرُّكَهُ
يَلْمَسَتْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ
لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١٧٥) آية بلا خلاف .

المعنى :

الهاء في (لرفعناه) كناية عن الذي تقدم ذكره ، وهو الذي آناه الله آياته

قأنسلخ منها ، فأخبر الله تعالى انه لو شاء لرفعنه بتلك الآيات .
واختلفوا في معنى هذه المشيئة فقال الجبائي : المعنى لو شئنا لرفعناه بإيمانه ومعرفته
قبل ان يكفر لكن ابقيناه ليزداد الايمان ، فكفر .
وقال البلخي هذا أخبار عن قدرته انه لو شاء لحوال بينه وبين الكفر
والارتداد وهو الذي نختاره ، لانا قد بينا ان المؤمن لا يجوز ان يرتد .
وقال الزجاج : معناه لو شئنا ان نحول بينه وبين المعصية لقمنا .
وقوله « ولكنه اخلد الى الارض » معناه سكن الى الدنيا وركن اليها ولم
يسم الى الغرض الأعلى .

اللغة :

يقال اخلد فلان الى كذا وكذا وخذ ، وبالالف اكثر في كلام العرب ، والمدني
انه سكن الى لذات الدنيا وانعم هواه اي لم نرفعه بالآيات لاتباع هواه .
وقيل معنى اخلد قعد . ويقال فلان مخذ اذا ابطأ عنه الشيب ومخذ اذا لم تقط
اسنانه . هكذا ذكره الفراء . ومن الدواب الذي تبقى ثناباه حتى تخرج رباعيته .
وأخذ بالمكان اذا اقام به ، قال زهير :

لمن الديار غشيتها بالفدود كالوحي في حجر المسيل المخلد (١)

وقال مالك بن نويرة :

بأبناء حي من قبائل مالك وعمر بن ربوع اقاموا فأخذوا (٢)

(١) دبوانه ٢٦٨ . واللسان (خلد) . و (الفدود) الفلاة التي لا شيء بها .
وقيل : هي الارض الغليظة ذات الحصى . وقيل غير ذلك . و (الوحي) الكتابة .
و (حجر المسيل) هو حجر صلب يكتبون فيه .

(٢) الاصمعيات : ٣٢٣ .

وقال ابو عبيدة هو الزوم للشيء والتعاس فيه .
وقال سعيد بن جبير معناه وركن الى الارض . وقال مجاهد معناه سكن اليها
المعنى :

وقوله : « فمثل الكلب » ضرب الله مثل التارك لآياته والعاقل عنها بأخس مثل في
أخس احواله فشبهه بالكلب ، لان كل شيء يلهث فأنما يلهث في حال الاعياء والكلال إلا
الكلب فإنه يلهث في حال الراحة والتعب . وحال الصحة وحال المرض وحال الري
وحال العطش وجميع الاحوال ، فقال تعالى ان وعظته فهو ضال وان لم تمظه فهو ضال
كالكلب ان طردته وزجرته فإنه يلهث وان تركته يلهث وهو مثل قوله : « وإِن
تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أَدْعَوْتُكُمْ أَمْ أَمْتُمْ صَامِتُونَ »
وقوله تعالى « ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا » يعني هذا المثل الذي
ضربه بالكلب هو مثل الذين كذبوا بآيات الله .

وقال الجبائي إنما شبهه بالكلب لانه لما كفر بعد أيمانه صار يعادى المؤمنين
ويؤذيهم ، كما ان الكلب يؤذي الناس طردته او لم تطرده فله لا يسلم من اذاه .
وقوله تعالى « فأقصص القصص » معناه فأقصص على الناس ما نبينه لك لكي
يتذكروا ويتفكروا فيرجعوا الى طاعة الله ويتجزوا عن معاصيه .
وقال ابن جريج مثله بالكلب لان الكلب لا فؤاد له فيقطعه الفؤاد حمت عليه
او تركته ، شبه من ترك الآيات كأنه لا فؤاد له .
واللهت التنفس الشديد من شدة الاعياء وفي الكلب طباع يقال : لهث يلهث لهثاً فهو
لاهث ولهثان .

قوله تعالى :

﴿ سَاءَ مِثْلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا ﴾

يَظْلِمُونَ ﴿١٧٦﴾ آية بلا خلاف .

التقدير ساء مثلاً مثل القوم وحذف لدلالة الكلام عليه و« انفسهم » نصب
بـ (يظلمون) وصف الله تعالى هذا المثل الذي ضربه وذكره بأنه ساء مثلاً ي
بئس مثلاً مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله وانهم بذلك لا يظلمون إلا انفسهم دون
غيرهم لان عقاب ما يفعلونه من المعاصي يحل بهم فان الله تعالى لا يضره كفرهم ولا
معصيتهم كما لا ينفعه طاعتهم وایمانهم .

قوله تعالى :

﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِّ فَأُولَئِكَ كُفْرُهُمْ

الْخَاسِرُونَ ﴾ (١٧٧) آية بلا خلاف .

فهو المهتدي كتب ههنا بالياء ليس في القرآن غيره بالياء واثبت الياء في اللفظ
ههنا جميع القراء .

وقال الجبائي معنى الآية من يهديه الله الى نيل الثواب ، كما يهدي المؤمن إلى
ذلك وإلى دخول الجنة فهو المهتدي للإيمان والخير ، لان المهتدي هو المؤمن فقد
صار مهتدياً إلى الإيمان وإلى نيل الثواب . ومن يضلله الله عن الجنة وعن نيل ثوابها
عقوبة على كفره او فسقه ، « فأولئك هم الخاسرون » لانهم خسروا الجنة ونعيمها
وخسروا انفسهم والانتفاع بها .

وقال البلخي المهتدي هو الذي هداه الله فقبل الهداية وأجاب اليها ، والذي
أضله الله هو الضال الذي اختار الضلالة فأضله الله بمعنى خلى بينه وبين ما اختاره
وترك منعه بالخير على انه إذا ضل عن أمر الله عند امتحانه وتكليفه جاز ان يقال
إن الله أضله .

وقيل معنى « من يهدي الله » من حكم الله بهدائه فهو المهتدي ومن حكم
بضلالته فهو الخاسر الخائب .

قوله تعالى :

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ
لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ
بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٧٨)
آية بلا خلاف .

المعنى واللغة .

معنى « ذرأنا » خلقنا يقال ذرأهم يذرأهم . واللام في (لجنهم) لام العاقبة . والمعنى انه
لما كانوا يصيرون اليها بسوء اختيارهم وقبح اعمالهم جاز ان يقال انه « ذرأهم » والذي
يدل على أن ذلك جزاء على اعمالهم قوله « لهم قلوب لا يفقهون بها » واخبر عن ضلالهم
الذي يصيرون به الى النار وهو مثل قوله تعالى « إنما علمي لهم ليزدادوا إثماً » (١)
ومثل قوله « ربنا إنك آتيت فرعون وملاًه زينة واموالاً في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا
عن سبيلك » (٢) ومثل قوله عز وجل « فالتقطه آل فرعون ليكون ليكوراً لهم عدواً
وحزناً » (٣) وإنما التقطوه ليكون قرّة عين كما قالت امرأة فرعون عند التقاطه « قرّة
عين لي ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذة ولداً » (٤) ومثله قول القائل :
اعددت هذه الخشبة ليميل الحائط فاسنده بها وهو لا يريد ميل الحائط . ومثله قول الشاعر :

(٢) سورة يونس آية ٨٨

(٤) القصص آية ٩

(١) سورة آل عمران آية ١٧٨

(٣) القصص آية ٨

وللموت تغذو الوالدات سخاها
وقال الآخر :

اموالنا لذوي الميراث نجمةها
وقال الآخر :

وام سماك فلا تجزعي
وقال آخر :

لدوا للموت وابنوا للخراب فكلكم يصير الى ذهاب (٤)
وقوله « لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها » معناه انهم لما لم يفقهوا بقلوبهم ولم يسمعوا باذانهم ولم يبصروا بعيونهم ما كانوا يؤمرون به ويدعون اليه سموا بكما عمياً صماً . ولم يسمعوا بجوارحهم اشبهوا العمى البكم الصم ، لان هؤلاء لا ينتفعون بجوارحهم فاشبهوهم في زوال الانتفاع بالجوارح وسموا باسمائهم ، ومثله قول مسكين الدارمي :

اعمى اذا ماجرتي خرجت حتى يوارى جرتي الخدر

ويصم عما كان بينها سمعي وما بي غيره وقر(٥)

فجعل نفسه اصماً واعمى لما لم ينظر ولم يسمع .

وقال آخر :

(١) قائله سابق البربري . وفي بعض الروايات البريدي . العقد الفريد ١ : ٢٦٩ .

(٢) مر هذا البيت في ٣ : ٦٠ (٣) انظر ٣ : ٦٠ من هذا الكتاب .

(٤) روح المعاني ٩ : ١١٨ وقد مر هذا البيت في ٣ : ٦٠ من هذا الكتاب .

(٥) تفسير الطبري الطبعة الثانية ٩ : ١٣٢ . وروايته « الستر » بدل « الخدر »

و « وما بالسمع من وقر » بدل « وما بي غيره وقر »

وقد مر البيتان في ١ : ٩٠ وفي ٢ : ١١٣ من هذا الكتاب .

وكلام سيء قد وقعت اذني عنه وما بي من صمم (١)
وقال آخر :

صم اذا سمعوا خيراً ذكرت به وإن ذكرت بسوء عندهم اذنوا (٢)
وهذا كثير . ويجوز ان يكون قوله تعالى « ذرأنا لجهنم » معناه ميزنا .

ويقال ذرأت الطعام والشعير اي ميزت ذلك من التبن والمدر فلما كان الله تعالى
قدميز اهل النار من اهل الجنة في الدنيا بالتسمية والحكم والشهادة جاز ان يقول ذرأنا انا هم
اي ميزناهم . ثم وصفهم بصفة تخالف اوصاف اهل الجنة يعرفون بها فقال « لهم قلوب
لا يفقهون بها » إلى آخرها .

ويجوز ان يكون قوله « ذرأنا » بمعنى سنذراً كما قال : « ونادى اصحاب
الجنة اصحاب النار » (٣) بمعنى سينادون ، فكأنه قال سيخلقهم خلقاًانياً للنار باعمالهم
التي تقدمت منهم في الدنيا إذ كانوا استحقوا النار بتلك الاعمال .

ولا يجوز ان يكون معنى الآية إن الله خلقهم لجهنم واراد منهم ان يفعلوا
المعاصي ، فيدخلوا بها النار ، لان الله تعالى لا يريد القبيح ، لان إرادة القبيح
قبيحة ولان مرید القبيح منقوص عند العقلاء تعالى الله عن صفة النقص ، ولانه قال

« وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون » (٤) فبين انه خلق الخلق لامباداة والطاعة
وقال « وما ارسلنا من رسول إلا ليطاع » (٥) وقال « ولقد صرفناه بينهم ليعبدوا » (٦)

(١) لم أجده في مظانه فيما حضرني من المصادر .

(٢) قائله قنعب بن ام صاحب . اللسان (أذن) . وتاج العروس (أذن) وروايتها

(بشر) بدل (بسوء) . وفي مجاز القرآن ١ : ١٧٧ وروايتها هكذا :

إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا وإن ذكرت بسوء عندهم اذنوا

(٣) سورة الأعراف آية ٤٣ (٤) سورة الذاريات آية ٥٦ .

(٥) سورة النساء آية ٦٣ (٦) سورة الفرقان آية ٥٠ .

وقال « ولقد أرسلنا رسلاً بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط » (١) وقال « إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله » (٢) ونظائر ذلك أكثر من أن تحصى ، فكيف يقول بعد ذلك ولقد « ذرأنا لجنهم » وهل هذا إلا تناقض تزه كلام الله عنه .

وقوله « أو لئنك كالأنعام » يعني هؤلاء الذين لا يتدبرون بآيات الله ولا يستدلون بها على وحدانيته وصدق رسله أشباه الأنعام والبهائم التي لا تفقه ولا تعلم ثم قال « بل هم أضل » يعني من البهائم ، لأن في البهائم ما إذا زجرتها انزجرت وإذا ارشدها إلى طريق اهتدت . وهؤلاء لعنوا ، وكفرهم لا يهتدون إلى شيء من الخيرات مع ما ركب الله فيهم من العقول التي تدلهم على الرشاد وتصرفهم عن الضلال وليس ذلك في البهائم ومع ذلك تهتدى إلى منافعها وتحرز عن مضارها . والكافر لا يفعل ذلك ، ثم قال « أو لئنك هم الغافلون » يعني هؤلاء هم الغافلون عن آياتي وحججي والاستدلال بها والاعتبار بتدبرها على ما يدل عليه من توحيده ، لأن البهائم التي هي مسخرة مصروفة لا اختيار لها .

قوله تعالى :

﴿ وَ لِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٧٩) آية اجماعاً .

القراءة واللغة :

قرأ حمزة « يلحدون » بفتح الحاء والياء ههنا وفي النحل وحم السجدة وافقه الكسائي وخلف في النحل والباقون بضم الياء . من قرأ بكسر الحاء ، فلقوله « ومن

يرد فيه بالحاد » وألحد أكثر في الكلام قال الشاعر :

ليس الامام بالشحيح الملحد ولا يكاد يسم لاحد (١)

والاحاد العدول عن الاستقامة والانحراف عنها ومنه اللحد الذي يحفر في جانب القبر خلاف الضريح الذي يحفر في وسطه فمعنى « يلحدون في آياتنا » يجوزون عن الحق فيها .

وروى أبو عبيدة عن الاحمر : لحدت جرت وملت . وألحدت ما ريت وجادلت قال : وقال أبو عبيدة : لحدت له والحدت للميت بمعنى واحد .

المعنى .

قال ابن جريج اشتقوا العزى من العزيز واللات من الله . وكان ذلك الحاداً .

وقال ابن عباس الحادهم تكذيبهم .

وقال قتادة هو شركهم .

وقال قوم هو تسميتهم الاصنام بانها آلهة .

اخبر الله تعالى ان له الاسماء الحسنى نحو قوله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم) وغير ذلك من الأسماء التي تليق به ، وهي الأسماء الراجمة إلى ذاته او فعله نحو العالم العادل والسميع البصير المحسن المجمل وكل اسم لله فهو صفة مفيدة لأن اللقب لا يجوز عليه . وامر تعالى ان يدعوه خلقه بها وان يتركوا اسماء اهل الجاهلية وتسميتهم اصنامهم آلهة ولاتاً وغير ذلك .

وقال الجبائي : يحتمل ان يكون اراد تسميتهم المسيح بأنه ابن الله والعزيز

بأنه ابن الله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

(١) قاله حميد بن ثور . اللسان : لحد ، وقبلها :

قدنى من نصر الخبيبين قدى

وقال قوم هذا يدل على انه لا يجوز ان يسمى الله إلا بما سمي به نفسه .
 وقوله « وذرّوا الذين يلحدون » فيه تهديد للكفار وان الله تعالى سيعاقبهم
 على عدوهم عن الحق في تغيير اسمائه .
 وقوله تعالى « سيجزون ما كانوا يعملون » معناه سيجزون جزاء ما كانوا
 يعملون من المعاصي بأنواع العذاب .
 قال الرماني الاسم كلمة تدل على المعنى دلالة الاشارة ، والفعل كلمة تدل على
 المعنى دلالة الافادة . والصفة كلمة مأخوذة للمذكور من اصل من الاصول لتجري
 عليه تابعة له .

قوله تعالى:

(وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ) (١٨٠)

آية بلا خلاف .

المعنى :

اخبر الله تعالى ان من جملة من خلقه جماعة يهدون بالحق . وهداهم بالحق هو دعاء وهم
 الناس إلى توحيد الله وإلى دينه وتذبيهم ايامهم على ذلك .
 وقال قوم معنى (يهدون) يهتدون « وبه يعدلون » معناه انهم يعملون
 بالعدل والانصاف فيما بينهم وبين الناس .
 وهذا إخبار ان فيما خلق قوماً هذه صفتهم ولا يدل ذلك على ان في كل عصر
 يوجد قوم هذه صفتهم ولو لم يوجدوا الا في وقت واحد كانت الفائدة حاصله بالآية ،
 فلا يمكن الاستدلال بها على ان اجماع اهل الأعصار حجة .
 على ان عندنا انه لا يخلوا وقت من الاوقات بمن يجب اتباعه وتثبت عصمته

ويكون حجة الله على خلقه فيمكن ان يكون المراد بالآية من ذكرناه .
وقال ابو جعفر (ع) وقنادة وابن جريج الآية في امة محمد (ص) وهو
مثل قوله تعالى ﴿ وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا ﴾ (١) فكما انه لا يدل على وجود
أئمة في كل وقت فكذلك ما قالوه .

قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا
يَعْلَمُونَ ﴾ (١٨١) وَأُمَلِي لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿ (١٨٢) آياتان بلاخلاف .

المعنى :

المعنى إن الذين كذبوا بآيات الله التي تضمنها القرآن والمعجزات الدالة
على صدق النبي (ع) وكفروا بها سنستدرجهم من حيث لا يعلمون استدرجاً لهم
الى الهلكة حتى يقعوا فيها بغتة من حيث لا يعملون ، كما قال تعالى : ﴿ بل تأتيهم بغتة
فتبيتهم فلا يستطيعون ردها ﴾ (٢) وقال : ﴿ فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون ﴾ (٣)
فيقولوا هل نحن منظرون ؟

ويجوز ان يكون من عذاب الآخرة .

فأما من قال من المجبرة ان معنى الآية ان الله يستدرجهم الى الكفر والضلال
فباطل ، لان الله تعالى لا يفعل ذلك لانه قبيح ينافي الحكمة ثم ان الآية بخلاف ذلك
لانه بين ان هؤلاء الذين يستدرجهم كفار بالله ورسوله وآياته ، وانه سيستدرجهم
في المستقبل لان السين لا تدخل إلا على المستقبل فلا معنى لقوله « ان الذين كفروا

(٢) سورة الانبياء آية ٤٠

(١) سورة الانبياء آية ٧٣

(٣) « الشعراء آية ٢٠٢

سندستدرجهم « الى الكفر ، لانهم كفار قبل ذلك ولا يجب في المكفر ان يبقى حتى يواقع كفراً آخر ، لانه يجوز ان يميتة الله تعالى ، فبان بذلك ان المراد انه سيستدرجهم الى العذاب والمعوبات من حيث لا يعلمون في مستقبل . امرهم بقوا او لم يبقوا .
على ان الاستدراج عقوبة من الله . والله لا يماقب احداً على فعل نفسه كما لا يماقبهم على طولهم او قصرهم .

ويحتمل ان يكون معنى الآية انا نماقبهم على استدراجهم للناس واغوائهم اياهم واماقبهم على كيدهم فجعل العقوبة على الاستدراج استدراجاً والعقوبة على الكيد كيداً ، كما قال « سخر الله منهم » (١) وقال « الله يستهزى بهم » (٢) وقال : « بخادعون الله وهو خادعهم » (٣) وقال « والله خير الماكرين » (٤) وما اشبه ذلك ويحتمل ان يكون المراد : اذني سأفعل بهم ما يدرجون في الفسوق والضلال عنده ويكون ذلك اخبار عن بقائهم على الكفر عند املانه لهم ، فسمى ذلك استدراجاً . لانهم عند البقاء كفروا وازدادوا كفراً ومعصية . وان كان الله لم يرد منهم ذلك ولا بهمهم عليه ، كما قال « او لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكركم » (٥) كما يقول القائل أبطر فلان فلاناً بأ نعامه عليه . واقد ابطرته النعمة واكفرته السلامة ، وان كان المنعم لا يريد ذلك بل اراد ان يشكره عليها .

ومعنى قوله « واملئهم » اؤخر هؤلاء الكفار في الدنيا وابقهم مع اصرارهم على الكفر ولا اعاجلهم بالعقوبة . على كفرهم ، لانهم لا يفوتوني ولا يعجزوني ولا يجدون مهرباً ولا ملجأ .

وقوله تعالى ﴿ ان كيدي متين ﴾ معناه ان عذابي وسماء كيداً لنزوله بهم من

٢ - سورة البقرة آية ١٥

٤ - آل عمران آية ٥٤

١ - سورة التوبة آية ٨٠

٣ - النساء آية ١٤١

٥ - فاطر آية ٤٧

حيث لا يشعرون .

وقيل انه اراد ان جزاء كيدهم وسماه كيداً للازدواج على ما بيننا نظائره .

ومعنى « متين » شديد قوي قال الشاعر:

عدلن عدول الأيام والشيخ يبتلى

افأنين من الهوب شد ممتتي (١)

يعني شد او شديدأ باقياً لا ينقطع .

اللغة .

والمتن اصله اللحم الغليظ الذي عن جانب الصلب وهما متنان . والكيد والمكر واحد : وهو الميل الى الشر في خفي ، كاد يكيد كيداً ومكيدة ، وفلان يكيد بنفسه .

واصل الاستدراج اغترار المستدرج من حيث يرى ان المستدرج محسن

اليه حتى يورطه مكروهاً . والاستدراج ان يأتيه من ما منه من حيث لا يعلم .

واملي بمعنى اؤخر من الملي ثقيلة الياء يقال مضى عليه ملي من الدهر وملاؤ من

الدهر - بفتح الميم وضمها وكسرهما - اي قطعة منه . ووجه الحكمة في اخذهم من

حيث لا يعلمون انه لو اعلمهم وقت ما يأخذهم وعرفهم ذلك لأمنوه قبل ذلك وكانوا

مغربين بالقبائح قبله تعويلاً على التوبة فيما بعد وذلك لا يجوز عليه تعالى .

والاستدراج على ضربين :

احدهما - ان يكون الرجل يعادي غيره فيطلب له المكاييد والختل من وجه

يفتره به ويخدعه ويدس اليه من بوقعه في ورطة حتى يشقى صدره ولا يبالي كيف كان

ذلك ، فهذا سفیه غير حكيم .

والآخر - ان يحلم فيه ويتأني ويترك العجلة في عقوبته التي يستحقها على

(١) تفسير الطبري ١٣ : ٢٨٨ . والطبعة الثانية ٩ : ١٣٦ . وفيه اختلاف كثير .

ولما كانت كلها زير مرضية تركت البيت على ما هو عليه كما جاء في المطبوعة .

معاصيه كيداً ومكرراً واستدراجاً . ألا ترى لو ان انساناً عادى غيره فجعل يشتمه ويعيبه وذلك يعرض عنه ولا يكافيه مع قدرته على مكافاته جاز ان يسمى كيداً واستدراجاً ومكرراً وحيلة ، ولجاز ان يقال فلان متين الكيد شديد الاستدراج ، كثير الغور محكم التدبير .

وقيل في معنى « سنستدرجهم » سنأخذهم قليلاً قليلاً ولا نباغتهم ، يقال امتنع فلان على فلان وأنى عليه حتى استدرجه اي خدعه حتى حمله على ان درج اليه درجاناً اي اخذ في الحركة نحوه كما بدرج الصبي اول ما يمشي ، ويقال: صبي دارج . ويقال درجوا قرناً بعد قرن اي فنوا قليلاً قليلاً .

قوله تعالى :

﴿ أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جَنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (١٨٣) أَوْ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَمْلُكَاتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَإِنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿ (١٨٤) آيتان بلا خلاف .

المعنى :

هذا خطاب من الله تعالى للكفار الذين كانوا ينصبون النبي ﴿ ص ﴾ الى الجنون على وجه التوبيخ لهم والتقرير « او لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة » أي وليس بالنبي ﴿ ص ﴾ جنة وهي الجنون فانه لا يأتي بمثل ما يأتي به المجنون ، وهم يرون الاصحاء منقطعين دونه ويرون صحة تدبيره واستقامة أعماله وذلك ينافي اعمال المجانين .

وبين انه ليس به ﴿ ص ﴾ إلا الخوف للعباد من عقاب الله ، لان الانذار هو الاعلام عن المخاوف ، فبين لهم ما عليهم من أليم المذاب بمخالفته ثم قال : « او لم ينظروا » معناه يفكروا « في ملكوت السماوات والارض » وعجيب صنمها فينظروا فيها نظر مستدل معتبر ، فيعرفون بما يرون من اقامة السماوات والارض مع عظم اجسامها وثقلها على غير عمد وتسكينها من غير آله فيستدلوا بذلك على انه خالقها ومالكها وان لا يشبهها ولا تشبهه .

وقوله « وما خلق الله من شيء » يعني وينظروا فيما خلق الله تعالى من اصناف خلقه فيستدلوا بذلك على انه تعالى خالق جميع الأجسام وان له أولى بالالهية من الاجسام المحدثه .

وقوله تعالى « وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم » معناه او لم يتفكروا في ان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم وهو اجل موتهم فيدعوم ذلك الى ان يحتاطوا لدينهم ولا نفسهم فيما يصيرون اليه بعد الموت من امور الآخرة ويزهدم في الدنيا وفيما يطلبونه من نغرها وعزها وشرفها فيدعوم ذلك الى النظر في الاور التي امرم بالنظر فيها .
وقوله تعالى « فبأي حديث بعده يؤمنون » معناه : بأي حديث بعد القرآن يؤمنون مع وضوح دلالة على انه كلام الله إذ كانت معجزاً لا يقدر احد من البشر ان يأتي بمثله . وسماه حديثاً لانه محدث غير قديم لان اثباته حديثاً ينافي كونه قديماً .

وفي الآية دلالة على وجوب النظر وفنسد التقليد ، لان النظر المراد به الفكر دون نظر العين لان البهائم ايضاً تنظر بالعين وكذلك الاطفال والمجانين ، والفكر موقوف على العقلاء .

سبب النزول :

وقال الحسن وقتادة سبب نزول الآية ان النبي ﴿ص﴾ وقف على الصفا يدعو قريشاً
نخذاً نخذاً ، فيقول يا بني فلان يا بني فلان يحذرهم بأس الله وعقابه . فقال قائلهم ان
صاحبكم لمخفون بان يصوت على الصباح : فأنزل الله الآية .
والملكوت هو الملك الأعظم للمالك الذي ليس بملك .

قوله تعالى :

﴿ مَنْ يُضِلِّ اللهُ فَمَا لَهُ هَادِي لَهُ وَيَنْذِرُهُمْ فِي طُعْيَانِهِمْ
يَسْمَهُونَ ﴾ (١٨٥) آية بلا خلاف .

القراءة :

قرأ اهل العراق ويذرهم بالياء . واسكن الراء منه حمزة والكسائي وخلف . الباقرن
بالنون وضم الراء .

الاعراب والحجة :

من قرأ بالنون قال لان الشرط من الله ، فيكأنه قال « من يضل الله » فنذرهم .
ومن قرأ بالياء رده الى اسم الله تعالى وتقديره الله يذرهم .
ومن ضم الراء قطمه عن الاول ولم يجعله جواباً .
ويجوز ان يكون أضعف المبتدأ وكان تقديره ونحن نذرهم فيكون في موضع الجزم
ويجوز ان يكون استأنف الفعل فيرفمه .
ومن جزمه فإنه عطفه على موضع الفاء وما بعدها من قوله تعالى « فلا هادي له »
لان موضعه جزم ، فحمل (ونذرهم) على الموضع . ومثله في الجمل على الموضع قوله تعالى

« فأصدق واكن » (١) لأنه لو لم يلحق الفاء اقلت لولا اخرتي اصدق ، لأن معنى
 « لولا اخرتي » (٢) اخرني اصدق . فحمل قوله تعالى « واكن » على الموضع .

المعنى واللغة :

ومعنى قوله « من يضل الله فلا هادي له » اي يمتحنه الله فيضل عند امتحانه
 وامره اياه بالطاعة والخير والرشاد (فلا هادي له) اي لا يقدر احد ان يأتيه بالهدى
 والبرهان بمثل الذي اتاه الله تعالى ، ولا بما يقارنه او يزيد عليه « ويذرهم في طغيانهم »
 بمعنى يخلي بينهم وبين ذلك . وترك اخراجه بالقسر والجبر ، ومنعه اياه لطفه الذي
 يؤتيه من آمن واهتدى . وقيل الوعظ .

والطغيان الغلو في الكفر . والمعنى : التحير والتردد في الكفر . ويحتمل ان يكون
 المراد من يضل الله عن الجنة عقوبة على كفره فلا هادي له اليها وان الله لا يحول بين
 الكافر بل يتركه مع اختياره لان مافعله من الزجر والوعيد كاف في ازالة علة المكاف .
 وقيل معناه من حكم الله تعالى بضلالة وسماء ضالا بما فعله من الكفر والضلالة فلا احد
 يقدر على ازالة هذا الاتم عنه ولا يوصف بالهداية وكل ذلك واضح بحمد الله تعالى

قوله تعالى :

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا
 عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً ۚ يَسْأَلُونَكَ كَذَّبْتُ عَلَيْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا
 عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١٨٦) آية بلا خلاف .

« أيا ن » معناه متى ، وهي سؤال عن الزمان على وجه الظرف .
 اخبر الله تعالى ان الكفار يسألون النبي ﴿ ع ﴾ عن الساعة . وهي القيامة
 « ايان مرساها » اي وقت قيامها وثباتها .

ومعنى ايان متى قال الراجز :

ايان تقضي حاجتي ايانا . اما نرى لنججها ايانا (١)

اللغة والاعراب :

ومرساها في موضع رفع بالابتداء . يقول رسي برسوا إذا ثبت فهو راس
 وجيال راسيات ثابتات وارساها الله اي ثبتهما .

المعنى :

وقيل معنى « مرساها » الوقت الذي يموت فيه جميع الخلق ، ومعنى سؤالهم عنها اي
 متى وقوعها وكونها . فأمر الله تعالى نبيه ﴿ ع ﴾ ان يجيبهم ويقول لهم « علمها عند
 الله » لم يطلع عليها احد ، كما قال « إن الله عنده علم الساعة » (٢) وقوله تعالى « لا
 يجلبها لوقتها إلا هو » اي لا يظهرها في وقتها إلا الله .

وقوله تعالى « نقلت في السموات والأرض » قيل في معناه قولان :

احدهما - نقل علمها على السموات والأرض ذهب اليه السدي وغيره .

الثاني - نقل وقوعها على اهل السموات والارض - ذكره ابن جريج ، وغيره -

ثم اخبر الله تعالى نبيه ﴿ ع ﴾ بكيفية وقوعها فقال : « لا تأتكم إلا بفتنة »

يعني خبأة .

(١) تفسير القرطبي ٧ : ٣٣٥ ومجاز القرآن ١ : ٢٢٤ . واللسان (ابن أبان

كل شيء وقته وحينه . أخذ الشيء بأبانه أي بأوانه أي بزمانه . وأبان سؤال عن الزمان .

(٢) سورة لقمان آية ٣٤ .

وقوله تعالى « يسألونك كأنك حفي عنها » قيل في معناه ثلاثة اقوال :
 احدها - ان معناه وتقديره حفي بها يسألونك عن الساعة ووقتها كأنك عالم بها .
 وقيل معناه كأنك فرح بسؤالهم عنها .
 وقيل معناه كأنك اكثر السؤال عنها ذكره مجاهد .

اللغة :

يقال حفيت بفلان في المسألة إذا سألته سؤالاً أظهرت فيه المحبة والبر ، قال الشاعر :
 سؤال حفي عن أخيه كأنه بذكرته وسنان او متواسن (١)
 ويقال : احفي فلان بفلان في المسألة إذا أكثر عليه . ويقال حفيت الدابة نخفي
 حفاً مقصوراً إذا كثر عليها ألم المشي . والحفاه ممدوداً المشي بغير نعل .

المعنى :

ثم امر الله نبيه ان يقول « إنما علمها عند الله » اي لا يعلمها إلا الله .
 وقوله تعالى « ولكن اكثر الناس لا يعلمون » معناه اكثر الناس لا يعلمون
 ان ذلك لا يعلمه إلا الله . ويظنون انه قد يعلمه الأنبياء وغيرهم من خلقه .
 وقال الجبائي معناه « لكن اكثر الناس لا يعلمون » لم أخفي الله تعالى علم ذلك
 على التعيين على الخلق .

والوجه فيه انه ازجر لهم عن معاصيه لأنهم إذا حوزوا في كل وقت قيام
 الساعة وزوال التكليف كان ذلك صارفاً لهم عن فعل القبيح خوفاً من فوات
 وقت التوبة .

وقوله في اول الآية « قل إنما علمها عند ربي » يعني علم وقت قيامها .

(١) قائله المعطل الهذلي . ديوانه ٣ : ٤٥ . وتفسير الطبري ١٣ : ٣٠١ طبعه
 دار المعارف . و ٩ : ١٤٢ الطبعة الثانية ورواية الديوان (الغنى) بدل (حفي) .

وقوله تعالى في آخرها « قل إنما علمها عند الله » معناه علم كيفيةها وشرح هيئتها وتفصيل ما فيها لا يعلمه إلا الله ، فلا تكون تكراراً لغير فائدة .

وقال قتادة الذين سألوها عن ذلك قريش .

وقال ابن عباس : هم قوم من اليهود .

وقال الفراء في الآية تقديم وتأخير وتقديرها يسألونك عنها كأنك خفي بهم . قال الجبائي وفي الآية دليل على بطلان قول الرافضة من ان الأئمة معصومون منصوص عليهم واحداً بعد الآخر إلى يوم القيامة لأن على هذا لا بد ان يعلم آخر الأئمة ان القيامة تقوم بعده وبزول التكليف عن الخلق ، وذلك خلاف قوله : « قل إنما علمها عند الله » .

وهذا الذي ذكره باطل لانه لا يمتنع ان يكون آخر الأئمة يعلم انه لا إمام بعده وإن لم يعلم متى تقوم الساعة لانه لا يعلم متى يموت ، فهو يجوز ان يكون موته عند قيام الساعة اذا اردنا بذلك انه وقت فناء الخلق . وإن قلنا ان الساعة عبارة عن وقت قيام الناس في الحشر فقد زالت الشبهة لانه اذا علم انه يفنى الخلق بعده لا يعلم متى يحشر الخلق .

على انه قد روي ان بعد موت آخر الأئمة يزول التكليف لظهور اشراط الساعة وتواتر إماراتها نحو طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة وغير ذلك ومع ذلك فلا يعلم وقت قيام الساعة ، ولهذا قال الحسن وجماعة من المفسرين بادروا بالتوبة قبل ظهور الست : طلوع الشمس من مغربها ، والدجال ، والدابة ، وغير ذلك مما قدمناه فملى هذا سقط السؤال .

قوله تعالى:

﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ

كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَأَسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ
أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١٨٧) آية بلا خلاف .

المعنى :

أمر الله تعالى نبيه ﴿ع﴾ ان يقول للمكافين إني « لا أملك لنفسي نفعا ولا
ضرا إلا ما شاء الله » أن يملكني إياه فشيئته تعالى في الآية واقعة على تملك النفع
والضر لا على النفع والضر لأنه لو كانت المشيئة انما وقعت على النفع والضر كارت
الانسان يملك ما شاء الله من النعم ، وكان يملك الامراض والاسقام وسائر ما يفعله
الله فيه بما لا يجد له عن نفسه دفعا .

ومعنى الآية اني املك ما يملكني الله من الاموال وما اشبهها مما يملكهم
ويمكنهم من التصرف فيها على ما شاؤا ، وكيف شاؤا . والضر الذي ملكهم الله إياه
هو ما يمكنهم منه من الاضرار بانفسهم وغيرهم ، ومن لم يملكه الله شيئا منه لم يملكه .
وذلك يفسد تأويل المجبرة الذين قالوا معنى الآية : ان الله يريد جميع ما ينال
الناس من النفع والضرر وان كان ظلما وجورا من افعال عباده .

وقوله عز وجل « ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء »
معناه اني لو كنت اعلم الغيب لعلمت ما يربح من التجارات في المستقبل وما يخسر من
ذلك فكنت اشترى ما اربح وانجبت ما اخسر فيه فتكثر بذلك الاموال والخيرات
عندي وكنت اعده في زمان الخصب لزمان الجذب ﴿ وما مسني السوء ﴾ يعني الفقر
اذا فعلت ذلك . وما مسني تعذيب .

وقيل وما مسني تعذيب . وقيل وما مسني جنون جوابا لهم حين نسبوه الى الجنون .
وقال ابن جريج « لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت » من العمل الصالح قبل حضور
الأجل وهو قول مجاهد وابن زيد .

وقال البلخي لو كنت اعلم الغيب لكنت قديماً ، والقديم لا يمسه سوء لان
احد لا يعلم الغيب إلا الله .

وفي الآية دلالة على ان القدرة قبل الفعل لان قوله : « لو كنت اعلم الغيب
لاستكثر من الخير » يفيد انه كان قادراً لانه لو لم تكن القدرة إلا مع الفعل لو علم
الغيب لما امكنه الاستكثار من الخير وذلك خلاف الآية .

وقوله تعالى « ان أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون » معناه لست الا مخوفاً
من العقاب محذراً من المعاصي ومبشراً بالجنة حاناً عليها غير عالم بالغيب « لقوم
يؤمنون » فيصدقون بما أقول . وخصهم بذلك لانهم الذين يفتنمون بأنذاره وبشارته
دون من لا يصدق به كما قال « هدى للمتقين » .

قوله تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا رُؤُوسًا
لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَفَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ
دَعَا اللَّهُ رَبُّهَا لئن آتيتنا صالحاً لنكوننَّ من الشَّاكرين (١٨٨)
فَلَمَّا آتَاهَا صَالِحًا جَعَلْنَا لَهُ شُرَكَاءَ فَمَا آتَاهَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٨٩)
(١٨٩) آيتان بلا خلاف .

القراءة :

قرأ اهل المدينة وابوبكر وعكرمة والاعرج ﴿ شركاء ﴾ بكسر الشين منه .
الباقون بضم الشين على الجمع .
وقرأ ابن يعمر ﴿ فمرت ﴾ بتخفيف الراء وهو شاذ .

الحجة والاعراب :

قال ابو علي الفارسي من قرأ « شركا » - بكسر الشين - منوناً حذف المضاف ، كأنه اراد جملاً له ذا شرك اي ذا نصيب او ذوي شرك ، ويكون كقول من جمع فالقراءتان يؤلان الى معنى واحد .

والضمير في قوله « له » يعود الى اسم الله كأنه قال جملاً لله شركاء .
وقال ابو الحسن كان ينبغي لمن قرأ بكسر الشين ان يقول جملاً لغيره شركاء .
وقول من قرأ « جملاً له شركاء » يجوز ان يريد جملاً لغيره فيه شركاء .
المضاف . فالضمير على هذا ايضاً في (له) راجع الى الله تعالى .

وقال ابو علي : يجوز ان يكون الكلام على ظاهره ، ولا يقدر حذف المضاف في قوله تعالى ﴿ جملاً له ﴾ وانت تريد لغيره ولكن يقدر حذف المضاف الى شرك فيكون المعنى جملاً له ذوي شرك . واذا جملاً له ذوي شرك كان في المعنى مثل لغيره شركاء ، فلا يحتاج الى تقدير جملاً لغيره شركاء .

قال ابو علي ويجوز ان يكون قوله تعالى « جملاً له شركاء » جعل احدهما له شركاء او ذوي شرك حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه كما حذف من قوله تعالى ﴿ لو لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾ والمعنى على رجل واحد من احد رجلي القريتين .

وحكى الازهري ان الشرك والشريك واحد ويكون بمعنى النصيب .

المعنى :

قوله ﴿ هو الذي ﴾ كناية عن الله تعالى واخباراً عن الذي خلق البشر من نفس واحدة وهي آدم وخلق منها زوجها يعني حواء .

وقيل انه خلقها من ضلع من اضلاعه وبين انه انما خلفها ليصنح اليها آدم ويأنس بها

وقوله ﴿ فلما تشاها ﴾ معناه لما وطأها وجامعها .
 وقيل تشاها بدنوه بها لقضاء حاجة فقضى حاجته منها « حملت » ففي الكلام
 حذف « حملت حملاً خفيفاً » لان الحمل اول ما يكون خفيفاً لانه الماء الذي يحصل
 في رحمها .

اللغة :

والحمل بفتح الحاء ما كان في الجوف وكذلك ما كان على نخلة او شجرة
 فهو مفتوح .
 وبكسر الحاء ما كان من الثقل على الظهر .

المعنى :

قوله تعالى « فمرت به » معناه استمرت به وقامت وقعدت وقيل شكت له
 وآلمها ثقلها . ومن خفف الراء اراد شكت ومارت فلم تدر هي حامل ام لا .
 وقال الحسن اغلاما ام جارية .
 وقوله تعالى « فلما اثقلت » اي صارت ذات ثقل كما يقال اتمر اي صار ذا
 ثمر وذلك قرب ولادتها .
 وقوله تعالى : « دعوا الله ربها » يعني آدم وحواء دعوا الله أي سألاه لأن
 آتيتنا صالحاً اي لو اعطيناه ولدأ صالحاً .
 قال الجبائي صالحاً يعني سليماً من الآفات صحيح الحواس والآلات .
 وقال غيره معنى صالحاً مطيعاً فاعلا للخير .
 « لنكونن من الشاكرين » أي نكونن معترفين بنعمك علينا نعمة بعد نعمة
 تسديها إلينا .

وقوله عز وجل « فلما آتاها صالحاً » يعني فلما آتا الله آدم وحواء ولدأ صالحاً
 جملاً له شركاء . واختلفوا في الكناية الى من ترجع في قوله (جملاً) :
 فقال قوم هي راجعة الى الذكور والاناث من اولادها او الى جنسين من
 اشرك من نسلها ، وإن كانت الادلة تتعلق بها . ويكون تقدير الكلام فلما آتى الله
 آدم وحواء الولد الصالح الذي تمنياه وطلباه جعل كفار اولادها ذلك مضافاً الى غير
 الله . ويقوي ذلك قوله تعالى « فتعالى الله عما يشركون » فلو كانت الكناية عن آدم
 وحواء لقال عما يشركان . وإنما أراد تعالى الله عما يشرك هذان النوعان او الجنسان
 وجمعه على المعنى . وقد ينتقل الفصيح من خطاب الى خطاب غيره . ومن كناية
 الى غيرها .

قال الله تعالى « إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله » (١)
 فأنصرف من مخاطبة الرسول إلى المرسل اليهم ثم قال : ﴿ وتعزروه وتوقروه ﴾ (٢) يعني
 الرسول ثم قال ﴿ وتسبحوه ﴾ يعني الله تعالى ، قال الهذلي :

يا اهدف نفسي كان جده خالد وبياض وجهك للتراب الأعفر (٣)

ولم يقل وبياض وجهه . وقال كثير :

أسبيء بنا او احسني لا ملومة لدينا ولا مقلية ان تقلت (٤)

نخاطبها ثم ترك الخطاب وقال الآخر :

(١ - ٢) سورة الفتح آية ٨ - ٩

(٣) مر هذا البيت في ١ : ٣٥ من هذا الكتاب .

(٤) اللسان (سوا)

فدى لك ناقتي وجميع اهلي ومالي انه منه اتاني (١)
ولم يقل منك اتاني .

وليس لاحد ان يقول كيف يكنى عن لم يجر له ذكر وذلك ان لنا عنه جوابين :
احدهما - انه يجوز ذلك اذا دل الدليل عليه ، كما قال « حتى توارت بالحجاب (٢)

ولم يتقدم للشمس ذكر . وقال الشاعر :

لعمرك ما يغني الثراء عن الغنى اذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر (٣)
ولم يتقدم للنفس ذكر .

والجواب الثاني - انه تقدم ذكر ولد آدم في قوله « هو الذي خلقكم من نفس واحدة » واراد بذلك جميع ولد آدم وتقدم ايضاً في قوله « فلما آتاها صالحاً » لان معناه ولد صالحاً ، ويريد بذلك الجنس . وان كان لفظه واحداً وإذا تقدم مذكوران وعقبا بأمر لا يليق بأحدهما وجب ان يضاف الى الآخر والشرك لا يليق بآدم ، لانه نبي نزهه الله عن ذلك ، وعن جميع القبائح . ويليق بكفار ولده ونسله وجب ان نرده اليهم .
وقال الزجاج وابن الاخشاد : جعل من كل نفس زوجها كأنه قال وجعل من النفس زوجها على طريق الجنس وأضمرت تقدم الذكر .

وقال ابو مسلم محمد بن بحر الاصفهاني الكناية في جميع ذلك غير متعلقة بآدم وحواء وجعل الهاء في (تفشاها) والكناية في (دعوا الله ربها ، وآتاها صالحاً)

(١) في اللسان (فدى) ذكر بيت للاصمى يشبهه هو :

فدى لك والدي وفدتك نفسي ومالي انه منكم اتاني

(٢) سورة ص آية ٣٢

(٣) اللسان (حشرج) نسبة الى عائشة وانها قالته حينما كان والدها في سكرات

الموت . وروايته :

لعمرك ما يغني الثراء ولا الغنى اذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

راجعين الى من اشرك ولم يتعلق بآدم وحواء إلا قوله : « خلقكم من نفس واحدة »
والاشارة بذلك الى جميع الخلق . وكذلك قوله « وجعل منها زوجها » ثم خص بها
بعضهم ، كما قال « هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح
طيبة » (١) مخاطب الجماعة ثم خص راكب البحر ، فكذلك أخبر الله تعالى عن جملة اسر
البشر بأنهم مخلوقون من نفس واحدة وزوجها وهما آدم وحواء ثم طاد الذكر الى الذي
سأل الله تعالى ما سأل فلما اعطاه إياه ادعاه الشركاء في عطيته .

وقال قوم : يجوز ان يكون عنى بقوله « هو الذي خلقكم من نفس واحدة »
المشركين خصوصاً ، اذا كان كل بني آدم مخلوقون من نفس واحدة ، كأنه قال خلق
كل احد من نفس واحدة وخلق من النفس الواحدة زوجها ، ومثله كثير نحو
قوله عز وجل « فأجلدوهم ثمانين جلدة » (٢) والمعنى فأجلدوا كل واحد منهم .
وقال قوم إن الهاء في قوله : « جعلها له شركاء » راجعة إلى الولد لا إلى الله
ويكون المعنى انها طلبا من الله تعالى امثالاً للولد الصالح فأشركا بين الطلبتين ، كما يقول
القائل : طلبت مني درهما فلما اعطيتك شركته بأخر أى طلبت آخر مضافاً اليه ، فعلى
هذا يجوز ان تكون الكتابة من اول الكلام إلى آخره راجعه إلى آدم وحواء .
فان قيل : فعلى هذا فأبي تعلق لقوله « فتعالى الله عما يشركون » بذلك .
وكيف ينزه نفسه عن ان يطلب منه ولد آخر ؟

قلنا : لم ينزه نفسه عن ذلك وإنما نزهها عن الاشراك به ، وليس بمتمم ان
يقطع هذا الكلام عن حكم الاول ، لانه قال بمد ذلك « أيشركون ما لا يخلق شيئاً
وهم يخلقون » فتره نفسه عن هذا الشرك دون ما تقدم .

فأما الخبر المدعى في هذا الباب ، فلا يلتفت اليه ، لأن الاخبار تبني على أدلة
المقول ، فإذا علمنا بدليل العقل ان الأنبياء لا يجوز عليهم المعاصي تأولنا كل خبر

يتضمن خلافه أو ابطلناه كما تفعل ذلك بأخبار الجبر والتشبيه . على ان هذا الخبر مطعون في سنده لانه يرويه قتادة عن الحسن عن سمرة ، وهو مرسل ، لان الحسن لم يسمع من سمرة شيئاً - في قول البغداديين - ولان الحسن قال بخلاف ذلك فياروى عنه عروة في قوله عز وجل : ﴿ فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما ﴾ قال هم المشركون .

ويعارض ذلك ما روي عن سميد بن جبير وعكرمة والحسن وغيرهم : من ان الشرك غير منسوب الى آدم وزوجته وان المراد به غيرها .
على ان في الخبر اشركا ابليس اللعين فيما ولد لهما بأن سمياه عبد الحرث والآية تقضي انهم اشركوا الاصنام التي لا تخلق وهي تخاق ، والتي لا تستطيع ضراً ولا نفعاً وليس لابليس في الآية ذكر . ولو كان له ذكر لقال أنشركون من .
وقال في آخر القصة « ألهم ارجل يمشون بها... » وكذا ، ولا يليق ذلك بابليس .
ويقوي ان الآية مصروفة عن آدم الى ولده انه قال « فلما تغشاها » ولو كان مذسوقاً على النفس الواحدة لقال فلما تغشها ، لان ذلك هو الأجود والأفصح وان جاز خلافه .

وحكى البلخي عن قوم إنهم قالوا لو صح الخبر لم يكن في ذلك الا اشراكا في التسمية ، وايس ذلك بكفر ولا معصية كبيرة ، وذهب اليه كثير من المفسرين واختاره الطبري .

قوله تعالى :

﴿ أَيَشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ (١٩٠) وَلَا

يَسْتَطِيعُونَ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴾ (١٩١) وَإِنْ

تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سِوَاءَ عَلَيْهِمْ أُدْعُوا بِمُؤْمِنِهِمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ ﴿١٩٢﴾ ثلاث آيات بلا خلاف .

القراءة :

قرأ نافع « لا يتبعوكم » وفي الشمره « يتبعهم » بالتخفيف . الباقون بالتشديد ، وها لغتان ، وبالتشديد أكثر .

اللغة :

قال ابو زيد تقول رأيت القوم فاتبعتهم اتباعاً اذا سبقوك فأسرعت نحوهم . ومروا علي فاتبعهم اتباعاً اذا ذهبت معهم ولم يسبقوك ، قال وتبعهم اتباعهم تبعاً مثل ذلك .

المعنى :

وفي الآية توبيخ من الله وتعنيف للمشركين ، وان خرج مخرج الاستفهام : بأنهم يعبدون مع الله جهاداً لا يخلق شيئاً من الاجسام ولا ما يستحق به العبادة ، وهم مع ذلك مخلوقون محدثون ولهم خالق خلقهم .
وتبهم بذلك على انه لا ينبغي ان يعبد الا من يقدر على انشاء الاجسام واختراعها وخلق اصول النعم التي يستحق بها العبادة وان ذلك لا يقدر عليه إلا الله تعالى الذي ليس بجسم ، والقادر لنفسه ثم بين ان هذه الاشياء التي يعبدونها ويتخذونها آلهة واشركوا بها مع الله تعالى لا تقدر لمن عبدها واتخذها إلهاً على نفع ولا على ضرر ولا ان ينصروهم ولا أن ينصروا انفسهم ان اراد بهم غيرهم سوءاً ، ومن هذه صورته فهو على غاية المعجز ، ولا يجوز ان يكون إلهاً . وانما يجب ان يكون كذلك من يقدر على الضرر والنفع ونصرة اوليائه .

وقوله تعالى « وإن تدعوم إلى الهدى لا يتبعوكم » معناه إن الأصنام والاونان التي كانوا يعبدونها ويتخذونها آلهة ان دعوها إلى الهدى والرشد لم يستمعوا ذلك ، ولا تمكنوا من اتباعهم لأنها جمادات لا تفقه ، ولا تعقل ، في قول أبي علي وغيره . وقال الحسن ان ذلك راجع الى قوم من المشركين فسد عموا بالكفر فهم لا يعلمون .

ثم قال « سواء عليكم ادعوتهم ام انتم صامتون » يعني سواء عندها دعاؤها والسكرت عنها لكونها جماداً لا تعقل وإنما قال « أم انتم صامتون » ولم يقل ام صمت ليكون في مقابلة « ادعوتهم » فيفيد الماضي والحال لان المقابلة دلت على معنى الماضي، واللفظ يدل على معنى الحال . وعليه اكثر الكلام يقولون: سواء علي اقتام قدمت ، ولا يقولون اقتام انت قاعد ، قال الشاعر :

سواء إذا ما اصلح الله امرهم علينا ادثر ما لهم ام اصارم (١)
وانشد الكسائي .

سواء عليك النفر ام بت ليلة بأهل القباب من نيمير بن عامر (٢)
وانشده بعضهم : ام انت بائت

قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيُؤْسِرُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١٩٣) آية بلاخلاف .

(١) معاني القرآن ١ : ٤٠١ . (الدر) المال الكثير . و (أصارم) جمع أصرام وهو الفريق القليل العدد ويقصد هنا الفريق من الابل . وأصله أصاريم وحذف الياء لضرورة الشعر .

(٢) معاني القرآن ١ : ٤٠١ . يريد النفر من منى .

المعنى .

إنما قال « إن الذين » وهو يريد الاصنام ، لأنها لما كانت عندهم معبودة تنفع وتضر ، جاز أن يكنى عنها بما يكنى عن الحي ، كما قال في موضع آخر ﴿ بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ﴾ (١) ولم يقل فعله كبيرها فاسألوها . وقال ﴿ والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين ﴾ (٢) لما اضاف السجود اليها جمعها بالواو والنون التي تختص بالمعقلاء ومعنى « من دون الله » غير الله ، كأنه قال كل مدعو إلهاً غير الله « عباد امثالكم » (ومن) لا بتداء الغاية في ان الدعاء دون دعاء الله إلى حيث انتهى إنما هو لعباد الله . ثم قال « عباد امثالكم » فأما سماها كذلك لان التعبد التذلل ، فلما كانت الاصنام تنصرف على مشيئة الله وهي غير ممتنعة عما يريد الله تعالى بها كانت بذلك في معنى العباد

اللغة :

ويقال عبدت الطريق إذا وطئته حتى تقرر وسهل سلوكه . ومنه قوله تعالى « وتلك نعمة نمنها على ان عبدت بني اسرائيل » (٣) اي ذلتهم واستخدمتهم ضرورياً من الخدم .

المعنى :

وقال الجبائي ، وغيره : معنى (عباد) اي املاك لربهم كما انتم عبيدله ، فان كنتم صادقين في ادعاهم انها آلهة فادعوهم فليستجيبوا لدعاهم ، وهذه لام الأسر على معنى التهجين كما قال ﴿ هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين ﴾ (٤) فإذا لم يستجيبوا لكم ، لانها لا تسمع دعاهم فاعلموا انها لا تنفع ولا تضر ولا تستحق العبادة .

(٢) سورة يوسف آية ٤

(٤) سورة النمل آية ٦٤

(١) سورة الانبياء آية ٦١

(٣) سورة الشعراء آية ٢٢

فأما من قال الاصنام تعبد الله على الحقيقة كما يعبد العقلاء وان كنا لا نفقه ذلك فقد نجاهل ، لان العبادة ضرب من الشكر والشكر هو الاعتراف بالنعمة - ضرب من التعظيم . والعبادة وإن كانت شكراً فإنه يقارنها خضوع وتذلل . وكل ذلك يستحيل من الجماد .

ويحتمل من حيث انهم توهموا انها تضر وتنفع فقبل لهم ليس يخرج هؤلاء بذلك عن حكم الله تعالى .

وقال الحسن معناه إنها مخلوقة أمثالكم . والعبد المملوك من جنس ما يعقل ، لان الثوب مملوك ، ولا يسمى عبداً .

وقيل الدماء الأولى في الآية تسميتهم الاصنام آلهة كأنه قال « إن الذين تدعون آلهة من دون الله فاطلبوا منهم المنافع وكشف المضار ، فاذا كان ذلك ميؤساً منها ، فعبادتها جهل وسخف .

وقوله « إن كنتم صادقين » قال الحسن معناه في انهم آلهة .

قوله تعالى:

﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يَبْصُرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ كَمَا كُنْتُمْ كِيدُونَ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾ (١٩٤) آية بلا خلاف .

القراءة والحجة:

قرأ أبو جعفر « يبطشون » ويبطش - بضم الطاء حيث وقع . الباقيون بكسرهما . وهما لغتان ، والكسر افسح واكثر . وقرأ « كيدون » بياء في الحالين : الوقف والوصل والحلواني عن هشام ويعقوب وافقهما في الوصل ابو عمرو وابو جعفر واسماعيل

والداحوني عن هشام . الباقر بن غير ياء في الحاليين .

و « تنظرون » بياء في الحاليين عن يعقوب .

قال ابو علي الفارسي : الفواصل وما اشبهها من الكلام التام تجري مجرى القوافي لاجتماعها في ان الفاصلة آخر الآية ، كما ان القافية آخر البيت وقد الزمو الحذف في هذا الباب في القوافي كقوله :

فهل يمتنم اريادي البلاد من قدر الموت ان يأتين

والياء التي هي لام [الكلمة] كذلك نحو قوله :

يلبس الأحلاس في منزله بيديه كاليهودي المصل (١)

المعنى :

أكد الله تعالى في هذه الآية الحججة على المشركين في انه لا ينبغي لهم ان يعبدوا هذه الاصنام ولا يتخذونها آلهة فقال ﴿ لهم ارجل يمشون بها ﴾ ، لان لفظه وان كان لفظ الاستفهام ، فالمراد به الانكار ، اي ليس لهم ارجل يمشون بها ولا لهم ايد يبطشون بها ولا اعين يبصرون بها ولا آذان يسمعون بها ، فعرفهم بذلك انهم دون منزلتهم وان الكفار مفضلون عليهم بما انعم الله عليهم من هذه الحواس التي لم تؤت الاصنام .

واذا كنتم مفضلين عليها وكنتم أقدر على الاشياء واعلم ، فكيف يجوز لكم ان تتخذونها مع ذلك آلهة لا تفسكم .

وقوله تعالى ﴿ قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون ﴾ معناه ادعوا هذه الاوثان والاصنام التي تزعمون انها آلهة وتشركونها في اموالكم فتجعلون لها حظاً

(١) قائله ليبيد . اللسان و لمس ، والاحلاس ملازمة المنزل وعدم التدخل

بشؤون الدولة . والمصل بمعنى الخاسر الذي ليس له شيء في الامر .

من الاموال والمواشي وتوجهون عبادتكم اليها اشراكا بالله لها . واسألوهم ان يضروني وان يكيدوني معكم ، ولا تؤخروا ذلك إن قدروا عليه . ومتى لم يتمكنوا من ذلك فتبينوا انها لا تستحق العبادة لانها في غاية الضعف والعجز .

قوله تعالى :

﴿ اِنَّ وَايَّ اَللّٰهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصّٰلِحِيْنَ ﴾

(١٩٥) آية بلا خلاف .

القراءة :

روى ابن خنيس عن السوتي « ان ولي الله » بياء مشددة مفتوحة . الباقون بثلاث ياءات الاولى ساكنة والثانية مكسورة والثالثة مفتوحة - على الاضافة - ومن قرأ مشدداً حذف الوسطى وأدغم الاولى في الثالثة . ولا يجوز ادغام الثانية في الثالثة ، لانها متحركة وقبلها ساكن لا يمكن الادغام .

المعنى :

امر الله تعالى نبيه ﴿ ع ﴾ ان يقول للمشركين « ان ولي الله الذي » يحفظني وينصرني ويحوطني ويدفع شركم عني هو الله الذي خلقتني واياكم جميعاً ويملكني ويملككم الذي نزل القرآن ، وهو ينصر الصالحين الذين يطيعونه ويجتنبون معاصيه تارة بالحجة واخرى بالدفع عنهم .

قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِيْنَ تَدْعُوْنَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ نِدْعَتَكُمْ وَلَا

أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٦﴾ آية بلا خلاف .

هذا عطف على الآية الاولى ، فكأنه قال قل وليي الله القادر على نصرتي عليكم وعلى من اراد بي ضرراً . والذين تتخذونهم انتم آلهة لا يقدرون على ان ينصروكم ولا ان يدفعوا عنكم ضرراً . ولا يقدرون ان ينصروا انفسهم ايضاً لو ان انساناً اراد بهم سوءاً من كسر او غيره .

وانما كرر هذا المعنى لان ذكره في الآية التي قبلها على وجه التقريع ، وذكره ههنا على وجه الفرق بين صفة من تجوز له العبادة بمن لا تجوز ، كأنه قال ان ناصرى الله ولا ناصر لكم ممن تعبدون .

وانما قال تدعون من دونه وهم يدعونهم معه ، لان معنى من دونه من غيره ومع ذلك فانه بمنزلة من افرد غيره بالعبادة في عظم الكفر والشرك .

قوله تعالى :

﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ
إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ (١٩٧) آية بلا خلاف .

قال الفراء والزجاج : المعنى ان دعوتهم هؤلاء الذين تعبدونهم من الاصنام الى صلاح ومنافع لا يسمعون دعاءكم ، وتراهم فاتحة اعينهم نحوكم على ما صررتهم عليه من الصور ، وهم مع ذلك لا يبصرونكم .

قال الجبائي جعل الله انفتاح عيونهم في مقابلتهم نظراً منهم اليهم مجازاً ، لان النظر حقيقة تغلب الحدقة الصحيحة نحو المرئي طلباً لرؤيته وذلك لا يتأتى في الجماد . ويقال في اللغة تناظر الحائطان اذا تقابلا وكل شيء قابل غيره يقال نظر اليه . وقال الحسن : المعنى وان تدع يا محمد المشركين ، فلم يجمل الكناية عن الاوثان .

وقال الرماني الكناية عن الاوثان لانهم جعلوها تضر وتنفع ، كما يكون ذلك
 فيما يعقل .
 وفي الآية دلالة على ان النظر غير الرؤية ، لأنه تعالى أثبت النظر ونفى الرؤية .
 وقوله « وترام ينظرون اليك وهم لا يبصرون » وجه الخطاب الى النبي ﴿ ص ﴾
 ولو كان امره بخطاب المشركين بمعنى قل لهم لقال وترونهم .
 وقال السدي ومجاهد اراد به المشركين ، فعلى هذا يكون قوله « وإن تدعوهم »
 خطاباً للنبي ﴿ ع ﴾ انه إن دعا المشركين الى الهدى لا يسمعون بمعنى لا يقبلوا وهم
 يرونه ولا ينتفعون برؤيته .

قوله تعالى :

﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾

(١٩٨) آية بلا خلاف .

امر الله تعالى نبيه ان يأخذ مع الناس بالعفو وهو التساهل فيما بينه وبينهم
 وقبول اليسير منهم الذي سهل عليهم ، ويسر فعله لهم وان يترك الاستقصاء عليهم في
 ذلك ، وهذا يكون في مطالبة الحقوق الواجبة لله تعالى وللناس وغيرها . وهو في معنى
 الخبر عن النبي ﴿ ع ﴾ (رحم الله سهل القضاء سهل الاقتضاء) .
 ولا ينافي ذلك ان لصاحب الحق والديون وغيرها استيفاء الحق وملازمة
 صاحبه حتى يستوفيه ، لأن ذلك مندوب إليه دون ان يكون واجباً .
 وقد يكون العفو في قبول العذر من المعتذر وترك المؤاخذة بالاساءة .
 وقوله ﴿ وأمر بالعرف ﴾ يعني بالمعروف ، وهو كل ما حسن في العقل فعمله او
 في الشرع . ولم يكن منكراً ولا قبيحاً عند العقلاء .
 وقوله عز وجل ﴿ واعرض عن الجاهلين ﴾ امر بالاعراض عن الجاهل :

السفيه الذي ان كلمه سفه عليه وآذاه بكلامه .

وأمره إذا قام عليهم الحجة وبين بطلان ما هم عليه من الكفر والمعاصي ان
يمرض عنهم ولا يجاوبهم في مكروهه إسمعه ، صيانة لنفسه عنهم .
وقال عطا العفو : الفضل .

وقال مجاهد العفو من أخلاق الناس وعفو اموالهم من غير تجسس عليهم . وقال
ما عفا لك من اموالهم وذلك قبل فرض الزكاة .
وقال السدي : نسخ ذلك بآية الزكاة .

وقال ابن زيد : أمره بالاعراض عنهم ثم نسخ بقوله « واغلظ عليهم » (١)
وروي عن النبي صلى الله عليه وآله في قوله : « وامر بالعرف » ان جبرائيل
قال له معناه فصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك .

قوله تعالى :

﴿ وَامَّا يَزِغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ لَئِنْ
سَمِعَ عَلِيمٌ ﴾ (١٩٩) آية بلا خلاف .

المعنى :

الزغ ادنى حركة تقول نزغته اذا حرركته . والمعنى ان نالك يا محمد من
الشيطان ادنى نزغ من معاندة وسوء عشرة فاستعذ بالله اي سل الله ان يميزك ،
ويحفظك منه فانه سميع للمسموعات وعالم بالخفيات يسمع دعاء من يدعوه ويعلم دعاه
وما يستحقه بذلك من الله .

(١) سورة التوبة آية ٧٤ وسورة التحريم آية ٩

اللغة والاعراب :

والنزع الفساد ايضاً يقال نزع فلان بيننا اي افسد ومنه قوله تعالى: « نزع الشيطان بيني وبين اخوتي » (١) يقال نزع فلان بيننا ، ونزع ينزع وتغز ينغز اذا افسد .

وموضع ينزغتك جزم بـ (إن) التي للجزاء إلا انه لا يبين فيه الاعراب ، لأنه مبني مع نون التأكيدي على الفتح اذا كانت مشددة ولا بد من تحريك ما قبلها في الجزم لالتقاء الساكنين .

والنزع الازعاج بالاغواء واكثر ما يكون ذلك عند الغضب واصل النزع الازعاج بالحركة نزغته انزغه نزغاً .

قوله تعالى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ آتَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا
فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ (٢٠٠) آية بلا خلاف .

القراءة :

قرأ ابن كثير واهل البصرة والكسائي « طيف » بغير الف وبغير همز . الباقون بألف بمدّها همزة .

اللغة :

قال الحسن : الطيف في كلام العرب اكثر من طائف . وقال ابو زيد طاف الرجل يطوف طوفاً اذا اقبل وادبر وأطاف يطوف طوفاً اذا جعل يستدبر القوم

ويأتيهم من نواحيهم . وطاف الخيال طيفاً اذا ألم في المنام . وقال ابو عبيدة طيف
من الشيطان بأن يلم به ، لما يقال منه طفت أطفيف طيفاً . وقال قوم : الطائف
مأطاف بك من وسوسة الباطل . والطيف المغم ، والمس .
وقال ابو عمرو بن العلاء : الطيف الوسوسة .

وحكى الرماني ان الطيف اصله طيف من الواو مثل سيد وميت ، تخفف وانشد
ابو عبيدة للاعشى في الامام :

وتصبح عن غب السرى وكأنما ألم بها من طائف الجن أولق (١)
وكان معنى الآية إذا مسهم من ينظر لهم نظرة من الشيطان . ويكون طائف مثل
الغاقبة والعاوية ، مما جاء المصدر منه على **أعل** و**فاعلة** ، فالطيف أكثر لان المصدر على
هذا الوزن أكثر منه على وزن **فعل** ، والطائف كالمخاطر .

المعنى :

وقال الحسن معناه يطوف عليهم الشيطان بوساوسه فيقبل بعض وجيه من
يمصي الله .

وقوله « تذكروا » اي تذكروا ما عندهم من المخرج والتوبة « فاذا هم مبصرون »
قد تابوا .

وقال مجاهد هم : المؤمنون اذا مسهم طيف اي غضب تذكروا .

وقال سميد بن جبير : هو الرجل يغضب الغضب فيذكر فيكظم غيظه .

وقال مجاهد : هو الرجل يهيم بالذنب فيذكر الله تعالى فيتركه .

اخبر الله تعالى بأن الذين يتقون الله باجتناّب معاصيه إذا وسوس اليهم الشيطان
واغرامهم بمعاصيه تذكروا فعرفوا ما عليهم من العقاب بذلك فيجتنبونه ويتركونه .

وقال مجاهد وسعيد بن جبير: الطيف الغضب .

وقال ابن عباس والسدي : هي الزلة التي إذا ارتكبتها تاب منها .

وإذا الأولى بمنزلة الجزاء ولها جواب ، والثانية بمعنى المفاجأة كقولك

خرجت ، فإذا زيد .

وقال ابن عباس الطيف النزغ . وقال ابو عمرو بن العلاء : الوسوسة . وقال

غيره هو اللهم .

قوله تعالى :

﴿ وَأَخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يَقْصِرُونَ ﴾ (٢٠١) آية بلاخلاف .

القراءة :

قرىء « يمدونهم » بضم الياء وكسر الميم عن نافع . الباقيون بفتح الياء وضم الميم .

المعنى :

معنى الآية ان اخوان الشياطين من الكفار يمدهم الشياطين في الغي ، ومعناه

يزيدونهم في الغواية ، والاضلال ، ويزينون لهم ما هم فيه .

ثم اخبر ان هؤلاء مع ذلك « لا يقصرون » كما يقصر الذين اتقوا اذا مسهم

طيف من الشيطان ، وهو قول ابن عباس والسدي وابن جريج وابي علي ،

واكثر المفسرين .

وقال مجاهد هم اخوان المشركين من الشياطين .

وقال قتادة قوله : « ثم لا يقصرون » يعني الشياطين « لا يقصرون » عن

استغوائهم ولا يرحمونهم .

اللغة والحجة :

وقصرت وأقصرت لغتان والقراءة على لغة أقصرت ، ومن ضم الياء فلقوله تعالى « إنما نمدم به من مال وبنين » (١) وقوله عز وجل : « وأمددناهم بفاكهة » (٢) وقوله « أتمدوتي بمال » (٣) ومن فتح الياء . فلقوله تعالى « ويمدّم في طغيانهم يعمهون » (٤) .

وامدّدت فيما يستحب ، ومددّت فبما يكره . قال ابو زيد : امددت القائد بالجند وامدّدت الدواة وامدّدت القوم بالمال والرجال .
وقال ابو عبيدة « بمدونهم في النفي » اي يزيفون لهم يقال مدله في غيبه هكذا يتكلمون به . ووجه قراءة نافع قوله تعالى « فبشرهم بعذاب أليم » .

قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّأَقْوَمِ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٢٢) آية بلا خلاف .

المعنى :

معنى الآية انك يا محمد إذا لم تأت بهم بآية يقترحونها ، قالوا : لم لا تطلبها من الله فيأتينا بها . وقوله « لولا » معناه هلا « اجتبيتها » معناه اختلقتها ، واقتلعتها من قبل نفسك في قول الزجاج ، والفراء ، والحسن ، والضحاك ، وقتادة ، وابن جريج ، وابن زيد ، وابن عباس .

(٢) سورة الطور آية ٢٢

(١) سورة المؤمنون آية ٥٥

(٤) سورة البقرة آية ١٥

(٣) سورة النمل آية ٣٦

وفي رواية اخرى عن ابن عباس وقتادة: معناه هلا اخذتها من ربك وتقباتها منه . ويكون الاجتباء بمعنى الاختيار .

وقال الفراء اجتبيت الكلام واختلقته وارنجلته اذا اقتلعته من قبل نفسك .

وقال ابو عبيده اخترعته مثل ذلك .

وقال ابو زيد هذه الحروف تقولها العرب للكلام يبتدؤه الرجل لم يكن اعده

قبل ذلك في نفسه .

فأمر الله تعالى نبيه (ع) ان يقول لهم اني لست آتي بالآيات من عندي وإنما يفعلها الله ويظهرها على حسب ما يعلم . من المصلحة في ذلك لا بحسب اقتراح الخلق . وإنما اتبع ما يوحى إلي .

وقوله « هذا بصائر من ربكم » يعني هذا القرآن حجج وبراهين وأدلة من ربكم

اللغة :

والبصائر جمع بصيرة وهي البراهين الواضحة والحجج النيرة . وتكون البصائر جمع بصيرة . وهي طريق الدم . والبصيرة الرأس أيضاً . وجمعها بصائر وممنها ظهور الشيء وبيانه .

المعنى :

وإنما قال « هذا بصائره » لان المراد به القرآن . وقوله تعالى « وهدى » يعني بيان وحجة ورحمة لقوم يؤمنون ، فأضافه اليهم لانهم المنتفعون بها ، دون غيرهم من الكفار ، وان كان بياناً للكلمة . وقال الجبائي قوله « هذا بصائر » إشارة إلى الأدلة الدالة على توحيد صفاته وعدله وحكمته وصحة نبوة النبي وصحة ما أتى به النبي (ع)

قوله تعالى:

(وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) (٢٠٣) آية بلا خلاف .

المعنى :

أمر الله تعالى المكلفين بأنه إذا قرئ القرآن ان يستمعوا له ويصغوا إليه ليفهموا معانيه ويعتبروا بمواعظه وان ينصتوا لتلاوته ويتدبروه ولا يلفوا فيه ليرحمهم بذلك ربهم ، وباعتبارهم به وإتعاظهم بمواعظه .

واختلفوا في الوقت الذي امروا بالانصات والاستماع .

فقال قوم : امروا حال كون المصلي في الصلاة خلف الامام الذي يأتم به وهو يسمع قراءة الامام ، فعليه ان ينصت ، ولا يقرأ ويتسمع لقراءته .

ومنهم من قال : لانهم كانوا يتكلمون في صلاتهم ويسلم بعضهم على بعض ، واذا دخل داخل وهم في الصلاة قال لهم كم صليتم فيخبرونه وكان مباحاً فنسخ ذلك ، ذهب اليه عبد الله بن مسعود ، وابو هريرة ، والزهري ، وعطاء ، وعبيد الله بن ابي عمير ومجاهد ، وقتادة ، وسعيد بن المسيب ، وسعيد بن جبير ، والضحاك ، وابراهيم ، وعامر الشعبي ، وابن عباس ، وابن زيد ، واختاره الجبائي .

وقال قوم : هو امر بالانصات للامام إذا قرأ القرآن في خطبته . روي ذلك عن مجاهد .

وقال قوم : هو امر بذلك في الصلاة والخطبة . روي ذلك عن مجاهد ايضاً ، والحسن .

واقوى الأقوال الاول ، لانه لا حال يجب فيها الانصات لقراءة القرآن إلا

حال قراءة الامام في الصلاة ، فان على المأموم الانصات لذلك والاستماع له .
فأما خارج الصلاة فلا خلاف انه لا يجب الانصات والاستماع .
وعن ابي عبد الله (ع) انه في حال الصلاة ، وغيرها . وذلك على
وجه الاستحباب .

وقال الجبائي : يحتمل ان يكون اراد بالاستماع إذا قرأ النبي (ع) عليهم
ذلك ، فانه كان فيهم من المنافقين من لا يستمع لذلك . والاول اكثر فائدة واعم .
وقال الزجاج يجوز ان يكون الامر بالاستماع للقرآن للعمل بما فيه وان لا
يتجاوزة كما تقول سمع الله لمن حمده بمعنى اجاب الله دعاه ، لان الله سميع عليم .
اللغة :

والانصات السكوت مع الاستماع . قال الطرماح يصف وحشاً ،
وحذرها الصيادين :

بخافتن بعض المضغ من خشية الردى وينصتن للسمع انصات القناقن (١)
عراف الماء .

قوله تعالى :

﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخَيْفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ
مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ (٢٠٤)
آية بلا خلاف .

أمر الله تعالى نبيه (ع) ان يذكره على حال التضرع والمراد به الامة .
ونصب تضرعاً على الحال . وعلى وجه الخوف من عذابه والخيفة هو الخوف

ويكون دعاؤه خالصاً لله ويفعل هذا الدعاء « بالغدو » ، وهو اول النهار ، « والآصال » وهو جمع اصل . والاصل جمع الاصيل فالآصال جمع الجمع وتصغيره اصيلا على بدل النون . وقال قوم هو جمع اصل والاصل يقع على الواحد والجمع ومعناه العشيات . وهو ما بين العصر إلى غروب الشمس .

وقال ابن زيد: الخطاب متوجه إلى المستمع للقرآن إذا نلي ثم أكد توصية له في الدعاء بقوله « ولا تكن من الغافلين » والمعنى لا تكن من الغافلين عما امرتك به من الدعاء له والذكر لله .

وقال الجبائي في الآية دليل على ان الذين يرفعون اصواتهم بالدعاء ويمجرون بها مخطؤون على خلاف الصواب .

ومن قرأ « وخيفة » اراد اخف الدعاء واترك الاجهاد ، وهو تأكيد لما امر به من الدعاء إخفاء .

وقوله « ودون الجهر » يعني دعاء باللسان في خفاء الاجهاد .
وقال قوم : الآية متوجهة إلى من امر بالاستماع للقرآن والانصات له الذين كانوا إذا سمعوا القرآن رفعوا أصواتهم بالدعاء عند ذكر الجنة او النار ، ذهب اليه ابن زيد ومجاهد وابن جريج واختاره الطبري ، والأولى ان يكون ذلك متوجهاً إلى النبي ، والمراد به جميع الامة ، فانه اكثر فائدة .

وإنما أمره بالذكر في النفس وإن كان لا يقدر عليه العبد لأمرين :
أحدهما - ان المراد به التعرض للذكر من جهة الفكر ، وهذا في الذكر المضاد لسهو .
الثاني - انه امر بالذكر الذي هو القول فيما يخفى كحديث النفس .

قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ

وَيَسْبَحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٥﴾ آية بلا خلاف .

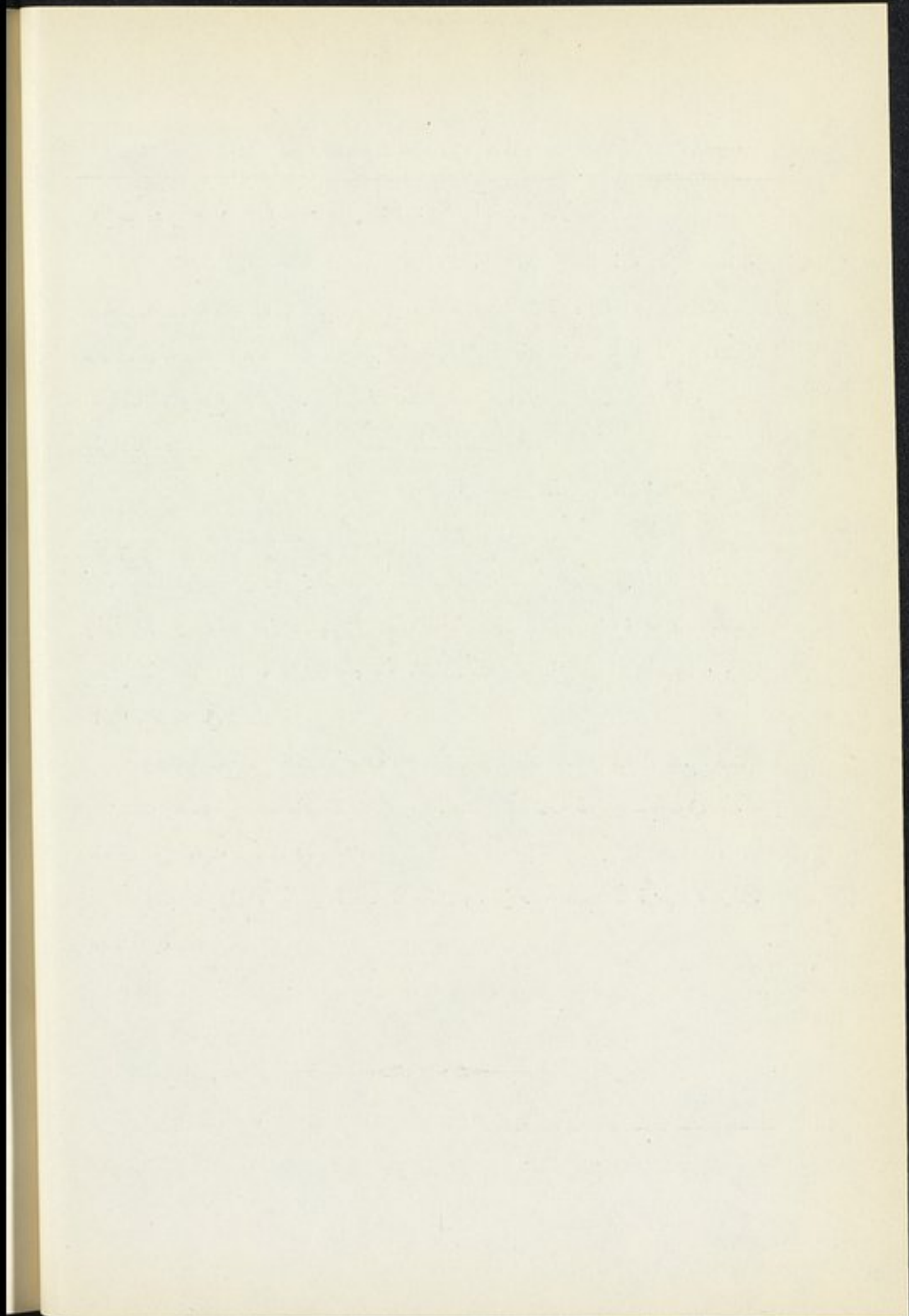
بين الله تعالى ان الذين عنده ، وهم الملائكة . ومعناه انهم عنده بالمنزلة الجليلة لا يقرب المسافة لانه تعالى ليس في مكان ولا جهة فيقرب غيره منه ، لان ذلك من صفات الاجسام ، وهذا حث منه على الطاعة والاستكانة والخضوع له لان الملائكة مع فضلها وارتفاع منزلتها اذا كانت لا تستكبر عن عبادته بل تسبحه دائماً وتسجد مثل ذلك فبنوا آدم بذلك اولى واحق ولهم اوجب والزم .

قال الجبائي معنى « عند ربك » انهم في المكان الذي لا يملك فيه الحكم بين الخلق سواه لانه ملك عباده الحكم في الارض على وجه حسن .
قال ويجوز ان يكون المراد بذلك أنهم رسله الذين يبعثهم في امور الانس ، واذا كانوا رسله جاز ان ينسبهم الى نفسه فيقول انهم عنده ، كما يقال عند الخليفة جيش كثير ولا يراد به في مكانه ، ولا بالقرب منه ، وإنما يراد انهم أصحابه وان كانوا متفرقين في البلاد .

وقال الزجاج من قرب من رحمة الله وفضله فهو عند الله اي قريب من تفضله واحسانه وهذه اول سجدة القرآن ، وهي عندنا مستحبة غير واجبة وفي ذلك خلاف بين الفقهاء ذكرناه في الخلاف .

وسبب نزول الآية ان قريشاً لما قالت وما الرحمن انسجد لما تأمرنا ، فنزلت هذه الآية .





(٨) سورة الأنفال

هذه السورة مدنية في قول قتادة وابن عباس ومجاهد وعثمان ، وقال هي أول ما نزل على النبي ﷺ بالمدينة ، وحكي عن ابن عباس : انها مدنية لإسبع آيات اولها (وإذ يمكر بك الذين كفروا) إلى آخر سبع آيات بعدها . وهي خمس وسبعون آية في الكوفي ، وسبع وسبعون آية في الشامي ، وست في المديين والبصري .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرُّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ذَاتَ يَدَيْهِ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (١) آية بلا خلاف .

اختلف المفسرون في معنى لانفال ههنا فقال بعضهم هي الغنائم التي غنمها النبي (ع) يوم بدر ، فسألوه لمن هي فأمر الله تعالى نبيه ان يقول لهم هي لله ولرسوله ، ذهب اليه عكرمة ، ومجاهد ، والضحاك ، وابن عباس ، وقتادة ، وابن زيد .
وقال قوم : هي انفال السرايا ذهب اليه علي بن صالح بن يحيى .
وقال قوم : هو ما شذ من المشركين إلى المسلمين من عبد او جارية من غير قتال او ما اشبه ذلك عن عطا . وقال : هو للنبي (ع) خاصة يعمل به ما يشاء .

وروي عن ابن عباس في رواية أخرى انه ما سقط من المتاع بعد قسمة الغنائم من الفرس والدرع والرمح .

وفي رواية أخرى انه سلب الرجل وفرسه بنفل النبي (ع) من شاء .

وقال قوم : هو الخمس ، روي ذلك عن مجاهد ، قال قال المهاجرون لم يرفع منا هذا الخمس ويخرج منا ؟ فقال الله : هو لله والرسول .

وروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله (ع) ان الأتقال كل ما اخذ من دار الحرب بغير قتال اذا انجلى عنها اهله .

وتسمية الفقهاء فينما وميراث من لا وارث له وقطائع الملوك إذا كانت في أيديهم من غير غصب والآجام وبعطون الأودية ، والموات وغير ذلك مما ذكرناه في كتب الفقه وقالوا هو لله والرسول وبعده للقائم مقامه بصرفه حيث يشاء من مصالح نفسه ومن يلزمه ، وثنته ليس لاحد فيه شيء . وقالوا إن غنائم بدر كانت للنبي (ع) خاصة ، فسألوه ان يعطيهم .

وفي قراءة اهل البيت : « يسألونك الأتقال » فأنزل الله تعالى قوله : « قل الأتقال لله والرسول » ولذلك قال « فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم » ولو سألوه عن موضع الاستحقاق لم يقل لهم اتقوا الله .

اللغة :

والأتقال جمع نفل والنفل هو الزيادة على الشيء ، يقال نفلت كذا اذا زدت قال لبيد بن ربيعة :

ان تقوى ربنا خير نفل وباذن الله ربي والعجل (١)

والنفل هو ما أعطيته المرء على البلاء والفناء على الجيش على غير قسمة . وكل شيء .

(١) تفسير القرطبي ٨ : ٣٦١ واللسان (نفل) . وبجاء القرآن ١ : ٢٤٠ .

كان زيادة على الأصل ، فهو نفل ، وناهية . ومنه قيل لولد الولد نافلة ، ولما زاد على فرائض الصلاة نافلة .

سبب النزول :

واختلفوا في سبب نزول هذه الآية ، فقال قوم : نزلت في غنأم بدر ، لان النبي ﷺ كان نفل اقواماً على بلاه . فأبلى اقوام ونخلف آخرون مع النبي ﷺ (ع) فلما اتقضى الحرب اختلفوا ، فقال قوم : نحن اخذنا ، لانا قتلنا . وقال آخرون : نحن احطنا بالنبي ﷺ (ع) ولو اردنا لا نخذنا . وقال آخرون نحن كنا وراه كم نحفضكم فأنزل الله هذه الآية يعلمهم ان ما فعل فيها رسول الله (ص) ماض جائز - ذهب اليه ابن عباس ، وعكرمة ، وعبادة بن الصامت .

وقال قوم : نزلت في بعض اصحاب النبي ﷺ (ع) سأل من المغنم شيئاً قبل قسمتها فلم يعطه اياها اذ كان شركاً بين الجيش فجعل الله جميع ذلك للنبي ﷺ (ع) روي ذلك عن سعد بن مالك وهو ابن ابي وقاص . قال وكان سيف سعد بن العاص لما قتله اخوته وكان يسمى ذا الكشيبة ، قال سعد أتيت النبي ﷺ (ع) فسألته سيفاً فقال ليس هذا لي ولا لك فوليت عنه . قال فاذا رسول الله (ص) خلني فقال ان السيف قد صار لي فأعطانيه ، ونزلت الآية .

وروي عن ابي اسيد مالك بن ربيعة قال : اصبحت سيف ابن عابد وكان يسمى المرزبان فالتقيته في النفل ، فقام الارقم بن ابي الارقم المخزومي فسأل رسول الله فأعطاه اياه . وقال آخرون ان اصحاب النبي ﷺ (ع) سألوه ان يقسم غنيمة بدر عليهم يوم بدر وأعلمهم الله ان ذلك لله ورسوله دونهم ليس لهم فيه شيء .

المعنى :

وقالوا معنى (عن) ههنا معنى (من) وكان ابن مسعود يقرؤه « يسألونك الأنفال »

على هذا التأويل . وهذا مثل ما روينا عن أبي جعفر وأبي عبد الله (ع) وروى ذلك عن الأعمش ، والضحاك عن ابن مسعود ، وروى ذلك عن ابن عباس ، وابن جريج وعمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وعن الضحاك ، وعكرمة ، واختاره الطبري وهو قول الحسن .

وقال الحسن قال رسول الله (ص) أيما سرية خرجت بغير إذن إمامها فما أصابت من شيء ، فهو غلول .

وقال الزجاج كانت الغنائم قبل النبي (ع) حراماً فسألوا النبي عن ذلك فنزلت الآية ، وهذا بعيد .

واختلفوا هل هي منسوخة أم لا ؟

فقال قوم : هي منسوخة بقوله « واعلموا أنما غنمتم من شيء . . . » الآية . وروى ذلك عن مجاهد وعكرمة والسدي وطاهر الشعبي واختاره الجبائي .

وقال آخرون ليست منسوخة ، ذهب إليه ابن زيد واختاره الطبري ، وهو الصحيح ، لأن النسخ محتاج إلى دليل ، ولا تنافي بين هذه الآية وبين آية الخمس ، فيقال إنها نسختها .

واختلفوا هل لاحد بعد النبي (ع) ان ينفل احدأ - ذكرناه في الخلاف - فقال سعيد بن المسيب لا تقل بعد رسول الله . وبه قال عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده . وعندنا وعند جماعة من الفقهاء واختاره الطبري : ان الآية ان يتأسوا بالنبي (ع) في ذلك .

وقوله : « فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم » امر من الله للمكافين ان يتقوا معاصيه ويفعلوا طاعاته وان يصلحوا ذات بينهم .

واختلفوا في معناه ، فقال قوم هو ان النبي (ع) كان ينفل الرجل من المؤمنين سلب الرجل من الكفار اذا قتله ، فلما نزلت الآية امرهم ان يرد بعضهم على

بعض ، ذهب اليه قتادة وابن جريج .

وقال قوم : هذا نهي من الله للقوم عن الاختلاف فيما اختلفوا فيه من امر الغنيمة يوم بدر ، ذهب اليه مجاهد وابن عباس وسفيان والسدي .

واختلفوا لم قال « ذات بينكم » فأنت والبين مذكر .

فقال قوم : اراد « ذات بينكم » الحال التي للبين ، كما يقولون ذات العشاء يريدون الساعة التي فيها العشاء ، ولم يصفوا مذكراً لمؤنث ولا مؤنثاً لمذكر .

قال الزجاج اراد الحال التي ينصلح بها امر المسلمين .

وقال الأخفش جملة ذات لأن بعض الاشياء يوضع عليه اسم المؤنث وبعضه يذكر مثل الدار والحائط انت الدار وذكر الحائط .

وقوله « واطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين » امر من الله للخلق ان يطيعوه ولا يعصوه ، ويطيعوا رسوله فيما يأمرهم به ان كانوا مصدقين لرسوله فيما يأثمهم به من قبل الله ، لانهم متى لم يطيعوه ولا يقبلوا منه لم يكونوا مؤمنين .

وروي : ان رسول الله (ص) قسم غنائم بدر بينهم عن تواء ، يعني سواه ، ولم يخمس وإنما خمس بعد ذلك .

وقال الزجاج : « ذات بينكم » معناه حقيقة وصلحكم . والبين الوصل ، لقوله تعالى « لقد قطع بينكم » اي وصلحكم .

قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ

حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤)
ثلاث آيات بلا خلاف .

المعنى :

استدل من قال ان الايمان يزيد وينقص وان افعال الجوارح قد تكون ايماناً بهذه الآيات ، فقالوا : نعى الله ان يكون المؤمن إلا من اذا ذكر الله وجل قلبه وإذا تليت عليه اي قرأت زادتهم الآية ايماناً ، بمعنى انهم يزدادون عند تلاوتها ايماناً ، وانهم على الله يتوكلون في جميع امورهم « الذين يقيمون الصلاة » بمعنى يأتون بها على ما بينها النبي (ع) وينفقون مما رزقهم الله في ابواب البر ، واخراج الواجبات من الزكاة وغيرها . ثم وصفهم بأن هؤلاء الذين وصفهم بهذه الاوصاف هم المؤمنون حقاً يعني الذين اخلصوا الايمان ، لا كمن كان له اسمه على الظاهر وإن لهم الدرجات عند الله وهي المنازل التي يتفاضل بها بعضهم على بعض وإن لهم المغفرة والرزق الكريم فدل على ان من ليس كذلك ليس له ذلك .

ومن خالف في ذلك قال : هذه اوصاف أفضل المؤمنين ، وخيارهم ، وليس يتمتع ان يتفاضل المؤمنون في الطاعات وإن لم يتفاضلوا في الايمان ، يبين ذلك انه قال في اول الآية « إذا ذكر الله وجلت قلوبهم » ووجل القلب ليس بواجب بلا خلاف ، وإنما ذلك من المندوبات .

وقوله « وإذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى ربهم يتوكلون » لانه اذا صدق بأية آية انها من عند الله ، فلاشك ان معارفه تزداد وان لم يزد بفعل الجوارح . وقوله « الذين يقيمون الصلاة » يدخل في ذلك الفرائض والنوافل ، ولا شك ان الاخلال بالنوافل لا يخرج من الايمان ولا ينقص منه عند الاكثر . والاتفاق أيضاً قد يكون بالواجب والفعل . والاخلال بما ليس بواجب منه لا يخرج من الايمان

بلا خلاف . وقوله « اوائك هم المؤمنون حقاً » يبين ذلك انه أشار به : الى خيارهم وأفضلهم لان هذه أوصافهم فمن اين ان غيرهم وان كان دونهم في المنزلة لا يكون مؤمناً؟! وقال ابن عباس : اراد ان المنافق لا يدخل قلبه شيء من ذلك عند ذكر الله . وان هذه الاوصاف منتفية عنه .

اللغة :

والوجل والخوف ، والفزع واحد ، يقال : وجل فلان يوجل وجلاً ويقال ياجل وييجل وييجل وأفصحها يوجل . قال الله تعالى ﴿ لا توجل ﴾ اي لا تخف قال الشاعر :

لعمرك ما ادري واني لا ووجل على أينا تعدو المنية اول (١)

وأما وصفهم بالوجل ههنا وباطمئنان القلوب في قوله : « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله » (٢) لان الوجل يكون بالخوف من عقابه وبارتكاب معاصيه . والاطمئنان بذكر الله معناه : بنعمه وعدله ، ووصفهم بالوجل يكون في دار الدنيا ، وأما في الآخرة فإنه « لا يحزنهم الفزع الأكبر » (٣) .

المعنى :

وقال الربيع : معنى زادتهم ايماناً زادتهم حسنة والدرجات عند الله : قال قوم : معناه أعمال رفيعة وفضائل استحقوها في أيام حياتهم ذهب اليه مجاهد . وقال غيره : معناه لهم مراتب رفيعة . والرزق الكريم ، قال قتادة : هو الجنة . وقال غيره : هو ما أعد الله لهم ووعدهم به في الجنة من أنواع النعيم والمغفرة يعني لذنوبهم ومعاصيهم سترها الله عليهم .

وقوله : « حقاً » منصوب بمعنى دلت عليه الجملة . وهي قوله : « اوائك هم المؤمنون » والمعنى أحق ذلك حقاً . والتوكل هو الثقة بالله في كل امر يحتاج اليه ،

(١) قطر الندى : ٢٣ الشاهد ٦ باب المعرب والمبني . وغيرها كثير .

(٢) سورة الانبيا . آية ١٠٣

(٣) سورة الرعد آية ٣٠

تقول وكلت الامر الى فلان ، اذا جمعت اليه القيام به ، ومنه الوكيل القائم بالامر لغيره . والكريم القادر على النعم من غير مانع ولم يزل الله كريماً بهذا المعنى .

قوله تعالى :

﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ﴾ (٥) يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿ (٦) آيتان بلا خلاف .

القراءة والحجة :

من مد الف (كما) فلأن المد يقع في حروف اللين ، وهي الألف والواو والياء ، فإذا كان الحرف منها قبل همزة وكانت الواو والياء ساكنتين والالف لا تكون الا ساكنة مدوا الالف كالف هذه الكلمة . وكتوبه « من السماء من ماء » (١) بمد الف السماء والـف ماء ، والياء نحو قوله « وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى » (٢) بمد الياء من الهوى ، والواو نحو قوله « قلوا انى فعلت هذا » (٣) بمد الواو .

الاعراب والمعنى :

واختلفوا في الكاف من قوله « كما » اشارة الى ماذا؟ فقال الزجاج وغيره قوله « كما أخرجك » معطوف على قوله « قل الا انى فعلت هذا » والمعنى في ذلك ان رسول الله لما جعل النفل لمن جملة له وسلمه المؤمنون لذلك على كراهية بعضهم له

(٢) سورة النجم آية ٣ - ٤

(١) سورة البقرة آية ١٦٤

(٣) سورة الانبياء آية ٦٢

كراهية طباع ، فقال « الأنفال لله والرسول » فامض لذلك وان كرهه قوم كما مضيت
« كما أخرجك ربك من بيتك بالحق » وهم كارهون أيضاً لانهم كانوا كرهوا خروجه
الكراهية التي ذكرناها ، وايس على المؤمنين في هذه الكراهية حرج ، اذا سلموا
الامر لله ورسوله وعملوا بما فيه طاعاتها .

وقال غيره ذلك معطوف على قوله « يسألونك عن الأنفال » كأنه قال : يسألونك الأنفال
كما جادلوك عند ما أخرجك ربك من بيتك ، فذلك قوله « يجادلونك في الحق بعد ما تبين » .
وقال قوم يجوز ان يكون الكاف على قوله : « او ائمتكم هم المؤمنون حقاً » كما
أخرجك ربك من بيتك بالحق .

وقال بعضهم : « كما أخرجك ربك من بيتك . فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم »
وقال مجاهد « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق . يجادلونك في الحق من بعد
ما تبين » يعني يجادلونك في القتال بعد ما امرت به

وقال الفراء : قوله « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق » جوابه قوله : « وإن
فريقاً من المؤمنين لكارهون » فقال : فامض لامرك في الغنائم على ما شدت « كما أخرجك
ربك » مجاز اليمين كأنه قال والذي أخرجك ربك فتكون (ما) في موضع الذي كقوله :
« وما خلق الذكر والانتى » (١) وتقديره والذي خلق الذكر ، وقال ابو عبيدة معمر
ابن المنبهي : (ما) في قوله « كما أخرجك » كما في قوله « وما بناها » (٢) أى وبنائها .
وقال عكرمة : المعنى اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فان ذلك خير لكم كما
أخرجك ربك من بيتك بالحق وكان خير لكم .

وقال بعضهم : الكاف بمعنى (على) كأنه قال امض على الذي أخرجك
من بيتك .

والحق الذي جادلوا فيه هو القتال في قول مجاهد . و« بيتك » يراد به

(٢) سورة الشمس آية ٥

(١) سورة الليل آية ٣

المدينة ، أخرج الله الى بدر ، في قول ابن جريج ، وابن ابي نجيح واكثر المفسرين .
 ووجه كراهية القتال ما ذكره ابن عباس من ان ابا سفيان لما اقبل بمير قريش
 من الشام فيها امواهم ، ندب النبي (ع) المسلمين الى الخروج اليها ، قال لعل الله ان
 ينفلكموها ، فانتدب اليهم نخف بعضهم ونقل بعضهم ، ولم يظنوا أن رسول الله ملقى
 كيداً ولا حزناً ، وهو قول السدي والمفسرين . واختلفوا في المؤمنين الذين كرهوا
 القتال ، وجادلوا النبي (ع) .

فقال قوم : اراد به اهل الائمة ان يوم بدر ذكر ذلك عن ابن عباس ،

وابن اسحاق .

وقال قوم : عنى المشركين ، ذهب اليه ابن زيد ، وقال هؤلاء المشركون جادلوه
 في الحق كأنما يساقون إلى الموت حين يدعوهم إلى الاسلام ، وهم ينظرون ، قال
 وتكون هذه صفة مبتدأة لاهل الكفر . وقول ابن عباس هو الظاهر ، وعليه اكثر
 المفسرين ، وهو ان هذا صفة للمؤمنين لكن كرهوا ذلك كراهية الطبع ، لكونهم
 غير مستعدين للقتال ، ولقلتهم وكثرة المشركين ، ويقوي ذلك قوله بعد هذه الآية
 « وإذ يمدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غيرذات الشوكة تكون لكم »
 فبين بذلك انهم كانوا يودون المعير دون الحرب .

وقوله « بعد ما تبين » انك يا محمد لا تصنع إلا ما امرك الله به . وقال ابن

عباس معناه يجادلونك في القتال بعد ما امرت به . والجدل شدة القتال . ومنه قولهم
 جدلت الزمام اذا شدت فتله والاجدل الصقر لشده . وقوله « كأنما يساقون إلى
 الموت وهم ينظرون » معناه كان هؤلاء الذين يجادلونك في لقاء العدو في كراهتهم
 للقتال إذا دعوا إليه وصموبته عليهم بمنزلة من يساق إلى الموت وهم يرونه او يتوقمونه .
 والسوق الحث على السير عجلة . والايخرج في الآية معناه الدعاء إلى الخروج
 الذي يقم به ، تقول اخرجته نخرج أى دعاء نخرج ومثله أضربت زيدا عمراً ، فضر به

وسمي البيت بيتاً لانه جاء مهيئاً للمبيتة فيه ،

وقوله « من بيتك » قال الحسن وابن ابي برة وابن جريج معناه من المدينة .

قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ
غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ
وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (٧) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ
الْمُجْرِمُونَ ﴾ (٨) آية بلا خلاف .

تقدير الآية واذكر يا محمد إذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أما العير وأما قريشاً .

قال الحسن كان المسلمون يريدون العير ورسول الله يريد ذات الشوكة لما

وعده الله .

وقوله « إحدى الطائفتين » يعني عير قريش او قريشاً ، وكان الله وعد نبيه

حصول احديها له .

الاعراب :

وقوله « إحدى الطائفتين » في موضع نصب بـ (يعدكم الله) وقوله « إنها
لكم » نصب بدل من قوله « إحدى الطائفتين » ومثله « هل ينظرون إلا الساعة أن
تأتيهم بغتة » (١) فإنها في موضع نصب بدلا من الساعة . ومثله : ﴿ ولو لا رجال
مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤم ﴾ (٢) قال الزجاج تقديره لولا
ان تطؤم .

اللغة :

وقوله « وتودون » معناه وتحبون « ان غير ذات الشوكة » يعني القتال . وإنما قال « ذات الشوكة » فأنت لانه عنى الطائفة . والشوكة الجذ . يقال ما اشد شوكة بني فلان . وفلان شاك في السلاح وشائك وشاك بتشديد الكاف من الشك . ومثله شاك ، قال الشاعر :

فيوهومي اني هو ذاكم شاك سلاحي في الحوادث معلم

المعنى :

وقال الضحاك ، وغيره كرهوا القتال وأعجبهم ان يأخذوا العير .
وقوله « ويريد الله ان يحق الحق » معناه ان الله يريد ان يظهر محمداً (ص) ومن معه على الحق ، « ويبطل الباطل » اي يبطل ما جاء به المشركون .
وقيل هذه الآية نزلت قبل قوله : « كما اخرجك ربك من بيتك بالحق ، وهي في القراءة بمدها ذكره البلخي والحسن .

وفي الآية دلالة على ان الله لا يريد الباطل ولا يريد ابطال الحق بخلاف ما يقول المجبرة من ان كل ما في الارض من باطل وسفه وفسق فان الله يريد ان ذلك خلاف الآية .

وقوله « ويقطع دابر الكافرين » معناه يريد الله ان يمحّث الجاحدين من اصلهم والدابر المأخر وقطعه الايتان على جيمهم ، وهو قول ابن زيد وغيره .
وقال قوم : الحق في هذا الموضع القرآن . والباطل ابليس .
وقيل الحق الاسلام ، والباطل الشرك .

وقال ابن عباس كان عدة أهل بدر مع النبي (ص) ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً .
وروي ان النبي (ص) لما بلغه خروج قريش لحماية العير شاور اصحابه فقال قوم :

خرجنا غير مستعدين للقتال . وقال المقداد امض لما امرك الله به فوالله لو خضت بنا الجمر اتبعناك فجزاه خير أو أعاد الاستشارة . فقال سعد بن معاذ (رحمه الله) يا رسول الله لعلك تريدنا ، قال نعم فقال سعد : إنا آمننا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به حق واعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بيمينك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لنخوضه معك ، فسر رسول الله (ص) بقول سعد ونشطه ذلك . ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله وعدني احدي الطائفتين ، والله لكأني الآن انظر الى مصارع القوم .
(و الحق) وقوع الشيء في موضعه الذي هو له فاذا اعتقد شيء بضرورة او حجة فهو حق ، لأنه وقع موقعه الذي هو له ، وعكسه الباطل .

وروي ان احداً لم يشاهد الملائكة يوم بدر إلا رسول الله (ص) ومعنى قواه « ليحق الحق ، ليظهر تحقيق الحق للمخلوقين ويبطل الباطل لا انها لم يكونا كذلك عنده .

قوله تعالى :

﴿ إِذْ أَنْتَ تَغِيثُونَ رَبِّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِئَةِ مِنْ
الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ (٩) آية بلا خلاف .

القراءة والحجة واللغة والاعراب:

قرأ اهل المدينة وبمقوب « مردفين » بفتح الدال . الباقون بكسرها .
قال ابو علي : من قرأ بكسر الدال احتمل شيئين :
احدها - ان يكونوا مردفين مثلهم ، كما تقول اردفت زيدا دابتي فيكورت
المفعول الثاني محذرفاً في الآية وذلك كثير .

الثاني - ان يكون معنى ' مردفين ' جاؤا بعدهم . قال ابو الحسن : تقول العرب بنو فلان يردفوننا اي هم يجيئون بعد . وهو قول ابي عبيدة . وردفني واردفني واحد . قال الشاعر :

إذا الجوزاء اردفت الثريا ظننت بآل فاطمة الظنوننا (١)

وقال قوم : ردفه صار له ردفاً وادفه جملة له ردفاً . ويكون اردفت الثريا نفسه . ومعنى البيت ان الجوزاء اذا طلعت في شدة الحر لم يبق حينئذ احد من البوادي في مناجمهم ، لان مياه الغدران بسبت فتفرق الحبل بعد اجتماعها فتفرق ظنونها في امر فاطمة انها اي ماء تأخذ لتعلق قلبه بها ، وهي فاطمة بنت حل بن عدي . وقول ابي عبيدة ردفني واردفني واحد وهو اقوى لقوله ' إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بألف من الملائكة مردفين ' اي جاء من بعد لاستغاثتكم ربكم فـ (مردفين) على هذه صفة للالف الذين هم الملائكة .

ومن قرأ بفتح الدال فعناه اردفوا الناس اي انزلوا بعدهم ، فيجوز على هذا ان يكون حالا من الضمير المنصوب في ممدكم مردفين بألف من الملائكة ، والعامل في اذ يحتمل شيئين :

احدهما - ويبطل الباطل (اذ) الثاني - بتقدير اذكروا (إذ)

(١) قائله خزيمه بن مالك بن نهد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قصاعة وهو من قدماء شعراء الجاهلية . وقيل خزيمه - بالحاء المهملة - بن نهد . الاغانى ١٣ : ٧٥ طبعة دار الثقافة . ومعجم ما استعجم : ١٩ ، وسمط الآلى : ١٠٠ واللسان (قرظ) ، (ردف) ولهذا الشعر قصة طويلة ذكرها في الاغانى . وفاطمة التي ذكرها قيل : هي بنت يذكر بن عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، وكان يهاها فخطبها من أبيها فلم يعطها إياها . و (الجوزاء) برج من الابراج الفلكية . وأردفتها أى تبعتها ويكون ذلك في الحر الشديد .

فعلى الوجه الاول يكون متصلاً بما قبله وعلى الثاني يكون مستأنفاً .
والاستغاثة طلب المعونة وهو سد الخلة في وقت شدة الحاجة .
وقيل في معنى «تستغيثون ربكم» تستجيرون به من عدوكم والاستجابة موافقة
المسألة بالمطية وأصله طلب الموافقة بالارادة وليس في الاجابة معنى الطلب من هذه الجهة .

المعنى :

وقيل في معنى « مردفين » ثلاثة اقوال :

قال ابن عباس: مع كل ملك ملك ردف له . وقال الجبائي : هم ألقان لان مع
كل واحد واحد ردفاً له .

والثاني - قال السدي وقتادة : ان معناه متتابعين .

الثالث - قال مجاهد ممدين بالارداف وامداد المسلمين بهم . ويقال هذه دابة
لا ترادف ، ولا يقال تردف ، ويقال اردفت الرجل اذا جئت بعده . وكان يجوز ان
يقروا بتشديد الدال وفتح الراء وضمها ، لان الاصل مرتدفين . وقرىء في الشواذ
بضمها فن فتح الراء نقل فتحة التاء اليها ومن كسرهما فلاجتماع الماكنين ومن
ضمها فللاتباع .

اخبر الله تعالى عن حال اهل بدر انهم لقلة عددهم استغاثوا بالله والتجأوا اليه
فأمدهم الله بألف من الملائكة مردفين ، رحمة لهم ورافة بهم ، وهو قول ابن عباس ،
وقال : الداعي كان رسول الله (ص) وهو قول أبي جعفر (ع) والمدي وابي صالح
وهو المروي عن عمر بن الخطاب .

وقيل انهم قتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين .

وقال الحسن جميع ما أمدوا به من الملائكة خمسة آلاف : ما ذكر هنا ، وما ذكر
في آل عمران . وقال غيره جميعهم ثمانية آلاف . وقال الحسن: أردف بهؤلاء الألف

الثلاثة آلاف الذين ذكروهم في آل عمران . ثم اردفهم بألف آخر فصاروا خمسة آلاف .

قوله تعالى :

﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ

إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١٠) آية بلا خلاف .

الهاء في قوله « جعله الله » يحتمل ان تكون عائدة الى الامداد ، لانه معتمد

الكلام . وقال الفراء : هي راجعة الى الارداف .

ويحتمل ان تكون عائدة على الخبر بالمدد ، لان تقديم ذلك اليهم بشاره في الحقيقة .

اخبر الله تعالى انه لم يجعل هذا الذي اخبر به من امداد الملائكة إلا بشري . وإنما

جعله بأن اراده به فقلبه الى هذا المعنى . وقيل جعله بشري بأن امر الملائكة ان

تبشر به .

اللغة :

والجعل على ضروب : اولها - ان يكون بمعنى القلب ، كقولك جعلت الطين

خزفاً . وبمعنى الحكم كقولك جعله الحاكم فاسقاً . وبمعنى الظن كقولك جعلته كريماً

بحسن ظني به . وبمعنى الأمر كقولك جعله الله مسلماً بمعنى أمره بالاسلام .

وقوله « ولتطمئن به قلوبكم » فالاطمئنان الثقة ببلوغ المحبوب ، وهو خلاف

الانزعاج . والطمأنينة : السكون والدعة .

المعنى :

وقوله : « وما النصر إلا من عند الله » معناه لا يكون النصر وقهر الاعداء

من الكفار إلا بفضل من عند الله ونصر من جهته . وليس ذلك بشدتك وقوة بأسك

وإنما اضافته إلى الله ، لئلا يظن أنه من قبل الملائكة من غير أمره .

فأما الغلبة بكثرة العدد فقد يتفق للكافر والمبطل ، فعلى هذا المؤمن ، وإن قتل فهو منصور غير مخذول . والكافر وإن غلب وقتل فهو مخذول . وهل قاتلت الملائكة يوم بدر قيل فيه قولان :

قال ابو علي الجبائي : ما قاتلت ، وإنما اراد الله بالامداد البشارة بالنصر واطمئنان القلب ليزول عنهم الخوف الذي كان بهم ، قال لان ملكاً واحداً يقدر ان يدمر على جميع المشركين ، كما أهلك جبرائيل قريات لوط . وروي عن ابن مسعود : انها قاتلت . وقيل سأل ابو جهل من أين كان يا تينا الضرب ولا نرى الشخص قالوا له من قبل الملائكة فقال هم غلبونا لا انتم .

وقوله « ان الله عزيز » يعني قادر لا يغالب و « حكيم » في أفعاله ليتقوا بوعده .

قوله تعالى :

﴿ إِذْ يُغَشِّمُ النَّعَاسَ آمَنَةً مِنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾ (١١) آية بلا خلاف .

القراءة والحجة :

قرأ ابن كثير و ابو عمرو « يغشاكم » بفتح الياء وسكون الغين وبألف مخفف . وقراءة اهل المدينة بضم الياء وسكون الغين وكسر الشين مخففاً من غير الف . الباقيون بضم الياء وفتح الغين وتشديد الشين وكسرها من غير الف . وكلهم نصب النعاس الا ابن كثير و ابو عمرو ، فانها رفعاه .

وحجة من فتح الياء قوله ﴿ امنة نعاساً يغشى ﴾ (١) . فكما اسند الفعل الى النعاس

والأمنة ، كذلك ههنا . ومن قرأ بضم الياء وشدداً الشين أو خففها ، فالمعنى واحد . قال الله تعالى ﴿ فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ (١) وقال : ﴿ فغشاها ما غشى ﴾ (٢) وقال ﴿ كَأَنَّمَا اغْشَيْتَ وَجُوهُهُمْ ﴾ (٣) وحجتها انه اشبه بما بعده ، لانه قال ﴿ وينزل عليكم من السماء ماء ﴾ فكما ان ينزل مسند الى اسم الله كذلك ﴿ يغشى ﴾ .

اللغة والاعراب :

ويغشى (الغشيان) لباس الشيء ، ما يتصل به ومنه غشي الرجل امرأته فكان النعاس قد لا يسهم بمخالطته ايام . و (النعاس) ابتداء حال النوم قبل الاستيقاظ فيه ، وهو السنة تقول : نعس ينعس نعاساً فهو ناعس . وحكى الفراء انه سمع نعسات . و (الأمنة) الدعة التي تنافي المخافة ، تقول امن امناً واماناً وامنة . وانتصب (امنة) بأنه المفعول له والعامل فيه (يغشى) .

المعنى :

وقوله ﴿ وينزل عليكم من السماء ماء ﴾ يعني مطراً وغيثاً .
وقوله : ﴿ ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان ﴾ قال ابن عباس : معناه يذهب عنكم وسوسة الشيطان بأنه غلبكم على الماء المشركون حتى تصلوا وانتم مجنبن ، لأن المسالمون باتوا ليلة بدر على غير ماء ، فأصبحوا مجنبن ، فوسوس اليهم الشيطان ، فيقول : « تزعمون انكم على دين الله وانتم على غير الماء تصلون مجنبن ، وعدوكم على الماء فأرسل الله عليهم السماء ، فشربوا واغتسلوا واذبح به وسوسة الشيطان ، وكانوا في رمل نفوس فيه الاقدام فشدده المطر حتى تثبت عليه الرجال ، فهو قوله : ﴿ ويثبت به الاقدام ﴾ .

٢ ، سورة النجم آية ٥٤

١ ، سورة يس آية ٩

٣ ، يونس آية ٢٧ .

والهاء في (به) راجعة إلى الماء .

وقال ابن زيد : يذهب بوسوسته انه ليس لكم بهؤلاء طاقة .

وقال الجبائي : لان الاحتلام بوسوسة الشيطان .

وقوله : « وليربط على قلوبكم » معناه ليشد عليها بما يسكنها .

وقوله « ويثبت به الأقدام » قيل في معناه قولان :

احدهما - قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وأكثر المفسرين : لتليده الرمل

الذي لا يثبت عليه القدم .

والثاني - الصبر الذي أفرغه عليهم عند ذلك حتى ثبتوا ، لعدوهم في قول

ابي عبيدة ، والزجاج .

و (إذ) في موضع نصب على معنى ، وما جعله الله إلا بشرى في ذلك الوقت

وبجوز على تقدير اذكروا « إذ يغشاكم » .

قوله تعالى :

﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ

آمَنُوا سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّءُوبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ

الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ (١٢) آية بلا خلاف .

المعنى :

معنى الآية اذكروا : « إذ يوحى ربك إلى الملائكة إنى معكم » يعنى بالعمونة

والنصرة ، كما يقال فلان مع فلان بمعنى ان معونته معه . وذكر الفراء قال : كان الملك

يأني الرجل من أصحاب النبي ﴿ ع ﴾ فيقول : سمعت المشركين يقولون ، والله لنن

حملوا علينا لنكشفن ، فيحدث المسلمون بعضهم بعضاً فيقوي اقصمهم بذلك .

و (الايحاء) إلقاء المعنى إلى النفس من وجه يخفى . وقد يكون ذلك بنصب دليل يخفى الا على من التى إليه من الملائكة .

وقوله « فثبتوا الذين آمنوا » قيل في معناه قولان : احدهما - احضروا معهم الحرب . والثاني - قال الحسن : قاتلوا معهم يوم بدر . وقال قوم : معنى ذلك الاخبار بأنه لا بأس عليهم من عدوهم . وقوله « سألني في قلوب الذين كفروا الرعب » اخبار من الله تعالى أنه يلقى في قلوب الكفار الرعب ، وهو الخوف .

اللغة :

تقول رعبته أربعه رعباً ، ورعباناً ، فانا رعب ، وذاك مرعوب . و(الرعب) انزعاج النفس بتوقع المكروه . وأصل الرعب التقطيع — م من قولهم رعبت السنام ترعباً : إذا قطعته مستطيلاً . والرعب يقطع حال السرور بضده من انزعاج النفس بتوقع المكروه . وجارية رعبوبة إذا كانت شطونة مشبهة بقطعة من السنام . ورعب السيل فهو رعب : إذا امتلأ منه الوادي ، لانه انقطع اليه من كل جهة . والرعب من الرجال النصير . قال الراجز :

ولا اجيب الرعب ان دعيت (١)

وقوله « فاضربوا فوق الأعناق » قيل في معناه ثلاثة اقوال :

احدها - اضربوا الاعناق ذهب اليه عطية . وقال غيره اضربوا على الاعناق . وقال قوم اضربوا فوق جلدة الاعناق .

وقوله « واضربوا منهم كل بنان » قال ابن جريج ، والضحاك ، والسدي : اراد بنان الاطراف من اليدين والرجلين والواحد بنانة . ويقال للاصبم بنانة . وأصله اللزوم من قولهم ابنت السحابة ابناً إذا لظمت . وابن بالمكان إذا لزمه فسمي البنان

(١) قائله رؤبة اللسان (عب) . ويرى أن رعبت .

بناناً ، لانه يلزم به ما يقبض عليه . قال الشاعر :

ألا ليتني قطعت مني بنانة ولاقيته في البيت يقظان حاذراً (١)

وقال الفراء : اعلمهم مواضع الضرب ، فقال اضر بوا الرؤوس والأيدى والأرجل .
وقال الزجاج أباح الله قتلهم بكل نوع يكون في الحرب . و (إذ) في موضع نصب على
قوله (وايربط إذ يوحى) ، ويجوز على تقدير واذا كروا .

قوله تعالى :

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (١٣) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى انه انما فعل بهؤلاء الكفار وامر بقتلهم وضرب اعناقهم وقطم
بنانهم جزاء بما شاقوا الله ورسوله . قال الزجاج : معناه جانبوا الله ، اي صاروا في
جانب غير جانب المؤمنين ، ومثله حاربوا الله .

اللغة :

و (الشقاق) اصله الانفصال من قولهم انشق انشقاقاً ، وشقه شقاً ، واشتق
القوم اذا مر بينهم وشاقه شقاقاً اذا صار في شق عدوه عليه وتشقق تشققاً وشقق
تشقيقاً ، ومنه اشتقاق الكلام لانه انفصال الكلمة عما يحتمله الأصل . ومعنى « شاقوا
الله » شاقوا أولياء الله ، كما قال « إن الذين يؤذون الله ورسوله » (٢) . وقوله « ومن
يشاقق الله » يجوز في العربية الاظهار والادغام ، فلما ان يأتي على الأصل للحاجة

(١) قائله عباس بن مرداس اللسان وتاج العروس (بنن) وبجاز القرآن ١ : ٢٤٢
وتفسير الطبري (دار المعارف) ١٣ : ٤٣١ .
(٢) سورة الأحزاب آية ٥٧

إلى حركة الأول ، وأما ان بحرك الثاني لالتقاء الساكنين بالكسر . ويجوز القتح
والاول أجد مع الالف واللام لتأكد سببه .

وقوله « فإن الله شديد العقاب » شدة العقاب عظمه بجنس فوق جنس أدنى
منه ، لأن العظم على ضربين أحدهما بالتضعاف في المرتبة الواحدة . والثاني بالترقي
إلى مرتبة بجنس يخالف الجنس الذي في أدنى مرتبة .

قوله تعالى :

﴿ ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴾ (١٤) آية

بلا خلاف .

الاعراب :

العامل في « ذلكم » يحتمل احد وجهين : أحدهما - الابتداء على تقدير الامر
« ذلكم » . قال الزجاج : من قال : انه يرفع (ذلكم) بما عاد عليه من الهاء او
بالابتداء وجعل (فذوقوه) الخبر ، فقد أخطأ ، لان ما بعد الفاء لا يكون خبر المبتدأ
لا يجوز (زيد فنطلق) ولا (زيد فاضربه) إلا ان تضمن هذا ، كقول الشاعر :

وقائلة خولان فانكح فتاتهم
واكرومة الحيين خلو كما هيا (١)

اي هذه خولان . الثاني - ان يكون نصيباً بذوقوا ، كما تقول زيدا ، فاضربه .
والكاف في قوله « ذلكم » لا موضع له من الاعراب ، لانه حرف خطاب . ولو كان
اسماً ، لجاز ان يؤكد بالنفس ، وذلك غير جائز إجماعاً . والاشارة بذلك الى ما تقدم
من انواع العقوبات . وإنما ضم الى الكاف الميم ، لأنه خطاب للمشركين .

اللغة والمعنى والاعراب :

وقوله (فذوقوه) فالذوق طلب ادراك الطعم بتناول اليسير بالفم كما ان الشم طلب ادراك الرائحة بالانف . وليس بالادراك ، لانه يقال ذقته فلم اجد له طعماً . وشمته فلم اجد له رائحة . وانما قال « فذوقوه » والذوق اليسير من الطعام ، لان المعنى كونوا للعذاب كالذائق للطعام ، لان معظمه بعده . وقيل لان الذائق اشد احساساً بالطعم من المستمر عليه ، فكان حالهم ابدأ حال الذائق في شدة احساسه نعوذ بالله منه ،

وقوله « وإن للكافرين » فوضع (ان) يحتمل النصب والرفع ، فالرفع بالمعطف على ذلكم كأنه قال « ذلكم ، فذوقوه » وذلكم « ان للكافرين عذاب النار » مع ذا . والنصب من وجهين : احدهما - وبان للكافرين ، والآخر - واعلموا ان للكافرين ، كما انشده الفراء :

تسمع للأحشاء منه لفظاً ولليدين جساءً وبدداً (١)
اي وترى لليدين وإنما قدم الخبر في قوله : « وأن للكافرين » على الاسم لدلالته على الكفر الذي هو السبب للعذاب . ومرتبة السبب قبل المسبب .

قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تَوَلَّوهُمْ الْأُدْبَارَ ﴾ (١٥) آية بلا خلاف .

هذا خطاب للذين آمنوا من بين المكلفين ناداهم الله ليقبلوا إلى أمر الله بما

(١) معاني القرآن للفراء ١ : ٤٠٥ . (اللفظ) : الاصوات المبهمة والجساءة

- بضم الجيم وسكون السين - الخشونة والصلابة والغلظ . والهدد تباعد ما بين اليدين .

يأمرهم به وانتهائهم عما ينهاهم عنه بالتأمل له والتدبر لموجبه ليعملوا به ويكونوا على يقين منه . وقوله « إذا لقيتم الذين كفروا » فالالتقاء الاجتماع على وجه المقاربة ، لان الاجتماع قد يكون على غير وجه المقاربة ، فلا يكون لقاء كاجتماع الاعراض في المحل الواحد ، و « الذين كفروا » هم الذين جحدوا نعم الله او من كان بمنزلة الجاحد ، فلشرك كافر ، لانه في حكم الجاحد لنعم الله إذ عبد غيره .

وقوله « زحفاً » نصب على المصدر ، فالزحف هو الدنو قليلاً قليلاً والازحاف التواني ، زحف يزحف زحفاً ، وازحفت القوم اذا دنوت لقتالهم وثبت لهم ، والمزحف من الشعر الذي قد تدانت حروفه على ما أبطلت وزنه .

وقوله : « فلا توالوهم الادبار » نهي لهم عن الفرار عند لقاءهم الكفار

وقتلهم ايام .

قوله تعالى :

﴿ وَمَنْ يُؤَلِّمُ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (١٦) آية بلا خلاف .

أخبر الله تعالى أن « من يولهم » يعني الكفار يوم القتال دبره . « فقد باء »

بغضب من الله » .

اللغة والاعراب :

والتولية جعل الشيء يولي غيره وهو متعد الى مفعولين . ولاء دبره اذا جملة يليه

ومنه ولاء البلد من ولاية الامارة ، وتولى هو اذا قبل الولاية وأولاه نعمة ، لانه جعلها

تليه . وقوله « يومئذ » يجوز اعرابه وبنائه ، فأعرابه لانه متمكن أضيف على تقدير

الإضافة الحقيقية ، كقولك هذا يوم ذلك ، وأما البناء فلا نه اضيف الى مبني اضافة غير حقيقية ، فأشبه الأسماء المركبة . وقوله « إلا متحرراً لقتال » فالتحرف الزوال من جهة الاستواء الى جهة الحرف . تقول تحرف تحرفاً ، وانحرف انحرفاً وحرّفه تحريفاً واحترف احترافاً ، لانه يقصد جهة الحرف لطلب الرزق ، مثل أبعاد في طلب الرزق والمحارف المحدود من جهة الرزق الى جهة الحرف . ومنه حروف الهجاء ، لانها اطراف الكلمة كحرف الجبل . ونحوه .

وقوله « او متحيزاً الى فئة » فالتحيز طلب حيز يتمكن فيه ، تحيز تحيزاً وانحاز انحيازاً وحازه يحوزه حوزاً والحيز المكان الذي فيه الجوهر . والفئة القطعة من الناس . وهي جماعة منقطعة عن غيرها . وذكر الفئة في هذا الموضع حسن جداً ، وهو من فأوت رأسه بالسيف اذا قطعته .

المعنى :

وفي تناول الوعيد لكل طار من الزحف خلاف .
فقال الحسن ، وقتادة ، والضحاك : انما كان ذلك يوم بدر خاصة .
وقال ابن عباس : هو عام ، وهو قول أبي جعفر وابي عبد الله (ع) .
ثم اخبر تعالى ان من ولي دبره على غير وجه التحرف للقتال ، او التحيز الى الفئة انه باءبغضب من الله . اي رجم بسخطه تعالى واستحقاق عقابه . وان مستقره « جهنم وبئس المصير » هي لمن صار اليها .

الاعراب :

وقوله : « متحرفاً لقتال » نصب على الحال . وتقديره إلا ان يتحرف ، لان يقاتل ، وكذلك « متحيزاً » نصب على الحال « الى فئة » ، ويجوز النصب فيها على الاستثناء . وتقديره إلا رجلاً متحيزاً أو يكون متفرداً ، فينحاز ليكون مع المقاتلة .

وأصل متحيز متحيز فادغمت الياء في الواو بعد قلبها ياء .

قوله تعالى :

﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ
وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَإِيَّايَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلََاءٌ حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ
عَلِيمٌ ﴾ (١٧) آية بلا خلاف .

القراءة :

قرأ ابن عامر وحزمة والكسائي وخلف « ولكن الله قتلهم . ولكن الله »
بالتخفيف فيها ورفع اسم الله فيها . الباقيون بتشديد النون ونصب « الله » .

المعنى :

نفي الله تعالى ان يكون المؤمنون قتلوا المشركون يوم بدر ، فقال « فلم تقتلوهم
ولكن الله قتلهم » وإنما نفي القتل عن هو فعله على الحقيقة . ونسبه إلى نفسه ،
وليس بفعل له من حيث كانت افعاله تعالى كالسبب لهذا الفعل ، والمؤذي اليه من
إقداره أيام ومعوته لهم وتشجيع قلوبهم فيه ، والقاه الرعب في قلوب اعدائهم
المشركين حتى خذلوا وقتلوا على شركهم عقاباً لهم .

وقوله « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » مثل الأول في انه نفي الرمي عن
النبي ﴿ ص ﴾ وان كان هو الرامي و اضافه إلى نفسه من حيث كان بلفظه ، واقداره .
وهذه الرمية ذكر جماعة من المفسرين ، كابن عباس وغيره : أن النبي ﴿ ص ﴾
أخذ كفاً من الحصباء فرماها في وجوههم ، وقال شامت الوجوه ، فقسمها الله تعالى
على ابصارهم ، وشغلهم بأنفسهم حتى غلبهم المسلمون ، وقتلوهم كل مقتل .

وقال بعضهم اراد بذلك رمي النبي (ص) ابي امية بن الخلف الجمحي يوم
احد فأصابه فقتله .

وقال آخرون : اراد بذلك رمية سهمه يوم خيبر فأصاب ابن ابي الحقيق في
فراشة رأسه ، فقتله . والأول اشهر الأقوال .

فأما تعلق من تعلق بذلك من الغلاة ، بأن قال : لما قال : « ولكن الله رمى »
- وكان النبي هو الرامي - دال ذلك على انه هو الله تعالى . وجعل قلة معرفة بوجوه الكلام
لانه لو كان على ما قاوه لكان الكلام متناقضاً ، لانه خطاب للنبي (ص) بأنه لم يرم
فان كان هو الله تعالى فالى من توجه الخطاب ؟ وان توجه اليه الخطاب دل على
ان الله غيره .

وايضاً فاذا كان هو الله فقد نفى عنه الرمي فاذا اضافه بمد ذلك إلى الله كان
متناقضاً على انه قد دلت الأدلة العقلية على ان الله ليس بجسم ولا حال في جسم ،
فبطل قول من قال إن الله كان حل في محمد (ص) وليس هذا موضع نقضه . وقد ذكرنا
الكلام في ذلك واستوفينا في الاصول .

واما من قال ان الفعل واحد وهو من الله تعالى بالايجاد ومن العبد بالاكتساب
فباطل ، لانه خلاف المفهوم من الكلام ولو كان كذلك لم يحز ان ينفى عنه إلا بتقييد
كما لا ينفى عن الله إلا بتقييد .

وقوله « وليبلي المؤمنين منه بلاء حسناً » معناه لينعم عليهم نعمة حسنة .
والمعنى ولينصرهم الله نصراً جميلاً ويختبرهم بالتي هي احسن ، ومعنى يبلببهم ههنا يسدي
اليهم . وقيل للنعمة بلاء وللعضرة ايضاً مثل ذلك ، لان اصله ما يظهر به الامر من
الشكر او الصبر ومنه بببلي بمعنى يختبر ويمتحن . وسميت النعمة بذلك لاطهار الشكر
والضر ولاظهار الصبر الذي يجب به الأجر .

وقوله « إن الله سميع عليم » معناه انه يسمع دعا من يدعوه ويعلم ما له فيه

من المصلحة فيجيبه اليه .

قوله تعالى :

﴿ ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴾ (١٨) آية بلاخلاف .

القراءة :

قرأ ابن عامر وحزمة والكسائي وابوبكر عن عاصم : « موهن » خفيفة منونة .
وقرأ ابو عمرو وابن كثير ونافع شديدة . وقرأ حفص عن عاصم خفيفة مضافة وخفض
(كيد) . وقرأ الباقر بنصب كيد .

اللغة :

تقول وهن الشيء وأوهنته انا كما تقول فرح وأفرحته وخرج واخرجه .
فنقرأ « موهن » مخففاً فن اوهن اي جملة واهناً ، ومن شدد فن قولهم وهنته كما تقول
خرج واخرجه وعرف وعرفته . ومنه قوله « فما وهنوا لما أصابهم » (١) وقوله :
وهن بين مثل ومق يعق . وولي يلي ، وهو ايضاً ، يشغل بالهمزة . وتثقل العين ايضاً
والأمران جيماً حسنان ، واختار الاخفش القراءة بالتخفيف . والوهن الضعف
ومنه قولهم توهن توهنا اي ضعف ، ومن قال قوله « ذلكم » في موضع رفع وتقديره
قال الزجاج : الامر « ذلكم وان الله » والامر ان الله

المعنى :

قوله « ذلكم » اشارة الى قتل المشركين ورميهم حتى انهزموا . وابتلا المؤمنين بالبلاء
الحسن بالظفر بهم وامكانهم من قتلهم واسرهم فعلنا الذي فعلناه . ومعنى « وان الله موهن

كيد الكافرين « يضمف مكرهم حتى يذلوا ويهلكوا . وفي فتح (ان) من الوجوه ما في قوله « ذلكم فذوقوه ، وان للكافرين عذاب النار » وقد بيناه - والكيد يقم بأشياء منها الاطلاع على عوراتهم ، ومنها ابطال حيلهم ، ومنها القاء الرعب في قلوبهم ، ومنها تفريق كلمتهم ، ومنها نقض ما ابرموا باختلاف عزومهم .

قوله تعالى :

اِنَّ كَسَبْتُمْ اَسْمًا فَادْعُوا بِهَا وَان تَدْعُوهَا فَهِيَ خَيْرٌ
لَّكُمْ وَاِنْ تَمُودُوا تَعُدُّوْا وَاَنْ تُعْنِيْ عَنْكُمْ فِئْتَكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَفُرْتُمْ
وَاَنْ اَللّٰهُ مَعَ الْمُؤْمِنِيْنَ ﴿ ١٩ ﴾ آية بلا خلاف .

القراءة والاعراب :

قرأ نافع وابن عامر وحفص « وان الله » بفتح الالف . الباقون بالكسر . من فتح الهزة فوجهه ولن تعني « عنكم فئتمكم شيئاً ولو كثرت » ولان الله مع المؤمنين اي لذلك لا تعني عنكم فئتمكم شيئاً . ومن كسر قطمه عما قبله واستأثفه وقوي ذلك لما روي ان في قراءة ابن مسعود « والله مع المؤمنين » . والكسر اختيار الفراء ، ومن نصب فعلى أن موضعه نصب بحذف حرف الجر ، ويجوز ان يكون عطفاً على قوله : « وان الله موهن » .

اللغة والمعنى :

الاستفتاح طلب النصر التي بها يفتح بلاد العدو كأنه قال ان تستنصروا على اعدائكم فقد جاءكم النصر بالنبي (ع) .
وقال الزجاج يجوز ان يكون المراد استحكموا لان الاستفتاح الاستقضاء .

ويقال للقاضي الفتح ، فقد جاءكم الحكم من عند الله ، وهو قول الضحاك ، وعكرمة ، ومجاهد ، والزهري ، والاول قول ابن عباس وغيره والمعنيدان متقاربان . وقيل في معنى الآية قولان :

احدهما - قال الحسن ومجاهد والزهري والضحاك والسدي والفراء : انه خطاب للمشركين لانهم استنصروا بان قالوا اللهم اقطعنا للرحم ، واظلمنا للصاحبه فانصرنا عليه روي ان ابا جهل قال ذلك .

الثاني - قال ابو علي : هو خطاب للمؤمنين والمعنى وان تعودوا إلى مثل ما كان منكم يوم بدر في الأشر والبطر بالنعمة بعد الانكار عليكم .

وقال الحسن وان تعودوا لقتال محمد ﴿ص﴾ نعد عليكم بالقتل والاسر يامعشر قريش وجماعة الكفار وان تنهوا عن الكفر بالله العظيم ورسوله وعن قتال نبيه فهو خير لكم واتقوا لكم وأقرب إلى مرضاة الله .

والانتهاء ترك الفعل لاجل النهي عنه . تقول نهيتك عن كذا فانتهى ، وامرته فأتى ، على فعل المطاوع وقد تطاوع بأن يقال كسرتك فانكسرت ، وقد يكون الانتهاء بمعنى بلوغ الغاية .

وقوله تعالى ﴿ولن تغني عنكم قتلكم شيئاً﴾ معناه انه لن يغني عنكم جمعكم في الدفاع عنكم والنصرة وان كانوا كثيرين وإن الله مع المؤمنين بالنصرة لهم والمعونة .

قوله تعالى :

﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون﴾ (٢٠) آية بلا خلاف .

هذا خطاب من الله تعالى للمؤمنين وإنما خصهم بالخطاب ، لان غيرهم بمنزلة من لا يمتد به في العمل بما يجب عليه مع ما في امراده ايام بالخطاب اعظام لهم واجلال

ورفع من اقدارهم . وإن دخل في معناه غيرهم .

والإيمان : هو التصديق بما أوجب الله على المكلف أو نذبه إليه .

وقال الرماني : هو التصديق بما يؤمن من العقاب مع العمل به .

أمر الله تعالى المؤمنين أن يطيعوا الله ورسوله ، والطاعة هي امتثال أمره وموافقة إرادته الجاذبة إلى الفعل بطريق الرغبة أو الرهبة والاجابة موافقة الارادة فيما يعمل من اجلها . وقوله « ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون » معناه ولا تعرضوا عن أمره ونهيه وأنتم تسمعون دعاءكم فمنهم من التولي في هذه الحال . وقال الحسن معناه وأنتم تسمعون الحججة .

قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ (٢١)

آية بلا خلاف .

« ولا تكونوا » في موضع جزم وحذف النون دلالة على الجزم .

نهى الله تعالى المؤمنين الذين خصهم بالذكر في الآية الاولى عن ان يكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون وفي الكلام حذف المنهي عنه ، لانه قد دل عليه من غير جهة الذكر له وفي ذلك غاية البلاغة . والتقدير ولا يكونوا في قولهم المنكر هذا كالذين ، والتشبيه على ثلاثة أوجه : أعلى وادنى وأوسط ، فالأعلى هو الذي حذف معه اداء التشبيه ، كقولهم للانسان هذا الاسد ، والأوسط تثبت معه مجردة كقوله « والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة » (١) والأدنى تأتي معه مقيدة كقولهم الجسم كالعرض في الحدوث .

ومعنى قوله « قالوا سمعنا وهم لا يسمعون » معناه سمعنا سماع عالم قابل وليسوا كذلك ، وهو من صفة المنافقين في قول ابن اسحاق وابي علي .
وقال الحسن يعني به اهل الكتاب . وقيل هو من صفة المشركين فجعلوا بمنزلة من لا يسمع في انهم لم ينتفعوا بالمسموع .

وقال ابو علي هي نفي القبول من قولك سمع الله لمن حده .
وقال الزجاج : يعني الذين قالوا « لو نشاء لقلنا مثل هذا » فسمع الله لا يسمعون لانهم استمعوا اسمع عداوة وبغضاء فلم ينتفحوا ولم يتفكروا فكانوا بمنزلة من لم يسمع .

وقال ابن اسحاق : اراد به الذين يظهرون الايمان ويسرون النفاق .

قوله تعالى :

﴿ إِن شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يُعْقِلُونَ ﴾

(٢٢) آية بلا خلاف .

اللغة والمعنى :

أخبر الله تعالى « ان شر الدواب عند الله » والشر اظهار السوء الذي يبلغ من صاحبه وهو تقبض الخير . وقيل الشر الضر القبيح ، والخير النفع الحسن . وقيل الشر الضر الشديد . والخير النفع الكثير ، واصل الشر الاظهار من قول الشاعر :

كما اشرت بالأكف المصاحف (١)

(٢) نسب الى كعب بن جميل . وقيل هو لابن الحمام المري . وقيل لابن جهمة الأسدي راجع : وقعة صفين : ٣٣٦ ، ٤١١ . واللسان وشره ، وروايته :
فما برحوا حتى رأى الله صبرهم وحتى اشرت بالأكف المصاحف
واشرت - بتشديد الراء المفتوحة - مبنية للفعول . أي أظهرت بكثرة .

اي اظهرت وشر الرجل يشمر شرأ وشررت الثوب إذا بسطته في الشمس وشرر النار ما تطاير منه لظهوره بانتشاره ، وقرقه ومنه الشر وهو ما يظهر من الضرر كشرر النار .

والدواب جمع دابة وهي ما دب على وجه الارض إلا انه نخصص في العرف بالخليل دب يدب ديبياً .

فبين ان هؤلاء الكفار شر ما دب على الارض من الحيوان ثم شبههم بالصم البكم الذين لا يمعلون من حيث لم ينتفعوا بما كانوا يسمعون من وعظ الله ولا يتكلمون بكلمة الحق ، والصمم آفة في الاذن تمنع السمع ، صم يصم صمماً وهو اصم . وصمم على الاور إذا حقق العزم عليه وتصام عن القول إذا تنازل عنه . وعود اصم خلاف المجوف واصله المطابقة من غير خلل . والبكم الخرس : الذي يولد به صاحبه لانه قد يكون لآفه عارضة ، وقد يكون لآفه لازمة .

سبب النزول :

وقال أبو جعفر (ع) : نزلت الآية في بني عبد الدار لم يكن أسلم منهم غير مصعب بن عمير وحليف لهم يقال له سويبط .

وقيل نزلت الآية في النضر بن الحارث بن كلدة من بني عبد الدار بن قصي .

قوله تعالى :

اَوَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ دَلُوْا اَسْمَعَهُمْ اَتَتَلَوْا
وَمُمْرَضُونَ ﴿ ٢٣ ﴾ آية بلا خلاف .

المعنى :

معنى الآية ان الله تعالى أخبر انه لو علم فيهم ، يعني هؤلاء الكافرين

انهم يصلحون بما يورده عليهم من حججه وآياته لأسمعهم ايها ولم يخلف عنهم شيئاً منها وإن كان قد ازاح عليهم في التكليف بما نصب لهم من الأدلة الموصلة الى الحق ، ولكنهم لا يصلحون بل يتولون وهم معرضون .

وقال ابن جريج وابن زيد: لا سمعهم الحجاج والمواعظ سماع تفهم .

وقال ابو علي: لا سمعهم كلام الموتى الذين طلبوا احياءهم من قصي بن كلاب وغيره .

وقال الزجاج: لا سمعهم جواب كل ما يسألون عنه .

المعنى واللغة :

والاعراض خلاف الاقبال وهو الانصراف بالوجه عن جهة الشيء ، والاقبال الانصراف بالوجه الى جهته والاسماع ايجاده السماع بايجاده والتعريض له . فان الله تعالى يسمعهم بان يوجد السماع لهم والانسان يسمعهم بان يعرضهم للسمع الذي يوجد لهم ؛ هذا على مذهب من قال ان الادراك معنى ، ومن قال انه ليس بمعنى ، فمعنى الاسماع هو ان يوجد من كلامه الدال على ما يجب ان يسمعه لكونهم احياء لا آفة بهم في حواسهم .

وقال الزجاج المعنى « ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم » كلما يسألون عنه ولو

اسمعهم كلما يخطر ببالهم لتولوا وهم معرضون .

وقال الحسن : هو اخبار عن علمه ، كما قال « ولوردوا لعادوا لما نواعنه » (١)

وفي الآية دلالة على بطلان قول من يقول يجوز ان يكون في مقدوره لطف

لو فعله بالكافر لآمن .

قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا

يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَهِكُمْ
مُخْتَصِرٌ شَرُونَ ﴿٢٤﴾ آية بلا حلاف .

أمر الله تعالى المؤمنين ان يحببوا الله والرسول إذا دعاهم وان يطلبوا موافقته .
والاستجابة طلب موافقة الداعي فيما دعا إليه على القطع به . وقال ابو عبيدة والزجاج
معنى استجبوا احببوا . وقال كعب بن سعد الغنوي :

وداع دعا يا من يجيب الى النداء فلم يستجبه عند ذلك مجيب (١)
اي لم يجبه . والفرق بين الدعاء الى الفعل وبين الامر به ان الامر فيه ترغيب
في الفعل المأمور به ويقتضي الرتبة وهي ان يكون متوجهاً الى من دونه وليس كذلك
الدعاء لانه يصح من دونك لك .

وقوله « إذا دعاكم لما يحييكم » قيل في معناه ثلاثة أقوال :
احدها - دعاكم الى احياء امركم بجهاد عدوكم مع نصر الله إياكم ، وهو قول
ابن اسحاق والفراء والجبائي . وقال البلخي معناه لما يبيحكم ويصلحكم ويهديكم
ويحيي امركم .

الثاني - معناه لما يورثكم الحياة الدائمة في نعيم الآخرة من اتباع الحق : القرآن
الثالث - معناه لما يحييكم بالعلم الذي تهندون به من اتباع الحق ، والافتداء
بمسا فيه .

وقوله « واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه » قيل في معناه ثلاثة اقوال :
احدها - ان يفرق بين المرء وقلبه بالموت او الجنون وزوال العقل ، فلا يمكنه
استدراك ما فات . والمعنى بادروا بالتوبة من المعاصي قبل هذه الحال .
الثاني - ان معناه بادروا بالتوبة لأنه أقرب إلى المرء من جبل الوريد لا يخفى

(١) مر هذا البيت في ١ : ٨٦ ؛ ٢ : ١٣١ ؛ ٣ : ٨٨ .

عليه خافية من سره وعلايته وفي ذلك غاية التحذير .

والثالث - تبديل قلبه من حال الى حال لانه مقلب القلوب من حال الأمان الى حال الخوف ومن حال الخوف الى حال الأمان على ما يشاء .

وروي عن أبي عبد الله (ع) في معنى قوله : « يحول بين المرء وقلبه » قال لا يستيقن القلب ان الحق باطل ابدأ ولا يستيقن ان الباطل حق ابدأ .
فأما من قال من المجبرة ان المراد ان الله يحول بين المرء والايمان بعد امره اياه به فباطل لانه تعالى لا يجوز عليه ان يأمر احداً بما يمنعه منه ويحول بينه وبينه لان ذلك غاية السفه ، تعالى الله عن ذلك .

وايضاً فلا احد من الامة يقول ان الايمان مستحيل من الكافر فانهم وان قالوا انه لا يقدر على الايمان يقولون يجوز منه الايمان ويتموم منه ذلك ومن ارتكب ذلك فقد خرج من الاجماع .

ويحتمل ان يكون المراد ان امر الله بالموت يحول بين المرء وقلبه ، كما قال :
« هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله » (١) أي أمر الله .

وقال قوم : يجوز ان يكون معناه يحول بينه وبين قلبه بان يسلبه قلبه فيبقى حياً بلا قلب وهذا قريب من معنى زوال العقل ، قالوا : يجوز ان يكون المراد : انه عالم بما ينظرون اليه ، وما يضمرة العبد في نفسه من مصيئته فهو في المعنى كأنه حائل بينه وبينه ، لأن العبد لا يقدر على اضرار شيء في قلبه إلا والله عالم به ، وهذا وجه حسن . وروي في التفسير أن الله يحول بين المؤمن وبين الكفر . والمعنى في ذلك ان الله يحول بينه وبين الكفر بالوعد والوعيد ، والامر والنهي والترغيب في الثواب والعقاب . فأما ما روي عن سعيد بن جبير ، وغيره من ان الله يحول بين الكافر والايمان فقد بينا ان ذلك لا يجوز على الله . والعقل مانع منه . ولو صح ذلك

لكان الوجه فيه أن الله يحول بين الكافر وبين الايمان في المستقبل بان يميته ، لأنه لا يجب تبقيته حتى يؤمن ، بل لوابقاه لكان حسناً ، وان لم يبقه كان ايضاً حسناً . وقوله تعالى « وانته إليه نحشرون » معناه انكم نحشرون يوم القيامة للجزاء على اعمالكم ان خيراً نخير ، وإن شراً فشر فلذلك يجب المبادرة بالطاعة والأقلاع عن المعصية بالتوبة وترك الاصرار على القبائح .

قوله تعالى :

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً
وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٢٥) آية بلا خلاف .

المعنى واللغة :

امر الله تعالى المكلفين من خلقه أن يتقوا فتنة لا تصيب الذين ظلموا منهم خاصة . والفتنة البلية التي يظهر بها باطن امر الانسان فيها . والفتنة الهرج الذي يركب فيه الناس بالظلم .

قال ابن عباس امر الله المؤمنين ان لا يقرروا المنكر بين أظهرهم ، فيعمهم الله بالمذاب . وقال عبد الله : هو من قوله تعالى « انما أموالكم وأولادكم فتنة » (١) وقال الحسن الفتنة البلية . وقال ابن زيد هي الضلالة . وقال الجبائي هي المذاب . « لا تصيبن » فالاصابة الايقاع بالشيء بحسب الارادة ، وضده الخطأ . يقال اصاب الغرض او أخطأه .

وقوله « لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » معناه انها تم لان الهرج إذا وقع دخل ضرره على كل احد . ويجوز ان يقال يخص الظالم ، ولا يمتد بما وقع بغيره

« ١ » سورة الأنفال آية ٢٨ وسورة التغابن آية ١٥ .

للموض الذي يصل إليه . ويحتمل ان يكون اراد ان هذه العقوبة على فتنتكم لا تختص بالظالمين منكم بل كل ظالم منكم كان او من غيركم فستصيبه عقوبة ظلمه وفسقه وفتنته واراد بذلك تحذير الناس كلهم ، وانهم سواء في المعصية ، وما توجبه من العقوبة ليكون الزجر عاماً .

وفي دخول النون الثقيلة في تصيبن قولان :

احدهما - قال الفراء لانه نهى بعد امر وفيه معنى الجزاء ، كقوله : « يا ايها الملأ ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده » (١) ومثله لا أرينكم ههنا . والثاني - ان يكون خرج مخرج جواب القسم .

وقال الزجاج : يحتمل ان يكون نهياً بعد أمر وتقديره اتقوا فتنة . ثم نهى ، فقال : « لا تصيبن الذين ظلموا » أي لا يتعرض الذين ظلموا لما ينزل معه العذاب . ومثله قال في قوله « لا يحطمنكم » فيكون لفظ النهي لسليمان ، ومعناه الملأ ، كما يقول القائل لا أرينك ههنا ، فلفظ النهي لنفسك ، والمراد لا تكون ههنا ، فاني اراك . و (الخاصة) للشئ ما كان له دون غيره ونقيضه العامة .

وقوله : « واعلموا ان الله شديد العقاب » معناه لمن لم يتق معاصيه ولم يتبع أوامره .

النزول :

وقال الحسن والسدي ومجاهد وابن عباس : نزلت هذه الآية في اهل الجمل . وقال قتادة قال الزبير لقد نزلت وما نرى ان احداً منا يقم فيها ثم اختلفنا حتى اصابتنا خاصة . وروي ذلك عن الزبير من جهات .

قوله تعالى:

﴿وَإِذْ كُورُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ
أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِبَنَصِرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ
الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٢٦) آية بلا خلاف .

اللغة والمعنى :

الذكر ضد السهو ، وهو احضار المعنى للنفس . وإنما امروا بالتمرض له ، لان
احضار المعنى بقلوبهم ليس من فعلهم .

وقوله « إذ انتم قليل » فالقلة النقصان عن المقدار في العدد وكان أصحاب
النبي (ع) قليلين في الأصل فلطف الله لهم حتى كثروا وعزوا ، وقل اعداؤهم وذلوا
وكانوا مستضعفين ، فتقوا .

والاستضعاف طلب ضعف الشيء . بهوين حاله . والضعف خلاف القوة .
والاستضعاف استجلاب ضعفه بتحقيق حاله ، فآمن الله عليهم بذلك وبين انهم كانوا
قليلين فكثروا وكانوا مستضعفين ، فتقوا بملطفه .

وقوله « تخافون ان يتخطفكم الناس » فالتخطيف الاخذ بسرعة انزعاج ، تخطف
تخطفاً وخطف خطفاً واختطف اختطفاً ، فبين انهم كانوا خائفين من ان ينال منهم العدو .

المعنى :

وقوله « فأواكم » أى جعل لكم مأوى حريزاً ترجعون إليه وتسكنون فيه .
وقال السدي « آواكم » إلى المدينة . وقوله : « وأيدكم بنصره » يعنى بالأنصار في
قول السدي . وقيل في المعنى بقوله « الناس » قولان :

أحدهما - مشركوا قريش في قول عكرمة وقتادة .

وقال وهب بن منبه يعني فارس والروم .

وقوله : « ورزقكم من الطيبات » أي اطعمكم غنيمتكم حلالاً طيباً « لعلمكم تشكرون » أي لكي تشكروه على هذه النعم المترادفة والآلاء المتضاعفة .

قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢٧) آية بلا خلاف .

المعنى واللغة :

هذا خطاب من الله تعالى للمؤمنين بنهائم ان يخونوا الله والرسول . والخيانة منع الحق الذي قد ضمن التأديبة فيه . وهي ضد الأمانة . وأصل الخيانة ان تنقص من ائتمنتك أمانته ، قال زهير :

بارزة الفقاوة لم تخذها قطاف في الركاب ولا خلاء (١)

أي لم تنقص من فرائدها . والمعنى لا تخونوا مال الله الذي جعله لعباده ، فلا يخن بعضكم بعضاً فيما ائتمنه عليه في قول ابن عباس . وقال الحسن ، والسدي : لا تخونوه كما صنع المنافقون . وقال الجبائي : نهائم ان يخونوا الغنائم . وقال ابن زيد الأمانة ههنا الدين ، نزلت في بعض المنافقين . والأمانة مأخوذة من الأمن بمنع الحق وهي حال يؤمن معها منع الحق الذي نجب فيه التأديبة .

وقوله « وأنتم تعلمون » قيل في معناه قولان :

أحدهما - وأنتم تعلمون انها أمانة من غير شبهة .

(١) مقاييس اللغة ١ : ٧٩

والثاني - وانتم تعلمون ما في الخيانة من الذم والمعاقب بخلاف الجهال
بتلك المنزلة .

الاعراب :

وقوله : « ونخونوا » موضعه الجزم بتقدير ، ولا نخونوا في قول ابن عباس .
وقال السدي هو نصب على الظرف اي انكم إذا ختمت الرسول فقد ختمت أماناتكم .
قال الفراء : ومثله قول الشاعر :

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم (١)
وحكى الفراء في بعض القراءات : « ولا نخونوا أمانتكم »

النزول :

وقال جابر بن عبد الله نزلت الآية في بعض المنافقين حين انذر ابا سفيان
بمخروج النبي لا أخذ العير . وقال الزهري نزلت في ابي لبابة في قصة بني قريظة ،
وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله (عليهما السلام) .

قوله تعالى :

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا آمُ وَالْكُمُ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ
أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢٨) آية بلا خلاف .

أمر الله تعالى المكلفين ان يعلموا ويتحققوا ان اموالهم واولادهم فتنة . وإنما
يمكنهم معرفة ذلك بالنظر والفكر في الأدلة المؤدية إليه ، وهو ما يدعوا إليه الهوى
في الاموال والاولاد ، وما يصرف عنه فمن تفقد ذلك وتحرز منه نجاه من مضرته .
(١) قطار الندى : ٧٧ الشاهد : ٢٣ وغيره كثير وقد مر في اماكن كثيرة من
هذا الكتاب .

والمراد بالفتنة ههنا المحنة التي يظهر بها ما في النفس من اتباع الهوى او تجنبه فيخلص حاله للجزاء بالثواب او العقاب بحسب الاستحقاق .

والولد حيوان يتكون من حيوان بمخلق الله له ، فعلى هذا لم يكن آدم ولداً وكان عيسى ولد مريم . والمال هو النصاب الذي تتعلق به الزكاة من ذهب او فضة او ابل او بقر او غنم عند بعض المفسرين وأصله الكسر من العين والورق .
و(المعظم) استحقاق الصفة بالغنى . فالكثير عظيم للاستغناء به عن القليل من جنسه ، والقليل لا يستغنى [به] عنه .

بين الله تعالى ان الاموال والاولاد في هذه الدنيا محنة وبلاء وان الله تعالى عنده الثواب العظيم على الطاعات وترك المعاصي .

وروي عن ابن مسعود انه قال : ليس احد منكم إلا وهو مشتمل على فتنة لقوله « إنما أموالكم واولادكم فتنة » فاسألوا الله تعالى ان يعيدكم منها .

قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا
وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾
(٢٩) آية بلا خلاف .

هذا خطاب للمؤمنين خاطبهم الله بأنهم ان يتقوا معاصية ويمثلوا طاعاته ويتقوا عقابه باجتنب معاصيه يجعل لهم اجراً على ذلك « فرقاناً » . وقيل في معنى الفرقان اقوال : —

احدها - قال ابن زيد وابن اسحاق يجعل هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل .

وقال مجاهد : معناه يجعل لكم مخرجاً في الدنيا والآخرة .
 وقال السدي : معناه يجعل لكم نجاة . وقال الفراء : يجعل لكم فتحاً ونصراً
 وعزاً كقوله : ﴿ يوم الفرقان يوم التقى الجمعان ﴾ (١) وقال الجبائي : يجعل لكم
 نصراً وعزاً وثواباً لكم ، وعلى أعدائكم خذلاً وذللاً وعقاباً كل ذلك يفرق بينكم
 وبينهم في الدنيا والآخرة .

وأما جاز الشرط في اخبار الله مع اقتضائه شك المخبر منا من حيث ان الله تعالى
 يعامل عباده في الجزاء معاملة الشاك للمظاهرة في العدل ولذلك جازت صفة الابتلاء
 والاختبار لما في ذلك من البيان ان الجزاء على ما يظهر من الفعل دون ما في المعلوم مما
 لم يقع منه .

ثم بين انه يضيف الى ذلك تكفير سيئاتهم وغفران ذنوبهم وهتاهما عليهم
 تفضلاً منه تعالى .

وقوله « والله ذو الفضل العظيم » قيل في معناه قولان :
 احدهما - قال الجبائي : معناه ان من ابتدأكم بالفضل العظيم لأنه كريم لنفسه
 لا يذمكم ما استحققتموه بطاعاتكم له .
 الثاني - انه الذي يملك الفضل العظيم فينبغي ان يطلب من جهته .

قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ
 يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَاكِرِينَ ﴾ (٣٠)
 آية بلا خلاف .

خاطب الله تعالى نبيه ﴿ع﴾ فقال : وادكر « إذ يمكر بك الذين كفروا »
والمكر القتل الى جهة الشرّ في خفى واصله الالتفاف من قول ذي الرّمة .

عجزة . مذكورة خصانة قاتق عنها الوشاح وتم الجسم والقصب (١)
اي ملتفة . والمكر والنخل والغدر نظائر . والفرق بين المكر والغدر ان الغدر نقض
العهد الذي يلزم الوفاء به ، والمكر قد يكون ابتداء من غير عقد .
ووصف الله تعالى بأنه ماكر يحتمل وجهين :

احدهما - انه سمي الجزاء على المكر مكرراً للازدواج ، كقوله « الله يستهزى »
بهم (٢) اي يجازيهم على الاستهزاء فيكون التقدير والله خير المجازين على المكر
ذكره الزجاج .

والثاني - ان يكون على غير تضمن الحيلة لكن على اصل اللغة . قال ابو علي .
ومكره بهم حق وصواب ﴿ وهو خير الماكرين ﴾ مكرراً .

المعنى :

وقوله « ليثبتوك » قيل في معناه قولان :

احدهما - ليثبتوك في الوثاق ، في قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة .
والثاني - قال عطا وعبد الله بن كثير ، والسدي « ليثبتوك » في حبس . وقال
ابو علي الجبائي : معناه ليخرجوك ، يقال : اثبتته في الحرب إذا جرحه جراحة تقبيلة .
وقوله « او يخرجوك » قال الفراء : او يخرجوك على بعير تطرد به حتى تهلك
او يكفيكموه بعض العرب . وهو قول ابي البخري وهشام .

(١) مقاييس اللغة ٤ : ٢٣٣

(٢) سورة البقرة آية ١٥

القصة والنزول :

وكان سبب ذلك انهم تأمروا في دار الندوة ، فقال عمرو بن هشام قيده تتربصون به ريب المنون . وقال البخترى اخرجوه عنكم تستريحوا من اذاهم لكم . وقال ابو جهل ما هذا رأي ولكن اقتلوه بأن يجتمع عليه من كل بطن رجل فيضربونه باسيافهم ضربة رجل واحد فترضى حينئذ بنو هاشم بالدية ، فصوب ابليس هذا الرأي وخطأ الأواين ، وزيفها فأوحى الله تعالى إلى نبيه (ع) بذلك فأمره بالخروج فخرج إلى الغار في قول ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، وهو قوله «ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين» ولا خلاف بين المفسرين انه بات على تلك الليلة ، وهي الليلة التي امر النبي (ع) بالخروج على فراشه إلى ان أصبح ، وكانوا يحرسونه إلى الصباح ، ولما طلع الفجر تاروا اليه فاذا علي ، قالوا له أين صاحبك قال : لا ادري ، فتركوه وخرجوا في أثره .

قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (٣١) آية بلا خلاف .

المعنى :

اخبر الله تعالى عن عناد هؤلاء الكفار ومباهتتهم للحق بأنهم بلغوا في ذلك إلى رفع الحق بما ليس فيه شبهة ، وهو انه « اذا تلى عليهم آياته » يعني القرآن . قالوا « لو نشاء لقلنا مثل هذا » وقد أبان التحدي كذبهم في ذلك وتخرصهم فيه

بما ظهر من عجزهم عن سورة مثله ، وإنما قالوا « لو نشاء لقلنا مثل هذا » ولم يجز ان يقولوا لو نشاء لقلنا الجناد حيواناً ، لأنه يتموه هذا على كثير من الناس ، ولا يتموه ذلك . على ان قوم فرعون ظنوا ان السحرة يمكنهم قلب الجناد حيواناً .

اللغة :

وقوله « قد سمعنا » معناه ادركناه بآ ذاتنا . والسمع إدراك الصوت بحاسة الاذن . ولو لم نذكر الصوت لا نتقض بالحرارة والبرودة والآلام واللذة اذا ادرك بها ، ولا يسمى سماعاً . وعلى هذا إذا قيل ما الرؤية بالبصر ينبغي ان يقال هي ادراك المرئيات بها ، لأنه قد يدرك الحرارة والبرودة بها . فإذا قلنا المرئيات لم ينتقض بذلك .

ثم أخبر الله تعالى عن قولهم بأن قالوا ليس هذا الذي سمعناه « إلا اساطير الأولين » والاساطير جمع واحده اسطورة في قول الزجاج . وقال غيره هو جمع اسطر ، واسطر جمع سطر ، وزيدت الياء للمد ، كما قالوا دراهم . وازادوا ما هذا إلا ما سطر من الاحاديث بكتبه سطرأ بعد سطر .

قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٣٢) آية بلا خلاف .

النزول والمعنى :

تقديره واذكر يا محمد إذ قال هؤلاء الكفار « إن كان هذا » القرآن « هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء او ائتتنا بعذاب أليم » شديد مؤلم . قال سعيد ابن جبير ، ومجاهد : كان الطالب لذلك النضر بن الحارث بن كلاة ، لأنه كان سمع سبع

اهل الحيرة وكلام الرهبان ، فقتله النبي ﴿ ع ﴾ يوم بدر صبراً ، فقال : يا رسول الله من للصبية ؟ قال النصار . وقيل عقبة بن ابي معيط ، والمطمم بن عدي ، قتل هؤلاء الثلاثة صبراً من جملة من اصر ، وفي النضر نزل قوله « سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ﴾ (١) يعني ما سأله ههنا . وهذا القول من قائله يجوز ان يكون عناداً ، فان المائدة قد تحمله شدة عدوانه للحق على اظهار مثل هذا القول . ليوم انه على بصيرة في امره . ويجوز ان يكون ذلك لشبهة تمكنت في نفوسهم .

وقال الجبائي ذلك دليل على اعتقادهم خلاف الحق الذي أتى به النبي ﴿ ع ﴾ وهو حجة اهل المعارف لانهم لو عرفوا بطلان ما هم عليه ، لما قالوا مثل هذا القول . فان قالوا كيف طلبوا بالحق من الله العذاب وانما يطلب به الخير والثواب ؟ قلنا : لانهم قالوا ذلك على انه ليس بحق من الله عندهم . وإذا لم يكن حقاً من الله لم يصيبهم البلاء الذي طلبوه .

فان قيل لم قال « امطر علينا حجارة من السماء » والامطار لا يكون إلا من السماء ؟ قلنا عنه جوابان :

احدهما - ان امطار الحجارة يمكن ان يكون من عل دون السماء .
والثاني - ان يكون على جهة البيان بـ (من) .

اللغة :

والحجارة واحد الاحجار ، وهو ما صلب من الاجسام ، يقال استحجر الطين إذا صلب ، فصار كالحجر . واكثر ما يقال حجر للمدر ، ومع ذلك فالياقوت حجر ، ولذلك يقال الياقوت أفضل الحجارة . ولا يقال الياقوت أفضل الزجاج ، لانه ليس من الزجاج . وكل شيء من العذاب يقال أمطرت ومن الرحمة يقال مطرت .

الاعراب :

وقوله « هو » يجعل عماداً في ظننت واخوانها . ويسميه البصريون صلة زائدة وتوكيداً كزيادة (ما) ولا يزداد إلا في كل فعل لا يستغنى عن خبره وفي لغة تميم يرفع ذلك كله ، فيقولون « إن كان هذا هو الحق » وكذلك قوله « ولكن كانوا هم الظالمين » (١) « ونجدوه عند الله هو خير وأعظم أجراً » (٢) كل ذلك يرفعونه . وعلى الأول ينصب ما بعدها . وقوله « وبرى الذين اتوا العلم » إلى قوله « هو الحق » (٣) .

قوله تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (٣٣) آية بلا خلاف .

المعنى واللغة :

أخبر الله تعالى نبيه ﴿ ع ﴾ على وجه الامتنان عليه واعلامه منزلته عنده انه لا يعذب احد من هؤلاء الكفار بهذا العذاب الذي اقترحوه على وجه الفساد للحق « وأنت » يا محمد « فيهم » موجود .

والتعذيت تجديد الآلام حالاً بعد حال ، لأن اصله الاستمرار ، فالعذب من استمرار الشيء لما فيه من الملاذ . والعذاب من استمراره لما فيه من الآلام ، واللام في قوله « ليعذبهم » لام الجهد . وأصلها لام الاضافة . وإنما دخلت في النفي ولم تدخل في الايجاب لتعلق الخبر بحرف النفي ، كما دخلت الباء في خبر (ما) ولم تدخل في الايجاب .

(٢) سورة المزمل آية ٢٠

(١) سورة الزخرف آية ٧٦

(٣) سورة سبأ آية ٦

المعنى :

وإنما لم يعاقب الله تعالى الخلق مع كون النبي ﴿ع﴾ فيهم على سلامته مما ينزل بهم ، لأنه تعالى أرسله رحمة للعالمين . وذلك يقتضي ألا يعذبهم ، وهو فيهم . وقوله « وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » قيل في معناه أقوال :

أحدها - إن النبي ﴿ع﴾ لما خرج من مكة بقي فيها بقية من المؤمنين يستغفرون ، وهو قول ابن عباس ، وعطية وابي مالك ، والضحاك ، واختاره الجبائي . وقال آخرون : اراد بذلك لا يعذبهم بعذاب الاستئصال في الدنيا ، وهم يقولون يارب غفرانك . ويعذبهم على شركهم في الآخرة ، وذلك عن ابن عباس في رواية أخرى ، وقول ابي موسى ، وبزيد بن رومان ، ومحمد بن مبشر .

الثالث - انهم لو استغفروا لم يعذبوا وفي ذلك استدعاء إلى الاستغفار ، روي ذلك عن ابن عباس في رواية أخرى ، وبه قال مجاهد وقتادة والسدي وابرزيد . وقال الزجاج : معناه لا يعذب الله من يؤل إلى الاسلام .

وقال الحسن وعكرمة : هذه الآية منسوخة بالتي بعدها . قال الرماني : هذا غلط ، لأن الخبر لا ينسخ .

قوله تعالى :

﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يَعْذِبُهُمْ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
 وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَائِهِ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ
 لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣٤) آية بلا خلاف .

(ما) في قوله : « وما لهم ان لا يعذبهم الله » خرجت مخرج الاستفهام ومعناه إيجاب العذاب وجاز ذلك لانه أبلغ في معنى الإيجاب من حيث انه لا جواب

- لمن سأل عن مثل هذا - يصح في نفي العذاب ، والمعنى لم لا يعذبهم ، وهذا فعلهم .
وموضع (أن) نصب بمعنى اي شيء لهم في ان لا يعذبهم . لكن لما حذف
الجار عمل معنى الفعل من الاستمرار ، وجاز الحذف مع (ان) ولم يجز مع المصدر ،
لطول (ان) بالصلة اللازمة من الفعل والفاعل ، وليس كذلك المصدر . وحكي عن
الأخفش ان (ان) زائدة مع عملها .

وقوله « وهم يصدون عن المسجد » والصد المنع . والصد الاعراض عن الشيء من
غير حيلولة بينه وبين غيره . والمراد ههنا المنع .

وقوله : « وما كانوا اولياءه » جمع ولي وهو الذي يستحق القيام بأمر الشيء
ويكون أحق به من غيره ، فعلى هذا الله تعالى ولي المتقين دون المشركين . وقال
أبو جعفر (ع) والحسن قال المشركون : نحن اولياء المسجد ، فرد الله ذلك عليهم ،
فقال « وما كانوا اولياءه » . ثم اخبر الله تعالى « ان اولياؤه » بمعنى ليس « إلا
المتقون » الذين يتركون معاصي الله ويحبتونها .

وقال قوم : المعنى ان اولياؤه الله الا المتقون والاول احسن : لانه مما
يقنضيه الانكار .

وقيل في معنى (لا) قولان : احدهما - ان معناها الجحد اي ما لهم في
الامتناع من العذاب . وقيل هي صلة ، لان المعنى ايجاب العذاب ، كما قال الشاعر :
لو لم تكن غطفان لا دنوت لها إذن للام ذووا احسابها عمرا (١)
والاول احسن ، لان المعنى لم لا يعذبهم الله . فان قيل كيف تجمعون بين
الآيتين على قول من لا يذسخ الاولى ، فان في الاول نفي ان يعذبهم الله وهم يسبغفرون
وفي الثانية اثبت ذلك ؟ قلنا عنه ثلاثة اجوبة :

(١) قائله الفرزدق . ديوانه . ٢٨٣ والخزاة ٢ : ٨٧ والطبرى ٥ :

أحدها - ان يكون اراد وما لهم ان لا يعذبهم الله في الآخرة .
 والثاني - ان يكون بمعنى بالاولى عذاب الاستئصال كما فعل بالامم الماضية
 وبالثانية اراد عذاب السيف والاسر وغير ذلك ويكون قوله « وما كان الله معذبهم
 وهم يستغفرون » اي أنه لا يعذبهم بعذاب الدنيا ، والآخرة إذا تابوا واستغفروا .
 وقوله : « ولكن اكثرهم لا يعلمون » دليل على بطلان قول من قال
 المعارف ضرورة .

قوله تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً
 فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ (٣٥) آية بلا حلاف .

القراءة والحجة والاعراب :

روى الحسين المعجني عن ابي بكر « صلاتهم » نصباً « إلا مكاءً وتصديّة »
 رفع فيها . والصواب ما عليه القراء . لان « صلاتهم » معرفة و « مكاءً وتصديّة »
 نكرة ولا يجوز ان يجعل اسم كان نكرة وخبره معرفة . ومن قرأ كذلك فلان الصلاة
 لما كانت مؤنثة ولم يكن في كان علامة التأنيث اضاف الفعل إلى المذكر وهو « مكاء » .
 وهذا ليس بصحيح ، لأن « صلاتهم » لما كان مضافاً إلى المذكر جاز ان يذكر كما ان
 المذكر إذا اضيف إلى المؤنث جاز ان يؤنث ، نحو قولهم : ذهبت بعض اصابعه .

المعنى :

ومعنى الآية الاخبار من الله تعالى أنه لم تكن صلاة هؤلاء الكفار الصادقين
 عن المسجد الحرام « إلا مكاءً » اي لا يظن ظان ان مع كونهم مصلين ومستغربين

لا يعذبهم الله ، كما قال في الآية الاولى ، فبين ان صلاتهم كانت مكاه وتصدية .

اللغة :

والمكاه صفير كصفير المكاه ؛ وهو طائر يكون بالحجاز وله صفير قال الشاعر :

ومكاهها فكاهما يمكوا بأعصم عاقل (١)

وأصل المكاه جمع الريح للصفير . ويقال مكاه يمكوا مكاه إذا صفر بفيه . ومنه يمكوا است الدابة إذا انتفخت بالريح . والاسم : الكوة ، والمكوا ان يجمع الرجل يديه ثم يدخلها في فيه ثم يصيح . ومنه قول عنترة :

وحليل غانية تركت مجدلا
تمكوا فريضته كشدق الاعلم (٢)

أي يصفر بالريح لما طعنه . والتصدية التصفيق يقال صدى يصدى تصدية إذا صفق يديه . ومنه الصدى صوت الجبل ، ونحوه . ومنه تصدى للملك إذا تعرض له ليكلمه .

وقال ابن عباس ، وابن عمر ، والحسن ، وعطية ، ومجاهد ، وقتادة ، والسدي :

المكاه الصفير . والتصدية التصفيق ، قال الراجز :

ضفت بخد وجلت عن خد
فأنا من غرو الهوى أصدى
أي اصفق بيدي تعجباً . والغرو : العجب .

المعنى :

وقال ابو علي الجبائي : كان بعضهم يتصدى لبعض ليراه بذلك الفعل ، وكان

(١) مجاز القرآن ١ : ٢٤٦

(٢) ديوانه : ٢٤ من معلقته الشهيرة . واللسان (مكا) وتفسير القرطبي ٧ : ٤٠٠

والطبري ١٣ : ٥٢١ و: يرها .

يصفر له . وقال سعيد بن جبير وابن زيد : التصدية صدم عن البيت الحرام . وقيل انهم كانوا يخلطون ويشوشون بذلك على النبي ﴿ ع ﴾ .

وإنما سمي مكائهم بأنه صلاة لأمرين :

احدهما - انهم كانوا يقيمون فعلهم الصغير والتصديق مقام الصلاة والدعاء والتسبيح .

والآخر - انهم كانوا يعملون كعمل الصلاة بما فيه هذا .

وقوله « فذوقوا العذاب » قال الحسن ، والضحاك ، وابن جريج ، وابن اسحاق : ان معناه عذاب السيف . وقال ابو علي الجبائي : يقال لهم في الآخرة : « ذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون » في دار الدنيا وهو قول البلخي . والمعنى باشروه وليس المراد به من ذوق النعم .

قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيُصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا - أَلَيْسَ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ أَنَّهُمْ كَفَرُوا وَكَانُوا يُعْلَبُونَ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْمَلُونَ ﴾ (٣٦) آية في الكوفي والمدنيين وآيتان في البصري خاصة .

المعنى :

أخبر الله تعالى عن هؤلاء الكفار بانهم ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله وغرضهم المنع عن سبيل الله . وسبيل الله ههنا : هو دين الله الذي أتى به محمد ﴿ ص ﴾ وسمي سبيل الله ههنا ، لان يسلكه واتباعه يبلغ ما عند الله ، وإن لم يعلموا انها سبيل الله

لأنهم قصدوا إلى الصد عنها ، وهي سبيل الله على الحقيقة . ويجوز أن يقال قصد الصد عن سبيل الله ، وإن لم يعلم . ولا يجوز قصد أن يصد من غير أن يعلم ، لأن (أن) تفسر الوجه الذي منه قصد ، فلا يكون إلا مع العلم بالوجه كقولك قصد أن يكذب ، وقصد الكذب من غير أن يعلم أنه كذب .

وإنما قال « ينفقون » ثم قال « فسيدنفقونها » ، لأن الأول معناه أن من شأنهم أن ينفقوا للصد . والثاني - معناه أنه سيقم الاتفاق الذي يكون حسرة بما يروونه من الغلبة .

اللغة :

والحسرة والغم بما انكشف من فوت استدراك الخطيئة . والاصل الكشف من قولهم حسر عن ذراعه يحسر حسراً والحاسر خلاف الدارع . وحسر حسرة وهو حسير قال المراد :

ما انا اليوم على شيء خلا يا بنه القين تولى يحسر (١)

المعنى :

وكان الاتفاق المذكور في الآية القائم به أبو سفيان : صخر بن حرب استأجر يوم أحد القين من الاحابيش من كنانة في قول سعيد ، وابن أبري ، ومجاهد ، والحكم ابن عيينة . وفي ذلك قال كعب بن مالك :

وجئنا إلى موج من البحر وسطه احابيش منهم حاسر ومقنم
ثلاثة آلاف ونحن نصية ثلاث مئين ان كثرن فأربع (١)

(١) اللسان (حسر) . الحسر : الندامة . والقين العبد المملوك .

(٢) سيرة ابن هشام ٣ : ١٤١ ، وطبقات فحول الشعراء : ١٨٣ . والطبري

١٣ : ٥٣٠ ومقاييس اللغة ٢ : ١٢٩ وغيرها مع اختلاف بسائط الرواية .

وقال الضحاك إنما غني بالآية الاتفاق يوم بدر .
وفي الآية دلالة على نبوة النبي (ع) ، لأنه أخبر بالشيء قبل كونه فكان
على ما أخبر به .

قوله تعالى :

﴿ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ
عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكَبَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَالِدُونَ ﴾
(٣٧) آية بلا خلاف .

قرأ حمزة والكسائي « ليميز » مضمونه الياء مشددة ، والباقون بفتح الياء خفيفاً .
أخبر الله تعالى انه يحشر الكفار إلى جهنم « ليميز الخبيث » الذي هو الكافر
« من الطيب » الذي هو المؤمن . (والتميز) هو اخراج الشيء عما خالفه مما ليس
منه ، وإلحاقه بما هو منه . تقول ماز به يميزه ، وميزه تمييزاً . وإمتاز امتيازاً . وانما
انميازاً . والخبيث الرديء من كل شيء . وضده الطيب . ومنه خبت الحديد ،
وخبت الفضة ، وخبت الانسان خبثاً ، وتخبت نخبتاً ، وتخابت نخابتاً وخبته نخبتاً .
(الطيب) المستاذ من الطعام والطيب الحلال من الرزق ، والطيب من الولد الذي
يفرح به والطيب نقيض الخبيث ، وهو الجيد من كل شيء .

وقيل المعنى ليميز الله ما أتقته المؤمنون في طاعة الله مما أتقته المشركون في
معاصيه . وقوله « ويجعل الخبيث بعضه على بعض » معناه ان الكافر يكون على أسوء
خال كالمناج والركام ، هواناً ، وتحقيراً ، وإذلالاً .

وقوله « فيركبه جميعاً » معناه تراكب بعضه فوق بعض ، كالمركب الركام وهو
المتراكب ، ركه يركبه ركبا وتراكم تراكماً وتراكبا وتراكم ارتكماً . ومنه قوله تعالى في صفة

الصحاب « فيجمله ركماً » (١) .

وقال الحسن بر كمهم الله مع ما اتفقوا في جهنم ، كما قال : « يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم » (٢) ثم أخبر انه اذا ركه جميعاً يجمله في جهنم . وأخبر عنهم بأنهم الخاسرون تقوصهم باهلاكهم اياها بار تكاب المعاصي والكفر المؤدي الى عذاب الابد .

قوله تعالى :

﴿ قُلِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَإِن يَدَّبُّتُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ
وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنةُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (٣٨) آية بلا خلاف .

المعنى :

أمر الله تعالى نبيه (ع) أن يقول للكفار إن يذنبوا يغفر لهم ما قد سلف . والمعنى إن أنابوا عن الكفر والمعاصي وتابوا منها توبة خالصة ، لأن الكف عن المعاصي مع الاصرار لا يوجب الغفران . وإنما أطلق الوعد في الآية بالانتهاء عن المعصية ، لان الانتهاء عنها لا يكون مع الاصرار عليها ، لان الاصرار معصية . وقوله « وان يعودوا فقد مضت سنة الأولين » معناه وان يعودوا ، وبرجعوا إلى المعصية « فقد مضت سنة الأولين » في تعجيل العقاب لهم في الدنيا بعذاب الاستئصال ، وما جرى مجراه من الاسر والقتل ، يوم بدر . وبالنصر من الله . في قول الحسن ، ومجاهد ، والسدي .

اللغة :

والحلو : التقدم ، تقول سلف يسلف سلوفاً وأسلف إسلافاً وتسلف تسلفاً

(٢) سورة التوبة آية ٣٦

(١) سورة النور آية ٤٣

وسلفه تسلفاً وتسليفاً واستسلف استسلافاً . والسالفة أعلى العمق ، والسالفة اخلص
الحمر وأجودها . والسلفان المتزوجان باختين .
والسنة الطريقة التي يجري عليها الامر، ومنه قولهم هذا مستمر على سنن واحد.

قوله تعالى :

﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِذَا
انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣٩) وَإِنْ تَرَوْا فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ (٤٠) ﴾ آيتان بلا خلاف .

المعنى :

أمر الله تعالى بهذه الآية نبيه ﴿ص﴾ والمؤمنين أن يقاتلوا الكفار «حتى لا تكون
فتنة» وهي الكفر من غير اهل العهد ، وما جرى مجراه من البغي ، لأنهم يدعون
الناس إلى مثل حالهم بتعزيمهم على اهل الحق وتطاولهم فيفتنونهم في دينهم . وقال ابن
عباس ، والحسن : معناه حتى لا يكون شرك . وقال ابن اسحاق حتى لا يفتن مؤمن
عن دينه . والفرق بين قوله «حتى لا يكون فتنة» وبين قوله حتى لا يكون كفر
في ان الذليل والأسير والشريد لا يفتن الناس في دينهم لان الذل لا يدعو الى حال
صاحبه كما يدعو العز .

وقوله «ويكون الدين كله لله» معناه أن يجمع اهل الباطل وأهل الحق على
الدين الحق فيما يمتقدونه ويعملون به ، فيكون الدين كله حينئذ لله بالاجتماع على طاعته
وعبادته . والدين ههنا الطاعة بالعبادة .

وقوله «فإن انتهوا فإن الله بما تعملون بصير» معناه فإن رجعوا عن الكفر
وانتهوا عنه فإن الله يجازيهم مجازاة البصير بهم وبأعمالهم باطنها وظاهرها لا يخفي

عليه شيء منها.

وقوله « وإن تولوا فاعلموا ان الله مولاكم » في معناه قولان :
 احدهما - وان تولوا هؤلاء الكفار وارضوا عن الدين الحق واتبعاه فثقوا
 بالله وتذكروا ما وعدكم به أيها المؤمنون تسكيناً لنفوسهم وتمكيناً للحق عندهم .
 والثاني - فاعلموا ان الله ينصركم عليهم على طريق الأمر، يعلم هذا ليكونوا على
 بصيرة في أن الغلبة لهم .

قوله « وإن تولوا » شرط . وقوله « فاعلموا ان الله » أمر في موضع الجواب ،
 وإنما جاز ذلك لان فيه معنى الخبر ، فلم يخرج من أن يجب الثاني بالاول ، كأنه قال
 فواجب عليكم العلم بأن الله مولاكم او فيذنبني ان تعلموا ان الله مولاكم .
 اللغة :

والمولى ههنا هو الناصر . وهو الذي يوليكم عن الغلبة . والمولى على اقسام بمعنى
 الناصر وبمعنى الحليف ، وبمعنى المعتقد والمعتق . وبمعنى الأولى والأحق كما قال ليبيد:
 فقدت كلا الفرجين بحسب انه مولى المخافة خلفها وأمامها (١)
 ومنه قول النبي (ص) (أي امرأة نكحت بغير اذن مولاها فثناكحها باطل)
 اي من هو أولى بالمعقد عليها . وقال الأخطل يمدح عبد الملك بن مروان :
 فأصبحت مولاها من الناس كلهم واحرى قريش ان تهاب وتحمدا (٢)
 وقال ابو عبيدة : ومنه قوله « النار مولاكم » معناه الاولى بهم واستشهد بيت
 ليبيد المتقدم ذكره . وقد استوفينا اقسام مولى في غير هذا الموضع (٣) فلا نطول
 بذكره ههنا . والتولي عن الدين هو الذهاب عنه الى خلافه وهو والاعراض بمعنى

(١) مقاييس اللغة ٢ : ٢١٢ (٢) مر هذا البيت في ٣ ١٨٧

(٣) في ٣ : ١٨٦ ، ١٨٧ .

واحد والتولي في الدين هو الذهاب إلى جهة الحق ومتابعة النبي ﴿ع﴾ والنصرة له
والمؤونة له .

قوله تعالى :

﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ
وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ
وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ أَجْمَعِينَ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٤١) آية بلا خلاف .

المعنى :

الغنيمة ما اخذ من اموال اهل الحرب من الكفار بقتال . وهي هبة من الله
تعالى للمسلمين . والفيء ما اخذ بغير قتال في قول عطاء بن السائب ، وسفيان الثوري
وهو قول الشافعي ، وهو المروي في أخبارنا .

وقال قوم : الفيء ، والغنيمة واحد . وقالوا إن هذه الآية ناسخة لتي في
الحشر من قوله « ما أفاء الله على رسوله من اهل القرى ، فله وللرسول ولذي القربى
واليتامى والمساكين وابن السبيل » (١) لأنه بين في هذه الآية ان الأربعة أخماس
للمقاتلة . وعلى القول الأول لا يحتاج إلى هذا ، وعند اصحابنا ان مال الفيء للامام
خاصة يفرقه فيمن شاء . يعضه في مؤنة نفسه وذوي قرابته . واليتامى والمساكين وابن
السبيل من أهل بيت رسول الله ليس لسائر الناس فيه شيء . واما خمس الغنيمة ، فإنه
يقسم عندنا ستة اقسام : قسم لله ، وقسم لرسوله للنبي ، وهذان السهمان مع سهم ذي
القربى ، للقائم مقام النبي ﴿ع﴾ ينفقها على نفسه وأهل بيته من بني هاشم وسهم

لليتامى ، وسهم المساكين ، وسهم لأبناء السبيل من أهل بيت الرسول لا يشر لهم فيها باقي الناس لأن الله تعالى عوضهم ذلك مما أباح لفقراء المسلمين ومساكينهم وأبناء سبيلهم من الصدقات إذ كانت الصدقات محرمة على أهل بيت الرسول (ع) وهو قول علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، ومحمد بن علي الباقر ابنه (ع) رواه الطبري بأسناده عنها .

وقال الحسين بن علي المغربي حاكياً عن الصابوني من اصحابنا ان هؤلاء الثلاثة فرق لا يدخلون في سهم ذي القربى وان كان عموم اللفظة تقتضيه لان سهامهم مفردة ، وهو الظاهر من المذهب . والذين يستحقون الخمس عندنا من كان من ولد عبد المطلب ، لأن هاشماً لم يعقب إلا منه : من الطالبيين والعباسيين والحارثيين والزهريين ، فأما ولد عبد مناف من الطالبيين ، فلا شيء لهم فيه وعند اصحابنا الخمس يجب في كل فائدة تحصل للانسان من المكاسب وارباح التجارات والكنوز والمعادن والفوس وغير ذلك مما ذكرناه في كتب الفقه .

ويمكن الاستدلال على ذلك بهذه الآية ، لان جميع ذلك يسمى غنيمه .
وقال ابن عباس ، و ابراهيم ، وقتادة ، وعطاء : الخمس يقسم خمسة اقسام ، فسهم الله وسهم الرسول واحد .

وقال قوم : يقسم اربعة اقسام سهم لبني هاشم وثلاثة للذين ذكروا بعد ذلك من سائر المسلمين ذهب اليه الشافعي .

وقال اهل العراق : يقسم الخمس ثلاثة اقسام ، لان سهم الرسول صرفه الأئمة الأربعة إلى الكراع والسلاح .

وقال مالك : يقسم على ما ذكره الله . ويجوز للامام أن يخرج عنهم حسب ما يراه وإنما جاء على طريق الاولى في بعض الاحوال .

وقال ابو العالية - وهو رجل من صالحى التابعين - يقسم ستة اقسام ، فسهم

الله للكعبة ، والباقي لمن ذكر بعد ذلك .

وقال ابن عباس ومجاهد : ذو القربى هم بنو هاشم ، وقد بينا نحن أن المراد بذوي القربى أهل بيت النبي (ع) وبعد النبي القائم مقامه . وبه قال علي بن الحسين وروى جبير بن مطعم عن النبي (ع) : أنهم بنو هاشم ، وبنوا المطلب ، واختاره الشافعي .

وقال الحسن وقتادة : سهم الله وسهم رسوله وسهم ذي القربى لولي الأمر من بعده . وهو مثل مذهبنا .

وقال ابو علي الجبائي : ان الأئمة الأربعة جعلوا سهم الرسول ، وذوي القربى في الكراع والسلاح ، واجمعوا على ان سهم اليتامى والمساكين وابن السبيل شائع في الناس بخلاف ما قلناه .

اللغة :

واليتيم من مات أبوه وهو صغير قبل البلوغ . وكل حيوان يتيم من قبل امه إلا ابن آدم ، فإنه من قبل ابيه .

واما ابن السبيل ، فهو المنقطع به في سفره . وإنما قيل ابن السبيل بمعنى اخرجته إلى هذا المستقر ، كما يخرج ابوه من مستقره لتي محتاجاً .

والمساكين المحتاج الذي من شأنه ان تسكنه الحاجة عما ينهض به الغني .

الأعراب :

وقوله « فان لله خمسة » قيل في فتح (أن) قولان : احدهما - فعلى ان لله خمسة

وحذف حرف الجر فنصب .

الثاني - انه عطف على (ان) الاولى وحذف خبر الاولى لدلالة الكلام عليه ،

وتقديره اعلموا ان ما غنمتم من شيء يجب قسمته واعلموا ان لله خمسة .

قال الفراء: انه جزاء بمنزلة « ألم تعلموا انه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم خالداً » (١) قال الرماني هذا غلطلان (أن) لا تدخل على الجزاء إلا مع العاد ، كما لا تدخل (ان) إلا على هذا الوجه .

المعنى :

وقوله « إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان » معناه اعملوا إنما غنمتم من شيء لهؤلاء الذين ذكرناهم ان كنتم مؤمنين بالله مصدقين له في اخباره وما انزله على عبده محمد (ص) من القرآن .

وقال الزجاج يجوز ان يكون قوله « إن كنتم آمنتم بالله » متعلقاً بقوله « فاعلموا ان الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير . ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان » اي فأيقنوا ان الله ناصركم إذ كنتم شاهدتم من نصره ما شاهدتم . ومعنى « يوم الفرقان يوم التقى الجمعان » يوم بدر، وسمي يوم الفرقان ، لانه يميز أهل الحق مع قلة عددهم من المشركين مع كثرة عددهم بنصر الله المؤمنين .

وقيل كان يوم السابع عشر من شهر رمضان . وقيل التاسع عشر سنة اثنتين من الهجرة ، وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) ثم قال « والله على كل شيء قدير » اي هو قادر على مجازاة من أطاعه بمزيل الثواب ، وعلى عقاب من عصاه بأليم العذاب .

قوله تعالى :

﴿ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِلَافِئْتُمْ فِي الْمِيْعَادِ وَلَكِنْ أَيْقُنْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا (٤٢) لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْنِنَا وَيُبَيِّحِي

مَنْ حَيٍّ عَنْ بَيْنِهِ وَإِنَّ اللَّهَ أَسْمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٣﴾ آيتان في المدنيين
والبصري وآية واحدة في الكوفي .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو (بالمدوة) بكسر العين ، الباقلون بضمها وهما لغتان
قال الراعي في المكسر :

وعينان حمر ما قيهما كما نظر المدوة الجؤذر (١)

وقال اوس بن حجر في الضم :

وفارس لا يحل الحي عدوته ولوا سراعاً وما هموا باقبال (٢)

والمدوة شفير الوادي . وقال البصريون الكسر اكثر اللغات . وقال احمد بن

يحيى : بالضم اكثر . وقال قوم هما لغتان سواء .

وقرأ نافع وابوبكر عن عاصم وابن كثير في رواية البزي وشبل «حيي» باظهار اليائين .
وقرأ الباقلون بالادغام وإنما جاز الادغام في (حيي) للزوم الحركة في الثاني بحري
بحري ردوا إذا خبروا عن جماعة قالوا : حيوا تخففوا وقد جاء مدغماً ، فقالوا حيوا
ومن اختار الاظهار ، فلامتناع الادغام في مضارعه من يحيى بحري على شاكلته ،
قال الزجاج ، لان الحرف الثاني يذيق عن لفظ الياء تقول حيي يحيى فلما أحبا يحيى فلا
يجوز فيه الادغام عند البصريين ، لان الثاني إذا سكن في الصحيح من المضاعف في
نحو لم يردد كان لاظهاراً جود فلمتل بذلك أولى ، لان سكونه ألزم ، فلذلك وجه الاظهار
في (يحيى) لانه أحق من (لم يردد) لان السكون له الزم وقد اجاز الغراء الادغام
في يحيى وانشد بيتاً لا يعرف شاعره :

وكانها بين النساء سبيكة تمشي بشدة بانها فتعي (٣)

(١) تفسير الطبري ١٣ : ٥٦٥

(٢) تفسير الطبري ١٣ : ٥٦٥ . ومنتهى الطلب . وروى (لوتحل الخيل) و(لايحل القوم)

(٣) معاني القرآن ١ : ٤١٢ .

المعنى والاعراب :

تقدير معنى الآية واذكروا ايها المؤمنون « إذ انتم بالعدوة » وهي الجهة التي هي نهاية الشيء من احد جانبيه . ومنه قولهم عدونا الوادي . وها شفيرا ، وجانباه . و(الدنيا) بمعنى الأدنى الى المدينة . و(القصوى) بمعنى الأقصى منها الى جهة مكة ، وذلك ان النبي ﴿ ص ﴾ واصحابه نزلوا بالجانب الأدنى الى المدينة . وقريش نزلت بالجانب الأقصى منها الى مكة فنزلوا الوادي بهذه الصفة ، قد اکتنفا شفيريته . وقوله « والركب اسفل منكم » يعني ابا سفيان واصحابه في موضع اسفل منكم الى ساحل البحر . وإنما نصب اسفل ، لان تقديره بمكان اسفل ، فهو في موضع خفض ، ونصب لانه لا ينصرف وكان يجوز الرفع على تقدير ، والركب اشد سفلا منكم ، ومن نصب يجوز ان يكون اراد والركب مكاناً اسفل منكم بجمله ظرفاً . والذي حكيناه ، هو قول الحسن ، وقتادة ، وابن اسحاق ، ومجاهد والسدي .

اللغة :

واصل الدنيا الدنو بالواو ، بدلالة قولهم دنوت الى الشيء أدنو دنواً ، فقبلت الواو ياء ، ولم تقلب مثل ذلك في القصوى ، لانه ذهب بالدنيا مذهب الاسم في قولهم الدنيا والآخرة ، وان كان اصلها صفة ، خففت ، لانه الاسم احق بالتخفيف . وتقول : ادناه ادناه واستدناه استدناه ، وتدناوا تدناياً ، وداناه مداناه . و(العلو) قرار تحته قرار . و(الاسفل) قرار فوقه قرار ، تقول : سفل يسفل سفلا ، وتسفل تسفلا وتسافل تسافلا وسفلا تسفيلاً ، وسافله مسافلة ، وهو الاسفل ، وهي السفلى .

وقوله ﴿ ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ﴾ والمواعدة وعد كل واحد من الاثنين الآخر وتواعدوا تواعداً . و(الاختلاف) مذهب كل واحد من الشيئين في

نقيض الآخر ، ومنه الاختلاف في الميعاد لذهاب كل واحد من الفريقين فيما يناقض الميعاد من التقدم والتأخر والزيادة والنقصان . عما انعقد به الميعاد .

المعنى :

وقيل اختلافهم في الميعاد بمعنى « لو تواعدتم » ايها المؤمنون على الاجتماع في الموضوع الذي اجتمعتم فيه ثم بلغكم كثرة عددهم مع قلة عددكم لتأخرتم فنقضتم الميعاد ، في قول ابن اسحاق .

ووجه آخر « ولو تواعدتم » من غير لطف الله لكم « لاختلفتم » بالعوائق والقواطع فذكر الميعاد لتأكيد امره في الاتفاق ولولا لطف الله مع ذلك لوقع على الاختلاف كما قال الشاعر :

جرت الرياح على محل ديارهم فكأنما كانوا على ميعاد
وقوله « ليقتضي الله امراً كان مفعولاً » معناه ليفصل الله امراً كان مفعولاً
من عز الاسلام وعلو اهله على عبدة الاوثان وغيرهم من الكفار بحسن تدييره ولطفه .
وقوله « ليهلك من هلك عن بينة » معناه ليهلك من هلك عن قيام حجة عليه
بما راي من المعجزات الباهرات للنبي (ص) في حروبه وغيرها « وبجي من حي عن
بينة » يعني ليستبصر من استبصر عن قيام حجة ، فجعل الله المتبع للحق بمنزلة الحي ،
وجعل الضال بمنزلة الهالك .

وقوله : « وإن الله لسميع عليم » معناه « سميع » لما يقوله القائل في ذلك
« عليم » بما يضره ، فهو يجازيه بحسب ما يكون منه .

قوله تعالى :

﴿ إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَأَيْتَهُمْ كَثِيرًا

أَفْشَلْتُمْ وَأَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ
الصُّدُورِ ﴿ ٤٤ ﴾ آية بلا خلاف .

المعنى :

التقدير واذكري يا محمد « إذ يريدكم الله في منامك قليلاً » والهاء والميم كناية
عن الكفار الذين قاتلوه يوم بدر « ولو اراكم كثيراً لفشلتم ولتنازعتم في الامر »
وهذه الرؤية كانت في المنام عند اكثر المفسرين . والرؤيا في المنام تصور يتوهم معه
الرؤية في اليقظة والرؤيا على اربعة اقسام : رؤيا من الله عز وجل ، ولها تأويل . ورؤيا
من وسوسة الشيطان ، ورؤيا من غلبة الاخلاط ، ورؤيا من الافكار ، وكلها اضغاث
احلام إلا الرؤيا من قبل الله تعالى التي هي الهام في المنام يتصور به الشيء كأنه يرى
في اليقظة . ورؤيا النبي ﴿ ص ﴾ هذه بشارته له ، وللمؤمنين بالغلبة .

وقال الحسن : معنى « في منامك » في عينك التي تنام بها ، وليس من الرؤيا في النوم
وهو قول البلخي ، وهو بعيد ، لانه خلاف الظاهر من مفهوم الكلام .

قال الرماني : ويجوز ان يريه الله الشيء في المنام على خلاف ما هو به ، لأن
الرؤيا في المنام يخيل له المعنى من غير قطع وان جاء معه تطلع من الانسان على المعنى
وإنما ذلك على مثل تخييل السراب ماء من غير تطلع على انه ماء ، فهذا يجوز ان يفعله الله .
ولا يجوز ان يلهمه إعتقاد الشيء على خلاف ما هو به ، لان ذلك يكون جهلاً ،
ولا يجوز ان يفعله الله تعالى .

اللغة :

والنوم ضرب من السهو يزول معه معظم الحس ، تقول نام ينام نوماً ونومه
تنوبماً وأنامه إنامة وتناوم تناوماً واستنام استنامة . و (المنام) موضع النوم

والمضطجع موضع الاضطجاع .

و (القلة) نقصان عن عدد ، كما ان الكثرة زيادة على عدد يقال : قل يقل قلة وقله تقيلاً ، واستقل استقلالاً وتقلل تقللاً . والشئ يكون قليلاً بالاضافة إلى ما هو اكثر منه . ويكون كثيراً بالاضافة إلى ما هو أقل منه . وأقله إقلالا إذا أطاقه فصادفه قليلاً في طاقته ، فهو مشتق من هذا واستقل من المرض إذا قوى قوة بزول بها المرض اي وجده قليلاً في قوته لا يمتد به .

وقوله « لفشتم » فالفشل ضعف الرجل لان الضعف قد يكون لمرض من غير فزع وقد يكون من فزع . فالفشل إنما هو الضعف عن فزع . فشل يفشل فشلاً فهو فشل، وفشله فشلاً : إذا نسبه إلى الفشل ، وتفشلوا تفشلاً .

وقوله « ولتنازعم » فالتنازع الاختلاف الذي يحاول كل واحد منهم نزع صاحبه مما هو عليه تنازعاً . ونازعه منازعة ونزع عن الامر ينزع نزوعاً ، واستنزعه : إذا طلب نزوعه . وابتزعه إذا اقتلعه عن مكانه . وقوله « ولكن الله سلم » فالسلامة النجاة من الآفة . سلم يسلم سلامة واسلمه اسلاماً إذا دفعه على السلامة ، وأسلم الانسان إذا دخل في السلامة من جهة الدين ، وسلمه تسليماً إذا نجاه . واستسلم استسلاماً اذا سلم نفسه للاسر ، وتسلم تسليماً إذا طلب السلامة ، واستلم الحجر إذا طلب لمسه على السلامة وسالمه مسالمة ، وتسالموا تسالماً .

وقوله « إنه عليم بذات الصدور » فالصدر الموضع الأجل يكون القلب فيه . وصدر المجلس أجله ، لانه موضع الرئيس ، وصدر الدار مشبه بصدر الانسان ، لانه المستقبل منه كاستقباله من الانسان يقال صدر يصدر صدوراً واصدره اصداراً وتصدر تصدراً واصدره تصديراً وصادره مصادرة ، وتصادروا تصادراً .

المعنى :

ففائدة الآية إن الله لطف للمؤمنين بما لو لم يكن لفشلوا ولاضطرب أمرهم واختلفت كلمتهم ، وإيكن سلمهم الله من ذلك بلطفه لهم واحسانه بهم حتى بلغوا ما أرادوه من عدوهم .

قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذْ التَّقَيْتُمْ فِي آعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي آعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾
(٤٥) آية بلاخلاف .

التقدير اذكروا أيها المؤمنون إذ يريكم وهم ، فالهاء والميم كناية عن المشركين ، والكاف والميم كناية عن المؤمنين . أرى الله تعالى الكفار قليلين في أعين المؤمنين ليستد بذلك طمعهم فيهم وجبرأتهم عليهم ، وقلل المؤمنين في أعين الكفار لثلاث أسباب ولا يستعدوا لقتالهم ولا يكثرثوا بهم وبظفر بهم المؤمنون .

اللغة :

والمراد بالرؤية ههنا الرؤية بالبصر ، وهو الادراك بحاسة البصر والرائي هو المدرك . والعين حاسة يدرك بها البصر ، والعين مشتركة ، فمنها عين الماء ، وعين الميزان ، وعين الركبة ، وعين الذهب والعين النفس ، والالتقاء اجتماع الاتصال ، لان الاجتماع على وجهين : اجتماع الاتصال واجتماع في معنى من غير اتصال كاجتماع القوم في الدار ، وان لم يكن هناك اتصال . ويقال للمسكرين إذا تصافوا التقيا لوقوع العين على العين .

المعنى :

فان قيل كيف قلهم الله في اعينهم مع رؤيتهم لهم ؟
 قلنا : بأن يتخيلوهم بأعينهم قليلا من غير رؤية على الصحة لجمعهم وذلك بلطف
 من اللطافة تعالى مما يصد به عن الرؤية من قمام يستر بعضهم ولا يستر بعضاً آخر .
 وروي عن ابن مسعود انه قال رأيناهم قليلا حتى قات لمن كان الى جانبي أترام
 سبعين رجلا ؟ فقال لي هم نحو المئة . فلما اسرنا رجلا منهم سألتناه كم كانوا ، فقال ألفاً .
 وقوله ﴿ ليقضي الله امراً كان مفعولاً ﴾ إنما كرره في هذه الآية مع ذكرها
 في الآية الاولى ، لاختلاف الفائدة ، فعناه في الآية الاولى « ولو تواعدتم لاختلفتم
 في الميعاد . ولكن ليقضي الله امراً كان مفعولاً » من الالتقاء على الصفة التي حصلت
 عليها . ومعناه في الثاني يقلل كل فريق في عين صاحبه « ليقضي الله امراً كان مفعولاً »
 من اعزاز الدين بمجاهدكم على ما دبره لكم . وإنما قال « كان مفعولاً » والمعنى يكون مفعولاً في
 المستقبل لتحقيق كونه لا محالة حتى صار بمنزلة ما قد كان اذ قد علم الله انه كائن لا محالة .
 وقوله تعالى ﴿ والى الله ترجع الامور ﴾ اي ترجع الامور الى ملكه وتديره
 خاصة ، ويزول ملك كل من ملكه في دار الدنيا .

قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ
 كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٤٦) آية بلا خلاف

هذا خطاب من الله تعالى للمؤمنين خاصة يأمرهم بأنهم اذا لقوا جماعة من
 الكفار لحربهم أن يثبتوا ويذكروا الله كثيراً ، ويستنصروه عليهم لكي يفلحوا
 ويفوزوا بالظفر بهم ، وبالثواب عند الله يوم القيامة . وقد بينا ان معنى الايمان هو

التصديق بما أوجبه الله على المكلفين أو نديهم اليه . والفئة الجماعة المنقطعة من غيرها . وأصله من فأوت رأسه بالسيف اذا قطعته . والثبوت حصول الشيء في المكان على استمرار ، يقال لمن استمر على صفة : قد ثبت كثبوت الطين . والذكر ضد السهو ، وقد يكون الذكر القول من غير سهو . والفئة المذكورة في الآية وان كانت مطلقة ، فالمراد بها المشركة او الباغية ، لأن الله لا يأمر المؤمنين بالثبوت لقتال احد الا من هو بهذه الصفة ، ولا يأمر بقتال المؤمنين .

قوله تعالى :

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبَرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (٤٧) آية بلا خلاف .

أمر الله تعالى هؤلاء المؤمنين الذين ذكروهم بأن يطيعوا الله ورسوله ، ولا يختلفوا فيضعفوا عن الحرب .

والعامل في « فتفشلوا » الفاء التي هي بدل من (أن) على معنى جواب النهي كقولك لاتأت زيدا فيهينك ، ولذلك عطف بالانصب في قوله « وتذهب ريحكم » عليه . وقوله « وتذهب ريحكم » معناه كالمثل أي ان لكم ريحاً تنصرون بها ، يقال : ذهب ريح فلان اي كان يجري في امره على السعادة بريح تحمله اليها ، فلما ذهبت وقف امره ، فهذه بلاغة حسنة .

وقيل : المعنى ريح النصر التي يبعثها الله مع من ينصره على من يخذله ، في قول قتادة وابن زيد .

وقيل : تذهب دولتكم ، من قولهم ذهب ريح ، اي ذهبت دولته . في قول ابي عبيدة و ابي علي . وقال عبيد بن الابرص :

كما حميناك يوم النعف من شطب
والفضل للقوم من ريح ومن عدد (١)
اي من ريح عز ومن عدد .

النزول :

وقال أبو جعفر (ع) : هذه الآية نزلت حين أشار خباب بن المنذر على النبي (ع) ان ينتقل من مكانه حتى ينزلوا على الماء ويجبؤهم من خلفهم ، فقال بعضهم لا تنغفر معصاتك يا رسول الله ، فتنازعوا ، فنزلت الآية وعمل النبي (ص) على قول خباب .

قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ
وَيَصُدُّنَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَمْلُونَ مُحِيطٌ ﴾ (٤٨) آية بلا خلاف .

المعنى والقصة :

نهى الله تعالى المؤمنين في هذه الآية ان يكونوا مثل « الذين خرجوا من ديارهم بطراً وريثاء الناس » وهم قريش ، لما خرجت لتحمي العير ، فلما نجا ابو سفيان ارسل اليهم ان ارجعوا ، فقد سلمت عيركم وهم بالجحفة ، فقال ابو جهل والله لا نرجع حتى نرد بدرأً وننحر جزراً ، ونشرب خمراً وتعزف علينا القيان ، ويرانا من غشينا من اهل الحجاز ، ذكره ابن عباس ومجاهد وعروة بن الزبير ، وابن اسحاق .

اللغة :

والبطر الخروج عن موجب النعمة - من شكرها ، والقيام بحقها - الى خلافه

(١) ديوانه : ٤٩ والطبري ١٣ : ٥٧٥ وبعجاز القرآن للباقلاني : ١٣١

و (النعف) م' انحدر من حزونة الجبل و (شطب) اسم جبل .

وأصله الشق منه البيطار الذي يشق اللحم بالمبضع ، وبطر الانسان بطراً واططره كثرة
النعمة عليه إبطاراً واطره تبطيراً . والرثاء اظهار الجليل مع ابطان الفبيح تقول راءى
يرأى مرأاة ورياه . والمرأى رجل سوء لما بينا . والنفاق اظهار الايمان مع ابطان
الكفر . والصد المنعم .

وقيل هو جمل ما يدعو إلى الاعراض فهو لاء يصدون عن سبيل الله بما يدعون
الناس إلى الاعراض عنها عن معادات اهلها وقتالهم عليها وتكذيبهم بما جاء به
الداعي اليها .

والفرق بين الصد والمنعم ان المنعم ما يتعذر معه الفعل والصد ما يدعو الى
ترك الفعل .

المعنى :

وقوله « والله بما تعملون محيط » معناه يحتمل امرين :

احدها - انه محيط علمه بما يعملونه .

الثاني - انه قادر على جزاء ما يعملونه من ثواب او عقاب .

قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ
اليومَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَمَلَأَ ثَرَائِفَ الْفِتْيَانِ نَكْصَ عَلَيَّ
عَقْبِيهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ
وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٤٩) آية بلا خلاف .

التقدير : واذكر « إذ زين لهم الشيطان » يعني المشركين « زين لهم الشيطان
اعمالهم » بمعنى حسنهما في نفوسهم والزين هو التحسين .

والمعنى ان ابليس حسن للمشركين اعمالهم وحرصهم على قتال محمد وخرجوهم من مكة . وقوى نفوسهم ، وقال لهم « لا غالب لكم اليوم من الناس » .
اللغة :

تقول غلبه يغلب غلبة ، فهو غالب ، وغالبه مغالبة وتغالبا تغالبا وغلبه تغليباً .
والغلبة : القهر للمنازع ، والملك لامره .

وقوله « واني جار لكم » حكاية عما قال ابليس للمشركين ، فإنه قال لهم اني جار لكم ، لانهم خافوا بني كنانة لما كان بينهم طراد ابليس بان يسكن خوفهم ، والجار هو الدافع عن صاحبه السوء اجاره يجيره جواراً . ومنه قوله « وهو يجير ولا يجار عليه » (١) اي يمقد لمن احب دافع الضرر عنه من كل احد ، ولا يمقد عليه ، فالجار المجير .
وقوله « فلما نرأت الفئتان » معناه ، فلما التقتا ورأى بعضهم بعضاً « نكص » يعني ابليس « على عقبيه » والنكوص هو الرجوع فهقرى خوفاً مما يرى نكص ينكص نكوصاً ، قال زهير ،

هم يضربون حبيك البيض اذ لحقوا لا ينكصون اذا ما استاحموا ورحموا (٢)

المعنى :

واختلفوا في ظهور الشيطان لهم حتى رأوه ، فقال ابن عباس ، والسدي ، وقتادة ، وابن اسحاق ، : ظهر لهم في صورة سراقه بن مالك بن جعشم اليماني المدلجي في جماعة من جنده ، وقال لهم : هذه كنانة فداًتكم نجدة ، فلما رأى الملائكة

(١) سورة المؤمنون آية ٨٩ .

(٢) ديوانه ١٥٩ من قصيدته في هرم بن سنان . والطبري ١٤: ١١٠ . و(حبيك

البيض) طرائق حديدة . و(البيض) الخوذ من سلاح المحارب . و(حموا) من الحمية ، وهي الانفة والغضب .

« نكص على عقبيه » فقال الحارث بن هشام الى ابن يسرائيل ، فقال « اني ارى ما لا ترون » وهو قول أبي جعفر وأبي عبد الله (عليهما السلام) .

وقيل انه رأى جبرائيل بين يدي النبي (ص) . وقال ابو علي الجبائي حواره الله على صورة انسان عالماً للنبي (ص) بما يخبر به عنه . وقال الحسن والبلخي : إنما هو بوسوس من غير ان يحول في صورة انسان .

وقوله (اني اخاف الله والله شديد العقاب) حكاية عن قول ابليس حين ولى ، فقال لقريش اني ارى من الملائكة ما لا ترون اني اخاف الله والله شديد العقاب . وإنما خافه من أن يأخذه في تلك الحال بعقوبته دون ان يكون خاف معصيته فامتتم منها . قال الحسن : ابليس عدو الله لا يخاف الله لكن كلما استؤصل جند من جنوده وقعت بذلك عليه مخافة وذلة .

وقال البلخي هو كقولك للرجل جمعت بين الفريقين حتى إذا وقع الشر بينهم خليتهم وانصرفت ، وقلت اعملوا ما شئتم وتريد بذلك انك خليت بينهم دون ان يكون هناك قول ، والاول هو المشهور في التفاسير .

والواو دخلت في قوله « وإذ زين لهم الشيطان » للعطف على خروجهم بطراً ورتاء الناس ، فعطف حالهم في تزوين الشيطان اعمالهم على حالهم في خروجهم بطراً .

قوله تعالى :

﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ نَحَرَهُمْ هَؤُلَاءِ دِينَهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٥٠) آية بلاخلاف .

الاعراب والمعنى :

العامل في « إذ » يحتمل ان يكون احد شيئين : احدهما - الابتداء - والتقدير

ذاك « اذ يقول » والآخر بتقدير اذكر « اذ يقول المنافقون » وهم الذين يبطنون الكفر ويظهرون الايمان . « والذين في قلوبهم مرض » الشاكين في الاسلام مع اظهارهم كلمة الايمان ، وهم بمكة جماعة خرجوا مع المشركين يوم بدر ، فلما رأوا قلة المسلمين قالوا هذا القول ، وهم قيس بن الوليد بن المغيرة والحارث (١) بن زمعة وعلي بن امية والعاص بن المنبه بن الحجاج ، هذا قول مجاهد ، والشعبي .

وقال الحسن : المرض الشرك « والذين في قلوبهم مرض » المشركون وقال ابو علي فصلوا في الذكر لان المنافقين كانوا يضمرون عداوة النبي (ص) والمؤمنين ، وكانوا هؤلاء مرتبتين وكلهم في معنى المنافقين ، لان الشك في الاسلام كفر .

اللغة :

وقوله (غر هؤلاء دينهم) معناه ان المسلمين اغتروا بالاسلام . والغرور : اظهار المصحح مع ابطان الغش تقول غره يغره غروراً واغتر به اغتراراً . ومنه الغرر ، لانه عمل بما لا يؤمن معه الغرور .

وقوله (ومن يتوكل على الله) معناه ومن يسلم لأمر الله ويثق به ويرضى بفعله ، لان التوكل على الله هو التسليم لأمره مع الثقة والرضا به ، تقول : وكل امره إلى الله ، بكل وأتكل عليه يتكل انكلا وتوكل توكلًا وتواكل القوم تواكلاً اذا اتكل بعضهم على بعض ، ووكل توكلًا .

وقوله (فان الله عزيز حكيم) معناه انه قادر لا يغالb واضع للاشياء مواضعها .

قوله تعالى :

(وَلَوْ تَرَىٰ اذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ

(١) في بعض النسخ (و ابو قيس بن الفاكهة بن المغيرة) .

وَجُوهَهُمْ وَأَدْبَارُهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥١﴾ آية بلا خلاف .

القراءة والحجة :

قرأ ابن عامر « اذ تتوفى » بتاءين فأدغم احدهما في الاخرى هشام عنه . الباقرن بالياء والتاء . من قرأ بالتاء اسند الفعل الى الملائكة كقوله « اذ قالت الملائكة » (١) ومن قرأ بالياء ، فلأن التأنيث غير حقيقي .

المعنى :

هذا خطاب من الله تعالى للنبي ﷺ يقول الله تعالى له : « ولو ترى » الوقت الذي « تتوفى الملائكة الذين كفروا » . بمعنى انهم يقبضون ارواحهم على استيفائها ، لان الموت انما يكون باخراج الروح على تمامها . وجواب (لو) محذوف ، وتقديره رأيت منظراً عظيماً او امراً عجيباً او عقاباً شديداً ، وحذف الجواب في مثل هذا ابلغ ، لان الكلام يدل عليه . والمرئي ليس بمذكور في الكلام لكن فيه دلالة عايه لان تقديره : لو رأيت الملائكة يضربون من الكفار الوجوه والادبار ، وحذفه ابلغ وأوجز مع ان الكلام يدل عليه .

وقال مجاهد وسعيد بن جبير : معنى ادبارهم استاهمهم ، ولكنه كنى عنه . وقال الحسن : معناه ظهورهم . وقال ابو علي : المعنى ستضربهم الملائكة عند الموت . قال الرماني : وهذا غلط ، لأنه خلاف الظاهر ، وخلاف الاجماع المتقدم انه يوم بدر .

وروي الحسن : ارن رجلا قال يا رسول الله اني رأيت بظهر ابني جهل مثل الشرك ، فقال : ذلك ضرب الملائكة .

وروي عن مجاهد ان رجلا قال للنبي ﷺ (ص) اني حملت على رجل من المشركين

فذهبت لاضر به فبدر راسه ، فقال : سبقك اليه الملائكة . وعن ابن عباس انه كان يوم بدر .

وقوله : « وذوقوا عذاب الحريق » تقديره ، ويقولون يعني الملائكة للكفار يقولون لهم ذوقوا عذاب الحريق يوم القيامة وحذف لدلالة الكلام عليه . ومثله قوله « ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربنا ابصرنا وسمعنا (١) اي يقولون ربنا ابصرنا ، ودل الكلام عليه .

اللغة :

والحريق تعريق الاجسام الكبيرة العظيمة بالنار العظيمة يقال : احترق احترقا واحرق احراقا وتحرق وتحرقا وحرقه تحريقا ، وجواب لو محذوف ، وتقديره لرايت منظرا هائلا واءا حذف جواب لو لأن ذكره يخص وجها ومع الحذف يظن وجوه كثيرة فهو ابلغ .

قوله تعالى :

﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتِ اَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ (٥٢)

آية بلا خلاف .

قوله (ذلك) اشارة من الملائكة للكفار الى ما تقدم ذكره من قولهم : « ذوقوا عذاب الحريق » قالوا ذلك العذاب « بما قدمت ايديكم » وموضع بما قدمت ايديكم يحتمل وجهين من الاعراب :

احدهما : الرفع بأنه خبر ذلك .

والثاني : النصب بأنه متصل بمحذوف ، وتقديره ذلك جزاؤكم « بما قدمت

(١) سورة الم السجدة آية ١٢ .

أيديكم ، وإنما قيل بما قدمت أيديكم مع ان اليد لا تعمل شيئاً لتبين انه بمنزلة ما يعمل باليد في الجنابة ولذلك لم يذكر القلوب ، وان كان بهما معتمد العصيان ، لانه قصد اظهار ما يقع به الجنائيات في غالب الأمر وتعارف الناس .

والتقديم ترتيب الشيء أو لا قبل غيره : قدمه تقديماً وتقدم تقدماً واستقدم استقداماً وتقدم عهده تقدماً وأقدم على الأمر اقداماً .

وقوله : « ان الله ليس بظلام للعبيد » العامل في (ان) بمحتمل شيئين :

احدهما - ان يكون موضعه نصباً بتقدير ، وبأن الله او خفصاً على الخلاف فيه .

والثاني - ان يكون رفعاً بمعنى وذلك ان الله كما تقول ذلك هذا .

وإنما نفي المبائة في الظلم عنه تعالى دون نفي الظلم رأساً ، لأنه جاء على جواب من اضاف اليه فعل جميع الظلم ، ولأن ما ينزل بالكفار لو لم يكن باستحقاق لكان ظلاماً عظيماً ، ولكن فاعله ظلاماً .

قوله تعالى :

﴿ كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٥٣) آية .

الاعراب :

العامل في قوله : « كذاب آل فرعون » الابتداء وتقديره دأبهم كذاب آل فرعون ، فوضعه رفع ، لانه خبر المبتدأ ، كما تقول زيد : خلقك ، فوضع خلقك رفع بأنه خبر المبتدأ ، ولفظه نصب بالاستقرار ، فكذلك الكاف في « كذاب » .

اللغة :

والدأب العادة والطريقة تقول ما ذلك دأبه ودينه ووديدته .

والمعنى انه جوزي هؤلاء بالقتل والأسر كما جوزي آل فرعون بالفرق . وقال الزجاج الداب إدامة الفعل دأب يدأب في كذا إذا دام عليه ، ودأب يدأب دأباً ودؤباً فهو دائب يفعل كذا اي يجري فيه على عادة . وقال خدّاش بن زهير العامري : وما زال ذاك الداب حتى تجادلت هو ازن وارفضت سليم وطامر (١) وآل فرعون المراد به اتباعه فيما دعاهم اليه من ربوبيته سموا (آل) لأن مرجع امرهم اليه بسبب اكيد .

والفرق بين (آل فلان) و(الأصحاب) ان الأصحاب ماخوذ من الصحبة لطلب علم او غيره ، كالأصحاب في السفر ، وكثير في الموافقة على المذهب ، كما يقولون اصحاب مالك واصحاب الشافعي يراد به الموافقة في المذهب ، ولا يوصفون بأنهم آل الشافعي او ابى حنيفة . والآل يرجعون اليه بالسبب الأوكيد الأقرب . وقوله : « إن الله قوي » معناه قادر وقد يكون القوي بمعنى الشديد ، وذلك لا يجوز اطلاقه على الله ، وكذلك لا يوصف بأنه شديد العقاب وإنما وصف عقابه بأنه شديد دون الله تعالى .

المعنى :

فمعنى الآية تشبيه حال المشركين في تكذيبهم بآيات الله التي أتى بها محمد (صلى الله عليه وآله) بحال آل فرعون في التكذيب بآيات الله التي أتى بها موسى عليه السلام لأن تعجيل العقاب لهؤلاء بالاهلاك كتمجيله لأولئك بعذاب الاستئصال .

قوله تعالى :

﴿ ذَلِكْ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٥٤) آية بلا خلاف :

(١) روح المعاني ١٠ : ١٧ ، و مجاز القرآن ١ : ٢٤٨ . في المطبوعة (تخاذلت)

بدل (تجادلت) .

الاعراب والمعنى :

الإشارة بقوله : « ذلك » إلى ما تقدم ذكره من أخذ الله الكفار بالعقاب فكانه قال ذلك العقاب المدلول عليه بأن الله لا يغير النعمة إلى النعمة إلا بتغيير النفس إلى الحال القبيحة ، فذلك ابتداء وخبره بأن الله كما يقول القائل العقاب بذنوب العباد والكاف في ذلك للخطاب وهو إشارة إلى البعيد وذلك إشارة إلى ما دونه ، و(ذا) إشارة إلى ما هو حاضر .

وقوله « لم يك » أصله يكون ، حذف الواو علامة للجزم ، ثم حذفت النون استخفاً لكثرة الاستعمال مع أنه لا يقع بالحذف إخلال بالمعنى ، لأن كان ويكون لم الأفعال ألا ترى أن كل فعل فيه معناها ، لأنك إذا قلت ضرب معناه كان ضرب ويضرب معناه يكون يضرب ، فلما قربت بأنها أم الأفعال وكثر استعمالها احتتمل الحذف ولم يحتتمل نظائرها ، وذلك مثل لم يجوز ولم يصن كما جاز فيها .

والتغيير تصيير الشيء على خلاف ما كان بما لو شوهد لشوهد على خلاف ما كان وإنما قيل بما لو شوهد لشوهد على خلاف ما كان لتفرق بينه وبين ما يصير على خلاف ما كان بالحكم فيه بما لم يكن عليه ، ألا ترى أن المعلوم بمد ان لم يكن معلوماً لا يتغير بهذا العلم ، لأنه لو شوهد لم يشاهد على خلاف ما كان ، والقدرة شوهدت على خلاف ما يشاهد المعجز .

المعنى :

وفي الآية دلالة على بطلان مذهب المجبرة ، لأنها تدل على أنه لا يكون العقاب إلا بتغيير النفس إلى ما لا يجوز أن يغير إليه وهذا يبين أنه لا يحسن من الله العقاب إلا لمن فعل قبيحاً أو اخل بواجب ، وذلك يبطل قول من قال : يجوز أن يعاقب الله البريء بجرم السقيم ، وجملة معنى الآية إنا أخذنا هؤلاء الذين كذبوا

بآياتنا من مشركي قريش يبدر بذنوبهم ، وتغيرهم نعمة الله عليهم من بعث رسوله وتكذيبهم إياه واخراجهم له من بين أظهرهم ، ففعلنا بهم مثل ما فعلنا بالماضين من الكفار .

قوله تعالى :

﴿ كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلُّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾
(٥٥) آية بلا خلاف .

انما اعاد قوله : « كذاب آل فرعون والذين من قبلهم » لا على وجه التكرار

بلا فائدة بل لوجهين :

احدهما - قال ابو علي : لانه على نوعين مختلفين من العقاب .

وقال الرماني : فيه تصرف القول في الذم بما كانوا عليه من قبح الفعل وتقدير

الكلام : ذاب هؤلاء الكفار مثل ذاب آل فرعون .

وبحتمل ان يكون كناية عن هؤلاء الكفار « كذبوا بآياتنا » .

والتكذيب نسبة الخبر الى الكذب ، فالتكذيب بالحق مذموم ، والتكذيب

بالباطل - لانه باطل - ظاهر امره محمود ، وانما وجب في التكذيب بآيات الله تعجيل

العقوبة ، ولم يجب ذلك في غيره لما في تعجيل عقوبتهم من الزجر لغيرهم ، فيصلحون

به مع علم الله بانه ليس فيهم من يفلح - على مذهب من يقول : لو علم الله ان فيهم من

يؤمن ، لا يقاه .

وانما كان التكذيب بآيات الله من اعظم الاجرام ، لما يتبعه من تضييع حقوق

الله فيما يلزم من طاعته التي لا تصح الا بالتصديق بآياته التي جاءت بها رسله . اخبر

الله انه كما اهلك هؤلاء الكفار بتكذيبهم النبي عليه السلام كذلك اهلك من الكفار

قوماً آخرين بتكذيبهم بآيات الله واغرق آل فرعون بمثل ذلك ثم اخبر ان كل هؤلاء كانوا ظالمين لنفوسهم بارتكاب معاصي الله وبترك طاعاته .

قوله تعالى :

﴿ ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون ﴾ (٥٦)

آية بلا خلاف .

اللغة والمعنى :

الشر الرمي بالمسكاره كشرر النار ومثله الضرر، وضد الشر الخير وضد الضرر النفع . والدابة ما من شأنه ان يدب على الأرض لكن بالعرف لا يطلق إلا على الخيل ، ومن ذلك قوله « وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها (١) » وقوله : « عند الله » معناه في معلوم الله وفي حكمه واصل (عند) أن يكون ظرفاً من ظروف المكان إلا أنه قد تصرف فيها على هذا المعنى .

الاعراب والمعنى :

والفاء في قوله : « فهم لا يؤمنون » معناه عطف جملة على جملة ، وهو من الصلة ، كأنه قال : كفروا مصممين على الكفر « فهم لا يؤمنون » وانما حسن عطف جملة من ابتداء وخبره على جملة من فعل وفاعل ، لما فيها من التأدية الى معنى الحال وذلك ان صلابتهم بالكفر ادى الى الحال في انهم لا يؤمنون .

فاخبر الله تعالى في هذه الآية ان شر خصلة يكون الانسان عليها هو الكفر لما في ذلك من تضييع نعم الله التي توجب اعظم العقاب .

والآية متناولة لمن علم الله منه انه لا يؤمن ، لأن قوله : « فهم لا يؤمنون »
 اخبار عن نفي ايمانهم فيما بعد .

قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ عَاهَدتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مِرَّةٍ وَهُمْ
 لَا يَتَّقُونَ ﴾ (٥٧) آية بلا خلاف .

قال مجاهد : هذه الآية نزلت في بني قريظة ، لما نقضت عهد النبي (صلى الله
 عليه وآله) في ألا يحاربوه ولا يعالوا عليه ، فنقضوا عهده ، ومالوا عليه ، وغاونا
 قريشاً يوم الخندق ، فانتقم الله منهم .
 المعاهدة المعقدة على أمر يتقدم فيه الوثيقة به بالابمان المؤكدة على ما يعقد
 عليه ، ونقض العهد مثل نقض الوعد لأنه حق للمعاهد كما أن ذلك حق للموعود ، ونقض
 العزم هو الرجوع عما عزم عليه ، والنقض يكون بشيئين :

احدهما - فيما كان من بناء وشبهة .

الثاني - في عقد أو امر يعزم عليه .

وقوله تعالى : « ثم ينقضون » عطف المستقبل على الماضي ، لأن الغرض أن من
 شأنهم نقض العهد مرة بعد اخرى في مستقبل أوقانهم بعد العهد اليهم .

وقوله : « فهم لا يتقون » معناه نقضوا عهدك من غير أن يتقوا عقاب الله
 عاجلاً وأجلاً .

قوله تعالى :

« فَمَا أَتَقَفَذَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّ دَرَجِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ

يَذَكَّرُونَ » (٥٨) آية بلا خلاف .

معنى « تثقفن » تصادفن وتلقين . واصله الإدراك بسرعة تقول تثقف الكلمة فهو تثقف وثقفه إذا قومه وثاقفه مثاقفة إذا تدارك كل واحد منها أمر صاحبه بسرعة

الاعراب :

ودخلت نون التأ كيد لما دخلت (ما) ولو لم تدخله لما حسن دخول النون ، لأن دخول (ما) كدخول القسم في أنه علامة تؤذن أنه من مواضع التأ كيد المطلوب من التصديق ، لأن النون تدخل لتأ كيد المطلوب فيما يدل على المطلب ، وهي في ستة مواضع : الأمر ، والنهي ، والاستفهام ، والعرض ، والقسم ، والجزاء مع (ما)

المعنى :

وقوله : « فشرد بهم من خلفهم » يحتمل معنيين :

أحدهما - إذا اسرتهم فنسكل بهم تنكيلا يشرد غيرهم من ناقضي العهد خوفاً منك وهو قول الحسن وقتادة وسعيد بن جبير والسدى وابن زيد .
الثاني - أعمل بهم من القتل ما يفرق من خلفهم في قول الزجاج .

اللغة :

والتشريد التفريق على اضطراب ، شرد يشرد شروداً وشرده تشريداً وتشرد تشرداً . ودابة شرود . والتشريد والتطريد والتبديد والتفريق نظائر .
وقوله : « انهم يذكرون » معناه لكي يفكروا فيتعظوا ويزجروا عن الكفر والمعاصي .

وروى في الشواذ « من خلفهم » والمعنى نكل بهم انت يا محمد من ورائهم .
والأول أجود . وعليه القراء .

قوله تعالى :

﴿وَأَمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ (٥٩) آية بلا خلاف .

الاعراب :

بنى المضارع مع نون التأكيد ، لأن النون لما ابطلت السكون اللازم للجزم الذي هو أمكن في الفعل ، كانت على إبطال غيره من الاعراب أقوى . وإنما بني على الفتح لسلامتها من البابين الكسرة والضمة في المؤنث والجمع ، في قولهم لا تحسبن يا امرأة ، ولا تحسبن يا قوم . وتثبت الألف مع الجازم في (أما تخافن) ولم تثبت مع الجازم في قولك : (لا تخف القوم) لأن الحركة في هذا عارضة ، لأن التقاء الساكنين من كلمتين .

اللغة والمعنى :

أمر الله تعالى نبيه أنه متى خاف - بمن بينه وبينه عهد - خيانة أن يذبذ إليه عهده على سواء . والخيانة نقض العهد فيما ائتمن عليه ، تقول : خانته يخونه خيانة ، واختان المال اختياناً . وتخونه تخوناً وخونه تخويناً . و (النبذ) القاء الخبر إلى من لا يعلمه بما يوجب أنه حرب بنقض عهد أو إقامة على يعني تقول : نبذ يذبذ نبذاً وانتبذ انتبذاً وتباذ القوم تباذاً ، وتباذنه مباذنه .

وقوله : «على سواء» قيل في معناه قولان :

أحدهما - على استواء في العلم به أنت وهم في أنكم حرب لثلاثتهم وأنتك نقضت العهد بنصب الحرب .

والثاني - أن معناه على عدل من قول الراجز :

فأضرب وجوه الغدر الاعداء حتى يحويك على السواء (١)
أي على العدل . ومنه قيل للوسط سواء ، لاعتداله الى الجهات ، كما قال
حسان بن ثابت :

يا ويح انصار النبي ورهطه بعد المغيب في سواء الملحد (٢)
اي في وسطه . وقال الوليد بن مسلم : «عناه على مهل وهذا بعيد ، لأنه لا يعرف
في اللغة .»

فان قيل كيف جاز نبذ العهد ، ونقضه بالخوف من الخيانة ؟
قيل : انما فعل ذلك لظهور امارات الخيانة التي دلت على نقض العهد ولم تشتهر ،
ولو اشتهرت لم يجب النبذ ، كما حارب رسول الله (صلى الله عليه وآله) أهل مكة ، لما
نقضوا العهد بقتل خزاعة ، وهم في ذمة النبي (ص) فلما فعلوا ذلك فملا ظاهراً
مشهوراً أغنى ذلك عن نبذ العهد اليهم ، ولو نقضوه على خفي لم يكن بد من نبذ العهد
اليهم ، لئلا ينسب الى نقض العهد والغدر .

قوله : « ان الله لا يحب الخائنين » معناه انه يبغضهم وانما عبر بحرف النفي ،
لأن صفة النفي تدل على الاثبات إذا كان هناك ما يدل عليه ، وهو أبلغ في هذا
الموضع ، لأن معناه : انهم حرموا محبة الله بخيانتهم وواجب ذلك بغضه ايهم ، ومحبة
الله لا تخلق ارادة منافعهم وبغضه ايهم ارادة عقابهم .
والآيتان معاً نزلتا في بني قريظة ، قال الواقدي : نزلت هذه الآية في بني
قريظة ، وبهذه الآية سار النبي (عليه السلام) اليهم .

(١) تفسير الطبري ١٤ : ٢٧ والقرطبي ٨ : ٣٣ .

(٢) تفسير القرطبي ٨ : ٣٣ وقد مر تخريجه في ١ : ٤٠٥ من هذا الكتاب .

قوله تعالى :

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا لِأَنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴾ (٦٠)

آية بلا خلاف .

القراءة والحجة والاعراب :

قرأ ابن عامر وحمة وحفص وأبو جعفر « ولا يحسبن » بالياء . والباقون بالتاء . وقرأ ابن عامر « أنهم » بفتح الهمزة . الباقون بكسرها .
قال أبو علي الفارسي من قرأ بالتاء جعل الذين كفروا المفعول الأول وسبقوا المفعول الثاني ، وموضعه النصب ، وهو واضح .
ومن قرأ بالياء احتتم ثلاثة اشياء :

احدها - (لا يحسبن الذين كفروا) وهو قول أبي الحسن .

الثاني - ان يكون اضمر المفعول الأول وتقديره : ولا يحسبن الذين كفروا أنفسهم سبقونا واياهم سبقوا .

الثالث - ان يقدر على حذف (ان) كانه قال : ولا يحسبن الذين كفروا ان سبقوا . قال الزجاج يفوي ذلك ، ان في قراءة ابن مسعود « إنهم لا يعجزون » فعلى هذا يكون ان سبقوا سد مسد المفعولين ، كما ان قوله : « أحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا » (١) كذلك .

ومن فتح الهمزة جعل الجملة متعلقة بالجملة الاولى والتقدير ولا تحسبنهم سبقوا ، لانهم لا يفوتون فهم مجازون على كفرهم .

ومن كسر استأنف الكلام ، قال أبو عبيدة: سبقوا معناه فاتوا فانهم لا يعجزون

اي لا يفوتون . ومثله « ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا » ثم استأنف ، فقال : « ساء ما يحكمون (١) » فكذلك هاهنا استأنف الكلام وانما امتنع الاقتصار على احد المفعولين في حسب ، لأن المفعول الثاني خبر عن الأول ، والفعل متعلق بما دلت عليه الجملة فهو بخلاف (اعطيت) في هذا .

اللغة :

والحسبان هو الظن . وقال الرماني : هو شك يقوى فيه احدى التقيضين لقوة المعنى في حيز القولين . واصله الحساب ، لأن المعنى فيه داخل فيما يحسب به ويعمل عليه . والاحتساب قبول الحساب والاعتداد به وفي المضارع لغتان ، فتميم تفتح السين واهل الحجاز يكسرونها . والسبق تقدم الشيء على طالب الحقوق به : سبق يسبق سبها وتسابقا سابقاً ، وسابقه مسابقة واستبقوا استباقاً وسبقه تسبيقاً إذا اعطاه سبق . والسابق والمصلى في صفة الفرس . والاعجاز ايجاد ما يعجز عنه : اعجزه اعجازاً وعجزه تعجزاً وعاجزه معاجزة واستعجز استمعجازاً .

المعنى :

وقال ابو عبيدة : معنى لا « يعجزون » لا يفوتون . وقال الحسن : معنى لا يعجزون الله لا يفوتونه حتى لا يثقفنهم يوم القيامة . وقال الجبائي : معناه لا يعجزونك حتى يظفرك الله بهم . وقال الزجاج : المعنى لا يحسبن من افلت من هذه الحرب قد سبق الى الحياة . وقال الزجاج : يجوز ان تكون (لا) صلة على ضعف فيه . والمعنى لا تحسبن الذين كفروا انهم يعجزون . اي يفوتون .

قوله تعالى :

« وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ »

(١) سورة العنكبوت آية ٤٤ .

عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ
وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦١﴾
(٦١) آية بلا خلاف .

امر الله تعالى المؤمنين أن يعدوا ما قدروا عليه من السلاح وآلة الحرب والخييل وغير ذلك . والاعداد اتخذ الشيء لغيره مما يحتاج اليه في امره ولو اتخذ له في نفسه محبة له لم يكن اعداداً وهو مما يعد فيما يحتاج اليه من غيره والاستطاعة ، معنى تنطاع بها الجوارح للفعل مع انتفاء المنع تقول : استطاع استطاعة ، وطواع مطاوعة واطاع طاعة ، وتطوع تطوعاً ، وإنطاع انطباعاً . وقوله تعالى : « من قوة » اي مما تقوون به على عدوه . وقيل معناه : من الرمي ذكره الفراء . ورواه عن النبي (ص) عقبه بن عامر على ما ذكره الطبري . وقال عكرمة : اراد به الحصون .

وقوله تعالى : « ومن رباط الخيل » فالرباط شد ايسر من العقد : رباطه يربطه رباطاً ورباطاً وارتبطه ارتباطاً ورباطه مرابطة .

وقوله : « ترهبون به عدو الله وعدوكم » فلهاء في (به) راجعة الى الرباط وذكره ، لانه على لفظ الواحد وإن كان في معنى الجمع ، لانه كالجراب والقرباب والذراع . والارهاب ازعاج النفس بالخوف تقول : ارهبه ارهاباً ورهبه ترهيباً ورهب رهبة وترهب ترهباً واسترهبه استرهاياً ، وقال طفيل :

ويل ام حي دفنتم في نحورهم بني كلاب غداة الرعب والرهب (١)

والعدو المراد بالمسكاره لتعديتها الى صاحبها . والعدو ضد الولي .

وقوله « وآخريين من دونهم » لا تعلمونهم تقديره وترهبون آخريين ، فهو نصب

(١) ديوانه : ٦٥ ومجاز القرآن ١ : ٢٤٩ .

بـ (رهبون) ويجوز أن يكون نصباً بقوله : (واعدوا لهم) والآخريين من دونهم . وقيل في المعنيين بذلك خمسة اقوال : احدها - قال مجاهد بن قريظة ، وقال السدي : هم أهل فارس . وقال الحسن وابن زيد : هم المنافقون . الرابع - الجن ، وهو اختيار الطبري ، قال : لأن الأعداد للاعداء دخل فيه جميع المتظاهرين بالعداوة فلم يبق إلا من لا يشاهد . الخامس - قال الجبائي : كل من لا تعرفون عداوته داخل فيه . ومعنى « لا تعلمونهم » لا تعرفونهم فلذلك لم يكن منه المفعول الثاني .

وقوله : « الله يعلمهم » معناه يعرفهم كما قال الشاعر :

فإن الله يعلمني ورهباً وإنا سوف نلقاه كلانا (١)

قوله تعالى : « وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون » يعني ما من شيء تنفقونه في الجهاد إلا والله يوفيكم ثوابه على ذلك بأنتم الجزاء ، ولا تبخسون ، فمضى الآية الأمر بأعداد السلاح والكرام لاخافة اعداء الله بما يملأ صدورهم من الاستعداد لقتالهم مع تضمن اخلاف ما انفق في سبيل الله احوج ما يكون صاحبه اليه بما ترجح فيه تجارته .

قوله تعالى :

﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ

السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٦٢) آية بلا خلاف .

القراءة واللغة :

قرأ أبو بكر عن عاصم السلم بكسر السين . الباقيون بفتحها وفي ذلك ثلاث لغات : الفتح والكسر مع سكون اللام وفتح السين واللام ممأ . ومعناها المسالمة ولذلك انث (١) قائله النمر بن ثولب المكي . الاقصاب : ٣٠٣ ، والمفصل للزحشرى : ٨٨

وتفسير الطبري ١٤ : ٣٩ .

قال رجل من الجمن جاهلي :

أنا بل اني سلم لاهلك فأقبلي سلمى (١)

قال ابو الحسن : الصلح ، فيها الكسر والفتح لغتان . وقال غيره : السلم بفتح السين واللام على ثلاثة أوجه ، تقول : أخذت الأسير سلماً أي على الاستسلام .
والسلم السلف على السلامة . والسلم شجر واحد سلماً تقول له بالسلامة .
وقوله : « وإن جنحوا للسلم » معناه ان مالوا الى المسالمة ، تقول : جنح بجنح جنوحاً وجنحت السفينة إذا مالت الى الوقوف ، ومنه جناح الطائر لانه يميل به في احد شقيه . ولا جناح عليه في كذا أي لا ميل الى مأمم ، قال أبو زيد : جنح يجنح جنوحاً إذا اعطى بيده او عدل الى ما يحب القوم ، وحنح المدو والحيل ، وحنحت الابل إذا اخفضت في السير .

المعنى :

وايس في الآية ما يدل على ان الكفار إذا مالوا الى الهدنة وجب اجابتهم اليها على كل حال ، لأن الأحوال تختلف في ذلك ، فتارة تقتضي الاجابة ، وتارة لا تقتضي ، وذلك إذا نروا المسلمين بأمر يقتضي الغلظة مع حصول العدة والقوة .
فان قيل : اذا جازت الهدنة مع الكفار فهل يجوز المنكحة في امر الامامة حتى يجوز تسليمها الى من لا يستحقها .

قلنا : تسليم الامامة الى من لا يستحقها فساد في الدين كفساد تسليم النبوة

الى مثله .

وقوله : « وتوكل على الله » اي فوض امرك اليه تعالى وثق بأنه لا يدبره

الا على ما تقتضيه الحكمة .

(١) مجاز القرآن ١ : ٢٥٠ والتاج واللسان (سلم).

واختلفوا هل في الآية نسخ ؟ فقال الحسن وقتادة وابن زيد : نسخها قوله : « اقتلوا المشركين » (١) وقال قوم ليست منسوخة ، لانها في المواعدة لاهل الكتاب والاخرى في عباد الاوثان ، والصحيح انها ليست منسوخة ، لأن قوله : « اقتلوا المشركين » نزلت في سنة تسم وبعث بها رسول الله الى مكة ثم صالح اهل نجران بعد ذلك على النبي حلة الف في صفر والفر في رجب . وقوله : « انه هو السميع العليم » معناه انه يسمع دعا من يدعوه عليم بما يقتضي المصلحة من اجابته وحسن تديره .

قوله تعالى :

﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي
أَيْدِكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَالْأَفَّاءُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ
مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ
إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٦٣) آيتان في الكوفي ، والمدني وآية في البصري .

هذا خطاب للنبي (صلى الله عليه وآله) يقول له : « ان يريدوا » يعني الكفار وقيل هم بنو قريظة ، ومعناه ان قصدوا بالصلح خديمتك . والخديمة اظهار المحبوب في الامر للاستجابة له مع ابطان خلافه : خدع خدعاً وخديمة واختمدعه اختداعاً وتخدع له تخداعاً وتخدع تخدعاً . وقوله : « فان حسبك الله » معناه ، فان الله كافيك يقال : اعطاني ما احسبني اي كفاني . واصله الحساب ، وانما اعطاه بحساب ما يكفيه . وقوله : « هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين » فالتأيد التمكين من الفعل على اتم ما يصح فيه تقول : ايده تأييداً وتأيد تأييداً . والأيد القوة . والمعنى ان الله قواه بالنصر من عنده ، بالمؤمنين الذين ينصرونه على اعدائه . وقوله « والفر

بين قلوبهم ، والتأليف الجعم على تشاكل ، فلما جمعت قلوبهم على تشاكل فيما تحبه وتنازع اليه كانت قد الفت ، ولذلك قيل هذه الكلمة تأتلف مع هذه ، ولا تأتلف . والمراد بالمؤمنين الانصار وبنأ ليف قلوبهم ما كان بين الأوس والخزرج من المعاداة والقتال ، هذا قول ابي جعفر (ع) والسدي وبشر بن ثابت الانصاري وابن ابي عمير . وقال مجاهد : هو في كل متحابين في الله . وانما كان الجعم على المحبة تأليفاً بين القلوب ، لانه ماخوذ من الالفة وهي الاجتماع على الموافقة في المحبة ، ولا يجوز في الجعم على البغضاء ان يسمى بذلك . وقوله : « لو أنفق ما في الارض جميعاً » فالانفاق اخراج الشيء عن الملك . والمعنى « لو أنفقت ما في الأرض جميعاً » لتجمعهم على الالفة ما تم لك ذلك ، وان كان الله الف بينهم بلطف من الطافه ، وحسن تديره ، وبالاسلام الذي هداهم الله اليه ، ونصب جميعاً على الحال . وقوله : « انه عزيز حكيم » معناه قادر لا يمتنع عليه شيء يريد فعله « حكيم عليم » لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة فعلى ذلك جمع قلوبهم على الالفة .

قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

(٦٤) آية بلا خلاف .

هذا خطاب من الله تعالى لنبيه محمد (ص) يقول له : يكفيك ان يكون ناصرك على اعدائك الله تعالى ، والذين اتبعوك من المؤمنين من المهاجرين والانصار ، وانما كسر قوله : (حسبك) مع انه قد ذكر فيما قبل ، لأن المعنى هناك ان ارادوا اخذاك كفاك الله امرهم . وهاهنا معناه عام في كل ما يحتاج فيه الى كفاية الله اياه .

وقوله « ومن اتبعك » يحتمل اعرابه وجهين :

أحدهما - ان يكون نصيباً . والمعنى ويكفي من اتبعك على التأويل ، لأن الكاف في موضع خفض بالاضافة لمكانه مفعول به في المعنى ، فمطف على المعنى ، وليس ذلك بكثير . واجاز الفراء الرفع لقوله : « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين » ومثله قوله : « انا منجوك واهلك » (١) وقال الشاعر :

إذا كانت الهيجا وانشقت العصا فحسبك والضحاك سيف مهند (٢)

وهو معنى قول الشعبي وابن زيد . وقال الحسن : هو عطف على اسم الله ، فيكون رفعا .

والكسائي ، والفراء ، والزجاج أجازوا الوجهين وحمل عليها معاً أبو علي الجبائي . والاتباع موافقة الداعي فيما يدعوا اليه من اجل دعائه . والمؤمنون يوافقون النبي (عليه السلام) في كل ما دعا اليه . وقال الواقدى : نزلت هذه الآية في بني قريظة وبني النضير لما قالوا له : نحن نسلم ونتبعك .

قوله تعالى :

« يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم
عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا
ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون » (٦٥) آية
بلا خلاف .

وهذا أيضاً خطاب للنبي (ص) يأمره الله بأن يحرض المؤمنين على قتال المشركين .

(١) سورة العنكبوت آية ٣٣ .

(٢) القرطبي ٨ : ٤٢ ومعاني القرآن ١ : ٤١٧ . وتفسير القاسمي ٨ : ٣٠٣٠ .

اللغة :

والتحريض والحث نفاً ، وهو الدعاء أو كيد بتحريك النفس على أمر من الأمور . وضده التفتير . والمعنى حثهم على القتال والتحريض الحث على الشيء الذي يعلم معه انه حارص إن خالف وتأخر . والحارص هو الذي قارب الهلاك . ومنه قوله : « حتى تكون حارصاً » (١) اي حتى ندوب غمها على ذلك وتقارب الهلاك « او تكون من الهالكين » . وحارص فلان على أمره إذا واظب عليه . والتحريض ترغيب في الفعل بما يبعث على المبادرة اليه مع الصبر عليه . والقتال محاولة الصمد والمدم بما فيه تعرض للقتل . والمجاهدة ان يقصد الى قتل المشركين بقتاله ، ومن يدفع عن نفسه فليس كذلك . والصبر هو حبس النفس عما تنازع اليه من صدم ما ينبغي أن يكون عليه . وضده الجزع ، وقال الشاعر :

فان تصبراً فالصبر خير مغبة وان تجزعا فالامر ما تريان (٢)
والغلبة الظفر بالبغية في المحاربة قتلاً أو اسراً او هزيمة . وقد يقال في الظفر بالبغية في المنازعة بالغلبة .

المعنى :

ومعنى « لا يفقهون » ها هنا أنهم على جهالة خلاف من يقابل على بصيرة ، وهو يوجب به ثواب الآخرة . وقال قوم : معناه لا يعلمون ما لهم من استحقاق الثواب بالقتال . وقوله : « ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين » وان كان بلفظ الخبر ، فالمراد به الأمر ويبدل على ذلك قوله : « الآن خفف الله عنكم » لأن التخفيف لا يكون الا بعد المشقة .

(١) سورة يوسف آية ٨٥ . (٢) مجمع البيان ٢ : ٥٥٦ .

قوله تعالى :

﴿الآن خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفِينَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (٦٦) آية بلا خلاف.

القراءة والحجة :

قرأ أهل الكوفة « ان يكن ... مئة . وان يكن ... الف » بالياء فيها وافقهم أهل البصرة في الاولى . وقرأ أهل الكوفة الا الكسائي « ضعفاً » بفتح الضاد . الباقيون بضمها ، ولكنهم سكنوا العين الا أبا جعفر فإنه فتحها ، ومد وهمز على وزن فعلاه على الجمع . من قرأ « ان يكن » بالياء فلان المراد به المذكور بدلالة قوله : « يغلبوا » وكذلك ما وصف به المئة بقوله : « صابرة » لأنهم رجال : حملا على المعنى كما حمل على المعنى في قوله : « فله عشر أمثالها » (١) فأنث لما كانت في المعنى حسنة . ومن قرأ بالتاء فلان اللفظ لفظ التأنيث . ومن قرأ الاول بالتاء والثاني بالياء فلان القراءة بالتاء في الاولى أشد مشاكلة لقوله : « مئة صابرة » وليس كذلك في الاخرى ، لانه اخبر عنهم بقوله : « يغلبوا » .

المعنى واللغة :

وقال سيبويه يقال : ضعف ضعفاً فهو ضعيف . قال وقائوا الفقر كما قالوا الضعف ، فعل ذلك انها لغتان .

هذه الآية نصحت حكم ما تقدمها ، لأن في الاولى كان وجوب ثبات الواحد للعشرة والعشرة للمئة فلما علم الله تعالى ان ذلك يشق عليهم وتغيرت المصلحة في ذلك

(١) سورة الانعام آية ١٦٠ .

نقلهم الى ثبات الواحد للثنتين والمئة للمثنى ، نحفف ذلك عنهم ، وهو قول ابن عباس والحسن وعكرمة وقتادة ومجاهد والسدي وعطاء والبلخي والجبائي والرماني ، وجميع المفسرين .

والتخفيف رفع المشقة بالخفة . والخفة نقيض الثقل والخفة والسهولة بمعنى واحد والضعف نقصان القوة ، وهو من الضعف لانه ذهاب بعض القوة وقوله : « باذن الله » فالاذن الاطلاق في الفعل ، لانه يسمع بالاذن ، ومنه الاذان والايذان والاستئذان ، وقوله : « الآن » مبني مع الالف واللام لانه خرج عن التمكن بشبه الحرف ، لانه ينكر تارة ويعرف اخرى ، فاستبهم استبهاهم الحروف بأنه لفصل بين الزمانين على انتقال معناه الى الذي يليه من الوقت كما يقتل امس ، فالامس والغد والآن نظائر واحكامها مختلفة لعل لزمها .

وقوله تعالى : « والله مع الصابرين » معناه انه معهم بالمعونة لهم ، والمعنى ان معونة الله مع الصابرين وحقيقة (مع) ان تكون للمصاحبة للجهة بالمعونة وذلك لا يجوز عليه تعالى . وقيل هذه الآية نزلت بعد الاولى بمدة .

قوله تعالى :

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُشْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٦٧)

آية بلا خلاف .

القراءة والحجة واللغة :

قرأ اهل البصرة وابن شامي « ان تكون » بالتاء . الباكون بالياء . وقرأ ابو جعفر اسارى ومن الاسارى بفتح الهمزة منها ، وبألف بعد السين ، ووافقه ابو عمرو في

الثاني . الباقون بفتح الهمزة وسكون السين من غير الف فيها .
 من قرأ بالياء فلأن لفظ الأسرى لفظ التأنيث ، فعمله على اللفظ .
 ومن قرأ بالياء فلأن الفعل مقدم والأسرى المراد به المذكورون . وأيضاً فقد
 وقع الفصل بين الفعل والفاعل وكل واحد من ذلك إذا انفرد بذكر الفعل معه ، مثل
 جاء الرجل وحضر القاضي امرأة ، فإذا اجتمعت هذه الأشياء كان التذكير أولى .
 واختار الأخص التذكير . وقال ابو علي الفارسي : الأسرى اقيس من الأسارى
 لأن اسير فاعيل بمعنى مفعول ، وما كان كذلك لا يجمع بالواو والنون ، ولا بالالف
 والياء . وإنما يجمع على فعلى مثل جريح وجرحى وقتيل وقتلى وعفير وعفري ، ولدغ
 ولدغى ، وكذلك كل من اصيب في بدنه مثل مريض ومرضى وأحمق وحمقى
 وسكران وسكرى .

ومن قرأ اسارى شبهه بكسالى وقالوا كسلى شبهوه بأسرى وأسارى في جمع
 اسير ليس على بابيه وقال ابو الحسن : الأسرى مالم يكن موثقاً والاسارى موثوقون .
 قال : والعرب لا تعرف ذلك بل هما عندهم سواء . وقال الأزهري : الاسارى بجمع
 اسرى فهو جمع الجمع ، والاسر الشد على المحارب بما يصير به في قبضة الأخذ له .
 وأصله الشد ، يقال : قتب ماسوراي مشدود وكانوا يشدون الاسير بالقد .

اللغة والمعنى والتزول :

والمعنى : ما كان لنبي ان يجبس كافراً للفداء والمن حتى يشخن في الأرض ،
 والاثخان في الأرض تغليظ الحال بكثرة القتل . وقال مجاهد : الاثخان القتل . والاشخن
 والغلظ والكثافة نظائر .

وقوله : « يريدون عرض الدنيا » يعني تريدون الفداء والعرض متاع الدنيا
 وسماء عرضاً لقلّة لبته لانه بمعنى العرض في اللغة .

وقوله : « والله يريد الآخرة » معناه والله يريد عمل الآخرة من الطاعات التي تؤدي إلى الثواب وإرادة الله لنا خير من إرادتنا لأنفسنا .

وقوله : « والله عزيز حكيم » معناه يريد عمل الآخرة ، فإنه يرمزكم ويرشدكم إلى إصلاحكم ، لأنه عزيز حكيم ، فلا تخافوا قهراً مع إعزازة إياكم .
وهذه الآية نزلت في أسارى بدر قبل أن يكتر الإسلام ، فلما كثر المسلمون قال الله تعالى : « فلما منا بعد وإنا فداء » (١) وهو قول ابن عباس وقتادة . وقال قديمهم بأربعة الآف ، وفي الآية دليل على بطلان المجبرة لأنه تعالى فصل إرادة نفسه من إرادتهم ، ولو كان يريد ما أرادوه لم يصح هذا الفعل من التفصيل .
فإن قيل : كيف يكون القتل فيهم كان أصلح وقد أسلم منهم جماعة ومن علم الله من حاله أنه يؤمن بحجبه تبييته ؟

قلنا : في ذلك خلاف . فمن قال : لا يجب ذلك لا يلزمه السؤال . ومن قال : ذلك واجب قال : إن الله أراد أن يأمرهم بأخذ الفداء وإنما عاتبهم على ذلك لأنهم بادروا إليه قبل أن يؤمروا به .

قوله تعالى :

﴿ أَوَلَا كِتَابٌ مِّنْ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

(٦٨) آية بلا خلاف .

المعنى :

قيل في معنى قوله : « لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم » قولان :
قال الحسن لولا ما كتبه الله في اللوح المحفوظ من أنه لا يعذبهم على ذلك .

(١) سورة محمد آية ٤ .

وقال غيره : لولا ما كتب الله فيه انه يغفر لأهل بدر ما تقدم وما تأخر .

الثاني - قال مجاهد : يعني ما ذكره من قوله : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » (١) وكانه قال : لا اعذب إلا بعد المظاهرة في البيان وتكرير الحججة به .
وقال قوم : « لولا ما كتبه الله » من ان الفدية ستحل لهم فيما بعد ، ذهب اليه سعيد ابن جبير . ومعنى الآية : « لولا كتاب من الله سبق لمسك فيما اخذتم » من فداء الاسرى والغنيمة عذاب عظيم ، لانهم اخذوه قبل ان يؤذن لهم . وقد كان سبق ان الله سيحلهم لهم في قول ابن عباس والحسن ، وقال الجبائي : والمعنى « لولا كتاب من الله سبق » وهو القرآن الذي امنتهم به واستحققتهم لذلك غفران الصغائر لمسك فيما اخذتم به من الفداء عذاب عظيم . ولا يجوز ان يكون المراد به الا الصغائر لانهم قبل الغفران لم يكونوا فاساقا اجماعاً . قال الجبائي : وقد كان من النبي (ص) في هذا معصية اجماعاً من غير تعيين ما هي واظن انها في ترك قتل الاسرى وهذا الذي ذكره غير صحيح ، لانه لا إجماع في ذلك بل عندنا لا يجوز على النبي (ص) فعل شيء من القبائح صغيراً كان او كبيراً لما في ذلك من التنفير عنه على ما بيناه في غير موضع .
واكثر المفسرين على ان النبي (ص) لم يقع منه خلاف لأمر الله . وقد روي ان النبي (ص) كره اخذ الفداء حتى رأى سعد بن معاذ كراهية ذلك في وجهه ، فقال : يا رسول الله هذا اول حرب لقينا فيه المشركين اردت ان يشخن فيهم القتل حتى لا يعود احد بعد هذا الى خلافتك وقتالك ، فقال رسول الله : قد كرهت ما كرهت ، ولكن رايت ما صنع القوم ، فلمصية في ذلك كانت من قوم من الصحابة الذين مالوا الى الدنيا واخذ الفداء . وقد قال الباخي ايضاً ان اجلاء الصحابة براء من ذلك . وروي عن النبي (ص) انه قال ان الغنائم احلت لي ولم تحل لنبي قبلي .

اللغة :

ومعنى (لولا) امتناع الثاني لوقوع الاول كقولك : لولا زيد بالمكان الذي هو به لا تبتك ، فامتنع الايتان لمكان زيد . والسبق يكون تقدماً في الزمان والمكان والرتبة بأن يكون له وان لم يكن فيها . والمس مماسة يقع معها إدراك ، وهو كاللمس في الحقيقة . والعظيم ما يصغر فيه قدر غيره ، ويكون ذلك بمعظم الجثة تارة وبمعظم الشأن اخرى . والعظيم هو المستحق للصفة بأن قدر غيره صغير عنده .

القصة :

وقال ابو جعفر (ع) : كان الفداء يوم بدر كل رجل من المشركين بأربعين اوقية من فضة والاوقية أربعون مثقالاً إلا العباس فان فداءه كان مئة اوقية وكان اخذ منه حين امر اثنين وعشرين اوقية ذهباً ، فقال النبي (ع) ذاك غنيمة ففاد نفسك وابني اخيك عقيل ونوفل بن الحارث ، فقال : ليس معي ، فقال : ابن الذهب الذي سلمته الى ام الفضل وقلت ان حدث بي حدث ، فهو لك وللفضل وعبد الله وميثم ، فقال من أخبرك بهذا ؟ قال : الله ، قال : اشهد انك رسول الله ، والله ما اطعم على هذا أحد إلا الله تعالى .

قوله تعالى :

﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالاً طَيِّباً وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٦٩) آية بلا خلاف .

اباح الله تعالى للمؤمنين بهذه الآية أن يأكلوا مما غنموه من اموال المشركين بالقهر من دار الحرب . ولفظه وإن كان لفظ الامر . فالمراد به الاباحة ورفع الحظر . والغنيمة ما أخذ من دار الحرب بالقهر والقيء ما رجع الى المصلحين ، وانتقل اليهم من

المشركين . والاكل تناول الطعام بالفم مع المضغ والبلع ، فثني فعل الصائم هذا فقد
أكل في الحقيقة . والفرق بين الحلال والمباح ان الحلال من أصل العقيد في التحريم
والمباح من التوسعة في الفعل وان اجتمعا في الحل . والطيب المستأذ، وشبهه الحلال به
فسمي طيباً . واللذة نيل المشتهى .

قال الزجاج : الفاء في قوله : « فكلوا » على تقدير قد أحلت لكم الفداء فكلوه .
وقوله : « واتقوا الله » معناه اتقوا معاصيه فان الله غفور رحيم لمن اطاعه
وترك معاصيه .

قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنَّ يَعْلَمَ
اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٠) آية بلا خلاف .

قرأ ابو عمرو وحده من السبعة و ابو جعفر « الاسارى » الباقون « الاسرى »
وابو عمرو جمع المذهبين في الاول والثاني . وحمله الباقون على النظر في المعنى .
وقد فسرنا فيما مضى الاسير من اخذ من دار الحرب من أهلها ، ولو اخذ مسلم
لكان قد فك أسره . خاطب الله بهذه الآية نبيه (ص) وأمره ان يقول لمن حصل في
يده من الاسرى يعني من حصل في وثاقه وسماه في يده لانه بمنزلة ما قبض على يده
بالاستيلاء عليه ولذلك يقال في الملك المتنازع فيه لمن اليد ؟ وقوله : « ان يعلم الله في
قلوبكم خيراً » يعني اسلاماً . وقيل معناه ان يعلم منكم خيراً في المستقبل بأن يفعلوه
فيعلمه الله موجوداً ، لان مالم يفعل لا يعلمه موجوداً . والخير النفع العظيم ، وهو هاهنا
البصيرة في دين الله وحسن النية في امر الله . وقوله : « يؤتكم خيراً » يعني يعطيكم
خيراً « مما اخذ منكم » من الفداء . وقال الحسن اطلقهم بالفداء ، ولولم يسلموا لم يتركهم .

وقوله : « ويغفر لكم » يعني زيادة مما يؤتيهم يغفر لهم معاصيهم ويسترها عليهم
لانه غفور رحيم . وروي عن العباس انه قال : كان معي عشرون اوقية فأخذت مني
فأعطاني مكانها عشرين عبداً ووعدني بالمغفرة . وقال العباس في نزلت وفي اصحابي
هذه الآية ، وهو قول ابن عباس والضحاك وقتادة وغيرهم .

قوله تعالى :

﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ
مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٧١) آية بلا خلاف .

معنى الآية ان هؤلاء الاسارى ان علم الله في قلوبهم خيراً اخلف عليهم خيراً
مما اخذ منهم . وان غزموا على الخيانة ، ونقض العهد وفلموا خلاف ما وقع عليه العقد
من تأدية فرض الله ، فقد خانوا الله من قبل هذا . والمعنى فقد خانوا اولياء الله ،
لأن الله لا يمكن ان يخان ، لأنه عالم بالاشياء كلها لا يخفى عليه خافية . والخيانة
هاهنا نقض عقد الطاعة لله ورسوله التي شهدت بها الدلالة . وقوله : « فامكن منهم »
والمعنى لما خانوا بأن خرجوا الى بدر وقاتلوا مع المشركين ، فقد امكن الله منهم بأن
غلبوا واسروا . فان خانوا ثانياً فيمكن الله منهم مثل ذلك . والامكان هو القدرة على
الشيء مع ارتفاع المانع ، وما لو حرص عليه صاحبه اثم الحرص لم يصح ان يقع منه
لا يكون امكاناً ، فالامكان ينافي المنع والاجزاء كما ينافي المعجز القدرة .

وقوله : « والله عليم حكيم » معناه عالم بما تقولونه وما في نفوسكم وبجميع
الاشياء « حكيم » فيما يفعله . والحكيم هو العالم بوجوه الحكمة في الفعل مما يصرف
عن خلافها . والاصل في الحكمة المنع فهي تمنع الفعل من الخلل والفساد .

قوله تعالى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَانصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النُّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾

آية بلاخلاف .

القراءة والحجة واللغة :

قرأ حمزة « ولا يتهم » بكسر الواو . والباقون بفتحها . قال الزجاج : إنما جاز الكسر لأنه يشبه الصناعة كالخطاطة والقصارة والحياكة ، وقال الشاعر في الفتح :
دعيهم فهم ألب علي ولابة وحفرهم ان يعلموا ذلك دائب (١)
قال ابو عبيدة : بفتح الواو مصدر المولى تقول : مولى بين اولادة وإذا كسرت فهو من وليت الشيء . قال ابو الحسن يفتح الواو من الولاية إلا الولاية في السلطان بكسر الواو ، وكسر الواو في الاخرى لغة .

وقرأ الأعمش بكسر الواو من الولاية في الدين هنا . قال ابو علي الفارسي : الولاية هاهنا في الدين والفتح أجود . قال بوا الحسن : وهي قراءة الناس . وعن الأعمش أنه كسر الواو ، وهي لغة . وليست بذلك . قال المبرد عن الاصمعي : ان الأعمش لحن في كسره لذلك . قال ابو علي : إذا كان ذلك لغة لا يكون لحناً . قال

(١) معاني القرآن ١ : ٤١٩ .

الفراء : والكسر أحب الي ، لأنها ولاية المواريث . وقال الازهري : في النصرمة والنسب بفتح الواو . وفي الامارة بكسرها .

المعنى واللغة :

اخبر الله تعالى في هذه الآية عن أحوال المؤمنين الذين هاجروا من مكة الى المدينة بقوله : « إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله » وعن أحوال الأنصار بقوله : « والذين آووا ونصروا » يعني النبي (ص) . ثم قال : اولئك يعني المهاجرين والانصار « بعضهم أولياء بعض » والهجرة فراق الوطن الى غيره من البلاد فراراً من المقتنين في الدين ، لأنهم هجروا دار الكفر الى دار الاسلام . والجهاد تحمل المشاق في قتال اعداء الدين جاهد جهاداً وجهده الأمر جهداً واجتهد اجتهاداً ، وجاهد مجاهدة . والايواء ضم الانسان صاحبه اليه بانزاله عنده وتقريبه له تقول : آواه يؤويه ايواء واوى ياوى اوياء واوتت معناه رجعت الى المأوى . والولاية عقد النصرمة للموافقة في الديانة .

ثم اخبر تعالى عن الذين آمنوا ولم يهاجروا من مكة الى المدينة فقال : « والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء » وقيل في معناه قولان : احدهما - ولاية القرابة نفاها عنهم لأنهم كانوا يتوارثون بالهجرة والنصرمة دون الرحم في قول ابن عباس والحسن وقتادة والحدى . وعن ابي جعفر (ع) انهم كانوا يتوارثون بالمواخاة الاولى .

الثاني - انه نفي الولاية التي يكونون بها يداً واحدة في الحل والعقد ، فنفي عن هؤلاء ما اثبتته للاولين حتى يهاجروا ثم قال : « وان استنصروكم » اي طلبوا نصركم في الدين يعني الذين آمنوا ولم يهاجروا فمليكم نصرهم بسبب الايمان والذي يجب عليكم ان تنصروهم على الكفار « إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق » يعني موادعة

ومهادنة تقتضيه من جهة ان عقدهم بخلاف عهدهم . وقيل انه نسخ ذلك بقوله :
 « المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » وقوله : « والله بما تعملون بصير »
 يعني عالم بما يعملونه .

قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ أَلَا تَعْمَلُونَ تَكُنْ
 فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ (٧٣) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى عن الكافرين أن بعضهم أولياء بعض بمعنى النصرة ، لأنه ينصر
 بعضهم بعضاً . وقوله : « ألا تعملون » الهاء عائدة الى معنى ما أمروا به في الآية
 الاولى ، والثانية . ومخرجه مخرج الخبر والمراد به الأمر وتقديره ألا تفعلوا ما أمرتم به من
 التناصر والتعاون ، والبراءة من الكفار « تكن فتنة في الأرض وفساد كبير » على
 المؤمنين الذين لم يهاجروا . فافتنة هاهنا المحنة بالميل الى الضلال ، لأنه إذا لم يتوال
 المؤمن المؤمن على ظاهر حاله من الايمان والفضل ولم يدعه الى التبري من الضلال ادى
 ذلك الى الضلال والفساد ضد الصلاح وهو الانقلاب الى الضرر القبيح . والصلاح
 جريان الشيء على استقامة والولي هو المختص بالمقد على النصرة في وقت الحاجة ،
 وقد يعقد بالمزم ، وقد يعقد بالحكم .

وقيل في معنى قوله : « والذين كفروا بعضهم أولياء بعض » قولان :

احدهما - في الميراث ، في قول ابن عباس ، وابن مالك .

والثاني - قال قتادة وابن اسحق في النصرة .

قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ

آوَا وَنَصَرُوا أَلَيْكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى في هذه الآية ان الذين آمنوا بالله وصدقوا رسوله وهاجروا من ديارهم وأوطانهم يعني من مكة الى المدينة ، وجاهدوا مع ذلك في سبيل الله وقتل اعدائه . والذين آووا من الانصار ومعناه ضموم اليهم ونصروا النبي (ص) بأنهم المؤمنون حقاً .

وقيل في معناه قولان :

احدهما - انهم المؤمنون الذين حققوا ايمانهم لما يقتضيه من الهجرة والنصرة بخلاف من اقام بدار الشرك .

الثاني - قال ابو علي الجبائي : معناه انهم المؤمنون حقاً ، لان الله حقق ايمانهم بالبشارة التي بشرهم بها ، ولو لم يهاجروا ولم ينصروا لم يكن مثل هذا .
واختلفوا في هل يصح الهجرة في هذا الزمان او لا ؟

فقال قوم : لا تصح لان النبي (ص) قال : لا هجرة بعد الفتح ولأن الهجرة انتقال من دار الكفر الى دار الاسلام على هجر الأوطان ، وليس يقع مثل هذا في هذا الزمان لاتساع بلاد الاسلام إلا ان يكون نادراً لا يعتد به .

وقال الحسن : بقيت هجرة الاعراب الى الامصار الى يوم القيامة .
والأقوى ان يكون حكم الهجرة باقياً ، لأن من اسلم في دار الحرب ثم هاجر الى دار الاسلام كان مهاجراً .

وسمي الجهاد في سبيل الله لأنه طريق الى نواب الله في دار كرامته .
وقوله : « لهم مغفرة ورزق كريم » اخبار منه تعالى ان لهؤلاء المغفرة لذنوبهم والرزق الكريم يعني العظيم الواسع والكريم الذي يصح منه الكرم من غير مانع .

والسكرم الجود العظيم والشرف قال الشاعر :

تلك المكارم لا قعبان من ابن شيباً بماه فعادا بعد ابوالا (١)
وقيل الرزق السكريم هنا طعام الجنة لانه لا يستحيل الى اجوافهم نجواً بل
يصير كالمسك ريحاً .

قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ
مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ
بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٧٥) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى بأن الذين هاجروا بعد هجرة من هاجر وقيل اراد بعد الفتح
وجاهدوا مع المؤمنين بأن قال : فأولئك منكم ، ومعناه حكمهم حكمكم في وجوب
موالاتهم ومواريتهم ونصرتهم .

وقوله : « اولو الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله » قيل في معنى
« كتاب الله » قولان :

احدها - في كتاب الله من اللوح المحفوظ ، كما قال : « ما اصاب من مصيبة
في الارض ، ولا في انفسكم إلا في كتاب من قبل ان نراها » (٢) .
والثاني - قال الزجاج : يعني في حكم الله .

ومعنى « اولوا » ذوا واحد ذو ، ولا واحد له من لفظه .
وفي الآية دلالة على ان من كان قرباه اقرب الى الميت كان اولى بالميراث
سواء كان عصبه او لم يكن او له نسبه او لم يكن ، لان مع كونه اقرب تبطل التسمية

(١) مجمع البيان ٢ : ٥٦٢ .

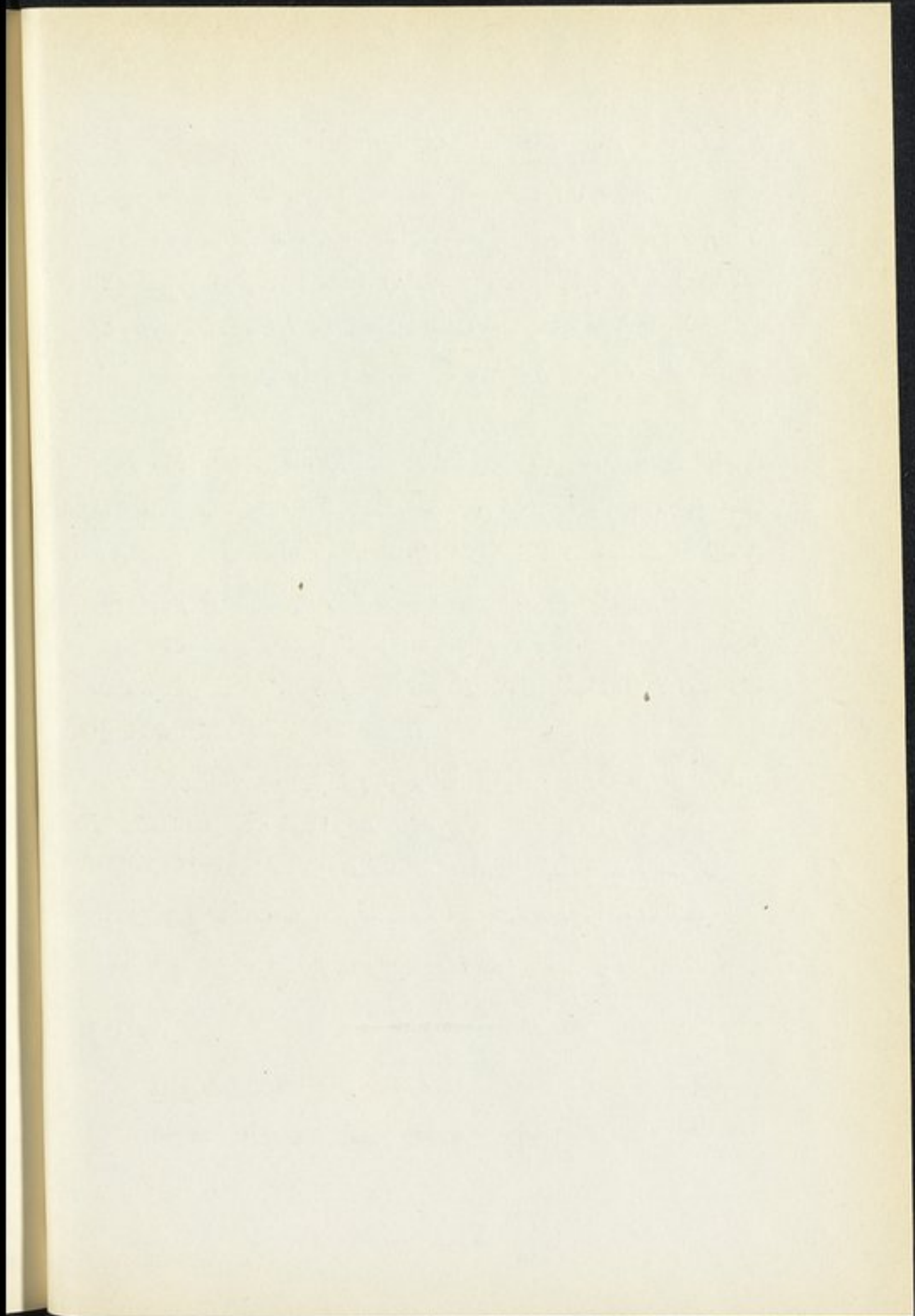
(٢) سورة الحديد آية ٣٢ .

ومن وافقنا في توريث ذوي الأرحام يستثنى العصبية ، وذوي السهام .
وهذه الآية نسخت حكم التوارث بالنصرة والهجرة فانهم كانوا لا يورثون
الاعراب من المهاجرين على ما ذكر في الايات الاول . ومن قال الولاية في الآيات
الأولة ولاية النصرة دون الميراث يقول : ليست هذه ناسخة لها بل هما محكمتان .
ودخلت الفاء في قوله : « فأولئك » كما تقول الذي يأتيني فله درهم ، لأن فيه
معنى المجازات .

وقال مجاهد في هذه الآيات الثلاث ذكر ما ولاية رسول الله بين المهاجرين
والأنصار في الميراث ، ثم نسخ ذلك بآخرها من قوله : « وأولوا الأرحام بعضهم
أولى ببعض في كتاب الله » وقال عبد الله بن الزبير نزلت في العصبية كان الرجل
يعاقد الرجل يقول : ترتني وارثك فنزلت « وأولوا الأرحام » الى آخرها .
وقال الحسن : والذين آمنوا من بعد يعني بعد فتح مكة . وقوله : « منكم »
معناه مؤمنون مثلكم ، ولا هجرة بعد فتح مكة ، وقال : الهجرة الى الأوصار قائمة
الى يوم القيامة .

وكان الحسن يمنع ان يتزوج المهاجر الى اعرابية . وروي عن عمر أنه قال :
لا تنكحوا أهل مكة ، فانهم اعراب .
واكثر هذه السورة في قصة بدر . وكانت في صبيحة السابع عشر من شهر
رمضان على رأس ثمانية عشر شهراً من الهجرة من شهد هذه الواقعة فله الفضل .





سورة براءة

مدينة وهي مئة وعشرون آية في الكوفي
وثلاثون في البصري والمدنيين

قال مجاهد وقتادة وعثمان : هي مدينة وهي آخر ما نزلت على النبي (ص) بالمدينة
وروي عن حذيفة انه قال : كيف يسمونها سورة التوبة وهي سورة العذاب ؟
وروي عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس سورة التوبة قال : تلك الفاضحة
ما زالت تنزل وفيهم ومنهم حتى خشينا الا تدع احداً . قال : وسورة الأتفال نزلت
في بدر ، وسورة الحشر في بني النضير .

قوله تعالى :

﴿ بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

(١) آية .

قيل في علة ترك افتتاح هذه السورة بـ (بسم الله الرحمن الرحيم) فولان :
احدهما - ما روي عن ابي بن كعب أنه ضمت هذه السورة الى الأتفال

بالمقاربة ، فكانت كسورة واحدة لأن الاولى في ذكر اليهود والاخرى في رفع اليهود .

وقال عثمان لاشتباه قصتهما ، لأن الاولى في ذكر اليهود والاخرى في رفع اليهود .
وقال المبرد : لأن (بسم الله الرحمن الرحيم) أمان وبراهة نزلت برفع الامان .

الاعراب واللغة :

ويحتمل رفع براهة وجهين :

احدهما - ان يكون خيرا لمبتدأ المحذوف وتقديره هذه الايات براهة .
والثاني - ان يكون مبتدأ وخبره الظرف في قوله « الى الذين » . والأول أجود
لانه يدل على حصول المدرك كما تقول لما تراه حاضرا : حسن والله أي هذا حسن .
ومعنى البراهة انقطاع المعصية بربى براهة وبراءة وبراءة تبرؤا وبراءة
من المرض وبراءة ابراء وأبرؤ وبر تبرؤا . وروى أهل اللغة براءت أبرؤ برآء ولم يجىء
من المهموز (فملت افعل) إلا في هذا الحرف الواحد وبرت القلم ابريه برياً بغير همز
وبراه السير إذا هزله . وبرى له يبرى . إذا تعرض له وباراه إذا عارضه وبراءت البعير
إذا جمعت لاتفه براه بالالف .

المعنى واللغة :

ومعنى الآية بربى الله من المشركين ، ورسوله « إلا الذين عاهدتم من
المشركين » من اعطاهم الامان ، واليهود والوفاء لهم بها إلا إذا نكثوا ، لانهم كانوا
ينكثون ما كان بينهم وبين النبي (ص) ، فأمر الله تعالى النبي (ص) ان ينبذ أيضاً
اليهم عهدهم .

وقوله : « إلا الذين عاهدتم من المشركين » فالعهد العقد الذي يتقدم به لتوثيق

الامر عهداً وعاهد معاهدة وتعاهد الامر تعاهداً وتعهدته تعهداً. وقوله: «عاهدتم»
انما جاء بلفظ الخطاب ، لأن فيه دلالة على الأمر بالنبيذ الى المشركين برفع الامان
ولولا ذلك لجاز عاقدنا ، لأن معاهدة النبي (ص) انما هي عن الله عز وجل . ويجوز
رفع الامان والبراءة من غير نقض العهد إذا كان مشروطاً الى أن يرفع الله اليهم .

قوله تعالى :

﴿ فَسَيَحْوُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ
مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴾ (٢) آية بلا خلاف .

اللغة والمعنى :

السيح السير في الأرض على مهل تقول : ساح بسيح سبيحاً وسباحة وسيوحاً
وسيحاناً وإنساح الماء إنسياحاً وسيحه تسيحاً .

أمر الله تعالى في هذه الآية ان يقال لهؤلاء المشركين ان يسبحوا في الأرض
اربعة اشهر آمنين وإنما حلهم هذه الاشهر لانها الاشهر الحرم الى آخر المحرم من اول شوال ، في
قول ابن عباس والزهرى .

وقال القراء : كانت المدة الى آخر المحرم لأنه كان فيهم من كان مسدته خمسين
ليلة ، وهو من لم يكن له عهد من النبي (ص) فجعل الله ذلك له . قال : ومعنى
الاشهر الحرم المحرم وحده وإنما جمعه لانه متصل بذى الحجة وذى القعدة فكانه
قال : فإذا انقضت الثلاثة اشهر .

وقال ابو عبد الله (ع) اول الاربعة الاشهر يوم النحر وآخرها العاشر من
شهر ربيع الآخر وهو قول محمد بن كعب القرطبي ومجاهد وقال الحسن : إنما جعل
لهم هذه المدة ، لان منهم من كان عهده اكثر من اربعة اشهر فخط اليها . ومنهم من

كان أقل فرغ إليها . وقال أبو علي الجبائي كان يوم النحر لعشرين من ذي القعدة إلى عشرين من ربيع الأول ، لأن الحج كان تلك السنة في ذلك الوقت ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة وفيها حجة الوداع ، وكان سبب ذلك التسمي الذي كان في الجاهلية .

وقرأ براءة على الناس يوم النحر بمكة علي بن أبي طالب (ع) لأن أبا بكر كان على الموسم في تلك السنة فاتبعه النبي (ص) بعلي (ع) ، وقال : لا يبلغ عني إلا رجل مني في قول الحسن ، وقتادة ، ومجاهد ، والجبائي .

وروى أصحابنا أن النبي (ص) كان ولاه أيضاً الموسم ، وأنه حين أخذ البراءة من أبي بكر رجع أبو بكر فقال : يا رسول الله انزل في قرآن ، فقال : لا ، ولكن لا يؤدي إلا أنا أو رجل مني .

وروى الشعبي عن محرز بن أبي هريرة قال قال أبو هريرة : كنت أنادي مع علي (ع) حين أذن المشركين فكان إذا اضمحل صوته مما ينادي دعوت مكانه ، قال فقلت يا أباه أي شيء كنتم تقولون ؟ قال : كنا نقول لا يحج بحد عامنا هذا مشرك قال : وما حج بحد عامنا مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ، ولا يدخل الجنة إلا مؤمن ومن كانت بينه وبين رسول الله (ص) مدة فإن أجله إلى أربعة أشهر فإذا انقضت أربعة أشهر فإن الله بريء من المشركين ورسوله .

وفتحت مكة سنة ثمان ونزلت براءة سنة تسع وحج رسول الله (ص) حجة الوداع سنة عشر .

وقوله «واعلموا انكم غير معجزى الله» معناه انكم غير فائتين كما يفوت ما يعجز عنه ، لانكم حيث ما كنتم في سلطان الله وملكه والاعجاز ايجاد المعجز والمعجز ضد القدرة عند من اثبتته معنى .

وقوله : « وان الله مخزي الكافرين » فالأجزاء الأذلال بما فيه الفضيحة
والعار . والحزبي النكال الفاضح .

قوله تعالى :

﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ
اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُمْ أَوْسَدُ بَرًا
فَأَعْلَمُوا أَنَّهُمْ غَيْرُ مَعْجُزِي اللَّهِ وَبَشَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا
بِمَذَابِ الْبِمِ) (٣) آية اجماعا .

الأذان الاعلام في قول ابن زيد والزجاج ، والجبائي ، تقول : اذنتي فلان
كذا فأذنت اي اعلمني فعلت . وقال بعضهم : معناه النداء الذي يسمع بالأذن .
وقال القراء والزجاج انما ارتقم ، لأنه عطف على قوله براءة . وقيل : معناه
عليكم اذان ، لان فيه معنى الامر .

والحج المقصد الى اعمال المناسك على ما امر الله به وقد بينا شرائط الحج
واركانه وفرائضه في كتب الفقه ، ولا نطول بذكره ها هنا .

والحج الاكبر قال عطا ، ومجاهد ، وعامر وبشر بن عباد : هو ما فيه الوقوف
بعرفة والاصفر العمرة ، وقال مجاهد : الحج الاكبر هو القران ، والحج الاصفر
هو الافراد .

وقيل في معنى « يوم الحج الاكبر » ثلاثة اقوال :

احدها - ما روي عن النبي (ص) انه قال : عرفه ، وهو المروى عن عمر
وابن عباس بخلاف فيه وبه قال عطا ومجاهد وابن الزبير وابو حنيفة .

والثاني - في رواية أخرى عن النبي (ص) وعلي (ع) وابن عباس وسعيد
ابن جبير ، وعبد الله بن أبي أوفى ، وإبراهيم ومجاهد انه يوم النحر وهو المروي عن
أبي عبد الله (ع) .

وسمي بالحج الاكبر لانه حج فيه المشركون والمسلمون ولم يحج بعدها مشرك.

الثالث - قال مجاهد وشعبة: هو جميع ايام الحج .

اعلم الله تعالى في هذه الآية المشركين انه ورسوله بريء من المشركين وانه ان
تبتم ورجعتم الى الايمان وطاعة الرسول « فهو خير لكم » وان اعرضتم وتوليتهم
فاعلموا انكم لا تعوثون الله وان الله يبشر الكافرين بمذاب اليم اي شديد مؤلم .
قال الحسن الحج الاكبر ثلاثة ايام الحج اجتمعت في تلك الايام الثلاثة اعياد
المسلمين وأعياد اليهود وأعياد النصارى ، فقال رسول الله (ص) لم يكن فيما خلا ولا
يكون الى يوم القيامة .

قوله تعالى :

﴿ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنُتَهُوا عَنْكُمْ
شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتَهُوا الْيَوْمَ عَاهِدَهُمْ إِلَىٰ مَدَّتِهِمْ
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٤) آية في الكوفي والمدنيين وآيات
في البصري .

استثنى الله تعالى من براهته عز وجل ، وبراهة رسوله (ص) من المشركين من
كان لهم العهد ، في قول الزجاج . وقال الفراء : هذا استثناء في موضع نصب ، وهم
قوم من بني كسنانة كان قد بقي من أجلهم تسعة اشهر ، فقال الله تعالى : « فَأَتَمُوا

اليهم عهدهم الى مدتهم ، لا نخطوهم الى الاربعة أشهر ، فقال مجاهد عنى بذلك جماعة من خزاعة ومدلج . وقال ابن عباس توجه ذلك الى كل من كان بينه وبين رسول الله عهد قبل براءة . وينبغي ان يكون ابن عباس اراد بذلك من كان بينه وبينه عقد هدنة او الى قوم من المشركين لم يتعرضوا له (ع) بمداوة ولا ظاهروا عليه عدوه ، لان النبي (ص) صالح اهل هجر وأهل البحرين وابلى ودومة الجندل ، وأدرج وأهل معنا ، وهم ناس من اليهود في توجهه الى تبوك او في مزجه منها وله عهودا لصلح والحرب غير هذه ، ولم يذبذبه اليهم بنقض عهد ، ولا حاربهم بعهد ان صاروا اهل ذمة الى ان مضى لسبيله . ووفي لهم بذلك من بعده فن حمل ذلك على جميع اليهود ، فقد اخطأ .

وقال الحسن هذا استثناء من قوله تعالى : « اقتلوا المشركين » ، « إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام » ثم نقلت الى هاهنا وباقي الناس على خلافه .

وقوله : « ثم لم ينقصوكم شيئاً » والنقصان حط المدة عن عدة الزيادة والحاق المدة بعمدة . والمعنى ثم لم ينقصوكم من شروطكم العهد شيئاً ، ولم يظاهروا عليكم احداً فالظاهرة المعاونة على العدو للظهور عليه فهو لاه ان لم يعاونوا عليكم احداً من اعدائكم ولا نقصوكم شيئاً من حقمكم في عهدهم فأتوا اليهم عهدهم الى مدتهم ، وهو امن من الله تعالى الى ان يبلغوا المدة التي وافقوهم عليها .

قال قتادة : وهم مشركوا قريش كانوا عاهدوه في الحديبية وبقي من مدتهم اربعة اشهر بعد يوم النحر .

: والائتمام بلوغ الحد في المدة من غير زيادة ولا نقصان فهنا امضاء الامر على ما تقدم به العهد الى انقضاء اجل العقد . والمدة زمان طويل الفسحة واشتقاقه من مددت له في الاجل للمهلة . والمعنى الى انقضاء مدتهم .

وقرأ عطاء « ثم لم ينقضوكم » بالضاد المعجمة وهي شاذة وان بفتح الهمزة ، لان تقديره بأن الله بريء من المشركين ، ولا يجوز ان يكون المراد نبذ العهد الى مكة ، لان مكة فتحت سنة ثمان وصارت دار الاسلام ونبذ العهد كان في سنة تسع فعمل بذلك ان المراد غيرهم .

قوله تعالى :

﴿ فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذلهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم ﴾ (٥) آية بلا خلاف .

الانسلخ اخراج الشيء مما لا يسهه وكذلك سلخ الشاة اذا نزع الجلد عنها وسلخنا شهر كذا نسلخه سلخا وسلوخا . وقيل في الاشهر الحرم قولان :
 احدها - رجب وذو القعدة ، وذو الحجة والمحرم ، ثلاثة سرد وواحد فرد .
 الثاني - الاشهر الأربعة التي جعل لهم ان يسيحوا فيها آمنين ، وهي عشرون من ذي الحجة ، والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من ربيع الآخر في قول الحسن والسدي ، وغيرها .

امر الله تعالى نبيه (ص) والمؤمنين انه إذا انقضت مدة هؤلاء المعاهدين ، وهي الأربعة اشهر ان يقتلوا المشركين حيث وجدوهم . قال الفراء : سواء كان في الاشهر الحرم او غيرها او سواء في الحل او في الحرم . وان يأخذوهم ، ويحصروهم .

اللغة :

والحصر المنع من الخروج عن محيط واحصر الرجل احصاراً وحاصره العدو محاصرة
وحصاراً ، وحصر في كلامه حصراً وانحصر الشيء انحصاراً . والحصر والحبس
والأسر نظائر .

وقوله : «واقعدوا لهم كل مرصد» يعني كل موضع يرقب فيه العدو . والمرصد
الطريق ومثله المرقب والمرقباء يقال رصده برصده رصداً ونصب كل مرصد على تقدير
على كل مرصد على قول الاخفش كما قال الشاعر :

نغالي الاحم لاضياف نيسا ونرخصه اذا نضج القدور (١)

أي نغالي بالاحم . وقال الزجاج هو ظرف كقواك ذهبت مذهباً ، وقال الشاعر :

إن المنية للفتى بالمرصد (٢)

فجعله بمنزلة المحدود والمرصد مبهم والطريق محدود فهذا فرق ما بينها .

المعنى :

واستدل بهذه الآية على أن تارك الصلاة متمسداً يجب قتله ، لأن الله تعالى
أوجب الامتناع من قتل المشركين بشرطين : احدهما ان يتوبوا من الشرك ، والثاني
أن يقيموا الصلاة ، فإذا لم يقيموا الصلاة وجب قتلهم .

قوله تعالى :

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ

(١) مر نخرج هذا البيت في ١ : ٤٧٠ تعليقه ٣ .

(٢) تفسير القرطبي ٨ : ٧٣ ومجاز القرآن ١ : ٢٥٣ وصدده :

ولقد غلبت وما اخالك ناسيا .

كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مُؤْمِنَهُ ذَلِكَ بَيِّنَاتٍ لِقَوْمٍ لَا يَعْلَمُونَ (٦) آيَةٌ

بلا خلاف .

الاعراب :

قوله : « احد » ليست التي تقم في النفي في مثل قولك : (ما جئني احد) لأن الايجاب لا يصح فيه اعم العام الذي هو هو على الجملة . والتفصيل كقولك : ليسوا مجتمعين ، ولا متفرقين ، ولا يصح مثل ذلك في الايجاب ، ويصح في الاستفهام لأن فيه معنى النفي ، ولولا ذلك لم يصح جوابه بـ (لا) والتقدير وان استجارك احد من المشركين فاضمر الفعل ، ولم يحز في الجواب ان يقول ان يقوم احد زيد يذهب ، لقوة (ان) انها للفعل خاصة ومثله انشد الاخفش :

لا تجزعي ان منفصاً اهلكته واذا هلكت فعند ذلك فجزعي (١)

فاخير . ثم جزم على جواب الجزاء لانها شرط وانيس كذلك الجواب ، لانه قد يكون بالقاء ولا يجوز ضم الفاعل في شيء من حروف المجازاء الا في (أن) لانها ام الباب وهي الاصل الذي يلزمه ، قال الشاعر :

فان انت تفعل فلنفا علي ن انت المجيرين تلك الفارا (٢)

وأما قول الشاعر :

فتي واغل بينهم يحبوه ويمطف عليه كاس الساقى (٣)

فانما هو ضرورة ، لا يجوز مثله في الكلام . قال الفراء : « استجارك » في

(١) القرطبي ٨ : ٧٧ . نسبة للنمير بن تواب .

(٢) معاني القرآن ١ : ٤٢٢ . نسبة للكثير .

(٣) مجمع البيان ٣ : ٧ .

موضع جزم ، وان فرق بين الجازم والمجزوم بـ (احد) وذلك جائز في (ان) خاصة وقد يفرق بينها وبين المجزوم بالمنصوب والمرفوع ، فالمنصوب مثل قولك : ان اخاك ضربت ظلمت ، والمرفوع مثل قوله تعالى : « ان امرؤ هلك ليس له ولد » (١) .

المعنى واللغة :

امر الله تعالى نبيه (ص) انه متى استجاره احد من المشركين الذين امرتك بمقاتلهم أي طلب منه الجار في رفع الاذى عن صاحبه .

وقيل المعنى ان استأمنك أحد فأمنه « حتى يسمع كلام الله » .

والمشرك يصح ان يسمع كلام الله على الحقيقة ، لان حكاية كلام الله يطلق عليه الاسم بأنه كلام الله لظهور الأمر فيه ، ولا يحتاج ان يقدر اصل له ، كما يقال كلام سيبويه وغيره . ومن ظن ان الحكاية تفارق المحكي لاجل هذا الظاهر ، فقد غلط ، لان المراد ما ذكرناه فيما يقال في العرف انه كلام الله .

وقوله : « ثم ابلغه مأمنه » ، فلا بلاغ التصيير الى منتهى الحمد . والابلاغ والاداء نظائر .

وفي الآية دلالة على بطلان قول من قال : المعارف ضرورية لانها لو كانت كذلك لما كان لطلب ما هو عالم به معنى .

ومعنى قوله : « لا يعلمون » اخبار عن جهلهم في افعالهم ، لا انهم لا يقلون وانما اراد لا يفتفمون بمثله . ولا يرفون ما لهم وعليهم من الثواب والعقاب .

قوله تعالى :

﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ

(١) سورة النساء آية (٧٥) .

إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا أَكْفُمْ
فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٧) آية بلا خلاف .

الاعراب والمعنى :

قال الفراء هذا على التعجب كما تقول : كيف تستبقي مثلك اي لا ينبغي ان
ان يستبقي ، وفي قراءة عبد الله : كيف يكون عهد عند الله ، ولا ذمة ، فأدخل الكلام
(لا) مع الواو ، ولان معنى الاول جحد . وقال غيره : في الكلام حذف ، لان
الكلام خرج مخرج الانكار عليهم . وتقديره كيف يكون للمشركين عهد عند الله
وعند رسوله مع اضرار الفدر في عهدهم ، فجاء الانكار ان يكون لهم عهد مع ما ينبغي
من العهد على ذلك ، وذلك يقتضي اضرار الفدر فيما وقع من العهد . ثم استثنى من
ذلك « الذين عاهدتم عند المسجد الحرام » فكان ذلك ايجاباً فيهم لان ما قبله في
معنى النفي والتقدير ليس للمشركين عهد الا الذين . وموضع (الذين) يحتمل الجبر
والنصب وحكي الكسائي اين كنت لتنجو مني اي ما كنت .

اللغة والمعنى :

و (المسجد) الموضع المهيأ لصلاة الجماعة ، والمراد هاهنا مسجد مكة خاصة
وأصله موضع السجود كالمجلس موضع الجلوس و (الحرام) المحظور بمض احواله
فالخمر حرام لحظر شربها ، وسائر انواع التصرف فيها . والام حرام بحظر نكاحها .
والمسجد الحرام لحظر صيده وسفك الدم فيه وابتذاله ما يبتذل به غيره . وقوله :
« فما استقاموا لكم » معناه ما استمروا لكم على العهد والاستقامة الاستمرار على جهة
الصواب . ومتى كانت الاستمرار على وجه الخطأ لا يسمى استقامة . ومعنى
« فاستقيموا لهم » استمروا لهم على العهد مثلهم .

والمراد بالذين عوهدوا عند المسجد الحرام ، قيل فيهم ثلاثة اقوال : قال مجاهد هم خزاعة ، وقال ابن اسحاق : هم قوم من بني كنانة . وقال ابن عباس : هم قريش . وقوله : « ان الله يحب المتقين » اخبار منه تعالى انه يحب من يتقى معاصيه ويعمل بطاعاته وانه يريد ثوابه ونافعه .
وفي الآية دليل على ان تمكن الحربي من المقام في دار الاسلام بعد قضاء حاجته ليس بجائز .

قوله تعالى :

﴿ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْنَا كُفْرًا لَّأَنزِلُنَّهُمْ بَلَاءًا مِّنْ لَّدُنَّا وَمَا لَكُم مِّنْ آلَاءِ اللَّهِ أَلا تَعْقِلُونَ ﴾
يُرْضَوْنَ كُفْرًا بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ (٨)
آية بلا خلاف .

وتقديرها كيف لهم عهد وكيف لا تقتلونهم وحذف ، لان قوله في الآية الاولى « كيف يكون للمشركين عهد » دل على ذلك ومثله قول الشاعر :
وخبرت مني انا الموت في القرى وكيف وهاتا هضبة وقلب (١)
ويروى وهذى اي كيف مات وليس في قرية . وقال الخطيب في حذف الفعل بعد كيف :

فكيف ولم اعلمهم خذلوكم على معظم ولا ادبكم قدوا (٢)

(١) قائله كعب بن سعيد الغنوي . الاصمعيات : ٩٩ ، وتفسير الطبري ١٤ : ١٤٥ ،
وطبقات خول الشعراء : ١٧٦ ، وامالي القالي ٢ : ١٥١ ومعاني القرآن للفراء ١٠ : ٤٢٤
في المطبوعة (وخبرت مني) بدل (وخبرت مني) .
(٢) معاني القرآن ١ : ٤٢٤ .

اي كيف تلو مونتني على مدح قوم تدمونهم . والمعنى كيف لهم يعني طؤلاً
المشركين عهدوهم ان يظهروا عليكم بمعنى علوا عليكم بالغلبة ، لان الظهور هو العلو
بالغلبة . واصله خروج الشيء الى حيث يصح ان يدرك « لا يرقبوا فيكم » معناه
لا يراعوت فيكم . والرقوب هو العمل في الامر على ما تقدم به العمل والمراقبة
والمراعاة نظائر في اللغة .

وقوله : « الا ولا ذمة » قيل في معنى الاول ستة اقوال :

اولها - قال مجاهد وابن زيد: ان معناه العمد .

والثاني - في رواية اخرى عن مجاهد انه اسم الله . ومنه قول ابي بكر لما

سمع كلام مسيلمة لم يخرج هذا من ال فابن يذهب بكم .

الثالث - قال ابن عباس هو القرابة .

الرابع - قال الحسن هو الجوار .

الخامس - قال قتادة هو الحلف .

السادس - قال ابو عبيدة هو التميز . والاصل في جميع ذلك العهد وهو مأخوذ

من الاليل وهو البريق ، يقال : ال يؤل اذا لمع والالة الحربة للمعانها واذن مؤلة
مشبهة بالحربة في تحديدها .

وقال الزجاج : اصله التحديد قال الشاعر :

وجدناهم كاذباً لهم وذو الال والعهد لا يكذب (١)

اي ذو العهد ، وقال ابن مقبل :

افسد الناس خلوف خلفوا قطعوا الال واعراق الرحم (٢)

يعني القرابة ، وقال حسان :

(١) تفسير الطبري ١٤ : ١٤٩ . (الال) - بتشديد اللام - قيل انه مرادف للعهد .

(٢) تفسير الطبري ١٤ : ١٤٨ .

اعمرك ان ألك في قريش كأل السقب من رال النعام (١)
 وقوله : « يرضونكم بأفواههم » معناه يقولون قولاً يرضيكم بذلك في الظاهر
 وتأبى قلوبهم ان يذعنوا لكم بتصديق ما يبدوونه لكم . ثم اخبر تعالى عن حالهم بأن
 أكثرهم فاسقون . وقال ابن الاخشاد اراد بذلك انهم متمردون في شركهم لأن الفاسق
 هو الخارج من الشيء من قولهم فسقت الرطبة . وانما كان أكثرهم بهذه الصفة ولم
 يكن جميعهم وان كانوا كلهم فاسقين [لان المراد به رؤساءهم] .

قوله تعالى :

﴿ اِشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِهِ اِنَّهُمْ
 سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٩) آية .

قبل في من نزلت هذه الآية بسببه قولان :

قال مجاهد : نزلت في أبي سفيان لما جمعهم على طعامه فأطعم حلفاءه وترك
 حلفاء النبي (ص) .

وقال ابو علي الجبائي : نزلت في قوم من اليهود دخلوا في العهد فيما دلت عليه
 هذه الصفة .

ومعنى « اشتروا بآيات الله » استبدلوا بحجج الله وبيناته العظيمة الشأن « ثمناً
 قليلاً » أي عوضاً قليلاً . وأصل الاشتراء استبدال ما كان من المتاع بالثمن ، ونقيضه
 البيع ، وهو العقد على تسليم المتاع بالثمن . والتمن ما كان من العين والورق في الأصل ثم
 قيل لما اخذوه بدل آيات الله ثمن ، لأنه بمنزلة في انه يستبدل به .
 وقوله : « فصدوا عن سبيله » أي صدوا عن الاسلام .

(١) ديوانه : ٤٠٧ واللسان (ألل) . وتفسير الطبري ١٤ : ١٤٩ .

ومعنى هذه الفاء كعنى جواب الجزاء ، لان اشتراطهم هذا اداهم الى الصد عن سبيل الله . والصد هو المنع . ثم اخبر تعالى عنهم بئس ما كانوا يعملونه من هذا الاستبدال .

قوله تعالى :

﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَاُولَئِكَ هُمُ الْمُتَدُونُونَ ﴾

(١٠) آية بلا خلاف .

قد بينا ان المراقبة هي المراجعة لما تقدم من العهد الذي يلزم الديانة لئلا يقع اخلال بشيء منه . والال العهد . والذمة عقد الجوار ، وهما متقاربان . وفصل بينهما بأن الذمة عقد قوم يذم نقضه . والال الذي هو العهد عقد يدعو الى الوفاء . والبيان الذي فيه ، لأنه يلوح المعنى الذي يدعو الى الوفاء إذا ضل كل واحد منها يقتضي هذا . وانما اعيد ذكر « لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة » لانه في صفة « الذين اشتروا بآيات الله ثمنا » والاول في صفة جميع الناقضين للعهد . وقال في الثاني : « فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فآخوانكم في الدين » ، فلذلك كرر بوصفين مختلفين وقال الجبائي : لانه في صفة اليهود خاصة ، والاول في صفة الناقضين عامته ، وإنما ذموا بترك المراقبة ، لان مع تركها الغالب ان يقع اخلال بما تقدم من العقد ، فلزمت المراقبة لهذه العلة . وترك المراقبة في عهد المؤمن اعظم منها في ترك عهد غيره لكثرة الزواجر عن الغدر بالمؤمن ، لأنه ليس من شأنه الغدر .

اخبر الله تعالى عن هؤلاء المشركين انهم لا يراعون في المؤمن عقد العهد ، ولا ذمة الجوار ، وانهم مع ذلك معتدون . والاعتداء الخروج من الحق وأصله المجاوزة ، ومنه التعمدي وهو تجاوز الحد ومعاداة القوم مجاوزة الحد في البغضة وكذلك العداوة والاستعداد طلب معاملة العدو في الايقاع به ، والعدو مجاوزة

حد السمي . والغرض بالآية حث المسلمين على قتلهم ، وان لا يبقوا عليهم كما انهم لو ظهروا على المسلمين لم يبقوا عليهم .

قوله تعالى :

﴿ فَإِنْ نَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (١١) آية .

شرط الله لهؤلاء المشركين بأنهم إن تابوا ورجعوا عما هم عليه من الشرك الى طاعة الله ، والاعتراف بوحدايته ، والاقرار بالنبي (ص) ، وأقاموا الصلاة المفروضة على ما شرعها الله وأعطوا الزكاة الواجبة عليهم ، فانهم يكونون اخوان المؤمنين في الدين ، والايمان . وتقديره فهم اخوانكم .

والتوبة هي الندم على القبائح لقبحه مع العزم على ترك العود الى مثله في القبح ، وفي الناس من قال الى مثله في صفته ، فن قال ذلك قال توبة المحبوب من الزنا هي الندم على الزنا مع العزم على ترك المعاودة الى مثله على ما يصح ويجوز من الامكان ، وهو انه لو رد الله عز وجل عضوه مازنى ، فلما من نسي الذنب فان توبته صحيحة لا يؤخذ بالذنب ، لانه مكاف قد أدى جميع ما عليه في الحال ، فقد تخلص بذلك من العقاب .

فان قيل لم شرط مع التوبة من الشرك وحصول الايمان ايتاء الزكاة ؟ مع انه ليس كل مسلم عليه الزكاة .

فلنا : انما يجب عليه بشرط الامكان فاذا اقر بحكم الزكاة مع التندر عليه دخل في حكم الصفة التي يجب بها .

وقوله : « وتفصل الآيات » معناه نبينها ونميزها بخاصة لكل واحد منها بما يتميز به من غيرها حتى يظهر مدلولها على اتم ما يكون من الظهور فيها « لقوم

يعلمون « ذاك ويثبتونه دون الجهال الذين لا يعقلون عن الله .

قوله تعالى :

﴿ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكَافِرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّكُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (١٢)
آية بلا خلاف.

القراءة :

قرأ أهل الكوفة وابن عامر « أمة » بهزتين ، إلا هشاماً عن ابن عامر ، فإنه فصل بين الهمزتين بالف . الباقر بهمزة واحدة وياه بمدها . وفصل بينهما بالف أبو جعفر ، والمرى عن المسبي والسوسنجري عن يزيد بن اسماعيل . وقرأ ابن عامر والحسن « لا ايمان لهم » بكسر الالف . الباقر بفتحها .

الحجة واللغة والاعراب :

الكسر يحتمل وجهين : احدهما - انهم ارتدوا ، ولا اسلام لهم ذكره الزجاج قال : ويجوز « لا ايمان لهم » على المصدر ، وتقديره لا تؤمنونهم بعد نكثهم العهد . والآخر - لانهم كفروا « لا ايمان لهم » ويحتمل ان يكون المراد انهم آمنوا ايماناً لا يفون به فلا ايمان لهم .

ومن فتح الهمزة فلقوله : « وان نكثوا ايمانهم » ولقوله : « عهدهم » واثبت

لهم الايمان .

فان قيل كيف نفي ، فقال : « انهم لا ايمان لهم » وقد اثبتتها في الاول من

الآية بقوله : « وان نكثوا ايمانهم » ؟!

قلنا : اليمين التي اثبتتها هي ما حلفوا بها وعقدوا عليها ، ولم يفوا ، وانما المراد به انهم لا ايمان لهم يفون بها ، ويتمسكون بموجبها .

وقال ابو علي النحوي (أئمة) على وزن أفعله جمع امام نحو مثال وأمثلة فصار أئمة واجتمع همزتان ألف أفعله ، والهمزة التي هي فاء الفعل والتي هي فاء الفعل ساكنة فنقل اليها حركة التي بمدّها ليمكن النطق بها . فن خففها أتى بالهمزتين الاولى مفتوحة والثانية مكسورة . ومن كره ذلك قلب الثانية ياء ولم يجعلها بين بين ، لأن همزة بين بين في تقدير التحقيق وذلك مكروه عندهم .

قال الرماني : انما جاز اجتماع الهمزتين في كلمة لثلاثا يجتمع على الكلمة تغيير الادغام والانقلاب مع خفة التحقيق ، لأجل ما بعده من الصكون ، وهو مذهب ابن ابي اسحاق من البصريين . والباقون لا يجيزونه ، ذكره الزجاج ، قال : لانه يلزم عليه ان يقرأ آدم بهمزتين وذلك باطل بالاتفاق . وعلى هذا القول هذا أم بهمزتين ، قال : وانما قلبت الهمزة في أئمة على حركتها دون حركة ما قبلها ، لان الحركة إنما نقلها الى الهمزة لبيان زنة الكلمة ، فلو ذهبت تغلبها على ما قبلها لكان مناقضا للغرض فيها . واذا بنيت من الامامة هذا اعمل من هذا قلت هذا أوم من هذا - في قول المازني - لأن اصله كان أم فلم يمكنه ان يبدل منها العا لاجتماع الساكنين ، فجعلها واوا ، كما قالوا في جمع آدم أوادم .

قال الزجاج : وهو القياس وهذا أيم من هذا في قول الأخفش ، قال : لانها صارت الياء في ائمة بدلا لازما .

اللغة والمعنى :

قوله : « وات نكنوا ايمانهم » فالتكثيف نفس المعنى الذي جمع له لتوثيق الامر وذلك بالخلاف لما تقدم من العزم . و (الايمان) جمع يعين ، وهو القسم والقسم هو قول العقد بالمعنى لتأكيد ، وتغليظ الأمر فيه نحو والله

ليكونن وتالله ما كان ، فيجوز أن يكون من أعطى صفقة يمينه ، ويجوز ان يكون من يمن التيسير في فعله . وقوله : « وطعنوا في دينكم » فالظمن هو الاعتماد بالعييب . واصله الظمن بالرخ ، ونحوه في الشيء . لنقض ببيته .

وقوله : « فقاتلوا ائمة الكفر » امر من الله تعالى بقتال ائمة الكفر ، وهم رؤساء الضلال والكفار ، والامام هو المتقدم الاتباع ، فائمة الكفر رؤساء الكفر والامام في الخير . مهتد ، هاد ، وفي الشر ضال مضل ، كما قال تعالى : « وجعلناهم ائمة يدعون الى النار » (١) والمعنى بائمة الكفر رؤساء قريش ، في قول ابن عباس ومجاهد . وقال قتادة : هم ابو جهل بن هشام ، وامية بن خلف وعتبة بن ربيعة وأبو سفيان بن حرب ، وسهيل بن عمرو ، وهم الذين هموا باخراجه ، وكان حذيفة يقول : لم يأت أهل هذه الآية .

وروى عن ابي جعفر (ع) انها نزلت في أهل الجمل . وروي ذلك عن علي (ع) وعمار ، وغيرها ، ويقول حذيفة قال يزيد بن وهب وقوله : « انهم لا ايمان لهم » معناه لا تؤمنوهم .

ومن كسر معناه ، لانهم كفروا لا ايمان لهم .

وقوله : « لعلهم ينتهون » معناه لكي ينتهوا .

وفي الآية دلالة على أن النبي إذا اظهر الظمن في الاسلام فانه يجب قتله ، لان عهده معقود على أن لا يطعن في الاسلام ، فاذا طعن فقد نكث عهده .

قوله تعالى :

﴿ أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِأَخْرَاجِ الرَّسُولِ ﴾

وَهُمْ بِدُؤِكُمْ أَوْلَ مَرَّةٍ أَنْخَشَوْهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ آية بلا خلاف.

اللغة :

قوله : « ألا » كلمة موضوعة للتخصييض على الفعل ، وأصلها (لا) دخلت عليها الف الالتهفهام ، فصارت تخصييضاً كما انها إذا دخلت على (ليس) صارت تقريراً و (لا) موافقة للتخصييض بالاستقبال و (ليس) انما هي للحال ، فهي موافقة للحال بهذا المعنى . وإذا قال : « ألا تقاتلون » كان معناه التخصييض على قتالهم ، وإذا قال : (الا قاتلتم) كان ذلك تأنيباً ، لأن ما يلزم اذا ترك ذم على تركه ويحض على فعله قبل وقته . حض الله تعالى المؤمنين على قتال الكفار الذين « نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول » من مكة اي قصدوه . والهم مقاربة الفعل بالعزم من غير اتباع له ، وقد ذموا بهذا الهم ففيه دليل على العزم . وقد يستعمل الهم على مقارنة العزم . وقوله : « وهم بدؤكم اول مرة » فالبدؤ فعل ما لم يتكرر والمرة الفعلة من المرة ، والمرة ، والكرة والدفعة نظائر .

المعنى :

ومعنى « بدؤكم اول مرة » بدؤوا حلفاء النبي (ص) بالقتال من خزاعة في قول الزجاج ، وقال ابن اسحاق والجبائي : بدؤوا بنقض العهد . وقال الطبري : بدؤهم بخروجهم الى بدر : لقتالهم .
وقوله : « انخشونهم » معناه انخافونهم . ثم قال : « والله احق ان تخشوه » اي تخافوه « ان كنتم مؤمنين » وفي ذلك غاية الفصاحة لانه جمع بين التقرير

والتشجيع . والمعنى أن تخشون أن ينالكم من قتلهم مكروه ، فأنه أحق أن تخشوا عقابه في ارتكاب معاصيه ان كنتم مصدقين بعقابه وثوابه .

قوله تعالى :

﴿ قَاتِلُوهُمْ يُمَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْضِرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ (١٤) وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (١٥) آيتان بلا خلاف .

هـ . إذا أمر من الله تعالى للمؤمنين بأن يقاتلوا هؤلاء الناقضين للعهد البادئين بقتال حلفاء النبي (ص) من خزاعة ، فإنهم إذا قاتلوهم يمدب الله الكفار بأيديهم يعني بأيدي المؤمنين الذين يقاتلونهم وينصرهم ايها المؤمنون ينصركم الله « عليهم ويشف » بذلك « صدور قوم مؤمنين » وفي ذلك دليل على انه اشتد غضب جماعة المؤمنين لله ، فوعدهم الله النصر ، في قول قتادة والزجاج . وفيها دلالة على نبوة النبي (ص) لأنه وعده النصر فكان الأمر على ما قال .

وقوله : « ويذهب غيظ قلوبهم » قيل المراد بهم خزاعة الذين قاتلوهم ، في قول السدي وغيره ، لأنهم كانوا حلفاء النبي (ص) .

والتعذيب اي قاع العذاب لصاحبه والعذاب ألم تستمر به ، قال عبيد بن الابرس :
والمرء ما عاش في تكذيب طول الحياة له تعذيب

ومعنى « يمدبهم الله بأيديكم » اي انكم اذا تناوئتموهم بالسلاح من السيوف والنبال والرماح انزل الله بهم العذاب . وقال ابو علي ذلك مجاز . والمعنى انه لما كان ذلك بأمر الله اضافته الى نفسه ، وهو احسن من الاول .

وقوله : « ويخبرهم » معناه يذلهم والاخزاء الاذلال بما فيه الفضيحة على صاحبه خزي خزيًا واخزاء الله إخزاء .

وقوله : « ويشف صدور قوم مؤمنين » فالشفاء ملامة النفس بما يزيل عنها الأذى فكلمة وافق النفس وازال عنها ألهم فهو شفاء .

وقيل : « ويشف صدور قوم مؤمنين » يعني خزاعة ، لأنهم نقضوا العهد بقتالهم في قول مجاهد والسدي .

والصدر جمع الصدر ، وهو الموضع الاجل الذي يصدر عنه الأمر ، ومنه الايراد والاصدار .

ويجوز في « ويخزهم » ثلاثة اوجه من الاعراب : الجزم باللفظ ، وعليه القراء والنصب على الصرف والرفع على الاستئناف . ولم يقرأ بهما .

وقوله : « ويذهب غيظ قلوبهم » معناه يبطل غيظهم ويعدمه . والازهاب جعل الشيء يذهب والذهاب الانتقال عن الشيء والمجبي الانتقال الى الشيء ، والغيظ نقص الطبع بانزعاج النفس . تقول غاظه يغيظه غيظًا وَاغْتَاطَ اغْتِيَاظًا وَاغْيَاظَهُ مَغْيَاظَةً .

وقوله : « ويتوب الله على من يشاء » معناه يقبل الله توبة من يشاء من عباده . ووجه اتصال قوله : « ويتوب الله على من يشاء » بما قبله من وجهين :

احدهما - بشارتهم بأن فيهم من يتوب ويرجع عن الكفر الى الايمان .
والآخر - انه ليس في قتالهم اقتطاع لاحد منهم عن التوبة .

ورفع « ويتوب الله على من يشاء » بخروجه عن موجب القتال فاستأفقه .

وقوله : « والله عليم حكيم » معناه عليهم بتوبتهم إذا تابوا حكيم في امرهم بقتالهم إذا نكثوا قبل ان يتوبوا ويرجعوا ، لان افعاله كلها صواب وحكمة .

قوله تعالى :

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَأْتِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٦) آية بلا خلاف .

اللغة والمعنى :

قوله : « أم حسبتم » من الاستفهام الذي يتوسط الكلام فيجعل بأم ليفرق بينه وبين الاستفهام المبتدأ الذي لم يتصل بكلام ولو كان المراد الابتداء لكان اما بالالف او بهل كقوله : « هل أتى على الانسان » (١) والمعنى ظننتم ان تتركوا . والظن والحسبان نظائر والحسبان قوة المعنى في النفس من غير قطع ، وهو مشتق من الحساب ، لدخوله فيما يحاسب به « ان تتركوا » معنى الترك هو ضد ينافي الفعل المبتدأ في محل القدرة عليه . ويستعمل بمعنى الا يفعل ، كقوله : « وتركهم في ظلمات لا يبصرون » (٢) وقوله : « ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم » إذا قيل : لما يفعل ، فهو نفي للفعل مع تقريب لوقوعه . وإذا قيل لم يفعل ، فهو نفي بعد اطماع في وقوعه . والمعنى ، ولما يجاهدوا ويمتنعوا ان يتخذوا وليجة ويعلم الله ذلك منكم نجاة مجي نفي العلم لنفي العلوم ، لأنه متى كان علم الله انه كائن . وكان ابلغ وأوجز ، لأنه أتى على طريقة نفي صفات الله تعالى .

وقوله : « ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة » تقديره

(١) سورة الدهر آية ١ .

(٢) سورة البقرة آية ٧ .

ولما يعلم الله الذين آمنوا لم يتخذوا من دون الله ولا رسوله وليجة .
فالوليجة الدخيلة في القوم من غيرهم تقول : ولج يلاج ولوجاً وأولج إيلاجاً وتولج
تولجاً بمعنى الدخول . والوليجة والدخيلة والبطانة نظائر . وكل شيء دخل في شيء
وليس منه فهو وليجة ، قال طرفة :

فان القوافي يتلجن موالجاً تضايق عنه ان تولجها الا بر (٣)
وقال آخر :

متخذاً من ضعوات تولجاً متخذاً فيها ايداً دولجاً (٤)
يعني الكأس .

المعنى :

وقال الفراء : فهو ان يتخذوا بطانة يفشون اليهم اسرارهم . وقال الجبائي :
اتخاذ الوليجة من دون الله ، ودون رسوله هو النفاق . فهو ان يكونوا منافقين ،
وهو قول الحسن فانه قال الوليجة هي الكفر ، والنفاق .
وفي الآية دلالة على انه لا يجوز ان يتخذ من الفساق وليجة ، لان في ذلك
تأنيباً بالفسق مجرى مجرى الدعاء اليه مع ان الواجب معادة الفساق ، والبراءة منهم
ومع ذلك ، فهو غير مأمون على الأسرار والاطلاع عليها .
قال الزجاج : كانت براءة تسمى الحافرة ، لانها حفرت عن قلوب المنافقين ،
لانها لم تفرض القتال تميز المؤمنين من المنافقين ومن يوالي المؤمنين ممن
يوالي اعداءهم .

(٣) مجاز القرآن ١ : ٢٥٤ ومحاق ديوانه من الستة . واللسان (ولج) والعيني

٤ : ٥٨١ .

(٤) الشطر الاول في اللسان (ولج) بغير الشطر الثاني نسبة الى جرير . والشطر الثاني في ديوان

جرير (نشر الصاوي) ٩٢ . ومجاز القرآن ١ : ٢٥٤ .

قوله تعالى :

﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ
عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ
خَالِدُونَ ﴾ (١٧) آية بلا خلاف .

القراءة والحجة :

قرأ ابن كثير وابو عمرو « مسجد الله » على التوحيد . الباقرن على الجهم
فمن قرأ على التوحيد ، قال الحسن اراد به المسجد الحرام وبه قال الجبائي . ويحتمل
ان يكون اراد المعابد كلها ، لأن لفظ الجنس يدل على القليل والكثير . ومن
قرأ على الجهم يحتمل ان يكون اراد جميع المساجد . ويحتمل ان يكون اراد المسجد
الحرام . وانما جمع لأن كل موضع منه مسجد يسجد عليه . والقراءتان متناسبتان .

اللغة والاعراب :

والاصل في المسجد هو موضع السجود في العرف يعبر به عن البيت المهياً لصلاة
الجماعة فيه .

اخبر الله تعالى انه ليس لمشرك ان يعمر مسجد الله . والعمارة ان يجدد منه
ما استرم من الأبنية ، ومنه قولهم : اعتمر اذا زار ، لأنه يجدد بالزيارة ما استرم
من الحال .

وقوله : « شاهدين على انفسهم بالكفر » نصب على الحال ، فالشهادة خبر
عن علم مشاهد بأن يشاهد المعنى او يظهر ظهور ما يشاهد كظهور المعنى في شهادة
أن لا إله إلا الله .

المعنى :

والمعنى في ذلك أحد شيئين :

أحدهما - ان فيما يخبرون به دليلا على كفرهم ، لا انهم يقولون نحن كفار ، ولكن كما يقال للرجل ان كلامك ليشهد انك ظالم - هذا قول الحسن .
والثاني - قال السدي : ان النصراني إذا سئل ما أنت ؟ قال نصراني واليهودي يقول انا يهودي وعابد الوثن يقول مشرك فذلك شهادتهم على انفسهم بالكفر . وقال الكلبي : معناه شاهدين على النبي بالكفر ، وهو من انفسهم .
وقوله : « اولئك حببوا اعمالهم وفي النار هم خالدون » اخبار منه تعالى أن اعمال هؤلاء الذين شهدوا على انفسهم بالكفر باطلة بمنزلة ما لم يعمل ، لأنهم أوقعوها على وجه لا يستحق بها الثواب ، وانهم مع ذلك مخلدون في نار جهنم معذبون بأنواع العذاب .

قوله تعالى :

﴿ لَمَّا يَمُورُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمِنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ
يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ (١٨) آية .

اخبر الله تعالى في هذه الآية انه ينبغي الا « يعمر مساجد الله » إلا « من آمن بالله » وافر بوحدايته واعترف باليوم الآخر يعني يوم القيامة ثم اقام بعد ذلك « الصلاة » بحدودها . وأعطى « الزكاة » الواجبة - ان وجبت عليه - مستحقها ولم يخف سوى الله احداً من المخلوقين ، فاذا فعلوا ذلك فانهم « يكونون من المهتدين » الى الجنة ونيل ثوابها ، لأن عسى من الله واجبة ليست على طريق الشك ، وهو قول

ابن عباس والحسن . وقال قوم : انما قال عسى ليكونوا على طريق الحذر ، مما يحبط اعمالهم ويدخل في عمارة المساجد عمارتها بالصلاة فيها ، والذكر لله . والعبادة له ، لأن تجديد احوال الطاعة لله من أركد الأسباب التي تكون بها عامرة ، كما ان اهلها من اوكد الأسباب في اضرارها ، وذكر قوله : « وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله » بعد ذكر قوله : « من آمن بالله واليوم الآخر » يدل على ان الايمان لا يقع على افعال الجوارح ، لانه لو كان الايمان متناولا لذلك اجمع لما جاز عطف ما دخل فيه عليه . ومن حمل ذلك على ان المراد به التفضيل وزيادة البيان فيما يشتمل على الايمان تارك للظاهر .

والخشية انزعاج النفس لتوقع ما لا يؤمن من الضرر تقول : خشى بخشي خشية فهو خاش ومثله خاف يخاف خوفاً وخافة ، فهو خائف . والخاشي نقيض الآمن والاهتداء المذكور في الآية هو التمسك بطاعة الله التي تؤدي الى الجنة وفاعلها يسمى مهتدياً .

قوله تعالى :

﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١٩) آية .

المعنى واللغة :

خاطب الله تعالى بهذه الآية قوماً جعلوا القيام بسقي الحجيج وعمارة المسجد الحرام من الكفار مع مقام على الكفر مساوياً أو افضل من ايمان من آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله ، فأخبر تعالى انها لا يستويان عند الله في الفضل ، لان

الذي آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله افضل ممن يسقى الحجاج ولم يفعل ذلك . وفي الآية حذف احد امرين : احدهما - ان يكون تقديره كايمن من آمن بالله وأقام الاسم مقام المصدر ، لأن اصل السقاية مصدر ، كما قال الشاعر :

لعمرك ما الفتيان ان تذبت الاحى ولكنما الفتيان كل فتى ندى (١)

اي فتيان نبات . والسقاية آلة تتخذ لسقي الماء . وقيل كانوا يسقون الحجاج الماء ، والشراب وبيت البر سقاية ايضاً قال الرماني المشبه لا يجوز ان يكون مجاهداً في سبيل الله ، لأنه لا يعرف الله فيتبع امره في ذلك والمجاهد اذا عرف الله صح ان يكون مطيعاً بالمجاهد لا تباعه امر الله فيه .

النزول والمعنى :

وروي عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) ان الآية نزلت في امير المؤمنين (ع) والعباس (ره) وروى الطبري باسناده عن ابن عباس انها نزلت في العباس حين قال يوم بدر ان سبقتمونا الى الاسلام والهجرة لم تسبقونا الى سقاية الحاج وسدنة البيت ، فأنزل الله الآية . وروى الطبري باسناده عن الحسن انها نزلت في علي والعباس وعثمان وشيبة . وقال الشعبي : نزلت في علي والعباس ، وبه قال ابن وهب والسدي .

وقوله : «والله لا يهدي القوم الظالمين» اخبار منه تعالى انه لا يهدي احداً ممن ظلم نفسه وكفر بآيات الله ، وجحد وحدانيته الى الجنة كما انه يهدي اليها من كان عارفاً بذلك فاعلا لطاعته مجتنباً لمعصيته .

واختلفوا في سبب نزول الآية فقال قوم : سأل المشركون اليهود فقالوا نحن سقاة الحجاج وعمار المسجد الحرام افنحن افضل ام محمد وأصحابه ، فقالت اليهود

(١) تفسير الطبري ١٤ : ١٧٢ ومعاني القرآن للفراء ١ : ٤٢٧ .

لهم انتم أفضل عناداً للنبي (ص) والمؤمنين. وقال آخرون: تفاخر المسلمون الذين جاهدوا والذين لم يجاهدوا. فنزلت الآية ذكره الزجاج .

قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ (٢٠) آية بلا خلاف .

موضع (الذين) رفع بالابتداء وخبره اعظم درجة . اخبر الله تعالى ان الذين آمنوا يعني صدقوا بالله واعترفوا بوحدايته ، وأقروا بنبوة نبيه ، وهاجروا عن اوطانهم التي هي دار الكفر الى دار الاسلام ، وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم اعظم درجة عند الله . ومعناه يتضاعف فضلهم عند الله مع شرف الجنس . ولو قال اعلى درجة افاد شرف الجنس فقط .

وقوله : « اولئك هم الفائزون » اخبار منه تعالى ان من وصفه هم الذين يظفرون بالبنية ويدركون الطابة ، لان الفوز هو الظفر بالبنية وهو الفلاح والنجاح نظائر . وقيل انه يلحق بمثل منزلة المجاهدين من لم يجاهد بأن يجاهد في طلب العلم الديني فيتعلمه ويعلم غيره ويدعوا اليه . والى الله وربما كانت هذه المنزلة فوق تلك . فان قيل كيف قال : « اعظم درجة » من الكفار بالسقاية والسدانة ؟

قلنا : على ما روينا عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) وابن عباس وغيرهم لا يتوجه السؤال عن ذلك لان المفاضلة جرت بينهم ، لان لجميهم الفضل عند الله ومن لا يقول ذلك يجيب بجوابين :

احدهما - انه على تقدير ان لهم بذلك منزلة كما قال تعالى : « اصحاب الجنة

يومئذ خير مستقراً » (١) هذا قول الحسن وإبي علي .

والثاني - قال الزجاج المعنى اعظم من غيرهم درجة ، والذي يجوز وصفها ولا يجوز وصف (من) اذا كانت بمعنى الذي ، لأن (من) تكون تارة معرفة موصولة فلذلك افترقا .

وقيل : معنى (الفائزين) انهم الظائفون بثواب الله الذي استحقوه على طاعتهم .

قوله تعالى :

﴿ يَبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ

فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾ (٢١) آية بلا خلاف .

في الآية اخبار من الله تعالى بالبشارة واعلام للذين آمنوا وهاجروا برحمة من جهته تعالى . والبشرى والبشارة الدلالة على ما يظهر به المرور في بشرة الوجه تقول بشرته أبشره بشرى وأبشر ابشاراً واستبشر استبشاراً وتبشر تبشيراً وبشره تبشيراً فاما بشره مباشرة ، فبمعنى لاقاه ببشرة ورضوان . وهو معنى يستحق بالاحسان يدعوا الى الحمد على ما كان ويضاد سحق الغضبان تقول رضى رضا ورضواناً وارضاه ارضاه وترضاه ترضيا وارتضاه ارتضاء واسترضاه استرضاه وتراضوه تراضيا .

وقوله : « وجنات » يعني البساتين التي يجنبها الشجر وأما الرياض ، فهي الموطأة

للخضر التي قد ينبت فيها نبات الزهر ومنه الرياضة ، لانها توطية لتقريب العمل .

وقوله : « لهم فيها نعيم مقيم » فالنعيم لين العيش اللذيذ وهو مشتق من النعمة

وهي اللين وأما النعمة بكسر النون ، وهي منفعة يستحق بها الشكر لانها كنعم العيش

والمقيم الدائم بخلاف الراحل فكأنه قال : المقيم أبدا .

قوله تعالى :

﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢٢)
آية بلا خلاف .

(خالدين) نصب على الحال من الهاء والميم في قوله : « لهم » والخلود في العرف الدوام في الشيء كالخلود في الجنة مأخوذ من قولهم : خلد هذا الكتاب في الديوان على تقدير الدوام من غير انقطاع . والابد الزمان المستقبل من غير آخر كما أن قط للماضي تقول : ما رأيته قط ، ولا اراه أبداً . وجمع الأبد آباد وابدود تقول : لا افعل ذلك أبداً . وتأبد المنزل اذا اقفر وأتى عليه . والاولاد الوحش سميت بذلك لطول اعمارها ، وبقائها . وقيل لم يموت وحشى حتف أفعه وانما يموت بأفة وجاء فلان بأبدة أي بداهية واتان ابد تمكن القفر متأبدة .

وقوله : « ان الله عنده اجر عظيم » اخبار منه تعالى أن عنده الجزاء أي في مقدره الجزاء الذي يستحق بالاعمال تقول : آجره يآجره اجرا وأجره أجارة واستآجره استآجاراً ومنه الاجير . وقوله : « عظيم » يعني كبير متضاعف لا تبلغه نعمة غيره من الخلق والابد قطعة من الدهر متتابعة في اللغة قال الحر ابن البعيث :

أهاج عليك الشوق اطلال دمنة بناصفة البردين أو جانب الهجل
أتى أبد من دون حدان عهدا وجرت عليها كل نافخة شمل (١)
ومن الدليل على ان الابد قاعة من الدهر انه ورد مجموعاً في كلامهم . قالت
صفية بنت عبد المطلب مخاطب ولدها الزبير :

وخالجت آباد الدهور عليكم وأسماء لم تشعر بذلك ايم

فلو كان زبر مشركاً لمذرته ولكن زبراً يزعم الناس مسلم
 وبفانك : تأبّد الرقيم إذا مر عليه قطعة من الدهر وليس يمتنون أنه مر عليه أبداً
 لا غاية له قال مزاحم المعقبلي :
 اتعرف بالغربين داراً تأبّدت من الحمي واستبّبت عليها العواصف
 فأما الخلود ، فليس في كلام العرب ما يدل على أنه بقاء لا غاية له . وإنما
 يخبرون به عن البقاء إلى مدة كما قال الخليل السعدي :
 الا رماداً هامداً دفعت عنه الرياح خوالد سحهم (١)
 اراد دفع الرياح عن النوى إلى هذا الوقت هذه الاثنا في التي بقيت إلى
 هذا الوقت .

قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ
 إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ
 هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٢٣) آية بلا خلاف .

روي عن أبي جعفر وإبي عبد الله (ع) ان هذه الآية نزلت في خطاب بن بلعمة
 حيث كتب إلى قريش بنجر النبي (ص) حين اراد فتح مكة .
 هذا خطاب من الله تعالى للمؤمنين ينههم فيه عن اتخاذ آبائهم وإخوانهم أولياء
 متى استحبوا الكفر ، وآثروه على الإيمان .
 و (اتخذوا) هو الافتعال من اخذ الشيء . واتخاذ اعداد الشيء . لأمر من
 الامور . واتخاذهم أولياء : هو ان يعتقدوا موالاتهم ووجوب نصرتهم فيما ينوبهم .

(١) مر هذا البيت في ٢ : ٢٨ .

وليس ذلك بمنع من صلتهم ، والاحسان اليهم ، لأنه تعالى حث على ذلك ، فقال :
 « وانجاهدك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعها وصاحبها في الدنيا
 معروفاً » (١) . والاب والوالد نظائر . والاخ الشقيق في النسب من قبل الأب
 والأم وكل من رجع مع آخر الى واحد في النسب من والد ووالدة ؛ فهو أخ .
 والأولياء جمع ولي وهو من كان مختصاً بإيلاء التصرف في وقت الحاجة .

وقال الحسن : من تولى المشرك ، فهو مشرك . وهذا إذا كان راضياً بشركه ،
 ويكون سبيله سبيل من تولى الفاسق أن يكون فاسقاً .

وقوله : « ان استحبوا الكفر على الايمان » معناه إن طلبوا محبة الكفر على
 الايمان . وقد يكون استحب بمعنى أحب كما ان استجاب بمعنى اجاب . ثم اخبر
 تعالى ان من استحب الكفار على المؤمنين فانهم أيضاً ظالمون نفوسهم والباخسون
 حظها من الثواب ، لأنهم وضعوا الموالاة في غير موضعها .

قوله تعالى :

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (٢٤) آية بلا خلاف .

القراءة والحجة :

قرأ ابو بكر عن عاصم و « عشيرتكم » على الجمع . الباقر على التوحيد .
من جمع فلان كل واحد من المخاطبين له عشيرة ، فاذا جمع قال : وعشيرتكم .
ومن افرد قال العشيرة تقع على الجمع . وقال ابو الحسن : العرب لا تجمع العشيرة
عشيرات . وانما تقول عشائر .

اللغة والمعنى :

امر الله تعالى بهذه الآية نبيه (ص) ان يخاطب هؤلاء الذين تخافوا عن الهجرة
الى دار الاسلام . واقاموا بدار الكفر ، وقال الجبائي : هو خطاب للمؤمنين اجمع
وتحذير لهم من ترك الجهاد وحث عليه ، فأمره ان يقول لهم : « إن كان آباؤكم »
الذين ولدوكم « وأبناؤكم » الذين ولدنموهم ، وهم الأولاد الذكور « وأزواجكم »
جمع زوجة وهي المرأة التي عقد عليها عقدة نكاح صحيح ، لأن ملك الميمن والمعقود
عليها عقد شبهة لا تسمى زوجة « وعشيرتكم » وهي الجماعة التي ترجع الى عقد كعقد
العشرة . ومنه العاشرة ، وهي الاجتماع على عقد يعم . ومنه العشار النوق التي اتى
على حملها عشرة اشهر « وأموال » جمع مال « اقتربتموها » اي اقتطعتموها
واكتسبتموها ، ومثله الاحتراف والاقتراف اقتطاع الشيء عن مكانه الى غيره « وتجارة
تخشون كسادها » يعني ما اشتريتموه طلبا للربح تخافون خسرتها ووقوفها « ومساكن »
جمع مسكن وهي المواضع التي تسكنونها وترضونها « احب اليكم من الله ورسوله »
يعني آثر في نفوسكم وأقرب الى قلوبكم . والمحبة ارادة خاصة للشيء فمن احب الجهاد
فقد اراد فعله ومن احب الله اراد شكره وعبادته . ومن احب النبي اراد اجلاله
وإعظامه والذي اقتضى نزول هذه الآية محبتهم التي منعتهم الهجرة . وقوله :
« فتربصوا » اي فنتبثوا . والتربص التثبت في الشيء حتى يجيء وقته . والتربص

والتنظر والتوقف نظائر في اللغة . ونقضيه التمجيل بالامر .
وقال مجاهد قوله : « حتى يأتي الله بأمره » من عقوبة عاجلة او آجلة وقوله :
« والله لا يهدي القوم الفاسقين » معناه انه لا يهديهم الى الثواب والجنة لانه تعالى
قد هداهم الى الايمان فقال : « واما نمود فهديناهم فاستجبوا العمى على الهدى » (١) .

قوله تعالى :

﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ
إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ
الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ (٢٥) آية بلا خلاف

اللغة والأعراب والمعنى :

اقسم الله تعالى في هذه الآية - لان لام (لقد) لام القسم - بأنه نصر المؤمنين في مواطن
كثيرة ومواطن في موضع جر بـ (في) وانما نصب، لأنه لا ينصرف ، لأنه جمع لانظير
له في الآحاد ، فلا ينصرف . وجر كثيرة على الموضع وأنته على اللفظ . ومواطن جمع
موطن . ومعنى النصر الغلبة على العدو . والممونة قد تكون في حمل الثقل ، وتكون في
شراء متاع وتكون في قضاء حاجة ولا يكون النصر إلا الممونة على العدو خاصة .
والموطن هو الموضع الذي يقيم فيه صاحبه ، وإنما قد قاموا في هذه المواطن للقتال .
ومعنى كثيرة روي عن ابي عبد الله (ع) انها كانت ثمانين موطناً والسكينة
عدة زائدة على غيرها فهي كثيرة بالاضافة الى ما دونها قليلة بالاضافة الى ما فوقها .
وقوله : « ويوم حنين » ، وحنين اسم واد بين مكة والطائف في قول قتادة ،
وقال عروة : هو واد الى جانب ذي المجاز . فلذلك صرف ويحوز ترك صرفه على أنه

اسم للبقعة قال الشاعر :

انصروا نبيهم وشدوا ازره بحنين يوم نوا كل الابطال (١)
وقوله : « إذ اعجبتمكم كثرتكم » فلا عجب السرور بما يتعجب منه والعجب السرور
بالنفس على الفخر بما يتعجب منه .

المعنى والقصة واللغة :

وقال قتادة : انه كان سبب انهزام المسلمين يوم حنين أن بعضهم قال حين رأى
كثرة المسلمين يوم حنين لانهم كانوا اثني عشر ألفاً ، فقال : لن تغلب اليوم عن قلة
فانهزموا بعد ساعة . وقيل : انهم كانوا عشرة آلاف . وقال بعضهم : ثمانية آلاف
والأول أشهر .

ولما انهزموا لم يبق مع النبي (ص) الا تسعة نفر من بني هاشم وأبى بن ام
إيمن . والعباس بن عبد المطلب . وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وعلي بن ابي
طالب (ع) في آخرين فأخذ النبي (ص) كفأً من الحصباء فرمام به ، وقال : شامت
الوجوه ، فانهزم المشركون .

وقوله : « فلم تغن عنكم شيئاً » معناه لم تغن كثرتكم شيئاً . والاغناء اعطاء
ما برفع الحاجة . ولذلك قيل في الدعاء اغناك الله .

وقوله : « فلم تغن عنكم شيئاً » معناه لم تعطلكم ما يرفع حاجتكم .

وقوله : « وضافت عليكم الأرض بما رحبت » معناه ايس فيها موضع يصلح لكم لفراركم
عن عدوكم . والضيق مقدار ناقص عن مقدار . والرحب السعة في المكان ، وقد يكون
في الرزق . والسعة في النفقة .

وقوله : « ثم وليتم مدبرين » فالادبار الذهاب الى جهة الخلف والاقبال الى

(١) قائله حسان بن ثابت . ديوانه : ٤٣٣ ومعاني القرآن للفراء ١ : ٢٩ ؛

واللسان « حنين » .

جهة القدام . والمعنى وليتم عن عدوكم منهزمين . وتقديره وليتموهم الادبار وكانت غزوة حنين عقيب الفتح في شهر رمضان أو في شوال سنة ثمان ، فان قيل كيف قال انه نصرهم في مواطن كثيرة ، والمؤمنون منصورون في جميع الأحوال ؟ قلنا عنه جوابان : احدهما - ان ذلك اخبار بأنه نصرهم دفعات كثيرة ، ولا يدل على انه لم ينصرهم في موضع آخر ، وقلنا : لا أنهم لما انهزموا لم يكونوا منصورين وكان ذلك منهم خطأ وان وقع مكفراً .

قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ
وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ
الْكَافِرِينَ ﴾ (٢٦) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى انه حين انهزم المسلمون وبقي النبي (ص) في نفر من قومه انه انزل السكينة ، وهي الرحمة التي تسكن اليها النفس ويزول معها الخوف حتى رجعوا اليهم وقاتلهم وهزمهم الله تعالى بأن انزل النصر وانزل السكينة . وقيل السكينة هي الطمأنينة والامنة . وقال الحسن : هي الوقار قال الشاعر :

له قبر غالها ماذا يحين لقد اجن سكينته ووقارا (١)

وقوله : « وانزل جنوداً لم تروها » والجنود هي الجموع التي تصلح للحروب . والمراد بها هنا الملائكة ، جند واجناد وجنود فانزل الله الملائكة مدداً للمؤمنين . وقال الجبائي : إنما نزلت الملائكة يوم حنين من جهة الخاطر الذي يشجع قلوبهم ويحجب عنهم اعداءهم ، ولم تقا تل إلا يوم بدر خاصة .

(١) مجمع البيان ٣ : ١٧ ، ومجاز القرآن ١ : ٢٨٦ .

وقوله : « وعذب الذين كفروا » معناه هاهنا القتل والأسر وسلب الأموال مع الاذلال والصغار . ثم قال : « وذلك » يعني ذلك العذاب « جزاء » من جحد نعم الله وانكر وحدانيته ، وجحد نبوة نبيه مع ما اعد له من عذاب النار .

قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢٧) آية بلا خلاف .

الاعراب :

معنى (ثم) هاهنا العطف على الفعل الاول ، وقد ذكرت (ثم) في ثلاثة مواضع متقاربة : فالاول - عطف على ما قبلها . والثانية - عطف على وليتم مدبرين « ثم انزل الله سكينته » . والثالثة - عطف على (انزل) ثم يتوب . وإنما حسن عطف المستقبل على الماضي لانه مشاكلة فان الاول تذكير بنعمه والثاني وعد بنعمه .

المعنى :

والتوبة هي الندم على ماضي من القبيح والعزم على أن لا يعود الى مثله أما في الجنس أو في القبيح على الخلاف فيه فشرط الندم بالعزم ، لأن الندم إنما هو على الماضي والعزم على ما يستقبل ، فلو لم يجتمعا لم تكن توبة .

ومعنى « ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء » انه يقبل التوبة من بعد هزيمة من انهزم ويجوز أن يكون المراد بعد كفر من كفر يقبل توبة من يتوب ويرجع الى طاعة الله والاسلام ، وندم على ما فعل من القبيح « على من يشاء » وإنما علقه بالمشيئة ، لأن قبول التوبة واسقاط العقاب عندها تفضل عندنا . ونو كان ذلك واجباً لما جاز تعليق ذلك بالمشيئة كما لم يعلق الثواب على الطاعة والعوض على الاثم في موضع

بالمشيئة . ومن خالف في ذلك قال : إنما علقها بالمشيئة ، لأن منهم من له لطف يؤمن عنده . فأنه تعالى يشاء أن يلفظ له مع صرف العمل في ترك التوبة إلى الله .
وقوله : « والله غفور رحيم » معناه أنه ستار للذنوب لا يفضح أحداً على معاصيه بل يسترها عليه إذا تاب منها ، وهو رحيم بعباده .

قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا
الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ
اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢٨) آية بلا خلاف .

هذا خطاب من الله تعالى للمؤمنين يخبرهم فيه أن المشركين أنجاس وبأسرهم أن
يتموا المشركين من أن يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا أي الذي أشار إليه ،
وهي سنة تسم من الهجرة التي نبذ فيها براءة المشركين . وكانت بعده حجة الوداع ،
وهو قول قتادة وغيره من المفسرين .

والمراد بالمسجد الحرام الحرم كله في قول عطاء وغيره ، وكل شيء مستقدر في
اللغة يسمى نجساً ، فإذا استعمل مفرداً قيل : نجس - بفتح النون والجيم معاً - ويقع
على الذكر والاتي سواء .

وظاهر الآية يقتضي أن الكفار أنجاس ، ولا يجوز مع ذلك أن يمكنوا من
دخول شيء من المساجد ، لأن شركهم اجري مجرى القذر الذي يجب تجنبه ، وعلى
هذا من باشر يد كافر وجب عليه أن يغسل يده إذا كانت يده أو يد المشرك رطبة .
وإن كانت أيديهما يابستين مسحها بالحناء .

وقال الحسن : من صافح مشركاً فليشوضاً ، ولم يفصل .

واختلفوا في هل يجوز دخولهم المسجد الحرام بعد تلك السنة ام لا ؟، فروي عن جابر ابن عبد الله ، وقتادة انه لا يدخله احد إلا ان يكون عبداً أو احداً من اهل الذمة .

وقال عمر بن عبد العزيز : لا يجوز لهم دخول المسجد الحرام ، ولا يدخل احد من اليهود والنصارى شيئاً من المساجد بحال . وهذا هو الذي نذهب اليه .
وقال الطبري وقتادة : سمو انجاساً ، لأنهم لا يفتسلون من جنابة .
وقوله : « فان خفتم عيلة » فالعيلة الفقير تقول : عال يعبل إذا افتقر قال الشاعر :
وما يدري الفقير متى غناه وما يدري الغني متى يعبل (١)
وكانوا خائفوا انقطاع المتاجر بمنع المشركين ، فقال الله تعالى : « وان خفتم عيلة » يعني فقرا بانقطاعهم فإله يغنيكم من فضله إن شاء - في قول قتادة ومجاهد - وإنما علقه بالمشيئة لاحد امرين :

احدهما لان منهم من لا يبلغ هذا المسمى الموعود به ، لأنه يجوز ان يموت قبله - في قول ابي علي .
الثاني لتمقطع الآمال الى الله تعالى ، كما قال : « لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين » (٢) .
وقوله : « ان الله عليهم حكيم » معناه عالم بمصالحكم حكيم في منع المشركين من دخول المسجد الحرام .

(١) مر هذا البيت وتخرجه في ٣ : ١٠٩ وهو في مجاز القرآن ١ : ٢٥٥ والجمهرة

لابن دريد ٢ : ١٩٣ .

(٢) سورة الفتح آية ٢٧ .

قوله تعالى :

﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (٢٩)
آية بلا خلاف.

قوله تعالى : « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر » امر من الله تعالى لنبيه وللمؤمنين بأن يقاتلوا الذين لا يعترفون بتوحيد الله ، ولا يقرون باليوم الآخر والبعث والنشور . وذلك يدل على صحة مذهبنا في اليهود ، والنصارى وأمثالهم انه لا يجوز ان يكونوا عارفين بالله وان افروا بذلك بلسانهم . وانما يجوز ان يكونوا معتقدين لذلك اعتقاداً ليس بعلم . والآية صريحة بأن هؤلاء الذين هم اهل الكتاب الذين يؤخذ منهم الجزية لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وانه يجب قتالهم « حتى يعطوا الجزية عن يد » .

ومن قال انهم يجوز ان يكونوا عارفين بالله تعالى ، قال : الآية خرجت مخرج النهم لهم ، لأنهم بمنزلة من لا يقربه في عظم الجرم ، كما انهم بمنزلة المشركين في عبادة الله بالكفر .

وقال الجبائي : لأنهم يضيفون اليه ما لا يليق به فكأنهم لا يعرفونه ، وانما جمعت هذه الأوصاف لهم ولم يذكرها بالكفار من اهل الكتاب للتحريض على قتالهم بما هم عليه من صفات الذم التي توجب البراءة منهم والعداوة لهم .

وقوله : « ولا يدينون دين الحق » يدل على ان دين اليهودية والنصرانية غير دين الحق ، وذلك يقوي انهم غير عارفين بالله ، لأنهم لو كانوا عارفين كانوا في ذلك

محققين ، فأما اعتقادهم لشريعة التوراة قائما وصف بأنه غير حق لأمسين :
 أحدهما - أنها نسخت فالعمل بها بعد النسخ باطل غير حق .
 الثاني - أن التوراة التي هي معهم مغيرة مبدلة لقوله : « يحرفون الكلام عن مواضعه » (١) ويقلبونه عن معانيه .

وقوله : « ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله » معناه أنهم لا يعترفون بالاسلام الذي هو الدين الحق ، ولا يسمعون لأمر الله الذي بعث به نبيه محمد (ص) في تحريم حرامه وتحليل حلاله . والدين في الاصل الطاعة قال زهير :

لئن حلت بجو في بني اسد في دين عمرو وحالت بيننا فدك (٢)

وقوله : « حتى يعطوا الجزية عن يد » فالجزية عطية عقوبة جزاء على الكفر بالله على ما وضعه رسول الله (ص) على اهل الذمة - وهو على وزن جلسة ، وقعدة - لنوع من الجزاء . وإنما قيل « عن يد » ليفارق حال الغصب على اقرار أحد . وقال ابو علي : معناه يعطونا من ايديهم يجيئون بها بنفوسهم لا ينوب عنهم فيها غيرهم إذا قدروا عليه ، فيكون اذل لهم . وقال قوم : معناه عن نقد كما يقال : باع يداً بيد . وقال آخرون : معناه عن يد لكم عليهم ونعمة تسدونها اليهم بقبول الجزية منهم وقال الحسين بن علي المغربي : معناه عن قهر ، وهو قول الزجاج .

وقوله : « وهم صاغرون » فانصغار الذل والتمسك الذي يصغر قدر صاحبه يصغر بصغر صغاراً ، فهو صاغر . وقيل : الصغار اعطاء الجزية قائماً . والأخذ جالس ذهب اليه عكرمة والجزية لا تؤخذ عندنا إلا من اليهود والنصارى والمجوس . وأما غيرهم

(١) سورة النساء آية ٤٥ وسورة المائدة آية ١٤ .

(٢) ديوانه : ١٨٣ وبجاز القرآن ١ : ٢٨٦ وتفسير الطبري ١٤ : ١٩٨ وجمع

من الكفار على اختلاف مذاهبهم من عباد الأصنام والأوثان ، والصابئة وغيرهم فلا يقبل منهم غير الاسلام أو السبي . وانما كان كذلك لما علم الله تعالى من المصلحة في اقرار هؤلاء على كفرهم ومنع ذلك في غيرهم ، لأن هؤلاء على كفرهم يقرون بألسنتهم بالتوحيد وبعض الأنبياء ، وان لم يكونوا على الحقيقة عارفين . واواثك يحددون ذلك كله ، فلذلك فرق بينها .

وان قيل : اعطاء الجزية منهم لا يخلوا ان يكون طاعة او معصية ، فان كان معصية فكيف امر الله بها . وان كان طاعة وجب ان يكونوا مطيعين لله . قلنا : اعطائهم ليس بمعصية . واما كونها طاعة لله فليس كذلك ، لأنهم انما يعطونها دفعا للقتل عن انفسهم لا طاعة لله ، فان الكافر لا يقع منه طاعة عندنا بحال ، لأنه لو فعل طاعة لله لاستحق الثواب والاجابات باطل ، فكان يجب ان يكون مستحقا للثواب وذلك خلاف الاجماع .

قوله تعالى :

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (٣٠) آية بلا خلاف .

القراءة والحجة والاعراب :

قرأ (عزير) بالتنوين عاصم والكسائي وعبد الوارث عن ابي عمرو . والباقون بترك التنوين . وقرأ عاصم وحده (يضاهون) بالهمزة الباقون بغير همزة . من ترك التنوين في « عزير بن الله » قيل في وجه ذلك ثلاثة اقوال : احدها -

انه اعجمي معرفة لا ينصرف ، الثاني - لأن ابن هاهنا صفة بين علمين والخبر محذوف
والتقدير محبوبنا أو نبينا عزيز ابن الله. الثالث - انه حذف التنوين لالتقاء الساكنين
تشبيهاً بحرف اللين ، كما قال الشاعر :

فألفيته غير مستعتب ولا ذاكر الله إلا قليلا (١)

هـ- هذا الوجه قول الفراء : وعند سيبويه هو ضرورة في الشعر قال ابو علي :
من نونه جعله مبتدأ وجعل ابنا خبره ولا بد مع ذلك من التنوين في حال السعة ،
والاختيار لأن أبا عمرو وغيره يصرف عجمياً كان أو عربياً . ومن حذف التنوين
يحتمل وجهين :

احدهما - انه جعل الموصوف والصفة بمنزلة اسم واحد ، كما يقال : لا رجل
ظريف . وحذف التنوين ولم يحرك لالتقاء الساكنين ، كما يحرك يا زيد العاقل ، لأن
الساكنين كأنهما التقيا في تضاعيف كلمة واحدة ، فحذف الأول منها ولم يحرك لكثرة
الاستعمال . والوجه الآخر ان يجعل مبتدأ والآخ الخبر مثل من نون وحذف التنوين
لالتقاء الساكنين .

وعلى هذا قراءة من قرأ « قل هو الله احدالله » فحذف التنوين لالتقاء الساكنين.

المعنى :

فان قيل كيف اخبر الله عن اليهود بانهم يقولون عزيز ابن الله . واليهود تنكر
هذا ؟ قلنا : إنما اخبر الله بذلك عنهم ، لأن منهم من كان يذهب اليه والدليل على
ذلك ان اليهود في وقت ما انزل الله القرآن سمعت هذه الآية فلم تنكرها . وهو كقولك
الخوارج تقول بتعذيب الأطفال ، وإنما يقول بذلك الازارقة منهم خاصة . قال
ابن عباس : القائل لذلك جماعة جاءوا الى النبي (ص) ، فقالوا له ذلك ، وهو سلام

(١) مر تخرجه في ٢ : ٧٦ تعليقه ٣ .

ابن مشكم ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف ، فانزل الله فيهم الآية .
وقوله : « ذلك قولهم بافواهم » معناه انه لا يرجع الى معنى صحيح ، فهو
لا يجاوز افواهم ، لأن المعنى الصحيح ما يرجع الى ضرورة العقل او حجته او برهانه
او دليل سمعي .

اللغة :

وقوله : « بضاهون قول الذين كفروا من قبل » معناه يشابهون . ومنه قولهم
امرأة ضهيا التي لا تحيض ، ولا يخرج نديها ما اي اشبهت الرجال . وقال ابو علي
الفارسي : ليس بضاهون من قولهم امرأة ضهيا ، لأن هذه الهمزة زائدة غير اصلية
لأنه ليس في الكلام شيء على وزن فعيلاء ويشبه ان يكون ذلك لغة ، كما قالوا ارجأت
وارجيت . واختار الزجاج ان تكون الهمزة اصلية ، كما جاء كثير من الأشياء على
وزن لا يطرده نحو (كنهيل) وهو الشجر العظيم ، وكذلك (قرنفل) لا نظيره .
ووزنه فعنل .

المعنى :

وقال ابن عباس : « الذين كفروا » اراد به عبدة الأوثان وقال الفراء :
يشابهونهم في عبادة اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى . وقال قوم في قولهم :
الملائكة نبات الله . وقال الزجاج : شابهوهم في تقليد اسلافهم في هذا القول .

وقوله : « قاتلهم الله » قيل في معناه ثلاثة اقوال :

احدها - قال ابن عباس معناه لعنهم الله .

الثاني - معناه قتلهم الله كقولهم عاقه الله من الموت .

الثالث - كالمقاتل لغيره في عداوة الله .

وقوله : « انى يؤفكون » معناه كيف يصرفون عن الحق الى الافك الذي هو

الكذب ، ورجل مافوك عن الخير وارض مافوكه صوف عنها المطر قال الشاعر :
انى الم بك الخيال تطيف

قوله تعالى :

﴿ إِنَّا نَتَّخِذُ مَا نُحِبُّ مِنْ رُسُلٍ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلٍ إِلَّا لِيُعَذِّبُوا النَّاسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَالَّذِينَ آمَنُوا نُرِيدُ لَهُمُ الْوَسِيلَةَ إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَوَعْدَ اللَّهِ حَتَّى يُصِيبَهُ الْإِتِّمَارُ كَمَا أَخْرَجْنَا قَوْمَ لُوطَ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانُوا فِيهَا يَتَّبِعُونَ إِلَّا أَبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِلَّهِ يُدْعَى الْأِلَٰهَ الْأَحَدَ الْأَوْحَدَ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِتْنَةً قَبِيحًا وَكَذَّبْتَ بِهَا وَرَأَيْتَ كَيْفُتَّخِذُوا الْوَسِيلَةَ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ بِلَٰهِ اللَّهِ بَصِيرَةٌ ۚ وَالَّذِينَ آمَنُوا لَنُؤْتِيهِمْ مِنْ فَضْلِنَا أَكْثَرَ مِمَّا يُحْسِبُونَ ۚ ﴾ (٣١) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى عن هؤلاء اليهود والنصارى الذين حكى حكايتهم انهم اتخذوا احبارهم ، وهو جمع حبر ، وهو العالم الذي صناعته تحبير المعاني بحسن البيان عندنا . وقيل حبر وحبر - بفتح الباء وكسرها - حكاة الفراء . والرهبان جمع راهب وهو الخاشي الذي يظهر عليه للناس الخشية . وقد كثر استعماله في متسكي النصارى . وروى عنه (ع) ان معنى اتخذهم ارباباً انهم قبلوا منهم التحريم والتحليل بخلاف ما امر الله تعالى . وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) ، فسمى الله ذلك اتخذهم ايام ارباباً من حيث كان التحريم والتحليل لا يسوغ إلا لله تعالى . وهو قول اكثر المفسرين .

وقوله : « والمسيح ابن مريم » عطف على الارباب اي واتخذوا عيسى رباً .
وقوله : « وما امروا إلا ليعبدوا الهاً واحداً » معناه ان الله تعالى لم يأمر هؤلاء اليهود والنصارى وغيرهم إلا بمباداة الله وحده لا شريك له . ثم اخبر فقال :
« لا إله إلا هو سبحانه » يعني تزيتها عما يشركون . ومعنى سبحانه براءة من الله من سوء كما قال الشاعر :

اقول لما جاءني نغره سبجان من علقمة الفاخر (١)

(١) قائله الاعشى . وقد مر تخريجه في ٣ : ٨١ .

والآية تدل على ان المشرك مع الله في التحليل والتحرير على مخالفة امر الله كالمشرك في عبادة الله ، لأن استحلال ما حرم الله كفر بالاجماع . وكل كافر مشرك ولا يلزم على ذلك أن يكون من قبل من الشيطان باغوائه فان تكب المعاصي أن يكون كافراً على ما استدل به بعض الخوارج ، لأن إذا قبل من الشيطان ما يعتقد انه معصية ولا يقصد بذلك طاعة الشيطان ولا تعظيمه يكون فاسقاً ، ولا يكون كافراً . وليس كذلك من ذكره الله تعالى في الآية ، لأنهم كانوا يقبلون تحريم علمائهم وأخبارهم ويتصدقون بذلك تعظيمهم . ولا يلزم على ذلك قبول المعاصي من العالم ، لأن العاصي يعتد بالرجوع الى العالم فيقبل منه ما أدى اجتهاده اليه وعلمه ، فاذا قصد العالم وافتاه بغير ما علمه فهو الخطيء دون المصتفي . وليس كذلك هؤلاء ، لأنهم ما كانوا تعبدوا بالرجوع الى الاخبار والقبول منهم لأنهم لو كانوا تعبدوا بذلك لما ذمهم الله على ذلك .

قوله تعالى :

﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (٣٢) آية اجماعاً

اخبر الله تعالى عن هؤلاء الكفار من اليهود والنصارى انهم « يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم » والاطفاء اذهاب نور النار . ثم استعمل في اذهاب كل نور ، و « نور الله » القرآن ، والاسلام في قول المفسرين : السدي والحسن . وقال الجبائي : نور الله : الدلالة والبرهان ، لأنه يهتدى بها كما يهتدى بالأنوار .
 وواحد الأفواه فم في الاستعمال . وأصله فوه فحذفت الهاء وأبدت من الواو ميم ، لأنه حرف صحيح من مخرج الواو مشا كل لها . ولما سمي الله تعالى الحجج والبراهين نورا سمي معارضتهم له ، اطفاء . وأضاف ذلك الى الأفواه ، لأن

الاطفاء يكون بالا فواء ، وهو النفخ ، وهذا من عجيب البيان مع ما فيه من تصغير شأنهم وتضعيف كيدهم ، لأن النفخ يؤثر في الأنوار الضعيفة دون الاقباس العظيمة ذكره الحسين بن علي المغربي .

قوله : « وبأبي الله الا ان يتم نوره » والاباء الامتناع مما طلب من المعنى .

قال الشاعر :

وان ارادوا ظلمنا ايينا

أي ممنعناهم من الظلم ، وايس الاباء من الكراهة في شيء على ما يقول المجبرة ، لأنهم يقولون : فلان بأبي الضيم ، فيمدحونه ولا مدحة في كراهة الضيم لتساوي الضميمة والقوي في ذلك . وإنما المدح في المنع خاصة . ولذلك مدح عورة بن الورد بأنه أبا للضميم بمعنى انه ممتنع منه . وقوله : (وان ارادوا ظلمنا ايينا) يدل على ذلك لأنه لا مدحة في أن يكرهوا ظلم من يظلمهم . وإنما المدحة في منع من أراد ظلمهم : والمنع في الآية بمنع الله إلا إتمام نوره . وإن كره الكافرون . ولا يجوز على قياس « وبأبي الله الا ان يتم نوره » أن تقول ضربت الا اخاك لأن في الاباء معنى النبي ، فكانه قال : لا يمكنهم الله إلا أن يتم نوره . وإذا لم يكن في اللفظ مسدتنى منه لم تدخل (إلا) في الابجاب وتدخل في النبي على تقدير الحذف قال الشاعر :

وهل لي أم غيرها ان تركتها أبي الله إلا أن اكون لها ابنا (١)

والتقدير في الآية وبأبي الله كل شيء الا إتمام نوره . في قول الزجاج ، وأنكر

أن يكون في الآية معنى الجحد .

قوله تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ ﴾

(١) تفسير القرطبي ٨ : ٨١٢١ ومعاني القرآن ١ : ٤٣٣ .

عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ آية .

اخبر الله تعالى انه « هو الذي ارسل رسوله » (ص) وحمله الرسالة التي يؤديها الى امته « بالهدى » يعني بالحجج والبيئات والبيان لما يؤديهم العمل به الى ابواب الجنة . و « دين الحق » هو الاسلام وما تضمنه من الشرائع ، لأنه الذي يستحق عليه الجزاء بالثواب وكل دين سواه باطل ، لأنه يستحق به العقاب . ومن شأن الرسول ان يكون افضل من جميع امته من حيث يجب عليهم طاعته وامثال ما يأمرهم به بما هو مصلحة لهم ، ولأنه رئيس لهم في الدين . ويقبح تقديم المفضول على الفاضل فيما كان افضل فيه .

وقوله : « ليظهره على الدين كله » معناه ليعمل دين الاسلام على جميع الاديان بالحكم والغلبة والقهر لهم . وقال البخاري : ظهوره على جميع الاديان بالحكم ، لأن جميع الاديان نال المسلمون منهم وغزوا فيهم واخذوا سبيهم وجزيتهم . وفي الآية دلالة على صدق نبوته (ص) لأنها تضمنت الوعد بظهور الاسلام على جميع الاديان ، وقد صح ظهوره عليها .

وقال ابو جعفر (ع) ان ذلك يكون عند خروج القائم (ع) .
وقال ابن عباس [ان الهاء في « ليظهره » عائدة الى الرسول (ص) أي ليعلمه الله الاديان كلها حتى لا يخفى عليه شيء منها] (١) .

قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ
كَيَّا كَلُونُ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ

(١) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة .

يَكْنُزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ آية بلا خلاف .

هذا خطاب من الله تعالى للمؤمنين يعلمهم ان كثيراً من احبار اليهود ، وعلماهم
ورؤسائهم وكثيراً من رهبان النصارى لياً كلون اموال الناس بالباطل من حيث
كانوا يأخذون الرشا في الاحكام في قول اسحاق والجبائي .

واكل المال بالباطل تملكه من الجهات التي يحرم منها اخذه .

وقيل في معنى : « لياً كلون اموال الناس بالباطل » وجهان :

احدهما انهم يملكون ، فوضع ياً كلون موضعه ، لأن الاكل غرضهم .
والثاني - ياً كلون اموال الناس من الطعام ، فسكانهم ياً كلون الاموال ،

لأنها من المأكل كما قال الشاعر :

ذر الاكلين الماء لوماً فما ارى ينالون خيراً بعد اكلهم الماء (١)

اي ثمن الماء . وقوله : « ويصدون عن سبيل الله » معناه يمنعون غيرهم من
اتباع الاسلام الذي هو سبيل الله التي دعاهم الى سلوكها . والغرض بذلك التحذير من
اتباعهم والتهوين على المسلمين مخالفتهم .

وقوله : « والذين يكنزون الذهب والفضة ، ولا ينفقونها في سبيل الله » معناه
الذين يحبون اموالهم من غير ان يخرجوا زكاتها ، لأنهم لو اخرجوا زكاتها وكنزوا
ما بقي لم يكونوا ملومين بلا خلاف . وهو قول ابن عباس وجابر وابن عمر ، والحسن
والصدي والجبائي . قال : وهو اجماع .

واصل الكنز كسر الشيء بمضه على بعض . ومنه قولهم كنز التمر والطعام

قال الهذلي :

(١) اللسان (أكل) وروايته (من) بدل (ذر) و (ظلاً) بدل (لوماً) .

لا دردري ان اطعمت نازلتم قرف الحتي وعندى البر مكنوز (١)
الحتي سويق المقل . وقوله : « ولا ينفقونها في سبيل الله » اي إنما لم يقل
ولا ينفقونها لأحد اسرين : احدها - ان تكون السكناية عائدة الى مدلول عليه
وتقديره ولا ينفقون السكنوز أو الأموال .
والآخر - ان يكون اكتفى بأحدها عن الآخر للإيجاز ومثله : « إذا رأوا
نجارة أو هرواً اتعضوا إليها » وقال حسان :
[ان شرخ الشباب والشعر الاس - ود ما لم يماص كان جنونا] (٢)
وقال الآخر :

نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأي مختلف (٣)
وكان يجب ان يقول راضيان . ومعنى البيت نحن بما عندنا راضون وأنت بما
عندك راض وحذف الخبر من الاول لدلالة الثاني عليه كما حذف المفعول في الثاني
لدلالة الأول عليه في قوله : « والذاكرين الله كثيراً والذاكرات » (٤) والتقدير
والذاكرات الله . ومثل ذلك الآية . وتقديرها والذين يكثرزون الذهب ولا ينفقونه
في سبيل الله ويكثرزون الفضة ولا ينفقونها في سبيل الله .
وموضع « والذين يكثرزون » يحتمل وجهين من الاعراب : احدها ان يكون
نصباً بالعطف على اسم (ان) وتقديره : وبأكلون الذين يكثرزون الذهب . والثاني -
ان يكون رفماً على الاستئناف .

(١) مقاييس اللغة ٢ : ١٣٦ واللسان وكنز .

(٢) تفسير القرطبي ٨ : ١٢٨ ومجاز القرآن ١ : ٢٥٨ وتفسير الطبري ١ : ٢٢٩
وهذا البيت كله ساقط من المطبوعة مع وجود (قال حسان) .

(٣) تفسير القرطبي ٨ : ١٢٨ ومعاني القرآن ١ : ٤٣٤ ، ٤٤٥ وغيرها وقد مر
في موارد كثيرة من هذا الكتاب .

(٤) سورة الاحزاب آية ٣٥

وقال ابن عمر كل ما اخرجت زكاته فليس بكنز ، وبه قال عكرمة . وقال الجبائي وغيره : « الذين يكتزون » نزلت في مانعي الزكاة من اهل الصلاة . وقال قوم : نزلت في المشركين ، والأولى ان تحمل الآية على العموم في الفريقين .
وقوله : « فبشرهم بعذاب اليم » قيل في معناه قولان :

احدهما - ان اصل البشرى مما يظهر في بشرة الوجه من فرح أو غم . إلا انه كثر استعماله في الفرح كما قال الجمدي :

واراني طرباً في اثرهم طرب الواله او كالمختبل (١)

لأن اصل الطرب ما يستخف من سرور او حزن .

والثاني - انه وضع الوعيد بالعذاب الاليم موضع البشرى بالنعيم . وروي عن علي (ع) انه قال : كلما زاد على اربعة آلاف ، فهو كنز ادبت زكاته أو لم تؤد ، وما دونها فهو نفقة . وقال ابو ذر : من ترك بيضاء أو صفراء كوى به - - . وسئل رسول الله (ص) عن نزول هذه الآية اي مال يتخذ فقال : لساناً ذا كراً وقلباً شاكراً وزوجة تعين احدكم على دينه .

قوله تعالى :

﴿ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فُتَكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ
وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ (٣٥) آية بلا خلاف .

قوله : « يوم يحمى » متعلق بقوله : « فبشرهم بعذاب اليم » في يوم يحمى عليها . ومعناه انه يدخل الذهب والفضة الى النار فيوقد عليها يعني على الكنوز

(١) مقاييس اللغة ٣ : ٤٤٥ واللسان (خبل) .

التي كنزوا فاهاء في قوله : «عليها» عائدة على السكنوز او الفضة .
والاحماء جعل الشيء حاراً في الاحماس ، وهو فوق الاسخان ، وضده التبريد
تقول : حمى حمأ وأحماء احماء إذا امتنع من حر النار .
وقوله : « تكوى » فالكي الصاق الشيء الحار بالعضو من البدن . ومنه قولهم
اخر انداء الكي لغلظ امره كقطع العضو إذا عظم فساده تقول : كواه يكويه كياً
واكتوى اکتوا .

وقوله : « جباههم » جمع جبهة وهي صفحة اعلى الوجه فوق الحاجبين . وجبهه
بالمكروه يجبهه جبهاً إذا استقبله به . وجنوبهم جمع جنب والجنب والضمع والأبطل
نظائر ، وظهورهم جمع ظهر ، وهو الصفحة العليا من خلف المقابلة للبطن ، يقال : كتب
في ظهر الدرج وبطنه إذا كتب في جانبيه .

والمعنى ان الله يحمي هذه السكنوز بالنار ليكوي بها جباه من كنزها ولم
يخرج حق الله منها وجنوبهم ، فيكون ذلك اشد لعدايتهم وأعظم لحزيبهم .
وقوله : « هذا ما كنزتم » اي يقال لهم : هذا ما ذخرتموه لا تقسم « فذوقوا
ما كنتم تكفرون » ومعناه فاطعموا جزاء ما كنتم تدخرونه من منع الزكوات
والحقوق الواجبة في اموالكم .

قوله تعالى :

﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ
اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ
الْقَائِمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا
يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٣٦) آية

بلا خلاف .

قرأ أبو جعفر « اثنا عشر » واحد عشر وتسعة عشر بسكون الشين فيهن إلا
 النهرواني. روي عنه حذف الالف التي قبل العين .
 لما ذكر الله تعالى وعيد الظالم لنفسه بكنز المال من غير اخراج الزكاة وغيرها
 من الحقوق التي لله منه ، اقتضى ذلك ان يذكر النهي عن مثل حاله ، وهو الظلم في
 الاشهر الحرم التي تؤدي الى مثل حاله او شر منها في سوء المنقلب ، فآخبر تعالى « ان
 عدة الشهور » في السنة على ما تعبد المسلمون بأن يحملوه لسنتهم دون ما يعتبره
 مخالفوا الاسلام « اثنا عشر شهراً » وانما قسمت السنة اثني عشر شهراً لتوافق امر
 الاله مع نزول الشمس في اثني عشر برجاً تجري على حساب متفق ، كما قال :
 « والشمس والقمر بحسبان » (١) والشهر مأخوذ من شهرة امره لحاجة الناس اليه
 في معاملاتهم ومحل ديونهم وحجهم وصومهم ، وغير ذلك من مصالحهم المتعلقة بالشرعية .
 وقوله : « في كتاب الله » معناه فيها كتبته الله في اللوح المحفوظ وفي الكتب
 المنزلة على انبيائه .

وقوله : « يوم خلق السموات والارض » متصل بـ « عند الله » والعامل فيها
 الاستقرار . ثم بين امر هذه الاثني عشر شهراً « اربعة حرم » وهي ذو القعدة ،
 وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب : ثلاثة مرد وواحد فرد كما يمتقده العرب .
 ومعنى (حرم) انه يعظم انتهاك المحارم فيها اكثر مما يعظم في غيرها ، وكانت
 العرب تعظمها حتى ان الرجل لو لقي قاتل ابيه لم يهجه لحرمة .
 وانما جعل الله تعالى بعض الشهور اعظم حرمة من بعض لما علم في ذلك من
 المصلحة في الكف عن الظلم فيها فمعظم منزلتها وانه ربما ادى ذلك الى ترك الظلم

اصلاً لا نطفاء النائرة تلك المدة وانكسار الحمية ، فان الأشياء تجر الى اشكالها .
 وقوله : « ذلك الدين القيم » معناه التدين بذلك هو الدين المستقيم .
 وقوله : « فلا تظلموا فيهن أنفسكم » نهي منه تعالى لخلقه عن ان يظلموا انفسهم
 لأن من فعل قبيحاً يستحق عليه العقاب ، فقد ظلم نفسه بذلك بادخال الضرر عليها .
 وقال ابو مسلم : معناه لا تدعوا قتال عدوكم في هذه الأشهر بأجمعكم ، ولا
 تمتنعوا من احد الا من دخل تحت الجزية والصغار ، وكان من اهلها بدلالة قوله :
 « وقاتلوا المشركين كافة » وكافة مشتق من كافة الشيء وهي طرفه وانما اخذ من ان
 الشيء إذا انتهى الى ذلك كلف عن الزيادة ، ولا يثنى كافة ولا يجمع .
 وقوله : « وقاتلوا المشركين كافة » امر منه تعالى بقتال المشركين اجمع : امر
 الله تعالى المؤمنين بأن يقاتلوهم كما ان المشركين يقاتلونهم كذلك ، والضمير في قوله :
 « فبهن » يحتمل ان يكون عائداً على الشهور كلها على ما قال ابن عباس ، ويحتمل ان
 يعود على الأربعة الحرم على ما قال قتادة لعظم امرها واختار الفراء رجوعها الى
 الأشهر الحرم . قال : لانه لو رجم الى الاثني عشر لقال فيها . والصحيح ان الجميع
 جائز وانما خص الأربعة اشهر بذلك في قول قتادة لتعظيم الظلم لا ان الظلم يجوز
 فعله على حال من الأحوال .

وقوله : « ذلك الدين القيم » معناه ذلك الحساب الصحيح هو الدين القيم لا
 ما كانت عليه العرب من النسبي . وقيل معناه ذلك التدين هو الدين القيم . وقوله :
 « كافة » نصب على المصدر ، ولا يدخل عليها الالف واللام ، لأنه من المصادر التي
 لا تنصرف لوقوعه موقعاً معاً وجمعاً بمعنى المصدر الذي هو في موضع الحال
 المذكورة ، فهو في لزوم النكرة نظير اجمعين في لزوم المعرفة .

وقوله : « اعلموا ان الله مع المتقين » لمعاصيهم وما يؤدي الى عقابه ويكون

معهم بالنصرة والولاية دون الاجتماع في مكان ار محل ، لان الله لا يجوز عليه ذلك
لانه من امارات الحدث .

قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا
يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا
مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنٌ لَهُمْ سِوَهُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾
(٣٧) آية بلا خلاف .

القراءة والحجة واللغة :

قرأ ابو جعفر وابن فرج عن البرقي انما « النسبي » من غير همز قلب الهمزة
ياءً وادغم الياء الاولى فيها فلذلك شدد . الباقون « النسبي » ، ممدود ، هموز على وزن
فمبيل .

وزوي عن ابن مجاهد وابن مسمود عن عبيد بن عقيل عن شبل عن ابن كثير
« النسب » ، على وزن النسم .

وقرأ اهل الكوفة إلا ابا بكر « يضل » بضم الياء وفتح الضاد . وقرأ يعقوب
بضم الياء وكسر الضاد . الباقون بفتح الياء وكسر الضاد .

وقال ابو علي : وجه قراءة ابن كثير اذا قرأت على وزن النسم ان (النسبي)
التأخير . قال ابو زيد : نسأت الابل في ظمئها يوماً او يومين او اكثر من ذلك ،
والمصدر (النسبي) . ويقال : الابل نسأتها على الحوض وانما نسأها نسأاً اذا
اخترتها عنه . قال : وما روي عن ابن كثير من قراءة بالياء فذلك على ابدال الياء
من الهمزة ، ولا أعلمها لغة في التأخير ، كما ان ارجيت لغة في ارجأت . وما روي

فيه من التشديد فعلى تخفيف الهمز، لأن النسيء بتشديد الياء على وزن فاعيل بالتخفيف قياسي . وسيبويه لا يميز نحو هذا القلب الذي في النسيء الا في ضرورة الشعر ، وابن زيد يراه . وروى كثيراً عن العرب ومن قرأ بالمد والهمز فلا نه أكثر هذا في المعنى . قال ابو زيد : أنسأتة الدين انساء اذا أخرته واسم ذلك النسيئة والنساء وكان النسيء في الشهور تأخير حرمة شهر الى شهر ليست له تلك الحرمة فيحرمون بهذا التأخير ما احل الله ويحلون ما حرم الله .

والنسيء مصدر كالنذير والتكبير وعذير الحي . ولا يجوز أن يكون (فميلاً) بمعنى مفعول لأنه حمل على ذلك كأن معناه انما المؤخر زيادة في الكفر والمؤخر الشهر وليس الشهر نفسه بزيادة في الكفر ، وانما الزيادة في الكفر تأخير حرمة الشهر الى شهر آخر ليست له تلك الحرمة .

وقال ابو عبيدة فيما روي عن الثوري من قوله : انما النسيء زيادة في الكفر قال : كانوا قد وكلوا قوماً من بني كنانة يقال لهم : بنوا فقيم وكانوا يؤخرون المحرم وذلك نساء الشهور لا يفعلون ذلك الا في ذى الحجة اذا اجتمعت العرب للموسم فينادى منادى أن افعلوا ذلك لحاجة او لحرب وليس كل سنة يفعلون ذلك فان ارادوا ان يحلوا المحرم نادوا هذا صفر وان المحرم الاكبر صفر وربما جعلوا صفر محرماً مع ذى القعدة حتى يذهب الناس الى منازلهم اذا نادى المنادي بذلك وكانوا يسمون المحرم صفرأ ويقدمون صفرأ سنة ويؤخرنه .

وقال الفراء : والذي تقدم به رجل من بني كنانة يقال له نعيم بن عمرو كان رئيس الموسم ، فيقول : انا الذي لا اعاب ولا اُجاب ولا يرد لي فضاء فيقولون : نعم صدقت انسئنا شهرأ او اخر عنا حرمة المحرم واجعلها في صفر وأحل المحرم فيفعل ذلك . وانما دعاهم الى ذلك توالي ثلاثة اشهر حرم لا يغيرون فيها وكان معاشهم في الغارة والذي كان ينسأها حين جاء الاسلام هو جبارة بن عوف بن ابي امية وكان في

بني عديان قبل بني كنانة قال الشاعر :

السنا الناسدين على عدي شهور الحل نجعلها حراماً (١)

المعنى :

وقال ابن عباس كانوا يجعلون المحرم صفرأ . وقال ابو علي : كانوا يؤخرون الحج في كل سنة شهراً وكان الذين ينسئون بنو سليم و غطفان ، وهوازن ، ووافق حج المشركين في السنة التي حج فيها ابو بكر في ذي القعدة ، فلما حج النبي (ص) في العام المقبل وافق ذلك في ذي الحجة فلذلك قال : الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض .

وقال مجاهد : فكان النسيء المنهي عنه في الآية تأخير الا شهر الحرم عما رتبها الله ، وكانوا في الجاهلية يعملون ذلك وكان الحج يقم في غير وقته واعتقاد حرمة الشهر في غير اوانه فبين تعالى ان ذلك زيادة في الكفر .

قال ابو علي : من قرأ « يضل » بفتح الياء وكسر الضاد قال الذين كفروا لا يخولوا ان يكونوا مضلين لغيرهم او ضالين هم في انفسهم فاذا كان كذلك لم يكن في حسن اسناد الضلال في قوله : « يضل » اشكال الا ترى ان المضل لغيره ضال بفعله اضلال غيره كما ان الضال في نفسه الذي لم يضل غيره لا يمتنع اسناد الضلال اليه .

ومن ضم الياء وكسر الضاد فمنناه ان كبراهم واتباعهم يضلونهم بأمرهم ايام بحملهم على هذا التأخير في الشهور . وروى في التفسير ان رجلا من كنانة يقال له ابو ثمامة كان يقول للناس في منصرفهم من الحج ان آلهتم قد اقممت لتحر من وربما قال لتحلن هذا الشهر يعني المحرم فيحلونه ويحرمون صفرأ وان حرموه احلوا

(١) قائله الكميث . تفسير القرطبي ٨ : ١٣٨ .

صفاً وكانوا يسمونها الصفرين فهذا اضلال من هذا المنادي .
 ومن قرأ بضم الياء وفتح الضاد وقبل انها قرأه ابن مسعود يقوي ذلك ،
 قوله : « زين لهم سوء اعمالهم » اي زين ذلك لهم حاملوهم عليه وداعوهم اليه . وعلى
 هذه القراءة يكون الذين كفروا في موضع رفع بأنهم فاعلون والمفعول به محذوف
 وتقديره بضل منسؤ الشهور الذين كفروا تابعيهم والآخذين لهم بذلك .
 ومعنى قوله : « لبواظنوا » فلمواظاة موافقة امر التواطئة والمعنى لبواظنوا
 العدة في الاربعة اشهر .

وقوله : « زين لهم سوء اعمالهم » قال الحسن وأبو علي اللذين لهم انفسهم
 والشيطان . وقبل : زين بالشهوة وليجتنبوا المشتبهى فذكر ذلك للتحذير والاعتراف
 به والتزيين يكون بمعنى الفعل له ويكون بمعنى تقبل الطبع . وإنما سمي انساؤهم زيادة
 في الكفر من حيث أنهم اعتقدوا أن ذلك صحيح وصواب فلذلك كان كفراً فلا
 حجة في ذلك ان تكون افعال الجوارح كفراً .
 وقوله : « والله لا يهدي القوم الكافرين » معناه انه لا يهديهم الى طريق
 الجنة اذ كانوا كفاراً مستحقين لعذاب الابد .

قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْتُمْ فِي
 سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ
 فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ (٣٨) آية بلا خلاف .

المعنى :

هذا خطاب من الله تعالى لجماعة من المؤمنين وعتاب وتوبيخ بأنهم إذا قيل لهم

على لسان رسوله « انفروا في سبيل الله » ومعناه اخرجوا في سبيل الله يعني الجهاد
وسماه سبيل الله ، لأن القيام به موصل الى معنى الجنة ورضا الله تعالى .

اللغة :

والنفير الخروج الى الشيء . لا مرهيج عليه وضده الهدوء . تقول : نفر الى الثغر
ينفر نفرأ ونفيراً ولا يقال النفور إلا في المكروه كنفور الدابة عما يخاف . وقوله :
« اناقلتم الى الأرض » اصله تناقلتم وادغمت التاء في الثاء لمناسبتها لها وادخلت الف
الوصل لتمكن الابتداء بها ومثله اذاركوا قال الشاعر :

تولى الضجيج إذا ما استأفها خصرأ عذب المذاق إذا ما التابع القبل (١)
والتناقل تعاطي اظهار ثقل النفس ومثله التباطيء وضده التسرع .

المعنى :

ومعنى قوله : « اناقلتم الى الأرض » قيل فيه قولان :

احدهما الى المقام بأرضكم ووطنكم .

الثاني لما اخرج من الأرض من الثمر والزرع . قال الحسن ومجاهد : دعوا
الى الخروج الى غزوة تبوك بعد فتح مكة وغزوة الطائف وكان ايام ادراك الثمرة
وعجبة القعود في الظل فعاتبهم الله على ذلك . والآية مخصوصة بقوم من المؤمنين دون
جميعهم ، لأن من المعلوم ان جميعهم لم يكن بهذه الصفة من التناقل في الجهاد ، وهو
قول الجبائي وغيره . فقال الله تعالى لهم على جهة التوبيخ ، والتعنيف ارضيتم
بالحياة الدنيا على الآخرة ، آثرتم الحياة الدنيا الفانية على الحياة الآخرة الباقية . وهو

(١) معاني القرآن ١ ، ٤٣٨ ، ونفسير القرطبي ٨ : ١٤٠ ، والطبري ١٤ : ٢٥٢

وبجمع البيان ٣ : ٣٠ . (استأف) الشيء قرب منه وشبهه . و (القبل) - بضم القاف -
جمع قبلة .

استفهام والمراد به الانكار. والرضا هو الارادة غير انه لا توصف بذلك إلا اذا تعلق بما مضى من الفعل. والارادة توصف بما لم يوجد بعد قال تعالى مخبراً : « فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل » اي ليس الانتفاع بما يظهر للحواس الاقيل ومنه قولهم : تمتع بالرياض والمناظر الحسان . ويقال للاشياء التي لها ايمان متاع تشبيهاً بالانتفاع به .

قوله تعالى :

﴿ اَلَا تَنْفَرُوا يُعَذِّبُكُمۡ عَذَابًا اَلِيْمًا وَيَسْتَبَدِّلُ قَوْمًا غَيْرَ كُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ ﴾ (٣٩) آية بلاخلاف.

هذا تحذير من الله تعالى لهؤلاء الذين استعطأهم ووصفهم بالتناقل عن سبيل الله بقوله : « الا تنفروا » اي ان لم تخرجوا الى سبيل الله التي دعيت اليها من الجهاد يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم يقومون بنصرة نبيه ولا يتناقلون فيه . والاستبدال جعل أحد الشيعيين بدل الآخر مع الطلب له . والتعذيب بطول وقت العذاب ، لأنه من الاستمرار وقد يكون عقاباً رديماً عقاباً .

وقوله : « ولا تضروه شيئاً » قبل فيمن يرجع اليه قولان :

احدهما - انه يعود على اسم الله في قول الحسن ، قال : لأنه غني بنفسه عن

جميع الاشياء .

والآخر - قال الزجاج : انها تعود الى النبي (ص) لأن الله عصمه من

جميع الناس . وقوله : « والله على كل شيء قدير » معناه قادر على الاستبدال بكم وعلى

غيره من الاشياء . وفيه مبالغة .

قوله تعالى :

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَفَرُوا فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا
ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا
فَأَنْزَلَ اللَّهُ سُكْرِيذَةً عَلَيْهِ وَأَيْدِيَهُ يُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَفَرُوا
كَفَرُوا وَالسُّفُلَىٰ وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾
(٤٠) آية بلا خلاف .

قرأ يعقوب وحده « وكلمة الله هي العليا » على تقدير وجعل كلمة الله هي العليا
ومن رفع استأنف ، وهو أبلغ ، لأنه يفيد ان كلمة الله العليا على كل حال . وهذا
ايضاً زجر آخر وتهديد لمن خاطبه في الآية الاولى بأنهم إن لم ينصروا النبي (ص) ولم
يقاتلوا معه ، ولم يجاهدوا عدوه « فقد نصره الله » أي قد فعل الله به النصر حين
أخرجه الكفار من مكة ثاني اثنين . وهو نصب على الحال اي هو ومعه آخر ، وهو
ابو بكر في وقت كونهما في الغار من حيث « قال لصاحبه » يعني ابا بكر « لا تحزن ،
اي لا تخف ، ولا تجزع ان الله معناي ينصرتا . والنصرة على ضربين :

احدهما - يكون نعمة على من ينصره . والآخر - لا يكون كذلك ، فنصرة
المؤمنين تكون احساناً من الناصر الى نفسه لأن ذلك طاعة لله ولم تكن نعمة
على النبي (ص) .

الثاني - من ينصر غيره لينفعه بما تدعوا اليه الحكمة كان ذلك نعمة عليه مثل
نصرة الله لنبيه (ص) .

ومعنى « ثاني اثنين » احد اثنين يقولون هذا ثاني اثنين ، وثالث ثلاثة ، ورابع
اربعة ، وخامس خمسة ، لأنه مشتق من المضاف اليه . وقد يقولون خامس اربعة أي

خمس الأربعة بمصيره فيهم بعد ان لم يكن .
 والغار ثقب عظيم في الجبل قيل : وهو جبل بمكة يقال له نور ، في قول قتادة
 وقال مجاهد : مكث النبي (ص) في الغار مع ابي بكر ثلاثاً . وقال الحسن : انبت الله
 على باب الغار ثمامة ، وهي شجيرة صغيرة . وقال غيره : اللهم العنكبوت فندسجت على
 باب الغار . وأصل الغار الدخول الى عمق الخباء . ومنه قوله : « ان اصبح ماؤكم
 غوراً » (١) وغارت عينه تغور غورا اذا دخلت في رأسه . ومنه اغار على القوم
 اذا اخرجهم من اخبيتهم بهجومه عليهم . وقوله : « فأنزل الله سكينته عليه » قيل
 فيمن تعود الهاء اليه قولان : احدهما - قال الزجاج : انها تعود الى النبي (ص) .
 والثاني - قال الجبائي : تعود على ابي بكر ، لأنه كان الخائف واحتاج الى الامن
 لان من وعد بالنصر ، فهو ساكن القلب والاول اصح ، لأن جميع الكنايات قبل
 هذا وبمده راجعة الى النبي (ص) الا ترى ان قوله : « الا تنصروه » الهاء راجعة
 الى النبي (ص) بلا خلاف ، وقوله : « فقد نصره الله » فالهاء ايضاً راجعة الى النبي
 صلى الله عليه وآله . وقوله : « اذا اخرجته » يعني النبي (ص) « اذ يقول لصاحبه »
 يعني صاحب النبي (ص) ثم قال : « فأنزل الله سكينته عليه » وقال بمده : « وايداه
 بجنود » يعني النبي (ص) فلا يليق أن يتخلل ذلك كله كناية عن غيره ، وتأيد الله اياه
 بالجنود ما كان من تقوية الملائكة لقلبه بالبشارة بالنصر من ربه ومن القاء اليأس
 في قلوب المشركين حتى انصرفوا خائبين .

وقوله : « وجعل كلمة الذين كفروا السفلى » أي جعلها نازلة دنية وأراد
 بذلك ان يسفل وعيدهم النبي (ص) ونحو ينفهم اياه وأبطله ، ونصر رسول الله والمؤمنين
 عليهم فمير عن ذلك بأنه جعل كلمتهم كذلك ، لا انه خلق كلمتهم كما قال : « وجعلوا
 الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا » (٢) .

(١) سورة الملك آية ٣٠ . (٢) سورة الزخرف آية ١٩ .

وقيل ان كلمة الذين كفروا الشرك ، وكلمة الله التوحيد ، وهي قول : لا اله الا الله . وقيل كلمتهم هو ما تفاخروا عليه من قتله . و « كلمة الله » ما وعد به من النصر والنجاة . ثم اخبر ان « كلمة الله هي » المرتفعة أي هي المنصورة بغير جعل جاعل ، لأنها لا يجوز أن تدعوا الى خلاف الحكمة .

وقوله : « والله عزيز » معناه قادر لا يقهر « حكيم » واضع الأشياء مواضعها ليس فيها وجه من وجوه القبيح .

وليس في الآية ما يدل على تفضيل ابي بكر ، لأن قوله : « ثاني اثنين » مجرد الاخبار أن النبي (ص) خرج ومعه غيره ، وكذلك قوله : « اذها في الغار » خبر عن كونها فيه وقوله : « اذ يقول لصاحبه » لامدح فيه ايضاً ، لأن تسمية صاحب لا تفيد فضيلة ألا ترى ان الله تعالى قال في صفة المؤمن والكافر « قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك » (١) وقد يسمون البهيمة بأنها صاحب الانسان كقول الشاعر :

وصاحبي بازل شمول

وقد يقول الرجل المسلم لغيره : أرسل اليك صاحبي اليهودي ، ولا يدل ذلك على الفضل . وقوله : « لا تحزن » ان لم يكن ذماً فليس بمدح بل هو نهي محض عن الخوف . وقوله : « ان الله معنا » قيل ان المراد به النبي (ص) ، ولو اريد به ابو بكر معه لم يكن فيه فضيلة ، لأنه يحتمل أن يكون ذلك على وجه التهديد ، كما يقول القائل لغيره إذا رآه يفعل القبيح لا تفعل إن الله معنا ، يريد انه متطلع علينا ، عالم بحالنا .

والسكينة قد بينا أنها نزلت على النبي (ص) بما بيناه من ان التأييد بمجنود

الملائكة كان يختص بالنبي (ص) فأين موضع العزيمة للرجل لولا العناد . ولم نذكر هذا للطمع على ابي بكر بل بينا ان الاستدلال بالآية على الفضل غير صحيح .

قوله تعالى :

﴿ إِنْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ

فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٤١)

آية بلا خلاف .

هذا امر من الله تعالى للمؤمنين أن يففروا الى جهاد المشركين خفافاً وثقالاً .

وقيل في معنى « خفافاً وثقالاً » ثمانية أقوال :

احدها - قال الحسن ومجاهد والضحاك والجبائي : إن معناه شباناً وشيوخاً .

وثانيها - قال صالح : معناه اغنياء وفقراء .

وثالثها - قال ابن عباس وقتادة : نشاطاً وغير نشاط .

ورابعها - قال ابو عمرو : ركباناً ومشاة .

وخامسها - قال ابن زيد : ذا صنعة وغير ذي صنعة .

وسادسها - قال الحكم : مشاغيل وغير مشاغيل .

وسابعها - قال الفراء : ذو العيال ، والميسرة : هم الثقال ، وذو المصرة وقلة

العيال : هم الخفاف .

وثامنها - أن يحمل على عمومته فيدخل فيه جميع ذلك ، وهو الأولى

والأليق بالظاهر ، وهو اختيار الطبري ، والرمانى ويكون ذلك على حال خفة النفير وثقله

لأن هذا الذي ذكر يجري مجرى التمثيل لما يعمل هذا العمل به .

وقوله : « وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم » أمر من الله لهم بأن يجاهدوا في

قتال أعدائه بأموالهم وأنفسهم . والجهاد بالمال واجب كالجهاد بالأنفس ، وهو الاتفاق في سبيل الله ، وظاهر الآية يدل على وجوب ذلك بحسب الامكان ، فمن لم يطق الجهاد إلا بالمال فعليه ذلك يعين به من ليس له مال .

وظاهر الآية يقتضي وجوب مجاهدة البغاة كما يجب مجاهدة الكفار ، لأنه جهاد في سبيل الله ، ولقوله : « فقاتلوا التي تبغى حتى تهيء الى امر الله » (١) فوجب قتال البغاة الى حين يرجعوا الى الحق .

وقوله : « ذلكم خير لكم » اشارة الى الجهاد ، وتقديره ذلك الجهاد خير لكم . وإنما قال : « خير لكم » وإن لم يكن في ترك الجهاد خير لأحد أمرين : احدهما خير من تركه الى المباح . والثاني - ان فيه الخير لكم لا في تركه ، فلا يكون خير بمعنى أفعال من كذا .

وقوله : « ان كنتم تعلمون » معناه ان كنتم تعلمون الخير في الجملة فاعلموا أن هذا خير . وقال أبو علي : معناه « ان كنتم تعلمون » صدق الله فيما وعد به من الثواب الدائم .

وقال أبو الضحى : أول ما نزل من سورة براءة انقروا .

وقال مجاهد : أول ما نزل قوله : « لقد نصركم الله » .

وقال ابن عباس : نسخ هذه الآية قوله : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة » (٢)

وقال جعفر بن قيس : هذا ليس بمسوخ ، لأن المنسوخ ما لا يجوز فعله .

وهذا ليس بصحيح ، لأنه يجوز ان يكون وجوبه زال الى الندب أو الاباحة .

قوله تعالى :

﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنِ

(١) سورة الحجرات آية ٩ . (٢) سورة التوبة آية ١٢٣ .

بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا
مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٤٢)
آية بلا خلاف .

هذه الآية في قوم تخافوا عن النبي (ص) ولم يخرجوا معه الى غزوة تبوك .
وحسن الكناية عنهم وإن لم يجبر لهم ذكر لـكـوـنهم داخلين في جملة الذين أمروا
بالخروج مع النبي (ص) الى الجهاد وأن ينفروا معه . والمعنى لو كان المدعو اليه عرضاً
قريباً من الغنيمة وما يطمع فيه من المال . وقوله : « وسفراً قاصداً » معناه سفراً سهلاً
بافتصاده من غير طول في آخره وسمي المدل قاصداً ، لأنه مما ينبغي أن يقصد
« لا تبعوك » يعني خرجوا معك وبادروا الى اتباعك « ولكن بعدت عليهم الشقة »
اي بعدت عليهم المسافة ، لأنهم دعوا الى الخروج الى تبوك ناحية الشام ، فالشقة
القطعة من الأرض التي يشق ركوبها على صاحبها لبعدها . ويحتمل ان يكون من
الشق ويحتمل ان يكون من المشقة . والشقة السفر والمشافة . وقريش يضمون الشين ،
وقيس يكسرها . وقريش يضمون العين من (بعدت) .

وقوله : « سيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم » اخبار منه تعالى ان
هؤلاء الذين ذكروهم يحلفون ويقسمون على وجه الاعتذار اليك ويقولون فيما بعد « لو
استطعنا لخرجنا معكم » اي لو قدرنا وتمكنا من الخروج لخرجنا معكم . ثم اخبر
تعالى انهم يهلكون انفسهم بذلك واخبر تعالى انه يعلم انهم يكذبون في هذا الخبر
الذي اقساموا عليه . وفي الآية دلالة على ان الاستطاعة قبل الفعل لانهم لا يحلون
من احد امرين : إما أن يكونوا معتطمعين من الخروج وقادرين عليه ولم يخرجوا
أو لم يكونوا قادرين عليه وانما حلفوا انهم لو قدروا في المستقبل لخرجوا ، فان كان
الأول فقد ثبت ان القدرة قبل الفعل وإن كان المراد الثاني فقد اكذبهم الله في ذلك

وبين انه لو فعل لهم الاستطاعة لما خرجوا وفي ذلك ايضاً تقدم القدرة على المقدور وليس لهم ان يحملوا الاستطاعة على آلة السفر وعدة الجهاد ، لأن ذلك ترك الظاهر من غير ضرورة فان حقيقة الاستطاعة القدرة . وانما يشبه غيرها بها على ضرب من المجاز على انه إذا كان عدم الالة والعدة تعذر صاحبها في التأخر فمن ليس فيه قدرة اولى بأن يكون معذورا . وفي الآية دلالة على القبول لأنه اخبر انهم سيحلفون في المستقبل على ذلك بالله « لو استطعنا لخرجنا معكم » فجاءوا فيما بعد وحلفوا على ما اخبر به .

قوله تعالى :

﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَذَّابُنَا لَكَ الَّذِينَ
صَدَقُوا وَكَمْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (٤٣) آية بلا خلاف .

هذا خطاب فيه بعض العتاب للنبي (ص) في اذنه من استأذنه في التأخر فأذن له فأخبر الله بأنه كان الاولى ان لا تأذن لهم وتلزمهم الخروج معك حتى اذا لم يخرجوا ظهر نفاقهم لأنه متى اذن لهم ثم تأخروا لم يعلم بالنفاق كان تأخرهم ام بغيره . وكان الذين استأذنوه منافقين . وحقيقة العفو الصفيح عن الذنب . ومثله الغفران ، وهو ترك المؤاخذه على الاجرام . وقد كان يجوز ان يعفو الله عن جميع المعاصي كفرأ كان او غيره غير انه أخبر انه لا يعفو عن عقاب الكفر لاجماع الامة على ذلك وما عداه من الفسق باق على ما كان عليه من الجواز .

وانما قال : « عفا الله عنك » على غير لفظ المتكلم لأنه انخم من الكناية لأن هذا الاسم من اسماء التعظيم كما ان قولك ان رأي الامير انخم من قولك اني رأيت . وقال ابو علي الجبائي : في الآية دلالة على ان النبي (ص) كان وقع منه ذنب في هذا الاذن . قال : لأنه لا يجوز ان يقال لم فعلت ما جعلت لك فعله كما لا يجوز ان يقول لم فعلت ما امرتك بفعله . وهذا الذي ذكره غير صحيح ، لأن قوله : « عفا

الله عنك « إنما هي كلمة عتاب له (ص) لم فعل ما كان الأولى به ان لا يفعله ، لأنه وان كان له فعله من حيث لم يكن محظوراً فإن الأولى ان لا يفعله كما يقول القائل لغيره إذا رآه يعاتب أخاً له لم عاتبته وكلمته بما يشق عليه ؟ وان كانت له معاتبته وكلامه بما يشق عليه . وكيف يكون ذلك معصية وقد قال الله في موضع آخر : « فان استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم » وإنما اراد الله انه كان ينبغي ان ينتظر تأكيد الوحي فيه . ومن قال هذا ناسخ لذلك فعليه الدلالة .

وقوله : « لم اذن » فالاذن رفع التبعة ، عاتب الله تعالى نبيه (ص) لم اذن لقوم من المتأخرين عن الخروج معه الى تبوك وإن كان له اذنهم لكان الأولى ان لا يأذن « حتى يتبين لك » حتى يظهر لك « الذين صدقوا » في قولهم لو استطعنا لخرجنا معك لأنه كان فيهم من اعتل بالمرض والمعجز وعدم الجمولة « وتعلم الكاذبين » منهم في هذا القول .

قوله تعالى :

﴿ لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ (٤٤) آية
بلا خلاف .

اخبر الله تعالى نبيه بعلامة المنافقين والكاذبين بأن بين انه لا يستأذن احد النبي (ص) في التأخر عنه والخروج معه الى جهاد اعدائه ولا يسأله الاذن في التأخر القوم الذين يؤمنون بالله ويصدقون به ويقرون بوحدانيته ويعترفون باليوم الآخر والاستئذان طلب الاذن من الاذن . ومعنى قوله « ان يجاهدوا » فيه حذف وتقديره لأن لا يجاهدوا بحذف (لا) لأن ذمهم قد دل عليه - هذا قول ابي علي الجبائي .

وقال الحسن : تقديره كراهية ان يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم .
 وقال الزجاج : هو موضع نصب لان تقديره في ان يجاهدوا فلما حذف حرف
 الجر انتصب ، وعند سيبويه وغيره هو في موضع الجر .
 وقوله : « والله عليم بالمتقين » اخبار منه تعالى بأنه يعلم من يتقى مهصية الله
 ويخاف عقابه ، ومن لا يتقيه . قال ابن عباس هذ تعبير للمنافقين حين استأذنوه في
 القعود عن الجهاد وعذر لهؤمنين ، فقال : لم يذهبوا حتى يستأذنوه . والمعنى انه لم
 يخرجهم من صفة المتقين إلا أنه علم أنهم ليسوا منهم .
 فان قيل اي الجهادين افضل أجهاد السيف ام جهاد العلم ؟
 قيل : هذا بحسب الحاجة اليه والمصلحة فيه وكذلك الجهاد بالمال والجهاد
 بالنفس . وإنما يتم التفاضل مع استواء الأحوال الا بمقدار الخصلة الزائدة من
 خصال الفضل .

وأجاز الرماني الجهاد مع الفساق إذا عاونوا على حق في قتال الكفار ، لأنهم
 يطيعون في ذلك الفاعل كما هم مطيعون في الصلاة والصيام وغير ذلك من شريعة
 الاسلام . والظاهر من مذهب اصحابنا انه لا يجوز ذلك إلا ما كان على وجه الدفع
 عن النفس وعن بيضة الاسلام .

قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
 الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ (٤٥)

آية بلا خلاف .

اخبار الله تعالى في هذه الآية بأنه انما يستأذن النبي (ص) في التأخر عن الجهاد

والقعود عن القتال معه القوم « الذين لا يؤمنون بالله » اي لا يصدقون بالله ولا يعترفون به ، واليوم الآخر ، يعني بالبعث والنشور « وارتابت قلوبهم » يعني اضطربت وشكت . والارتباب هو الاضطراب في الاعتقاد بالتقدم مرة والتأخر اخرى .
والريبة شك منه تهمة: رابني ريباً وريبة وارتاب ارتياباً ، واستراب استرابة .

وقوله : « فهم في ريبهم يترددون » معناه فهم في شكهم يذهبون ويرجعون والتردد هو التصرف بالذهاب والرجوع مرات متقاربة ، مثل المتحير ، رده رداً وردده ترديداً وتردد تردداً وارتد ارتداداً ، وراده مرادة . وتراد القوم ترداداً ، واسترده استرداداً .

وقوله : « في ريبهم يترددون » يدل على بطلان قول من يقول : ان المعارف ضرورة ، لأنه تعالى اخبر انهم في شكهم يترددون ، صفة الشاك المتحير في دينه الذي ليس على بصيرة من امره .

وقيل في معنى اليوم الآخر قولان :

احدهما - ان آخر يوم من ايام الدنيا والمؤذن بالكفرة الاخيرة .

الثاني - وهو الأقوى - انه يوم الجزاء والحساب وهو يوم القيامة وهو

الأظهر من مفهوم هذه اللفظة .

قوله تعالى :

﴿ وَأَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَا أَعْدُوا لَهُ عِدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ

اللَّهُ أَنْبِئَهُمْ وَقِيلَ أَقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ (٤٦) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى ان هؤلاء المنافقين لو ارادوا الخروج مع النبي (ص) نصرة

له ورغبة في جهاد الكفار كما اراد المؤمنون ذلك لأعدوا للخروج عدة ، وهو مايتيهاً

لهم معها الخروج ، ولكن لم يكن لهم في ذلك نية وكان عزمهم على ان النبي (ص)

ان لم يأذن لهم في الاقامة نخرجوا ، افسدوا عليك وضرروا بين اصحابك ، وفسدوا قلوبهم فكره الله خروجهم على هذا الوجه ، لأن ذلك كفر ومعصية . والله لا يكره الخروج الذي اسرم به ، وهو ان يخرجوا لنصرة نبيه وقتال عدوه والجهاد في سبيله كما خرج المؤمنون كذلك فثبّطهم الله عن الخروج الذي عزموا عليه ولم يثبّطهم عن الخروج الذي اسرم به ، لأن الاول كفر . والثاني طاعة .

وقوله : « وقيل اقموا مع القاعدین » بمحتمل شيئين :

احدهما - ان يكون القائلون لهم ذلك اصحابهم الذين نهوهم عن الخروج مع النبي نصرة له ورغبة في الجهاد .

الثاني - ان يكون ذلك من قول النبي (ص) لهم على وجه التهديد لا على وجه الاذن ، ويجوز ان يكون اذنه لهم في القعود الذي عاتبه الله عليه . وأنه كان الاولى ان لا يأذن لهم فيه ، ولا يجوز ان يكون ذلك من قول الله ، لأنه لو كان كذلك لكان مباحاً لهم التأخر . اللهم إلا ان يكون ذلك على وجه التهديد ، فيجوز ان يكون ذلك من قول الله .

والعدة والاهبة والالة نظائر . والانبعاث الانطلاق بسرعة في الأمر ، ولذلك يقال : فلان لا ينبعث في الحاجة اي ليس له نفاذ فيها . والثبّط التوقف عن الامر بالزهيد فيه ومثله التعقيل .

وقوله : « مع القاعدین » يعني مع النساء والصبيان والمرضى والزمنى ، ومن ليس به حراك .

قال ابن اسحاق : كان الذين استأذنوه اشرافاً ورؤساء كمبداً الله بن ابي بن ابي سلول واهد بن قيس . وزاد مجاهد رطاعة بن التابوت وأوس بن قبطي .

قوله تعالى :

﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا وَضَعُوا
خِلَافَكُمْ يَبْغُونَكُمْ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
بِالظَّالِمِينَ ﴾ (٤٧) آية بلاخلاف .

المعنى :

بين الله تعالى في هذه الآية الوجوه في كراهية اتباعهم ووجه الحكمة في
تضييقهم عن ذلك وهو ما علم ان في خروجهم مفسدة للمؤمنين ، لأنه قال : « لو
خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا » قال الفراء : لو قال ما زادوكم يريد خروجهم لكان
جائزاً ، وهذا من سعة العربية .

اللغة :

والخبال الفساد والخبال الموت والخبال الاضطراب في الرأي بترين أمر لقوم
وتقييحه لا آخرين ليختلفوا وتفرق كلمتهم .

وقوله : « ولا وضعوا خبالكم يبغيونكم الفتنة » والايضاع الاسراع في السير
بطرح الملق قال الشاعر :

ارانا موضعين لامر غيب ونسحر بالطعام وبالشراب (١)
وقال آخر :

يا ليتني فيها جذع اخب فيها وأضع (٢)

(١) مر تخريجه في ١ : ٣٧٢ .

(٢) قائله دريد بن الصمة قاله يوم حنين : اللسان (وضع) وسيرة ابن هشام ٤ : ٨٢

وتفسير الطبري ١٤ : ٢٧٨ .

وربما قالوا للراكب : وضع بغير الف ، ومنه وضعت الناقة تضع وضعاً ،
وأوضمتها ايضاعاً .

المعنى :

ومعنى الايضاع هاهنا اسراعهم في الدخول بينهم للتضريب بنقل الكلام على
وجه التخويف . قال الحسن : معناه مشوا بينكم بالتميمة ، لافساد ذات بينكم .

وقوله : « وفيكم سماعون لهم » قيل في معناه قولان :

احدهما - قال قتادة وابن ابي اسحاق : فيكم القائلون منهم عند سماع قولهم .

وقوله : « إلا خبالا » استثناء منقطع وتقديره ما زادوكم قوة ولكن طلبوا لكم
الخبال ويحتمل ان يكون المعنى انهم على خبال في الرأي فيعقده حتى يصير خبالا
فعلى هذا يكون الاستثناء متصلاً .

الثاني - قال مجاهد وابن زيد : لهم عيون منهم ينقلون اخباركم الى المشركين .

وقوله : « يبغونكم الفتنة » معناه يطلبون لكم المحنة باختلاف الكلمة والفرقة . قال

الحسن : يبغونكم ان تكونوا مشركين .

اللغة :

وأصل الفتنة اخراج خبث الذهب بالنار ، تقول : بغيتك كعبدا بمعنى بغيت

لك . ومثله جلبتك وجلبت لك وخلالكم اي بينكم مشتق من التخلل ، وهي الفرجة

تكون بين القوم في الصفوف وغيرها ، ومنه قول النبي (ص) تراصوا في الصفوف

لا يتخللكم اولاد الخذف .

المعنى :

وقوله : « والله عليم بالظالمين » معناه هاهنا عالم بمن يستأذن النبي (ص)

في التأخر شكاً في الإسلام ونفاقاً وعلماً بمن سمع حديث المؤمن وينقله الى المنافقين فان هؤلاء ظالمون انفسهم وباحسون لها حظها من الثواب .

قوله تعالى :

﴿ لَقَدْ ابْتَغَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ (٤٨) آية .

اقسم الله تعالى ان هؤلاء المنافقين « ابتغوا » أي طلبوا إفساد ذات بينهم واقتراق كلمتهم في يوم احد حتى انصرف عبد الله بن ابي بصحابه وخذل النبي (ص) وكان هو وجماعة من المنافقين يبتغون للإسلام الغوائل قبل هذا ، فلم الله المؤمنين من فتنتهم وصرفها عنهم .

وقوله : « وقلبو لك الامور » فالتقليب هو تصرف الشيء بجمل اسفله اعلاه مرة بعد اخرى ، فهؤلاء صرفوا القول في المعنى للحيلة والمكيدة .
وقوله : « حتى جاء الحق » اي حتى أتى الحق « وظهر امر الله وهم كارهون » اي في حال كراهتهم لذلك ، فهي جملة في موضع الحال . والظهور خروج الشيء الى حيث يقع عليه الادراك وقد يظهر المعنى للنفس . اذا حصل العلم به .

قوله تعالى :

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي اَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ (٤٩) آية .

النزول :

قال ابن عباس ومجاهد وابن زيد : نزلت هذه الآية في ألد بن قيس وذلك

ان النبي (ص) لما دعا الناس الى الخروج الى غزوة تبوك لقتال الروم جاءه الحد
ابن قيس . فقال : يا رسول الله اني رجل مستهتر بالنساء فلا تعتني ببنت الا صفر ،
قال الفراء : سمي الروم اصفر ، لأن حبشياً غلب على ناحية الروم ، وكان له بنات قد
اخذن من بياض الروم وسواد الحبشة فكان صفرأ لعمراً ، فنزلت هذه الآية فيه .

المعنى :

وقال الحسن وقتادة وأبو عبيدة وأبو علي والزجاج : معني ولا تعفني ولا
تؤممني بالمعصيان في المخالفة التي توجب الفرقة فتضمنت الآية ان من جملة المنافقين من
استأذن النبي (ص) في التأخر عن الخروج والاذن رفم التبعة في الفعل ، وهو
والاباحة بمعنى . وقال له : « لا تعفني » اي لا تؤممني بأن تكلفني المشقة في ذلك
فأهم بالمعصيان او لا تعفني ببنت اصفر على ما حكيناه ، فقال الله تعالى : « الا في
الفتنة سقطوا » اي وقموا في الكفر والمعصية ، وبهذا القول وبهذا الفعل .

اللغة :

والسقوط الوقوع الى جهة السفلى ووقوع الفعل حدوثه وسقوطه ايضاً .
وقوله : « وإن جهنم لمحيطة بالكافرين » اخبار منه تعالى ان جهنم مطيفة
بما فيها من جميع جهاتها بالكافرين . والاحاطة والاطافة والاحداق نظائر في اللغة
ولا يدل ذلك على انها لا تحيط بغير الكفار من الفساق الا ترى انها تحيط بالزبانية
والمتولين للمعاقب ، فلا تعلق للخوارج بذلك .

قوله تعالى :

﴿إِنْ تُصِيبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا

قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا هُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾
آية بلا خلاف .

هذا خطاب من الله تعالى لنبيه (ص) بأن هؤلاء المنافقين الذين ذكركم متى نال النبي (ص) والمؤمنين «حسنة» أي نعمة من الله تعالى وظفر بأعدائهم وغنيمة يتالونها سواء ذلك وأحزنتهم وإن تصبهم «مصيبة» أي آفة في النفس أو الأهل أو المال . وأصلها الصوب ، وهو الجري إلى الشيء . يقال : صاب بصوب صوباً ، ومنه صوب الأنا . إذا ميله للجري ، والصواب إصابة الحق «يقولوا» يعني هؤلاء المنافقين «قد أخذنا أمرنا من قبل» ومعناه قد حذرنا واحترزنا في قول مجاهد وغيره ، ومعناه أخذنا أمرنا من مواضع الهلكة فسلمنا مما وقعوا فيه «ويتولوا» أي يمرضوا «وهم فرحون» أي فرحين بتأخرهم وسلامتهم مما نال المؤمنين من المصيبة . والأصابة وقوع الشيء بما قصد به .

قوله تعالى :

﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٥١) آية بلا خلاف .

أمر الله تعالى نبيه (ص) أن يقول هؤلاء المنافقين الذين يفرحون بمصيبات المؤمنين وسلامتهم منها «لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا» وقيل في معناه قولان : أحدهما - أن كل ما يصيبنا من خير أو شر فهو مما كتبه الله في اللوح المحفوظ من أمرنا ، وليس على ما تظنون وتتوهمون من إهالنا من غير أن نرجع في أمرنا إلى تدبير ربنا هذا قول الحسن .

الثاني - قال الجبائي والزجاج : يحتمل أن يكون معناه لن يصيبنا في عاقبة

امرنا إلا ما كتب الله لنا في القرآن من النصر الذي وعدنا .
وقال البلخي : يجوز ان يكون (كتب) بمعنى علم ويجوز ان يكون بمعنى
حكم ، والأولان اقوى .

فان قيل : ما الفائدة في كتب ما يكون من افعال العباد قبل كونها ؟ قلنا في
ذلك مصلحة للملائكة ما يقابلون به فيجدونه متفقاً في الصحة مع ان تصور كثرته
اهول في النفس وأملأ للصدر .

وقوله : « هو مولانا » يحتمل معنيين :

احدهما - انه مالكننا ونحن عبيده .

والثاني . فان الله يتولى حياتنا ودفم الضرر عنا .

وقوله : « وعلى الله فليتوكل المؤمنون » امر منه تعالى للمؤمنين ان يتوكلوا
عليه تعالى دون غيره . والتوكل تعويض الامر الى الله ، والرضا بتقديره والثقة
بحسن اختياره ، كما قال : « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » (١) وحرف الجر
الذي في معنى الظرف متعلق بالامر في قوله : « فليتوكل » وتقديره فليتوكل على الله
المؤمنون . وانما جاز تقديمه لانه لا يلبس ، ولا يجوز تقديمه على حرف الجزاء لانه
يلبس بالجزاء في الجواب .

قوله تعالى :

﴿ قُلْ هَلْ نَرَبُّوْنَ بِنَا اِلَّا اِحْدَى الْحُسَيْنِيَّةِ بَيْنِ وَنَحْنُ
نَرَبُّ بِكُمْ اَنْ يُصِيبَكُمْ اللهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ اَوْ بِاَيْدِنَا
فَتَرَبُّوْا اِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُوْنَ ﴾ (٥٢) آية بلا خلاف .

روى ابن فليح والبرقي إلا النقاش « هل تربصون » بتشديد الباء ، وجهه أنه أراد تربصون فادغم إحدى التائين في الأخرى .

أمر الله تعالى نبيه (ص) أن يقول لهؤلاء المنافقين « هل تربصون بنا » والتربص التمسك بما ينتظر به مجيء حينه ولذلك قيل تربص بالطعام إذا تمسك به إلى حين زيادة سمره ، وقوله : « إلا إحدى الحسينين » وإحدى الشيتين واحدة منهما ، واحدة العشر واحد منها ، وإحدى النساء معناه واحدة منهن . والحسينان عظيمان في الحسن من النعم ومعانيهما هاهنا إما الغلبة بنصر الله عز وجل والشهادة المؤدية إلى الجنة في قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وغيرهم .

وهل حرف من حروف الاستفهام والمراد هاهنا التقريع بالتربص المؤدي صاحبه إلى كل ما يكرهه من خيبة وفوز خصمه .

وقوله : « ونحن تربص بكم » أي قل لهؤلاء ، ونحن أيضاً نتوقع بكم أن يوقع بكم عذاباً « من عنده » يهلككم به « أو بأيدينا » بأن ينصرنا عليكم فيقتلكم بأيدينا .

وقوله : « فتربصوا » صورته صورة الأمر والمراد به التهديد ، كما قال : « اعملوا ما شئتم » (١) واستقر زمن استطعت ، (٢) وأما قلنا ذلك لأن تربص المنافقين بالمؤمنين تمسك بما يؤدي إلى الهلاك وذلك فيبيح لا يريد الله ولا يأمر به .

وقال الفراء : العرب تدغم لام هل وبل في التاء خاصة وهو كثير في كلامهم .

قوله تعالى :

﴿ قُلْ أَتَفْقَهُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ لَأَنْتُمْ

(١) سورة حم السجدة آية ٤٠ . (٢) سورة الاسرى آية ٦٤ .

كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٣﴾ آية .

أمر الله تعالى نبيه (ص) ان يقول لهؤلاء المنافقين « اتقوا » وصورته صورة الامروفيه ضرب من التهديد وهو مثل قوله : « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » (١) وإنما هو بيان عن توسعة التمكين من الطاعة والمعصية ، وقال قوم : معناه الخبر الذي يدخل ان فيه للجزء كما قال كثير :

اسيئي بنا او احسنى لا ملومة لدينا ولا مقلية ان تغلت (٢)

كانه قال : ان احسنت أو اسأت لم تلامي ، وإنما حسن ان يأتي بصيغة الأمر على معنى الخبر بتوسعة التمكين لأنه بمنزلة الأمر في طلب فعل ما يتمكن الذي قد عرفه المخاطب ، كأنه قيل اعمل بحسب ما يوجبه الحق فيما مكنت من الامرين . ووجه آخر أن كل واحد من الضربين كالمأمور به في انه لا يعود وبال العائد الاعلى للمأمور . وقوله : « طوعا » فالطوع الانقياد بارادة لمن عمل عليها . والكراهة فعل الشيء بكراهة حمل عليها .

وقوله : « لن يتقبل منكم » معناه لا يجب لكم به الثواب على ذلك مثل تقبل الهدية ووجوب المكافاة وتقبل التوبة وايجاب الثواب عليها ، ومثله في كل طاعة . وقوله : « إنكم كنتم قوماً فاسقين » اخبار منه تعالى وخطاب لهؤلاء المنافقين بأنهم كانوا فاسقين متمردين عن طاعة الله فلذلك لم يقبل تقعاتهم وإنما كانوا ينفقون أموالهم في سبيل الله للربا ودفواً عن انفسهم .

(١) سورة الكهف آية ٢٩ .

(٢) مر هذا البيت في ١ : ٣٢٧ وهو في تفسير الطبري ٢ : ٢٩٤ ، ١٤ : ٢٩٣ .

ومعاني القرآن ١ : ٤٤١ .

قوله تعالى :

﴿ وَمَا مِنْعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنْهُمْ كَفَرُوا
بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ
إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ (٥٤) آية بلا خلاف .

القراءة والحجة :

قرأ أهل الكوفة الا عاصم « ان يقبل » بالياء . الباقر بن ابيان .
وجه قراءة من قرأ بالياء ان التأنيت ليس بحقيقي فجاز أن يذكر كقوله : « فمن
جاهه موعظة » ومن قرأ بالتاء فعلى ظاهر التأنيت .

المعنى والاعراب :

المنع امر يضاد الفعل وينافيه . والمعنى هاهنا أن هؤلاء المنافقين منعوا
انفسهم ان يفعل بهم قبول نفقاتهم ، كما يقول القائل : منعه بري وعطائي .
وقوله : « ان تقبل » في موضع نصب ، وتقديره وما منعمهم من ان تقبل
وحذف (من) .

وقوله : « إلا انهم كفروا بالله ورسوله » انهم في موضع رفع والعام - ل في
اعراب انهم يحتمل احد امرين : احدهما - ما منعمهم من ذلك إلا كفرهم . والثاني - ان
يكون تقديره ما منعمهم الله منه إلا لا انهم كفروا بالله . وعندنا ان الكافر لا يقم منه
الانفاق على وجه يكون طاعة ، لأنه لو أرقعها على ذلك الوجه لا يستحق الثواب .
والاحباط باطل ، فكان يؤدي الى ان يكون مستحقاً للثواب . وذلك خلاف الاجماع

وعند من خالفنا من المعتزلة وغيرهم يصح ذلك غير انه ينحبط بكفره . فأما الصلاة فلا يصح ان تقع منهم على وجه تكون طاعة بلا خلاف ، لأن الصلاة طريقها الشرع فمن لا يعترف بالشرع لا يصح ان يوقعها طاعة ، وليس كذلك الاتفاق ، لأن العمل دال على حسنه غير انهم وإن علموا ذلك لا يقع منهم كذلك على ما بيناه .

وقوله : « ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى » اي يقومون اليها على وجه الكسل وذلك ذم لهم بأنهم يصلون الصلاة على غير الوجه الذي امروا به ، من النفاق الذي يبعث على الكسل عنها دون الايمان الذي يبعث على النشاط لها .

وقوله : « ولا ينفقون إلا وهم كارهون » اخبار منه تعالى بأنهم لا ينفقون ما ينفقونه لكونه طاعة بل ينفقونه كارهين لذلك وذلك يقوي ما قلناه .

قوله تعالى :

﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ (٥٥) آية
بلا خلاف .

المعنى :

هذا نهي للنبي (ص) والمراد به المؤمنون والمعنى : لا يروق ناظركم ايها المؤمنون ظاهر حسنها يعني اموال المنافقين والكفار واولادهم تستحسنونه بالطبع البشري . وانما قلنا ذلك ، لأن النبي (ص) مع زهده لا يجوز ان يعجب بها اعجاب مشتتها .
وقوله : « انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا » وقيل في معنى

ذلك وجوه :

احدها - قال ابن عباس وقتادة والفراء : ان فيه التقديم والتأخير والتقدير

فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم في الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة فيكون الظرف على هذا متملقاً بأموالهم وأولادهم ، ومثله قوله تعالى : « فآلقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون » (١) وتقديره فآلقه اليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم .

الثاني - قال ابن زيد : معناه انما يريد الله ليعذبهم بحفظها والمصائب فيها مع حرمان النفقة بها .

والثالث - قال الجبائي : تقديره انما يريد الله ليعذبهم في الحياة الدنيا عند تمكن المؤمنين من اخذها وغنمها فيتحصرون عليها ويكون ذلك جزاء على كفرهم نعم الله تعالى بها .

والرابع قال البلخي والزجاج : ان معناه فلا تعجبك اموالهم ، فانها وبال عليهم ، لأن الله يعذبهم بها اي بما يكلفهم من اتفاقها في الوجوه التي امرهم بها فتزهق انفسهم لشدة ذلك عليهم لانفاقهم ، وهم مع هذا كله كاثرون وطاقبتهم النار فيكون قوله : « وهم كافرون » اخباراً عن سوء احوالهم وقلة نعم المال والولد لهم ولا يكون عطفاً على ما مضى .

والخامس - أن يكون المعنى ان مفارقتها وتركها والخروج عنها بالموت صعب عليهم شديد ، لأنهم يفارقون النعم ولا يدرون الى ماذا يصيرون بعد الموت فيكون حينئذ عذاباً عليهم بمعنى أن مفارقتها غم وعذاب . ومعنى « وتزهق انفسهم » اي تهلك وتذهب بالموت يقال : زهق بضاعة فلان اي ذهبت اجتم .

السادس - قال الحسن : اخبر الله تعالى عن طاقبتهم انهم يموتون على النفاق . وقال : ليعذبهم بزكاتها واتفاقها في سبيل الله ، وهو قول البلخي ايضاً والزجاج مع اعتقادهم ان ذلك ليس بقربة ، فيكون ذلك عذاباً أليماً .

اللغة :

واللام في قوله : « ليمذبهم » يحتمل ان يكون بمعنى ان والتقدير إنما يريد الله ان يمذبهم .

والزهق الخروج بصعوبة . وأصله الهلاك ، ومنه قوله : « قل جاء الحق وزهق الباطل » (١) وكل هالك زاهق ، زهق يزهق زهوقاً . والزاهق من الدواب السمين الشديد السمن ، لأنه هالك يشغل بدنه في السير ، والسكر والفر . وزهق فلان بين ايدي القوم إذا زهق سابقاً لهم حتى يهلك منهم .

والاعجاب السرور بما يعجب منه تقول : اعجبني حديثه اي سرني بظرف حديثه . وليس في الآية ما يدل على ان الله تعالى اراد الكفر على ما يقوله المجبره ، لأن قوله : « وهم كافرون » في موضع الحال كقولك اريد ان تذمه فهو كافر واريد ان تضربه وهو عاص وأنت لا تريد كفره ولا عصيانه بل تريد ذمه في حال كفره وعصيانه ، وتقدير الآية إنما يريد الله عذابهم وازهاق انفسهم اي اهلاكها في حال كونهم كافرين ، كما يقول القائل للطبيب : اختلف الي كل يوم وأنا مريض ، وهو لا يريد المرض ويقول لعلامة : اختلف الي وأنا محبوس ، ولا يريد حبس نفسه .

قوله تعالى :

﴿ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ أَنَّهُمْ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا يَرْحَمُونَ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴾ (٥٦) آية .

اخبر الله تعالى عن هؤلاء المنافقين انهم يقسمون بالله انهم لمنكم يعني من المؤمنين وعلى دينهم الذي يدينون به ثم قال الله تعالى مكذباً لهم : « وما هم منكم » اي ليسوا

(١) سورة الاسرى آية ٨١ .

مؤمنين مثلكم ولا مطيعين لله في اتباع دينه كما انتم كذلك ولما كنتم قوم يفرقون
اخبار منه تعالى ان هؤلاء المنافقين يفرقون من اظهار الكفر لئلا يقتلوا .
والفرق انزعاج النفس بتوقع الضرر . وأصله من مفارقة الامن الى حال الانزعاج .

قوله تعالى :

﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجِئًا أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مَدْخَلًا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ
يَجْمَعُونَ ﴾ (٥٩) آية بلا خلاف .

قرأ يعقوب « أو مدخلا » بفتح الميم وتخفيف الدال وسكونها . وقرأ ، شاذ
مدخلا بضم الميم وسكون الدال .

اخبر الله تعالى عن هؤلاء المنافقين انهم لو وجدوا ملجئاً . ومعناه لو ادركوا
مطلوبهم ، يقال : وجدت الضالة وجداناً ووجدت على الرجل وجداً وموجدة . والملجأ
الموضع الذي يتحصن فيه ومثله المعقل والموئل ، والمعتصم والمنتصر .
وقال ابن عباس : معناه ها هنا حرزا . وقال مجاهد : أي حصناً ، ومثله يستعمل
في الناصر والمساعد .

وقوله : « أو مغارات » اي لو وجدوا مغارات ، وهي جمع مغارة وهي المدخل
الناظر من دخل فيه .

وقال ابن عباس : معناه المغارات والغيران . والغار الثقب الواسع في الجبل ،
ومنه غارت العين من الماء إذا غابت في الأرض وغارت عينه إذا دخلت في رأسه
والمدخل المسلك الذي يتدسس بالدخول فيه وهو مفتحة — من الدخول كالملتج من
الولوج . وأصله متدخل .

وقال ابن عباس وأبو جعفر (ع) والقراء : المدخل الاسراب في الارض .
وقوله : « لولوا اليه وهم يجمعون » فالجراح مضي الماء مسرعاً على وجهه لا يرده

شيء عنه . وقال الزجاج : فرس جوح ، وهو الذي إذا حمل لم يرده اللجام . وقيل هو المشي بين المشيين قال مهمل :

لقد جمحت جماحاً في دماهم حتى رأيت ذوي اجسامهم جدوا (١)
وقال الزجاج : معنى (مدخلا) اي او وجدوا قوماً يدخلون في جملتهم أو قوماً يدخلونهم في جملتهم يعتمسون بهم لعلوا .

قوله تعالى :

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رِضْوَانًا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَخَطُونَ ﴾ (٥٨) آية .

قرأ يعقوب « يلمزك » بضم الميم . الباقيون بكسرها ، وهما لغتان ، وهذه الآية فيها اخبار أن من جملة المنافقين الذين ذكروهم من يلمزك يا محمد (ص) في الصدقات اي يميمك في قول الحسن . واللمز العيب على وجه المساترة ، والهمز العيب - بكسر العين وهمزها - في قول الزجاج - تقول : لمزه يلمزه ويلمزه - بالكسر والضم - وهي صفتهم قال الشاعر :

إذا لقيتكم تبدي لي مكاشرة
وان تغيت كنت الهامز الهمزة (٢)
وقال رؤبه :

قاربت بين عنقي وجمزي في نال عصري باطلي ولمزي (٣)
وقال ابو عبيدة : يلمزك معناه يميمك . وقال قتادة : معناه يطعن عليك .

(١) مجمع البيان ٥ : ٤٠ ، طبع ايران سنة ١٣٧٣ .

(٢) قائله زياد الاعمى مجاز القرآن ١ : ٢٦٣ واللسان وهمزه ومقاييس اللغة ٦ : ٦٦ والطبرى ١٤ : ٣٠١ وفيه اختلاف كثير في الرواية .

(٣) ديوانه : ٦٤ وتفسير الطبرى ١٤ : ٣٠٠ .

والهمز الغيبة . ومنه قوله : « هاز مشاء بنميم » . وقيل لاعرابي : اتمز القارة ؟ قال :
الهر يهزها ، فأوقم الهمز على الاكل ، والهمز كاللهمز ، ومنه قوله : « يحب احدكم
ان يأكل لحم اخيه ميتا » . والصدقات جمع صدقة وهي العطية للفقير على وجه البر
والصلة . والصدقة الواجبة في الأموال حرام على رسول الله [وأهل بيته] صلى الله عليه
وآله كانوا جملوا في تقدير الاغنياء ، فأما البر على وجه التطوع فهو مباح لهم .
وقوله : « فان اعطوا منها رضوا » يعني من الصدقات رضوا بذلك وحمدوك
عليه « وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون » يعني اذا لم يعطوا ما طلبوه من الصدقات
سخطوا وغضبوا . والصدقة محرمة على من كان غنياً .

واختلفوا في حد الغني ، فقال قوم : هو من ملك نصيباً من المال . وقال آخرون :
هو من كانت له مادة تكفيه ، ملك النصاب أو لم يملك ، والذي كان يلمز النبي (ص)
في الصدقات بلتعة بن حاطب ، وكان يقول : إنما يعطي محمد الصدقات من يشاء فربما
اعطاه النبي (ص) فيرضى وربما منعه فسخط فتكلم فيه فنزلت الآية فيه .

قوله تعالى :

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا

اللَّهُ سَيؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴾ (٥٩)

آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى في هذه الآية ان هؤلاء المنافقين الذين طلبوا منك الصدقات
وعابوك بها لو رضوا بما اعطاهم الله ورسوله « وقالوا » مع ذلك « حسبنا الله » اي
كما ان الله وانه سيمطينا الله من فضله وانعامه ويمطينا رسوله مثل ذلك وقالوا : « انا
الى الله راغبون » والجواب محذوف والتقدير لكان خيراً لهم واعدوا عليهم وحذف

الجواب في مثل هذا ابلغ لأنه لنا كيد الخبير به استغنى عن ذكره .

قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلَّهِ وَقَرَّاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٦٠) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى في هذه الآية انه ليست الصدقات التي هي زكاة الاموال إلا للفقراء والمساكين ومن ذكرهم في الآية .

واختلفوا في الفرق بين الفقير والمسكين ، فقال ابن عباس والحسن وجابر ومن زيد والزهري ومجاهد : الفقير المتعفف الذي لا يسأل والمسكين الذي يسأل ، ذهبوا الى انه مشتق من المسكنة بالمألة . وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال : (ليس المسكين الذي تردّه الاكلة والا كلتان والنمرة والتمرتان ولا يكن المسكين الذي لا يجد غنى فيغنيه ولا يسأل الناس الخافاً) . وقال قتادة : الفقير ذو الزمانة من اهل الحاجة . والمسكين من كان صحيحاً محتاجاً . وقال قوم : هما بمعنى واحد إلا انه ذكر بالصفتين لتأكيد امره قال الشاعر :

انا الفقير الذي كانت حلوبته وفق العيال فلم يترك له سبب (١)

ويسمى المحتاج فقيراً تشبيهاً بأن الحاجة كأنها قد كسرت فقار ظهره يقال : فقر الرجل فقراً وأفقره الله افتقاراً وافتقر افتقاراً ، وتفاقر تفاقراً . وسمى المسكين بذلك تشبيهاً بأن الحاجة كأنها سكنة عن حال اهل السعة والثروة . وقال الله تعالى :

(١) اللسان (وفق) . الحلوبة : الناقة التي تحلب . (وفق العيال) على قدر حاجتهم و (السبب) كناية عن القليل . وأصله الوز ، وهو الشعر الضعيف .

« اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر » (١) فمن قال : المسكين احسن حالا احتج بهذه الآية. ومن قال هما سواء قال : السفينة كانت مشتركة بين جماعة لكل واحد منهم الشيء اليسير .

وقوله : « والعاملين عليها » يعني سعاة الزكاة وجبانها ، وهو قول الزهري وابن زيد وغيرهم .

وقوله : « والمؤلفة قلوبهم » معناه اقوام اشراف كانوا في زمن النبي (ص) فكان يتألفهم على الاسلام ويستعين بهم على قتال غيرهم ويعطيهم منها من الزكاة. وهل هو ثابت في جميع الاحوال ام في وقت دون وقت ؟ فقال الحسن والشامي : ان هذا كان خاصاً على عهد رسول الله (ص) . وروى جابر عن ابي جعفر محمد بن علي (ع) ذلك . واختار الجبائي انه ثابت في كل عصر الا ان من شرطه ان يكون هناك امام عدل يتألفهم على ذلك .

وقوله : « وفي الرقاب » يعني المكاتيبين واجاز اصحابنا ان يشتري به عبد مؤمن إذا كان في شدة ويعتق من مال الزكاة ، ويكون ولاؤه لارباب الزكاة ، وهو قول ابن عباس وجعفر بن مبشر .

وقوله : « والغارمين » قال مجاهد وقتادة والزهري وجميع المفسرين ، وهو قول ابي جعفر (ع) انهم الذين ركبتهم الديون في غير معصية ولا إسراف فتقضى عنهم ديونهم ، و« في سبيل الله » يعني الجهاد بلا خلاف ، ويدخل فيه عند اصحابنا جميع مصالح المسلمين ، وهو قول ابن عمر وعطاء . وبه قال الباخي ، فإنه قال : تبني به المساجد والقناطر وغير ذلك ، وهو قول جعفر بن مبشر . و« ابن السبيل » وهو المسافر المنقطع به فإنه يعطى من الزكاة وان كان غنياً في بلده من غير ان يكون ديناً عليه ،

وهو قول مجاهد وقتادة قال الشاعر :

انا ابن الحرب ربتي وليداً الى ان شبت واكتملت لداني (١)

وقال بعضهم : جعل الله الزكاة لامرئين : احدهما - سدخلة . والآخر - تقوية

ومعونة لعز الاسلام . واستدل بذلك على ان المؤلفة قلوبهم في كل زمان .

واختلفوا في مقدار ما يعطى الجابي للصدقة ، فقال مجاهد والضحاك : يعطى

الثلث بلا زيادة . وقال عبد الله بن عمرو بن العاص والحسن وابن زيد : هو على قدر

عمالته ، وهو المروي في اخبارنا .

وقال ابن عباس وحذيفة وعمر بن الخطاب وعطاء وابراهيم وسعيد بن جبير ،

وهو قول ابي جعفر وابي عبد الله عليها السلام : ان لقاسم الزكاة ان يضمها في اي

الاصناف شاء .

وكان بعض المتأخرين لا يضمها الا في سبعة اصناف لأن المؤلفة قد انقرضوا .

وان قسمها الانسان عن نفسه ، ففي ستة لأنه بطل سهم العامل ، وزعم انه لا يجزى

في كل صنف اقل من ثلاثة . وعندنا ان سهم المؤلفة والسماء وسهم الجهاد قد سقط

اليوم ، ويقسم في الخمسة الباقية كما يشاء رب المال وان وضعها في فرقة منهم جاز .

وقوله : « فريضة من الله » نصب على المصدر اي فرض ذلك فريضة وكان

يجوز الرفع على الابتداء ولم يقرأ به ، ومعناه ان ما فرضه الله وقدره واجب عليكم .

وقوله : « والله عليم حكيم » معناه عالم بمصالحكم حكيم فيما يوجبه عليكم من

اخراج الصدقات وغير ذلك .

(١) لم اعرف قائله . تفسير الطبرى ١٤ : ٣٢٠ ، وجمع البيان ٥ : ٤٢ طبعة

ايران سنة ١٣٧٣ .

قوله تعالى :

﴿ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أذنٌ قُلْ أذنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لَهُ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٦١)
آية بلا خلاف .

قرأ نافع « اذن خير » بالتخفيف الباقون بالثقيل وكلمه اضاف ، ورفع ورحمة الا ابا عمرو ، فانه جر (ورحمة) ، وكان يجوز النصب على (ورحمة) يفعل ذلك . ولم يقرأ به احد .

اللغة والاعراب :

قال ابو علي : تخفيف اذن من اذن قياس مطرد نحو طنّب وطنّب ، وعنق وعنق وظفر وظفر لأن ذلك تخفيف وتثقيب لاتفاقهما في الوزن وفي جمع التكسير تقول اذان وأطناب وأعناق وأظفار ، فأما الاذن في الآية فانه يجوز ان يطلق على الجملة وان كان عبارة عن جارحة فيها ، كما قال الخليل في الناب من الابل سميت به لمكان الناب الباذل فسميت الجملة كلها به . ويجوز ان يكون (فعلا) من اذن يأذن اذا استتم . ومعناه انه كثير الاستماع مثل شلل وشفح ، قال ابو زيد : رجل اذن ويقن اذا كان يصدق بكل ما يسمع فكما ان يقن صفة كبطل كذلك اذن كشلل ويقولون اذن يأذن اذا استتم . ومنه قوله : « واذنت لربها » (١) اي استتمت . وقوله : « ائذن لي » اي استتم . وفي الحديث ما اذن الله لشيء . كاذنه لنبي يتغني بالقرآن

قال الشاعر :

في سماع يأذن الشيخ له وحديث مثل مأذى مشار (١)
 والمعنى - في الاضاعة - مستمع خير لكم وصلاح ، ومصغ اليه لا مستمع شر
 وفساد ومن رفع (رحمة) فالمنى فيه اذن خير ورحمة اي مستمع خير ورحمة ، فجملة
 للرحمة لكثرة هذا المعنى فيه ، كما قال : « وما ارسلناك إلا رحمة للعالمين » (٢) ويجوز
 ان يقدر حذف المضاف من المصدر . وأما من جر فمطفه على (خير) كأنه قال اذن خير
 ورحمة ، وتقديره مستمع خير ورحمة . وجاز هذا كما جاز مستمع خير ، لأن الرحمة من
 الخير وإنما خص تشریفاً ، كما قال : « اقرأ باسم ربك الذي خلق » ثم قال : « خلق
 الانسان من علق » (٣) وان كان قوله تعالى : « خلق » عم الانسان وغيره . والبعد
 بين الجار وما عطف عليه لا يمنع من العطف ألا ترى ان من قرأ « وقيله يارب »
 إنما جماله عطفاً على « وعنده علم الساعة » وعلم قبله .
 وروي ان الاعمش قرأ قل « اذن خير ورحمة » وهي قراءة ابن مسعود .

المعنى :

اخبر الله تعالى في هذه الآية ان من جملة هؤلاء - المنافقين الذين وصفهم
 وذكرهم - من يؤذي النبي (ص) والأذى هو ضرر ربما تنفر منه النفس في عاجل
 الامر وانهم يقولون هو اذن يعنون النبي (ص) . ومعنى (اذن) انه يصفى الى كل
 احد فيقبل ما يقوله . في قول ابن عباس وقتادة ومجاهد والضحاك - وقيل اصله من
 اذن اذا استمع على ما بيناه قال عدي بن زيد :

ايها القلب تعلق بددن ان همي في سماع واذن (٤)

- (١) اللسان (اذن) نسبة الى (عدي) .
 (٢) سورة الانبياء آية ١٠٧ . (٣) سورة العلق آية ٢ .
 (٤) اللسان (اذن) واملأ المرتضى ١ : ٢٣ ونفسير الطبري ١٤ : ٣٢٥ .

وقيل السبب في ذلك : ان قوماً من المنافقين تكلموا بما ارادوه ، وقالوا ان بلغه اعتذرتنا اليه ، فانه اذن يسمع ما يقال له ، فقال الله تعالى : « قل » يا محمد « اذن خير لكم » لا اذن شر ، وليس بمعنى اقبل . وانما معناه اذن صلاح ولو رفع خيراً لكان معناه اصلاح ، وهي قراءة الحسن والاعشى والبرجمي . وانما قال بعد ذلك : « يؤمن بالله » لأن معناه انه لا يؤمن بالله بعمل بالحق فيما يسمع من غيره . وقيل يصغى الى انوحى من قبل الله .

وقوله : « ويؤمن للمؤمنين » قال ابن عباس : معناه ويصدق المؤمنين . وقيل دخلت اللام كما دخلت في قوله : « ردف لكم » (١) وتقديره ردفكم ، واللام مقحمة ومثله « لرهبهم يرهبون » (٢) ومعناه يرهبون رهبهم . واللام مقحمة .

وقال قوم : دخلت اللام للفرق بين ايمان التصديق وايمان الامان .

وقوله : « ورحمة للذين آمنوا منكم » يعني ان النبي (ص) رحمة للمؤمنين منكم وانما خص المؤمنين بالذكر وان كان رحمة للكفار ايضاً من حيث انتفع المؤمنون به دون غيرهم من الكفار . ثم قال : « والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم » اي مؤلم موجه جزاء لهم على اذاهم للنبي (ص) .

النزول :

وقال ابن اسحاق : نزلت هذه الآية في نبتل بن الحارث كان يقول : ايني لانال من محمد ما شئت . ثم آتته اعتذر اليه وأحلف له فيقبل فجاء جبرائيل الى رسول الله (ص) فقال : انه يجلس اليك رجل ادلم نائر شعر الرأس اسفع الخدين احمر العينين كأنهما قدران من صفر كبده اغلظ من كبد الجمل ينقل حديثك الى المنافقين فاحذره ، وكان ذلك صفة نبتل بن الحارث من منافقي الانصار ، فقال

(١) سورة النحل آية ٧٢ . (٢) سورة الاعراف آية ١٥٣ .

رسول الله (ص) من اختار أن ينظر الى الشيطان فلينظر الى نبتل بن الحارث ، ذكره ابن اسحاق .

قوله تعالى :

﴿ يَخْلَفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (٦٢) آية .

اخبر الله تعالى ان هؤلاء المنافقين يقسمون بالله انهم على دينكم وأن الذي بلغكم عنهم باطل « ليرضوكم » ومعناه يريدون بذلك رضاكم لتحمدهم عليه . ثم قال تعالى : « والله ورسوله احق ان يرضوه » اي الله ورسوله اولى بأن يظلبوا مرضاتها « ان كانوا مؤمنين » مصدقين بالله مقربين بنبوة نبيه .

والفرق بين الاحق والاصلح ان الاحق قد يكون موضعه غير الفعل ، كقولك : زيد احق بالمال . والاصلح لا يقع هذا الموقع ، لأنه من صفات الفعل . وتقول : الله احق ان يطاع ولا تقول اصلح .

وقيل في رد ضمير الواحد في قوله : « والله ورسوله احق ان يرضوه » قولان : احدهما - انه لما كان رضا رسول الله رضا الله ترك ذكره ، لأنه دال عليه والتقدير والله احق ان يرضوه ورسوله احق ان يرضوه ، كما قال الشاعر :

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأي مختلف (١)

والثاني - انه لا يذكر على طريق المجمل مع غيره تعظيما له بافراد الذكر المعظم بما لا يجوز إلا له ، ولذلك قال النبي (ص) لمن سمعه يقول : (من اطاع الله ورسوله هدى ومن عصمه فقد غوى) وانما اراد ما قلناه .

(١) انظر ١ : ١٧٢ .

قوله تعالى :

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴾ (٦٣) آيةً بلاخلاف .
يقول الله تعالى على وجه التهديد والتقريع والتوبيخ لهؤلاء المنافقين « ألم يعلموا » اي أو ما علموا « انه من يحادد الله » اي يجاوز حدود الله التي أمر المكلفين ان لا يتجاوزوها ، فالمحاداة مجاوزة الحد بالمشاققة ومثله المباعدة . والمعنى مصبرهم في حد غير حد أولياء الله . فالخالفه والمحاداة والمجانبة والمعاداة نظائر في اللغة .

وانما قال : لمن لا يعلم « ألم يعلموا » لاحد اسرين :

احدها - على وجه الاستبطاء لهم والتخلف عن علمه .

والآخر - انه يجب ان تعلموا الآن هذه الاخبار .

وقال الجبائي : معناه ألم يخبرهم النبي (ص) بذلك .

وقوله : « فان له نار جهنم » يحتمل ان يكون على التكرير ، لأن الأولى للتأكيد مع طول الكلام ، وتقديره فله نار جهنم او فان له نار جهنم . قال الزجاج : ولو قرئ . فان بكسر الهمزة على وجه الاستئناف ، كانت جائزة غير انه لم يقرأ به احد .

وقوله : « ذلك الخزي العظيم » معناه ذلك الذي ذكرناه من ان له نار جهنم هو الخزي يعني الهوان بما يستحق من مثله . تقول : خزي خزيا اذا انقمع للهوان فأخزاه اخزاه وخزيا .

قوله تعالى :

﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا

فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزَؤُا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ آية
بلاخلاف .

قيل في معنى يحذر المنافقون قولان :

أحدها - قال الحسن ومجاهد واختاره الجبائي : ان معناه الخبر عنهم بأنهم كانوا يحذرون ان تنزل فيهم آية يفتضحون بها - لا أنهم كانوا شاكين ، حتى قال بعضهم : لوددت ان اضرب كل واحد منكم مئة ولا ينزل فيكم قرآن ذكره ابو جعفر وقال : نزلت في رجل يقال له مخشى بن الحخير الاشجعي .

الثاني - قال الزجاج : انه تهديد ومعناه ليحذروا ، وحسن ذلك لأن موضوع الكلام على التهديد .

والحذر اعداد ما يتقي الضرر ، ومثله الخوف والفرع تقول : حذرت جذرا وتحذرت جذرا وحاذره محاذرة وحذاراً وحذره تحذيراً . والمنافق الذي يظهر من الايمان خلاف ما يبطنه من الكفر واشتق ذلك من نفاقه اليربوع لأنه يخفي باباً ويظهر باباً ليكون إذا أتى من أحدهما خرج من الآخر .

وقوله : « تنبئهم بما في قلوبهم » اي تخبرهم ، غير ان تنبئهم يتعدى الى ثلاثة مفاعيل بمنزلة اعلمت .

وقوله : « قل استهزؤا » أمر للنبي (ص) ان يقول لهؤلاء المنافقين (استهزؤا) اي اطلبوا الهزء والهزء اظهار شيء وابطان خلافه للتهزؤ به وهو بصورة الأمر والمراد به التهديد .

وقوله : « ان الله يخرج ما تحذرون » اخبار من الله تعالى ان الذي تحذرون من ظهوره فان الله يظهره بأن يبين لنبيه (ص) باطن حالهم وتفاقهم .

قوله تعالى :

﴿ وَلاَئِنْ سَاَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ اِنَّمَا كُنَّا نَحْوُكُمْ وَنَلْعَبُ قُلْ اَبَاللهِ وَاَيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ نَسْتَهْزِؤُنَ ﴾ (٦٥) آية .

خاطب الله تعالى نبيه (ص) فأقسم ، لأن اللام لام القسم بأنتك يا محمد (ص) ان سألت هؤلاء المنافقين عما تكلموا به ، ليقولن انما كنا نحوض ونلعب ، قال الحسن وقتادة: هؤلاء قالوا في غزاة تبوك : أبرجوا هذا الرجل ان يفتح قصور الشام وحضونها هيئات هيئات ، فأطمع الله نبيه (ص) على ما قالوه ، فلما سأهم النبي عن ذلك على وجه التأنيب لهم والتقبيح لفعلهم لم طمنتم في الدين بالباطل والزور فأجابوا بما لا عذر فيه بل هو وبال عليهم بأنا كنا نحوض ونلعب .

والحوض دخول القدم فيما كان مائماً من الماء او الطين هذا في الأصل ثم كثر حتى صار في كل دخول منه اذى وتلويت . واللعب فعل ما فيه سقوط المنزلته لتحصيل اللذة من غير مراعاة الحكمة كفعل الصبي ، وقالوا ملاعب الاسنة اي انه لشجاعته يقدم على الاسنة كفعل الصبي الذي لا يفكر في عاقبة امره .

فقال الله تعالى لنبيه (ص) : «قل لهم» ابا لله واياته ورسوله كنتم تستهزؤن» قال ابو علي: ذكر الاستهزاء هاهنا مجاز ، لا نه جعل الهزه بالمؤمنين وآيات الله هزه آ بالله . والهزه ايهام امر على خلاف ما هو به استصغاراً لصاحبه .

قوله تعالى :

﴿ لا تَهْتَدُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بِمَدِّ اِيْمَانِكُمْ اِنْ تَعَفُّوا عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ فَذَبِّ طَائِفَةً بِاَنَّهُمْ كَانُوا مجْرِمِينَ ﴾ (٦٦) آية بلا خلاف .

القراءة والحجة :

قرأ عاصم « ان نعب » بنون مفتوحة وضم الفاء « نعب » بالنون وكسر
الذال « طائفة » بالنصب . الباقيون بضم الياء في يعف . « نعب طائفة » بضم التاء
ورفع طائفة .

من قرأ بالنون فلقوله تعالى : « ثم عفو نا عنكم » (١) . ومن قرأ بالتاء ، فالمعنى
ذاك بعينه . وأما « نعب » فمن قرأ بالتاء ، فلان الفعل في اللفظ مسند الى مؤنث .

المعنى :

قوله تعالى : « لا تعتذروا » صورته صورة النهي والمراد به التهديد . والمراد
ان الله تعالى امر نبيه (ص) ان يقول لهؤلاء المنافقين الذين يخلفون بأبهم ، ما قالوا
ما قالوه إلا لعباً وخوضاً على وجه التهزئ . آيات الله « لا تعتذروا » بالمعاذير الكاذبة
فأنكم بما فعلتموه قد كفرتم بعد ان كنتم مظهرين الايمان الذي يحكم لمن اظهره بأنه
مؤمن ، ولا يجوز ان يكونوا مؤمنين على الحقيقة مستحقين للشواب ، ثم يرتدون لما
قلناه في غير موضع : ان المؤمن لا يجوز عندنا ان يكفر لأنه كان يؤدي الى اجتماع
استحقاق الثواب الدائم والعقاب الدائم ، لبطلان التحابط . والاجتماع بمنع من ذلك .
والاعتذار اظهر ما يقتضى العذر . والعذر ما يسقط الذم عن الجناية ، وقوله :
« ان نعب عن طائفة منكم نعب طائفة » اخبار منه تعالى انه ان عفا عن قوم منهم
إذا تابوا يعذب طائفة اخرى لم يتوبوا ، والعفو رفع التبعة عما وقع من المعصية وترك
العقوبة عليها . ومثله الصفيح والغفران .

وقوله : « بأنهم كانوا مجرمين » معناه انه انما يعذب الطائفة التي يعذبها
لكونها مجرمة مذنبه مرتكبة لما يستحق به العقاب . والاجرام الانقطاع عن الحق

الى الباطل ، وأصله الصرم تقول : جرم الثمر يجرمه جرماً وجراماً إذا صرمه . والجرم
مصرم الحق بالباطل وتجرت السنة إذا عسرمت قال البيد :

دمن تجرم بمسد عهد انيسها حجج خلون حلالها وحرامها (١)

قال الزجاج والفراء : نزلت الآية في ثلاثة نفر فهزى اثنان وضحك واحد

قال ابن اسحاق : كان الذي عفا عنه مخشي بن حصين الاشجعي حليف بني سلمة ،
لأنه انكر منهم بعض ما سمر فجعلت طائفة للواحد ويراد بها نفس طائفة . وأما في
اللغة فيقال للجماعة طائفة ، لأنهم يطيفون بالشيء .

وقوله تعالى : « وليشهد عذابها طائفة من المؤمنين » (٢) يجوز ان يراد به

واحد على ما فسرناه .

قوله تعالى :

﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ
بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ
فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٦٧) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى بأن المنافقين الذين يظهرون الايمان ويسرون الكفر بعضهم من
بعض . والمعنى ان بعضهم يضاف الى بعض بالاجتماع على النفاق ، كما يقول القائل لغيره
انت مني وأنا منك . والمعنى ان امرنا واحد لا ينفصل . وقيل بعضهم من بعض فيما
يلحقهم من مقت الله وعذابه اي منازلهم متساوية في ذلك ثم اخبر ان هؤلاء المنافقين
يأمرون غيرهم بالمنكر الذي نهى الله عنه وتوعد عليه من الكفر بالله ونبيه وجحد آياته

(١) اللسان دجرم .

(٢) سورة النور آية ٢ .

« وينهون عن المعروف » يعني الأفعال الحسنة التي أمر الله بها وحث عليها ، وأنهم يقبضون أيديهم أي يمسكون أموالهم عن انفاقها في طاعة الله ومرضاته ، وهو قول قتادة .

وقال الحسن ومجاهد : أراد إمساكها عن الاتفاق في سبيل الله .
وقال الجبائي : أراد به إمساك الأيدي عن الجهاد في سبيل الله .
وقوله : « نسوا الله فأنسيهم » معناه تركوا أمر الله يعني صار بمنزلة المنسي بالسهو عنه فجازاهم الله بأن صيرهم بمنزلة المنسي من ثوابه ورحمته وذكر ذلك لآزواج الكلام .

وقال قتادة : « نسوا » أي نسوا من الخير ولم يذسوا من الشر .
ثم أخبر تعالى فقال : « إن المنافقين » الذين يخادعون المؤمنين بإظهار الإيمان مع إبطائهم الكفر هم الخارجون عن الإيمان بالله وبرسوله وعن طاعاته « هم الفاسقون » .

قوله تعالى :

﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَّ اللَّهُ لَهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ (٦٨) آية .
أخبر الله تعالى بأنه « وعد المنافقين والمنافقات » الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر « نار جهنم » يعاقبون فيها أبد الآبدين وكذلك الكفار الذين يتولونهم ، وهم على ظاهر الكفر فلذلك افردهم بالذكر ليعلم ان الفريقين معاً يتناولهم الوعيد .
وتقول : وعده بالشر وعيداً ووعدته بالخير وعداً وأوعده إيماداً وتوعدته توعداً في الشر لا بالخير ، ووعدته مواعدة وتواعدوا توعداً .
وقوله : « هي حسبيهم » يعني نار جهنم والمعقاب فيها كافيتهم ، ولعنهم الله يعني

ابعدهم الله من جنته وخيره « ولهم » مع ذلك « عذاب مقبم » ومعناه دائم لا يزول وقيل معنى « هي حسبهم » أي هي كعقوبة ذنوبهم ، ووظف لجزاء عملهم واللعن الإبعاد من الرحمة عقاباً على المعصية ، ولذلك لا يقال لمن البهيمة كما لا يدعها بالعفو .

قوله تعالى :

﴿ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخِلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخِلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخِلَاقِهِمْ وَخُضِعْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٦٩) آية

بلا خلاف .

الكاف في قوله : « كالذين » في موضع نصب ، والتقدير احذروا ان يحل بكم من العذاب والعقوبة كالذين .

ويحتمل ان يكون المراد وعدكم الله على الكفر كما وعد الذين من قبلكم ، فشبه المنافقين في عدوهم عن امر الله للاستمتاع بلذات الدنيا بمن قبلكم مع ان عقوبة امر الفريقين يؤل الى العقاب مع ان الأولين كانوا أشد من هؤلاء قوة في ابدانهم وأطول اعماراً وأكثر اموالاً وأشد تمكيناً فلم يقدرُوا ان يدفعوا عن نفوسهم ما حصل بهم من عقاب الله .

وقوله : « فاستمتعوا بخلاقهم » فالاستمتاع هو طلب المتعة وهي فعل ما فيه اللذة من المآكل والمشارب والمناكح . ومعناه انهم تمتعوا بنصيبيهم من الخير العاجل وباعوا بذلك الخير الآجل فهلكوا بشر استبدال ، كما تمتعتم ايها المنافقون بخلاقكم اي بنصيبيكم والخلاق النصيب سواء كان عاجلاً او آجلاً .

وقوله : « وخضتم كالذي خاضوا » خطاب للمنافقين بأن قيل لهم خضتم في الباطل والكذب على الله كالذين بايعوهم على ذلك من المنافقين وغيرهم من الكفار « حبطت اعمالهم » لأنهم كانوا اوقفوها على خلاف ما امرهم الله به فلم يستحقوا عليها ثواباً بل استحقوا عليها العقاب ، فلذلك كانوا ظالمين انفسهم ومهلكين لها بفعل المعاصي المؤدي الى الهلاك .

وروي عن ابن عباس انه قال في هذه الآية : ما شبه الليلة بالبارحة كذلك من قبلكم هؤلاء بنو اسرائيل لشبهنا بهم لا اعلم إلا انه قال : (والذي نفسي بيده لتقبعنهم حتى لو دخل الرجل منهم حجر ضرب لدخلتموه) ومثله روي عن ابي هريرة عن النبي (ص) وعن ابي سعيد الخدري مثله .

قوله تعالى :

﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ * وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (٧٠) آية في السكوفي والبصري وايتان في المدنيين . آخر الاولى « وثمرود » .

قوله : « ألم » صورته صورة الاستفهام ، والمراد به التقرير والتحذير . وانما حسن في الاستفهام أن يخرج الى معنى التقرير لأن الاحتجاج بما يلزمهم الاقرار به فقال الله تعالى مخاطباً لنبيه : ألم يأت هؤلاء المنافقين الذين وصفهم خبر من كان قبلهم من قوم نوح وعاد وثمرود وقوم ابراهيم واصحاب مدين ، على وجه الاحتجاج عليهم فيتمظروا ، لأن الامم الماضية والقرون السالفة إذا كان الله تعالى إنما اهلكها ودمرها لتكذيبها رسلاها كان ذلك واجباً في كل امة ساوونهم في هذه العلة ، فأقل احوالهم

ألا يأمنون ان ينزل بهم مثل ما نزل بأولئك .

قال الرماني : والحكمة تقتضى إذا تساوى جماعة في استحقاق العقاب ان لا يجوز العفو عن بعضهم دون بعض مع تساويهم في الاحوال . وانما يجوز المدول من قوم الى قوم في احوالنا للحاجة ، وهذا يتم على قول من يقول بالأصلح ومن لا يقول بذلك يقول : هو متفضل بذلك ، وله ان يتفضل على من يشاء ولا يلزم ان يفعل ذلك بكل مكلف .

وقوله : « والمؤتفكات » قال الحسن وقتادة : هي ثلاث قرىات لقوم لوط ولذلك جمعها بالالف والتاء . وقال في موضع آخر : « والمؤتفكة اهوى » (١) فجاء به على طريق الجنس . قال الزجاج : معناه ائتمنكت بأهلها انقلبت . ومدبن ابن ابراهيم امم له . وقوله : « اتتهم رسلاهم بالبينات » معناه جاءت هؤلاء المذكورين الرسل من عند الله معها حجج ودلالات على صدقها فكذبوا بها فأهلكهم الله ، وحذف لدلالة الكلام عليه . ثم قال : « اذا كان الله ليظلمهم » اي لم يكن الله ظالماً لهم بهذا الاهلاك « ولكن كانوا انفسهم يظلمون » بأن فعلوا من الكفر والمعاصي ما استحقوا به الهلاك . وقيل : ان الله تعالى اهلك قوم نوح بالفرق . وأهلك عاداً بالريح الصرصر العاتية وأهلك نمرود بالرجفة والصاعقة . وأهلك قوم ابراهيم بالثقتيت وسلب الملك والنعمة وأهلك اصحاب مدين بعذاب يوم الظلة . وأهلك قوم لوط بانقلاب المرض كل ذلك عدلاً منه على من ظلم نفسه ، وعصى الله واستحق عقابه .

قوله تعالى :

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَا مَعْشَرُ
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ

وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾

(٧١) آية بلا خلاف .

لما ذكر الله تعالى المنافقين ووصفهم بأن بعضهم من بعض بالاتفاق والتعاضد اقتضى ان يذكر المؤمنين ، ويصفهم بضد اوصافهم ، فقال تعالى : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض » اي يلزم كل واحد منهم نصرة صاحبه وان يواليه وقال الرماني : العقل يدل على وجوب موالاته المؤمنين بعضهم بعضاً ، لانها تجري مجرى استحقاق الحمد على طاعة الله والذم على معصيته . ولا يجوز ان يرد التشرع بخلاف ذلك . وإذا قلنا : المؤمن ولي الله معناه انه ينصر اولياء الله وينصر دينه والله وليه بمعنى اولى بتدبيره وتصريفه وفرض طاعته عليه . ثم قال : « يأمرون بالمعروف » يعني المؤمنين يأمرون بما اوجب الله نعله او رغب فيه عقلاً او شرعاً وهو المعروف « وينهون عن المنكر » وهو ما نهى الله تعالى عنه وزهد فيه إما عقلاً او شرعاً . ويضيفون الى ذلك اقامة الصلاة اي اتيانها بكاملها والمداومة عليها ويخرجون زكاة اموالهم حسب ما اوجبها الله عليهم ، ويضعونها حيث امر الله بوضعها فيه ويطيعون الله ورسوله اي يمتثلون امرها ويتبعون ارادتها ورضاهما .

ثم قال : « اولئك سيرحمهم الله » يعني المؤمنين الذين وصفهم ان ستناهم في

القيامة رحمة .

ثم اخبر عن نفسه فقال : « ان الله عزيز حكيم » فالعزيز معناه قادر لا يغلبه احد من الكفار والمنافقين حكيم في عقاب المنافقين واثابة المؤمنين ، وغير ذلك من الافعال . وانكار المنكر يجب بلا خلاف سمعاً وعليه الاجماع وكذلك الامر بالمعروف واجب ، فأما العقل فلا يدل على وجوبها اصلاً ، لأنه لو وجب ذلك لوجب ان ينعم الله من المنكر لكن يجب على المكلف اظهار كراهة المنكر الذي يقوم مقام النهي

عنه . وفي الآية دلالة على ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الاعيان لأن الله تعالى جعل ذلك من صفات المؤمنين ، ولم يخص قوماً دون قوم .

قوله تعالى :

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٧٢) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى بأنه كما وعد المناهقين بنار جهنم والخلود فيها ، كذلك وعد المؤمنين المعترفين بوحدانيته وصدق رسله وكذلك المؤمنات جنات يماني بساكنين يجنهما الشجر تجري من تحتها الأنهار ، وتقديره تجري من تحت اشجارها الأنهار . وقيل انها الجنة اخايد في الأرض ، فلذلك قال : « من تحتها » وانهم فيها خالدون اي دائمون « ومسكن طيبة » معناه وعدهم مساكن طيبة . والمسكن الموضع الذي يسكن .

وروي الحسن انها قصور من اللؤلؤ والياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر مبنية بهذه الجواهر .

وقوله : « في جنات عدن » فالعدن الاقامة والخلود ، ومنه المعدن قال الاعشى :

وان يستضافوا الى حلمه يضافوا الى راجح قد عدن (١)

وروي انها جنة لا يسكنها إلا النبيون والشهداء والصالحون .

وقوله : « ورضوان من الله اكبر » قال الرماني : الرضوان معنى يدعو الى

(١) ديوانه : ١٦ ، القصيدة ٣ وروايته (هادن قد رزن) بدل « راجح قد

عدن ، وتفسير الطبري ١٤ : ٣٥٠ ، واللسان « وزن ، وبجاز القرآن ١ : ٢٦٤ .

الحمد بالاجابة يستحق مثله بالطاعة فيما تقتضيه الحكمة . وانما رفع رضوان لانه استأنفه للتعظيم كما يقول القائل : اعطيتك ووصلتك ثم يقول : وحسن رأي فيك ورضاي عنك خير من جميع ذلك .

وقوله : « ذلك هو الفوز العظيم » معناه هذا النعيم الذي وصفه هو النجاح العظيم الذي لا شيء فوقه ولا اعظم منه .

قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفْرَانَ وَالْمُنَافِقِينَ وَانْغَلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبئسَ المَصِيرُ (٧٣) آية بالاخلاف .

امر الله تعالى في هذه الآية نبيه (ص) ان يجاهد الكفار والمنافقين . والجهاد هو ممارسة الأمر الشاق والجهاد يجب باليد واللسان والقلب فمن امكنه الجميع وجب عليه جميعه . ومن لم يقدر باليد فباللسان فان لم يقدر فبالقلب . واختلفوا في كيفية جهاد الكفار والمنافقين .

فقال ابن عباس : جهاد الكفار بالسيف وجهاد المنافقين باللسان والوعظ والتخويف ، وهو قول الجبائي .

وقال الحسن وقتادة : جهاد الكفار بالسيف وجهاد المنافقين باقامة الحدود عليهم ، وكانوا اكثر من يصيب الحدود .

وقال ابن مسمود : هو بالانواع الثلاثة حسب الامكان فان لم يقدر فليكفر في وجوههم وهو الاعم .

روي في قرآنة اهل البيت (ع) « جاهد الكفار بالمنافقين » .

وقوله : « وانغلظ عليهم » امر منه تعالى لنبيه ان يقوي قلبه على احلال الالم بهم واسماعهم الكلام القليظ الشديد ولا يرق عليهم . ثم قال : « وماؤاهم جهنم » اي

منزلهم جهنم ومقامهم والمأوى منزل مقام ، لا منزل ارنحال . ومثله المشوى والمسكن .
وقوله : « وبئس المصير » اخبار منه تعالى ان مرجع هؤلاء وما لهم بئس
المرجع والمآل .

قوله تعالى :

﴿ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا
بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَعَمُ وَالْمَأْأَنُ أَنْ أُنْغَنَاهُمْ اللَّهُ
وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا
يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ
مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٧٤) آية بلا خلاف .

النزول :

اختلفوا فيمن نزلت فيه هذه الآية ، فقال عروة وابن اسحاق ومجاهد : إنها
نزلت في الخلاس بن سويد بن الصامت بأنه قال : فان كان ما جاء به محمد حقاً لنحن
شراً من الحجر ، ثم حلف بالله انه ما قال .
وقال قتادة : نزلت في عبد الله بن ابي بن سلول حين قال : ان رجعنا الى المدينة
ليخرجن الاعز منها الاذل .

وقال الحسن : كان ذلك في جماعة من المنافقين .

وقال الواقدي والزجاج : نزلت في اهل العقبة فانهم ائتمروا أن يغتالوا رسول
الله في عقبة في الطريق مرجعهم من تبوك . وأرادوا ان يقطعوا اتصاع راحلته ، واطلعه
الله على ذلك ، وكان ذلك من معجزاته (ص) لأنه لا يمكن معرفة مثل ذلك إلا بوحى

من الله تعالى ، فسار رسول الله في المعبة وحده وأمر الناس كلهم بسلوك بطن الوادي وكانوا اثني عشر رجلاً أو خمسة عشر رجلاً على الخلاف فيه . وعرفهم واحداً واحداً وعمار بن ياسر، وحذيفة ، كان احدهما يقود ناقدة رسول الله والآخر يسوقها، والحديث مشروح في كتاب الواقدي .

وقال ابو جعفر (ع) كانوا ثمانية من قريش وأربعة من العرب .

المعنى :

وقوله : « وهموا بما لم ينالوا قيل فيه ثلاثة اقوال :

احدها - قال مجاهد : هم المنافقون بما لم يبلغوه من التنفير برسول الله .
الثاني - قال قتادة : هموا بما ذكر في قوله : « ليخرجن الأعراس منها الأذل »

فلم يبلغوا ذلك .

والثالث - عن مجاهد انهم هموا بقتل من انكر عليهم ذلك .

وقال بعضهم : كان المنافقون قالوا : لو رجعنا وضمنا التاج على رأس عبد الله ابن ابي فلما اوقفوا على ذلك حلفوا بأنهم ما قالوا ذلك ولا هموا به ، فأخبر الله تعالى عن حالهم انهم يحلفون بالله ما قالوا ، ثم اقسم تعالى بأنهم قالوا ذلك ، لأن لام لقد لام القسم ، وأنهم قالوا كلمة الكفر ، وهي كل كلمة فيها جحد لنعم الله او بلغت منزلتها في العظم ، وكانوا يطعنون في الاسلام والنبوة وأخبر انهم هموا بما لم يبلغوه .

والهم مقاربة الفعل بتغليب في النفس تقول : هم بالشيء بهم همأ ، ومنه قوله : « ولقد هممت به وهم بها » (١) وليس الهم من العزم في شيء إلا ان يبلغ نهاية العزم في النفس . والنيل لحوق الأمر . ومنه قوله : « نال السيف ونال ما اشتهى او قدر او

(١) سورة يوسف آية ٢٤ .

تمنى ، فهؤلاء قدّروا في انفسهم من كيد الاسلام لم يبلغوه .
 وقوله : « وما تقموا إلا ان اغناكم الله ورسوله من فضله » يعني ما فتح الله
 عليهم من الفتوح وأخذ الغنائم واستغنوا بعد ان كانوا محتاجين . وقيل في معناه
 قولان :

احدهما - انهم عملوا بضمد الواجب فجعلوا موضع شكر الغنى ان تقوموه
 قال الشاعر :

ما تقموا من بني امية إلا انهم يحملون ان غضبوا (١)
 والآخر - انهم بطروا النعمة بالغنى فنقموا بطراً واشراً فهم لا يفلحون بهذه
 الحال ، ولا بعدها . والفضل الزيادة في الخير على مقدار ما ، والتفضل هو الزيادة من
 الخير الذي كان للقادر عليه ان يفعله وأن لا يفعله .

ثم قال تعالى : « فان يتوبوا » هؤلاء المنافقين ويرجموا الى الحق « يك خيراً
 لهم » في دينهم ودنياهم ، فانهم يتألون بذلك رضا الله ورسوله والجنة « وأن يتولوا »
 اي يمرضوا عن الرجوع الى الحق وسلوك الطريق الصحيح « يعذبهم الله عذاباً أليماً »
 اي مؤلماً « في الدنيا » بما يتألم من الحسرة والغم وسوء الذكر وأنواع المصائب « وفي
 الآخرة » بعذاب النار « وما لهم في الارض » اي ايم . لهم في الارض « ولي » اي
 محب « ولا نصير » يعني من ينصرهم ويدفع عنهم عذاب الله .
 وقيل : ان خلاصاً تاب بعد ذلك ، وقال : استثنى الله تعالى لي التوبة فقبل
 الله توبته .

قوله تعالى :

﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ ﴾

وَلَنذَكِّرَنَّمَا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى ان من جملة المناوقين الذين تقدم ذكرهم « من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن » اي منه ، « وننكونن من الصالحين » بانفاقه في طاعة الله ورسالة الرحم والمواساة وان نعمل الاعمال الصالحة التي يكون بها صالحاً .

النزول :

وقيل : نزلت الآية في بلتمة بن حاطب كان محتاجاً فنذر لئن استغنى ليصدقن فأصاب اثني عشر الف درهم ، فلم يتصدق ، ولم يكن من الصالحين . هكذا قال الواقدي وقال ابن اسحاق : هما بلتمة ومقنب بن قشير . وقيل سبب ذلك انه قتل مولى له فاخذ ديته اثني عشر الف درهم اعطاه النبي (ص) .

المعنى :

فان قيل : كيف يصح ان يعاهد الله من لا يعرفه ؟

قلنا : إذا وصفه بأخص صفاته جاز منه ان يصرف عهده اليه وان جاز ان يكون غير عارف .

وقال الجبائي : كانوا عارفين وانما كفروا بالنبي (ص) والمعاهدة هي ان يقول عليّ عهد الله لأفعلن كذا فإنه يكون قد عقد على نفسه وجوب ما ذكره ، لأن الله تعالى حكم بذلك وقدّر وجوبه عليه في الشرع .

والآية دالة على وجوب الوفاء بالهدد واللام الاولى من قوله : « لئن آتانا من فضله » والثانية من قوله : « لنصدقن » جميعها لام القسم غير ان الاولى وقعت موقع الجواب والتقدير علينا عهد الله لنصدقن إن آتانا من فضله ولا يجوز ان تكون اللام الاولى لام الابتداء لأن لام الابتداء لا تدخل إلا على الاسم المبتدأ ، لأنها تقطع ما قبلها ان يسهل فيما بعدها إلا في باب (ان) فإنها زحلت الى الخبر لئلا يجتمع

تأكيده ، ويجوز ان يقول : ان رزقي الله مالا صلحت بفعل الصلاة والصوم لأن ذلك واجب عليه أناه مالا او لم يؤته .

قوله تعالى :

﴿ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾

(٧٦) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى عن هؤلاء المنافقين الذين عاهدوا الله وقالوا متى آتانا الله من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين انه آتاهم ما اقترحوه ورزقهم ما تمنوه من الأموال وانهم لما آتاهم ذلك شحت نفوسهم عن الوفاء بالعهد ، ومعنى (لما) معنى (اذا) الا أن (لما) الغالب عليها الجزاء ، وهي اسم ، لأنها تنفع في جواب (متى) على تقدير الوقت كقولك : متى كان هذا فيقول السامع : لما كان ذلك . و (لما) و (لو) لا يكونان إلا لما مضى بخلاف (ان) و (إذا) فانها لما يستقبل الا ان (لو) على تقدير نفي وجوب الثاني لانفناء الأول ، و (لما) يدل على وقوع الثاني لوقوع الأول . والبخل منع الذائل لشدة الاعطاء ثم صار في اسماء الذي منع الواجب ، لأن من منع الزكاة فهو بخيل . قال الرماني : ولا يجوز ان يكون البخل منع الواجب بمسقة الاعطاء قال زهير :

ان البخيل ملوم حيث كان وا- كمن الجواء على علاته هرم (١)

قال : لأنه يلزم على ذلك ان يكون الجود هو بذل الواجب من غير مشقة . وإنما قال زهير ما قاله لأن البخل صفة نقص . قال الرماني : ومن منع ما لا يضره بذله ولا ينفعه منعه مما تدعو اليه الحكمة فهو بخيل ، لأنه لا يقع المنع على هذه الصفة إلا لشدة في النفس وإن لم يرجع الى ضرر إذ الشدة من غير ضرر معقولة كما يصفون

(١) اللسان (هرم) .

الجوزة بأنها لئيمة لأجل الشدة .

وقال عبد الله بن عمر والحسن ومحمد بن كعب القرظي : يمرف المنافق بثلاث خصال إذا حدث كذب وإذا وعد خلف وإذا ائتمن خان . وخالفهم عطاء ابن أبي رباح في ذلك ، وقال : ان النبي (ص) إنما قال ذلك في قوم من المنافقين . وروي ان الحسن رجم الى قول عطاء .

وقوله : « وتولوا » اي اعرضوا عما عاهدوا الله عليه .

وقوله : « وهم معرضون » اخبار منه بأنهم معرضون عن الحق بالكفاية .

قوله تعالى :

﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْتَقَوْا بِهِ مَا أَخْلَفُوا
اللَّهُ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ (٧٧) آية بلا خلاف .

بين الله تعالى انه اعقب هؤلاء المنافقين . ومعناه أورتهم وادامهم الى تفاق في قلوبهم بخلفهم بما آناهم الله من فضله مع الاعراض عن امر الله، وهو قول الحسن . وقال مجاهد : معناه اعقبهم ذلك بحرمان التوبة كما حرم ابليس وجعل ذلك اشارة ودلالة على انهم لا يتوبون ابدا لأحد شيئين :

احدهما - من قال : اعقبهم بخلفهم رد الضمير اليه . والمعنى يلقون جزاء بخلفهم .

ومن ذهب الى ان الله اعقبهم رد الضمير الى اسم الله .

وقوله : « بما اخلفوا الله ما وعده » فالأخلاف نقض ما تقدم به المقدم من وعد او عزم وأصله الخلف ، لأنه فعل خلاف ما تقدم به المقدم . والوعد متى كان بأمر واجب او ندى او امر حسن فبجح الأخلاف ، وان كان الوعد وعداً بقبیح كل أخلافه حسناً .

وقوله : « وبما كانوا يكذبون » يقوي قول من قال : ان الضمير عائد الى الله

لأنه بين انه انما فعل ذلك جزاء على اخلافهم وعده وجزاء على ما كانوا يكذبون في اخبارهم عليه .

قوله تعالى :

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سُرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ (٧٨) آية بلا خلاف .

الالف في قوله : « ألم يعلموا » الف استفهام والمراد به الانكار . يقول الله تعالى لنبيه (ص) : « ألم يعلموا » هؤلاء المنافقون « ان الله يعلم سرهم » يعني ما يخفون في انفسهم وما يتناجون بينهم . والمعنى انه يجب عليهم ان يعلموا ذلك .
 نقول : اسره اسراراً واستمرراً واستمراراً وساره مسارة وسراراً وتساراً سراراً والاسرار اخفاء المعنى في النفس والنجوى وقع الحديث لظهار المعنى لمن يعلم عنده من اخراجه الى عدو فيه لأنه من النجاة نقول : نجاه مباحة ، وتناجوا تناجياً فكان هؤلاء المنافقون يسرون في انفسهم الكفر ويتناجون به بينهم .
 وقيل : السر والنجوى واحد مكرر باختلاف اللفظين كما يقول القائل : آمرك بالوفاء وأنهاك عن الغدر ، والمعنى واحد مكرر باختلاف اللفظين .
 وقوله : « ان الله علام الغيوب » معناه يعلم كل ما غاب عن العباد مما غاب عن احساسهم أو ادراكهم من موجود أو معدوم من كل وجه يصح ان يعلم منه ، لأنها صفة مبالغة واقتضى ذكر العلم ها هنا حال المنافقين في كفرهم سرراً وإظهارهم الايمان جهراً ، فقيل لهم ان المجازي اسم يعلم سرهم ونجواهم ، كما قال : ذو الرمة في معنى واحد بلفظين مختلفين :

لمياه في شفيتها حوة لس وفي اللثات وفي انيابها شذب

فالمس حوة وكبر لاختلاف اللفظين ، ويمكن ان يكون لما ذكر الحوة خشية

أن يتوهم السامع قبيحاً فبين انه لمس لأنه يستحسن ذلك .

قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ
وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٧٩) آية بلاخلاف .

قيل نزلت هذه الآية في علي بن زيد الحارثي وزيد بن أسلم العجلاني فجا علي بصاع من تمر فنثره في الصدقة ، وقال : يا رسول الله عملت في النخل بصاعين فصاعاً تركته لأهلي وصاعاً أقرضته ربي ، وجاء زيد بن أسلم بصدقة فقال معتب بن قشير وعبد الله بن نهبك إنما أراد الرياء .

وقال قتادة وغيره من المفسرين : إن هذه الآية نزلت في حجاب بن عثمان ، لأنه أتى النبي (ص) بصاع من تمر وقال : يا رسول الله اني عملت في النخل بصاعين من تمر فتركت للعيال صاعاً وأهديت لله صاعاً وجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف دينار وهي شطر ماله للصدقة ، فقال المنافقون : إن عبد الرحمن لعظيم الرياء وقالوا في الآخر ان الله لغني عما أتى به فأنزل الله تعالى الآية فقال : « الذين يلمزون المطوعين » أي ينسبونهم الى النقص في النفس بقولون : لمزه يلمزه لمزاً إذا انتقصه وعابه والمطوعين على وزن المنفعلين وتقديره المتطوعين فأدغمت التاء في الطاء ، ومعناه المنفعلين من طاعة الله بما ليس بواجب عليهم ، لأن الخير قد يكون واجباً وقد يكون ندباً وقد يكون مباحاً ولا يستحق المدح الا على الواجب والندب دون المباح .

وقوله : « والذين لا يجدون الا جهدهم » والجهد هو الجمل على النفس بما يشق تقول : جهده جهداً وجاهداً بالضم والفتح - كالوجد والوجد والضعف

والضعف . وقال الشعبي : الجهد في العمل والجهد في القوت .
 وقوله : « فيسخرن منهم » يعني المنافقين يهزؤون بالمتطوعين « سخر الله منهم »
 أي يجازيهم على سخريتهم بأنواع العذاب « ولهم عذاب اليم » أي مؤلم موجه ،
 ولما كان ضرر سخريتهم عائداً عليهم جاز أن يقال : « سخر الله منهم » أنه
 يفعل السخرية .

قوله تعالى :

﴿ اَسْتَغْفِرْ لَهُمْ اَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ اِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً
 فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِاَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا
 يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (٨٠) آية بلا خلاف .

المعنى واللغة :

قوله : « استغفر لهم » صيغته صيغة الأمر والمراد به المبالغة في الأياس من
 المغفرة أنه لو طلبها طلبه الأمور بها أو تركها ترك المنهي عنها لكان ذلك سواء في
 أن الله لا يفعلها ، كما قال في موضع آخر : « سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر
 لهم لن يغفر الله لهم » (١) .

والاستغفار طلب المغفرة من الله تعالى بالدعاء بها والمغفرة ستر المعصية برفع
 العقوبة عليها . وتعليق الاستغفار بالسبعين مرة والمراد به المبالغة لا العدد المخصوص
 ويجري ذلك مجرى قول الفائل لو قلت لي الف مرة ما قبلت . والمراد بذلك أني
 لا أقبل منك ، وكذلك الآية المراد بها نفي الغفران جملة . وما روي عن النبي (ص)
 أنه قال : والله لأزيدن على السبعين خبر واحد لا يلتفت إليه ولأن في ذلك ارت

النبي (ص) استغفر للكفار وذلك لا يجوز بالاجماع . وقد روي انه قال : لو علمت
أني لو زدت على السبعين مرة لغفر، لمعلت .

سبب النزول والمعنى :

وكان سبب نزول هذه الآية ان النبي (ص) كان اذا مات ميت صلى عليه
واستغفر له ، ولم يكن بمنزلة المنافقين بعد فاعلمه الله تعالى ان في جملة من يصلي عليه
من هو منافق وان استغفاره له لا ينفع قل ذلك ام كثير ثم نهى الله نبيه ان يصلي على
احد منهم وأن يستغفر له حين عرفه ايام بقوله : « ولا تصل على احد منهم مات ابدا
ولا تقم على قبره » (١) الآية .

وقوله : « ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله » اشارة منه تعالى « الى ان ارتفاع
الغفران انما كان لأنهم كفروا بالله ووجدوا نعمه وكفروا برسوله فوجدوا نبوته
« والله لا يهدي القوم الفاسقين » فمعناه انه لا يهديهم الى طريق الجنة والثواب .
فاما الهداية الى الايمان بالاقرار بالتوحيد لله والاعتراف بنبوة النبي (ص) فقد هدى
الله اليه كل مكلف متمكن من النظر والاستدلال بأن نصب له على ذلك الدلالة
وأوضحها له .

قوله تعالى :

﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا
أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا
فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ (٨١) آية
بلا خلاف .

(١) سورة التوبة آية ٨٤ .

اخبر الله تعالى بأن جماعة من المنافقين الذين خلفهم النبي (ص) ولم يخرجهم معه الى تبوك لما استأذنوه في التأخر فأذن لهم فرحوا بعودهم خلاف رسول الله .
 والمخلف المتروك خلف من مضى . ومثله المؤخر عن مضى تقول : خلف تخليفاً
 وتخلف تخلفاً . والفرح ضد الغم والغم ضيق الصدر بفوت المشتى ، وعند البصريين
 من المعتزلة هو اعتقاد وصول الضرر اليه في المستقبل او دفع الضرر المظنون والمعلوم
 عنه . ومعنى خلاف رسول الله قال ابو عبيدة بعد رسول الله وأشهد :

عقب الربيع خلفهم فكاننا بسط الشواطب يدين حصيراً (١)

وقال غيره : معناه المصدر من قولك خالف خلافاً وهو نصب على المصدر .
 وقوله : « وكرهوا ان يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله » اخبار منه
 تعالى ان هؤلاء المخلفين فرحوا بالتأخر وكرهوا اتفاق اموالهم والجهاد بنفوسهم في
 سبيل الله ، فالجهاد بالمال هو تحمّل المشقة الاتفاق في وجوه البر والجهاد بالنفس هو
 تعريضها لما يشق عليها اتباعاً لأمر الله وقوله : « لا تنفروا في الحر » معناه انهم قالوا
 لنظرائهم ومن يقبل منهم : لا تخرجوا في الوقت الحار فقال الله تعالى لنبيه (ص)
 قل لهم : « نار جهنم اشد حراً لو كانوا يفتقرون » لأنهم توقفوا بالعود عن الخروج حر
 الشمس فخالفوا بذلك أمر الله وأمر رسوله واستحقوا حر نار جهنم وكفى به اذا
 الاختيار جهلاً من اختاره . وقوله : « لو كانوا يفتقرون » معناه لو كانوا يفتقرون
 وعظ الله وتحذيره وتزهيده في معاصيه .

قوله تعالى :

﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَابْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا

يَكْسِبُونَ ﴾ (٨٢) آية بلا خلاف .

(١) قاله البخاري بن خالد الخزومي . الاغانى ٣ : ٣٣٣ وروايته (الريذاذ) بدل

(الربيع) واللسان (عقب) ، (خلف) .

قوله : « فليضحكوا » صيغته صيغة الأمر والمراد به التهديد ، وإنما قلنا انه بصورة الأمر ، لأن اللام ساكنة ولو كانت لام الاضافة لكانت مكسورة لأنها تؤذن بعملها للجزاء المناسب لها فلذلك ألزمت الحركة .

والمراد بالآية الاخبار عن حال هؤلاء المنافقين وانها في وجه الضحك كحال المأمور منه فيما يؤل إليه من خير او شر على صاحبه ، فلذلك دخله معنى التهديد والضحك حال تفتح وانبساط يظهر في وجه الانسان عن تعجب مع فرح والضحك هو الانسان خاصة والبكاء حال يظهر عن غم في الوجه مع حري الدموع على الخد ، وهو ضد الضحك تقول : بكأ ، بكاه ، وأبكاه الله ابكاه ، وبكاه تبكية وتباكي تباكياً واستبكي استبكاهاً . ومعنى الآية ان يقال هؤلاء المنافقين : فاضحكوا بقليل تمتعكم في الدنيا فانكم ستبكون كثيراً يوم القيامة إذا حصلتم في العقاب الدائم « جزاء بما كانوا يكسبون » نصب (جزاء) على المصدر اي تجزون على معاصيكم ذلك جزاء على افعالكم التي اكتسبتموها .

قوله تعالى :

﴿ قَانَ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ يَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ يُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴾ (٨٣) آية
بلا خلاف .

قال الله تعالى لنبيه (ص) : ان رجعتك الله يعني ان ردك الله الى طائفة منهم يعني جماعة فالرجوع هو نصير الشيء الى المكان الذي كان فيه تقول : رجعتك رجما كقولك رددته ردأ وقد يكون النصير الى الحال التي كان عليها كرجوع الماء الى

حال البرودة . والطائفة الجماعة التي من شأنها بأن تطوف ولهذا لا يقال في جماعة الحجارة طائفة وقد يسمى الواحد بأنه طائفة بمعنى نفس طائفة والأول اظهر .

وقوله : « فاستأذنوك للخروج » اي طلبوا منك الاذن في الخروج في غزاة اخرى والاذن رفع التهمة في الفعل وأصله ان يكون بقول يسمع بالاذن . والخروج الانتقال عن محيط ، فقال الله لنبيه (ص) : قل لهم : حينئذ « لن تخرجوا معي أبداً » اي لا يقع منكم الخروج ابداً فالابد الزمان المستقبل من غير انتهاء . الى حد ونظيره للماضي (قط) إلا انه مبني كما بني امس لتضمنه حروف التعريف واعرب (الابد) كما اعرب غد ، لان المستقبل احق بالتنكير .

وقوله : « ولن تقاتلوا معي عدواً » اخبار بانهم لا يفعلون ذلك ابداً ولا يختارونه .

وقوله : « انكم رضيتم بالعمود اول مرة فاقعدوا مع الخالفين » معناه اخبار منه تعالى انهم رضوا بالعمود أول مرة فيذبغي ان يقعدوا مع الخالفين .

وقيل في معناه ثلاثة اقوال : احدها قال الحسن وقتادة : هم النساء والصبيان وقال ابن عباس : هم من تأخر من المنافقين .

وقال الجبائي : هم كل من تأخر لمرض او نقص .

وقيل : معناه مع اهل الفساد مشتقاً من قولهم : خلف خلوقاً اي تغير الى

الفساد . وقيل : الخالف كل من تأخر عن الشاخص .

قوله تعالى :

﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ ۗ

إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (٨٤) آية

بلا خلاف .

هذا نهي من الله تعالى لنبيه (ص) أن يصلي على أحد من المنافقين أو يقوم على قبره ومعناه ان يتولى دفنه او ينزل في قبره كما يقال : قام فلان بأمر فلان .
وقال ابن عباس وابن عمر وقتادة وجابر : صلى رسول الله (ص) على عبد الله ابن ابي بن ابي سلول والبصه قبضه قبل ان ينهي عن الصلاة على المنافقين .
وقال انس : أراد ان يصلي عليه فأخذ جبرائيل بثوبه . وقال له : لا تصل على احد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره . والصلاة على الأموات فرض على الكفايات إذا قام به قوم سقط عن الباقيين . وأقل من يسقط به الفرض واحد وهي دعاء ليس فيها قراءة ولا تسبيح وفيه خلاف . وفيها خمس تكبيرات عندنا وعند الفقهاء اربع تكبيرات فالتكبير الاول يشهد بعدها الشهادتين ، ويكبر بالثانية ، ويصلي بعدها على النبي (ص) ويكبر الثالثة ويدعوا للمؤمنين والمؤمنات . ويكبر الرابعة ويدعو للميت إن كان مؤمناً وعليه إن كان منافقاً . ويكبر الخامسة ويقف يومي الى يمينه حتى ترفع الجنازة وليس فيها تسليم . وسمعت ابا الطيب الطبري وكان امام اصحاب الشافعي يقول : الخلاف بيننا وبينكم في عبارة ، لأن عندكم ينصرف بالخمسة . وعندنا بالتسليم ، فجعلتم مكان التسليم التكبير . وذلك خلاف من عبارة .

وقوله : « مات » موضع (مات) جر لأنه صفة لأحد ، لأن تقديره على احد ميت منهم و « ابدا » منصوب متصل و (احد) هذه هي التي تكون في النفي دون الايجاب لأنه يصح النهي عن الصلاة عليهم مجتمعين ومتفرقين ، كما يصح في النفي ولا يمكن في الايجاب لأنه كنه في الضدين في حال واحدة ، فإنه لا يصح اثباتها في حال اصلا . والقبر حفرة يدفن فيها الميت تقول : قبرته اقبره قبراً فأنا قابرٌ وهو مقبور وأقبرت فلاناً اقباراً اذا جعلته بقبره .

وقوله : « انهم كفروا بالله ورسوله » المعنى انما فهيتك عن الصلاة عليهم ، لأنهم كفروا بالله ورسوله ، فهي للتعميل . وانما كسرت لتحقيق الاخبار بأنهم على

الصفة التي ذكرها . وأنهم ماتوا ، وهم فاسقون . أي خارجون عن طاعة الله الى معصيته .

قوله تعالى :

﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ (٨٥) آية بلا خلاف .

قد مضى تفسير مثل هذه الآية فلا وجه لاعادته (١) . وبيننا انه خطاب للنبي (ص) والمراد به الامة ينهائم الله ان يعجبوا بما اعطى الله الكفار من الأموال والأولاد في الدنيا حتى يدعوم ذلك الى الصلاة عليهم ، ولا ينبغي ان يغتروا بذلك فانما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا ، لانهم لا ينفقونها في طاعة الله ولا يخرجون حق الله منها . ويجوز ان يعذبهم بها في الدنيا بما يلحقهم فيها من المصائب والغموم وبما يأخذها المسلمون على وجه الغنيمة وبما يشق عليهم من اخراجها في الزكاة والاتفاق في سبيل الله مع اعتقادهم بطلان الاسلام وتشدد ذلك عليهم ويكون عذاباً لهم وان نفوسهم تزهق اي تهلك بالموت « وهم كافرون » اي في حال كفرهم ، فلذلك عذبهم الله في الآخرة .

والاعجاب هو ايجاد السرور بما يتعجب منه من عظيم الاحسان تقول : اعجبني امره اعجاباً اذا سر بموضع التعجب منه . والزهق خروج النفس بمشقة شديدة ومنه قوله : « فاذا هو زاهق » (٢) اي هالك .

وقيل : في وجه حسن تكرر هذه الآية دفعتين قولان :

احدهما — قال ابو علي : يجوز أن تكون الآيتان في فريقين من المنافقين

(١) قوله : قد مضى : في تفسير آية ٥٦ من هذه السورة .

(٢) سورة الاسرى آية ٨١ .

كما يقول القائل : لا يعجبك حال زيد ولا يعجبك حال عمر .

الثاني - ان يكون الغرض البيان عن قوة هذا المعنى فيما ينبغي ان يحذر منه مع انه للتذكير في موطنين بعد احدهما عن الآخر ، فيجب العناية به وليس ذلك بقبيح ، لأن الواحد منا يحسن به ان يقوم في مقام بعد مقام ويكرر الوعظ والزجر والتخويف ولا يكون ذلك قبيحاً .

قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ
إِسْتِثْنَاءَ ذَلِكَ أُولَئِكَ الطَّوَلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذُرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾
(٨٦) آية بلا خلاف .

بين الله تعالى في هذه الآية انه إذا انزل سورة من القرآن على النبي (ص) أن «آمنوا» ومعناه بأن آمنوا بخذفت الباء وجعل ان آمنوا في موضع نصب . والتقدير بالايان على وجه الأمر ولا يجوز الحذف مع صريح المصدر . وإنما جاز مع (أن) لزوم الصلة والحمل على التأويل في اللفظ كما حمل على المعنى .

وهذا خطاب للمؤمنين وأمر لهم بأن يدوموا على الايمان ويتمسكوا به في مستقبل الأوقات ويدخل فيه المنافق ويتناوله الأمر بأن يستأنف الايمان ويترك النفاق ثم يجاهدوا بعد ذلك بنفوسهم وأموالهم لأنه لا ينفعهم الجهاد مع النفاق .

وقوله : « استأذنك اولوا الطول » ومعناه أن ذوي الغنى من المنافقين إذا انزلت السورة يأمرهم فيها بالايان والجهاد يستأذنون النبي (ص) في القعود والتأخر عنه مع اعتقادهم بطلان الاسلام فيشدد ذلك عليهم ويكون عذاباً لهم - وهو قول الحسن وابن عباس - فانها قالا : انما لحق هؤلاء الذم لأنهم أقوى على الجهاد .

وقوله : « وقالوا ذرنا نكن مع القاعدین » اخبار منه تعالى أن هؤلاء المنافقين

من ذوي الغنى يقولون للنبي (ص) : اتركنا نكن مع القاعدين من الصبيان والزنبي والمرضى الذين لا يقدرّون على الخروج .

قال الرماني : والسورة جملة من القرآن تشتمل على آيات قد احاطت بها كما يحيط صور القصر بما فيه وسور الهر بقيته من الماء .

والجهاد بالقتال دفعا عن النفس معلوم حسنه عقلا لأنه مركوز في العقل وجوب التحرز من المضار ، وليس في العقل ما يدل على انه يجب على الانسان ان يمنع غيره من الظلم وإنما يعلم ذلك سمما .

قوله تعالى :

﴿ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (٨٧) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى بأن هؤلاء الذين قالوا : « ذرنا نكن مع القاعدين » من المنافقين رضوا لنفوسهم ان يكونوا مع الخوالف وهم النساء والصبيان والمرضى والمقعدون . قال الزجاج : الخوالف النساء لتخلفهن عن الجهاد ويجوز أن يكون جمع خالفة في الرجال والخالف والخالفة الذي هو غير نجيب ولم يأت في فاعل فواعل صفة لإحرفين قولهم : فارس وفوارس . وهالك وهوالك .

وقوله : « وطبع على قلوبهم » قبل في معناه قولان :

أحدهما - انه تعالى يجعل نكتة سوداء في قلب المنافق والكافر لتكون علامة للملائكة يعرفون بها أنه ممن لا يفلح أبداً .

الثاني - ان يكون المراد بذلك الدم لها بأنها كالمطبوع عليها فلا يدخلها صبر ولا ينتفي عنها شر ، لأن حال الدم لها يقتضي صفات الدم ، كما ان حال المدح يقتضي صفات المدح ، كما قال جرير في قصيدة أولها :

أصبحوا أم فؤادك غير صاح عشية عمّ صحبك بالراح
 ألعنم خير من ركب المطايا واندى العالمين بطون راح (١)
 ولا تحمل إلا على المدح دون الاستفهام . والطبع في اللغة هو الختم تقول :
 طبعه وختمه بمعنى واحد .

قوله تعالى :

﴿ لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ
 وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمَفْلُحُونَ ﴾ (١٨٨)
 آية بلا خلاف .

لما اخبر الله تعالى عن حال المتأخرين عن النبي (ص) والفاعدين عن الجهاد معه
 وأنهم منافقون قد طبع على قلوبهم فهم لا يفقهون . اخبر عن الرسول (ص) ومن معه
 من المؤمنين المطيعين لله ورسوله بأنهم يجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم بالاموال
 التي ينفقونها في مرضاة الله وعدة الجهاد ويقاتلون الكفار بنفوسهم . ثم اخبر عما
 أعد لهم من الجزاء على افعالهم تلك وانقيادهم لله ورسوله ، فقال : « اولئك » يعني
 النبي والذين معه « لهم الخيرات » في الجنة ونعيمها وخيراتهما وأنهم المفلحون ايضاً
 الفائزون بكرامة الله .

والخيرات هي المنافع التي تسكن النفس اليها وترتاح بها من النساء الحسان وغيره
 من نعم الجنان واحده خيرة - هذا قول ابي عبيدة . وقال رجل من بني عدي :
 ولقد طمنت مجامع الربلات ربلات هند خيرة للملكات (٢)

(١) مر تخريجه في ١ : ١٣٢ ، ٤٠٠ ، وقد مر في ٢ : ٣٢٧ ،

(٢) مجاز القرآن ١ : ٢٦٧ واللسان (خير) . الربلات جمع ربله : وهي لمة الفخذ .

والفلاح النجاح بالوصول الى البغية من نجح الحاجة وهو قضاؤها .

قوله تعالى :

﴿ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ

فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٨٩) آية بلا خلاف .

بين الله تعالى انه « أعد » هؤلاء المؤمنين والرسول « جنات » يعني إساتين

« تجري من تحتها » ومعناه من تحت اشجارها « الأنهار » .

والاعداد جعل الشيء مهيئاً لغيره تقول : أعدت إعداداً واستعدت له استعداداً

وهو من العدد ، لأنه قد أعد الله جميع ما يحتاج الى تقديمه له من الامور ومثله

الاتخاذ . والوجه في اعداد ذلك قبل مجيئه وقت الجزاء أن تصوره لذلك ادعى الى

الطاعة واكد في الحرص عليها .

ويحتمل أن يكون المراد أنه سيجعل لهم جنات تجري من تحتها الأنهار غير

أنه ترك للظاهر .

وقوله : « ذلك الفوز العظيم » اشارة الى ما أعد له لهم واخبار منه بأنه الفوز

العظيم . والفوز النجاة من الهلكة الى حال النعمة وسميت المهلكة مفازة تفاؤلاً بالنجاة

وإنما وصفه بالعظيم لأنه حاصل على جهة الدوام .

قوله تعالى :

﴿ وَجَاءَ الْمُعَذَّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ

الَّذِينَ كَذَّبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ

أَلِيمٌ ﴾ (٩٠) آية بلا خلاف .

قرأ يعقوب وقتيبة (المعذرون) بسكون العين وتخفيف الذال. الباقون بفتح العين
وتشديد الذال وجه قراءة من قرأ بالتخفيف انه اراد جاءوا بعذر .
ومن قرأ بالتشديد احتمل امرين :

احدهما انه اراد المعتذرون كان لهم عذر أو لم يكن وإنما ادغم التاء في الذال
لقرب مخرجها مثل قوله : يذكرون . ويدكرون ، وغير ذلك واصله يتذكرون .
الثاني - انه اراد المنصرون والمعذر المنصر . والمعذر المبالغ الذي له عذر .
وأما المعتذر فانه يقال لمن له عذر ولمن لا عذر له قال ليبيد :

الى الحول ثم امم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر (١)
معناه جاء بعذر . وقال الزجاج : يجوز ان يكون المعذرون الذين يعتذرون
فيؤمرون ان لهم عذراً ولا عذر لهم .

وروي عن ابن عباس انه قرأ بالتخفيف ، وقال : لعن الله المعذرين اراد من
يعتذر بغير عذر ، وبالتخفيف من بلغ أقصى العذر .

وأصل التعذير التقصير مع طلب اقامة العذر. عذر في الأمر تعذيراً إذا لم يبلغ
فيه . والفرق بين الاعتذار والتعذير ، ان الاعتذار قد يكون بعذر من غير تصحيح
الأمر ، والتعذير تقصير يطلب معه اقامة العذر فيه .

واختلفوا في معنى « وجاء المعذرون » على قولين :
احدهما - قال قتادة واختاره الجبائي : انه من عذر في الأمر تعذيراً
إذا قصر .

والثاني - قال مجاهد : جاء اهل العذر جملة على معنى المعتذرين .
وقال الحسن : اعتذروا بالكذب .

(١) ديوانه القصيدة : ٢١ ، وخزانة الأدب ٢ : ٢١٧ وتفسير الطبري ١ : ١١٩
١٤ : ١١٧ واللسان (عذر) .

وقال قوم : انما جاوا بنو غفار خفاف بن ايماء بن رخصه وقومه .
ومعنى الآية ان قوماً من الأعراب جاءوا الى النبي (ص) يظهرون انهم مؤمنون
ولم يكن لهم في الايمان والجهاد نية فيعرضون نفوسهم عليه وغرضهم ان يا ذن
النبي (ص) لهم في التخلف ، فعملوا عرضهم انفسهم عليه عذراً في التخلف عن الجهاد .
وقوله : « وحمد الذين كذبوا الله ورسوله » يعني المنافقين ، لأنهم الذين
كذبوا الله ورسوله فيما كانوا يظهرون من الايمان ، فقال الله : « سيصيب الذين
كفروا منهم عذاب اليم » اي ينالهم عذاب مؤلم موجه في الآخرة .

قوله تعالى :

﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٩١) .

عذر الله تعالى في هذه الآية من ذكره ووصفه ، يقال : « ليس على الضمفاء ،
وهو جمع ضعيف وهو الذي قوته ناقصة بالزمانه وغيرها « ولا على المرضى ، وهو جمع
مريض وهم الاعلاء » ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون ، يعني من ليست معه نفقة
الخروج وآلة السفر « حرج ، يعني ضيق وجناح . وأصل الضيق الذي يتعذر
معه الأمر .

وقوله : « اذا نصحوا لله ورسوله » شرط تعالى في رفع الجناح والاسم عن
المذكورين ان ينصحوا الله ورسوله بأن يخلصوا العمل من الغش يقال : نصح في عمله
نصحاً وناصح نفسه مناصحة ومنه التوبة النصوح . ثم قال : « ما على المحسنين من
سبيل » اي ليس على من فعل الحسن الجميل طريق . والاحسان هو ائصال النفع الى

الغير لينتفع به مع تعريه من وجوه القبح . ويصح أن يحسن الانسان الى نفسه ويحمل على ذلك وهو إذا فعل الأفعال الجميلة التي يستحق بها المدح والثواب .
وقوله : « والله غفور رحيم » معناه سائر على ذري الاعذار بقبول العذر منهم « رحيم » بهم لا يلزمهم فوق طاقتهم .

وقال قتادة : نزلت هذه الآية في عابد بن عمرو المزني وغيره . وقال ابن عباس : نزلت في عبد الله بن معقل المزني ، فإنه وجماعة معه جاؤا الى رسول الله (ص) فذموا له : احملنا فقال رسول الله (ص) لا أجد ما احملكم عليه .

قوله تعالى :

﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لَتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أُجِدُ
مَأْجِلَكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا
يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴾ (٩٢) آية بلا خلاف .

هذه الآية عطف على الاولى والتقدير ليس على الذين جاؤوك - وسألوك حملهم حيث لم يكن لهم حملان ، فقلت لهم يا محمد (ص) « لا أجد ما احملكم عليه » أي ليس لي حملان فينفقون « تولوا وأعينهم تفيض من الدمع » يكون « حزناً ان لا يجدوا ما ينفقون » في هذا الطريق ويتابعونك - حرج وأثم ولا ضيق وإنما حذف لدلالة الكلام عليه .

والحمل عطاء المركوب من فرس أو بعير أو غير ذلك تقول حملة بحمله حملاً إذا اعطاه ما يحمل عليه . وحمل على ظهره حملاً وحمله الأمر تحميلاً وتحمل تحملاً واحتمله احتمالاً ، وتحامل تحاملاً . واللام في قوله : « لتحملهم » لام النرض ، والمعنى جاؤك وأرادوا منك حملهم وتقول : وجدت في المال جيداً وجدة ووجدت الضالة وجداناً

ووجدت عليه - من المواجدة - وجداً . والفيض الجري عن امتلاء من حزن قلوبهم والحزن ألم في القلب لقوت أسر مأخوذ من حزن الأرض وهي الغليظة المسلك .
وقال مجاهد : نزلت هذه الآية في نفر من مزينة ، وقال محمد بن كعب القرظي وابن اسحاق : نزلت في سبعة نفر من قبائل شتى . وقال الحسن نزلت في ابي موسى وأصحابه . وقال الواقدي : البكاؤن سبعة من فقراء الأنصار ، فلما بكوا حمل عثمان منهم رجلين والعباس بن عبد المطلب رجلين ويامين بن كعب بن نسيب النصراني من بني المنضير ثلاثة ، ومن جملة البكائين عبد الله بن معقل . وقال الواقدي : كان الناس يتبوك ثلاثين ألفاً ، وعشرة آلاف فارس .

قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾
(٩٣) آية بلا خلاف .

بين الله تعالى في هذه الآية أن السبيل والطريق بالمقاب والحرج إنما هو للذين يطلبون الاذن من رسول الله في المقام ، وهم مع ذلك اغنياً يتمكنون من الجهاد في سبيل الله الراضين بكونهم مع الخوالف من النساء والصبيان ومن لا حراك به . ثم قال : وطبع الله على قلوبهم بمعنى وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة فيميزون بينهم وبين غيرهم من المؤمنين .

ويحتمل ان يكون المراد انه بمنزلة المطبوع في أن لا يدخلها الايمان كما لو طبعوا على الكفر . ومثله قوله : « صم بكم عمي » ومثناه لترك تلفظهم بالحق وعدولهم عن سماع الحق وانصرافهم عن النظر الى الصحيح كأنهم صم بكم عمي وهم لا يعلمون ذلك

ولا يدرون الله ما يصير امرهم من عقاب الابد ولا يعرفون ما يلزمهم من احكام الشرع ما يعرفه المؤمنون .

وقال البلخي : معناه لانهم للخلاف والمصيبة كأنهم لا يعلمون ، والتقدير ان حكم هؤلاء المذكورين بهذه الاوصاف بخلاف من قد تحصن من العقاب بالايمان ، لانهم قد فتحوا على انفسهم ابواب العذاب .

قوله تعالى :

﴿ يَعْتَذِرُونَ آلَيْهِمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهَ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٩٤) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى ان هؤلاء القوم الذين تأخروا عن الخروج مع النبي (ص) من غير عذر كان يبيحهم ذلك اذا عاد النبي (ص) والمؤمنون انهم كانوا يجيئون اليهم ويعتذرون اليهم من تأخرهم بالباطيل والكذب ، فقال الله تعالى لنبيه : قل يا محمد لهم : « لا تعتذروا » فلما نصدقكم على ما تقولون فان الله تعالى قد اخبرنا من اخباركم واعلمنا من امركم ما قد علمنا به كذبكم « وسيرى الله عملكم ورسوله » أي سيعلم الله فيما بعد عملكم هل تتوبون من نفاقكم أم تقيمون عليه ؟ ويحتمل ان يكون المراد انه يحل في الظهور محل ما يرى « ثم تردون » اي ترجعون الى من يعلم الغيب والشهادة يعني السر والعلانية الذي لا يخفى عليه بواطن اموركم « فينبئكم بما كنتم تعملون » اي فيخبركم باعمالكم كلها حسنها وقبيحها فيجازيكم عليها اجمع .

والاعتذار اظهار ما يقتضى العذر ويمكن ان يكون صحيحاً ويمكن ان يكون
فاسداً كاعتذار هؤلاء المنافقين والفرق بين الاعتذار والتوبة ان التوبة اقلع عن
سيئة قد وقعت ، والاعتذار اظهار ما يقتضي انها لم تقع ولذلك يجوز ان يتوب الى
الله ولا يجوز ان يتعذر اليه . والاعتذار الذي له قبول هو ما كان صاحبه محقاً فاما
الاعتذار بالباطل فهو اسوء لحال صاحبه قال الشاعر :

إذا اعتذر الجاني عما العذر ذنبه وكل امري لا يقبل العذر مذنب (١)

قوله تعالى :

﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتُعَرِّضُوا عَنْهُمْ
فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جُزَاءً بِمَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ ﴾ (٩٥) آية بلا خلاف .

أخبر الله تعالى عن هؤلاء الذين يعتذرون بالباطل الى النبي والمؤمنين في تأخرهم
عن الخروج معهم انهم سيقسمون ايضاً على ذلك للمؤمنين « إذا انقلبتم اليهم » يعني
إذا رجعت اليهم « لتعرضوا عنهم » اي لتصفحوا عنهم ولا تؤبخوهم ولا تمنفوهم .
ثم امر الله تعالى المؤمنين والنبي (ص) ان يعرضوا عنهم اعراض المقت وبين « انهم
رجس » اي هم كالنتن في قبحة وهم انجاس ويقال : رجس نجس على الاتباع وان
« مأواهم » يعني مصيرهم ومآلهم ومستقرهم « جهنم جزاء » اي مكافاة على ما كانوا
يكسبونه من المعاصي .

والجزاء مقابلة العمل بما يقتضيه من خير او شر قال احمد بن يحيى ثعلب :
اللام في قوله : « لتعرضوا عنهم » ليست لام غرض وانما معناه لاعراضكم انما علق

هاهنا بذلك اثلاً يتوهم انه اذا رضى المؤمنون فقد رضى الله عنهم ايضاً فذكر ذلك ليزول هذا الالباس لأن المنافقين لم يحلفوا لهم لكي تعرضوا ، ولكنهم حلفوا تبرأ من النفاق ولاعراض المسلمين عنهم وانشد :

سموت ولم تكن اهلاً لاسموا
ولكن المضيع قد يصاب (١)
اراد ما كنت اهلاً لاسموا .

قوله تعالى :

﴿ بِحَلْفُونَ لَكُمْ اَتَرَضُوا عَنْهُمْ فَان تَرَضُوا عَنْهُمْ فَان
اللّٰه لا يَرْضٰى عَنِ الْقَوْمِ الْفٰسِقِينَ ﴾ (٩٦) آية بلا خلاف .

بين الله تعالى أن هؤلاء المنافقين يقسمون بالله طلباً لمرضاةكم عنهم « فان ترضوا » ايها المؤمنون « فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين » الخارجين من طاعته الى معصيته والمعنى انه لا ينفعهم رضاكم مع سخط الله عليهم وارتفاع رضاه عنهم . رضى المؤمنين عنهم او لم يرضوا وانما علق هاهنا بذلك لثلاً يتوهم انه اذا رضى المؤمنون فقد رضى الله عنهم ايضاً فذكر ذلك ليزول هذا الالباس ولأن المراد بذلك انه اذا كان الله لا يرضى عنهم فينبغي لكم ايضاً ان لا ترضوا عنهم .

قوله تعالى :

﴿ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَنْ لَا يَهْلَهُمْ
حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٩٧) آية

بلا خلاف .

(١) لم اجده في مضانه .

اخبر الله تعالى في هذه الآية ان الاعراب الجفافة الذين لا يعرفون الله ورسوله حق معرفتها أشد كفرةً وتفاقاً وجحوراً لنعم الله وأعظم تفاقاً من غيرهم .
 وقيل : انها نزلت في اعراب كانوا حول المدينة من اسد وخطفان فكفرهم
 اشد ، لانهم اقسى وأجفى من اهل المدن ، ولأنهم ابعد من سماع التنزيل ومخالطة
 اهل العلم والفضل ويقال : رجل عربي اذا كان من العرب وان سكن البلاد ، واعرابي
 اذا كان ساكناً في البادية . وروي ان زيد بن صوحان كانت يده اليسرى قطعت
 يوم البامة وكان فاءاً يوماً يروي الحديث والى جانبه اعرابي ، فقال له : ان حديثك
 يمجني وان يدك ربني فقال زيد : إنها الشمال ، فقال : والله ما ادري المجين يفظمون
 أو الشمال فقال زيد : صدق الله ، وقرأ « الأعراب أشد كفرةً » الآية .

وقوله : « واجدر » معناه اخلق وأولى وأقرب الى ان لا يعلموا حدود ما أنزل
 الله على رسوله من الشرائع والأحكام . وموضع أن نصب لأن تقديره اجدر بأن
 تحذف الباء فانتصب وتقديره اجدر بترك العلم غير أن الباء لا تحذف مع المصدر
 الصريح ، وإنما تحذف مع (ان) للزوم العلم بها وحملها على التأويل . واجدر مأخوذ
 من جدر الحائط .

وقوله : « والله عليم حكيم » معناه عالم بأحوالهم وبواطنهم حكيم فيما يحكم به
 عليهم من الكفر وغير ذلك من أفعالهم .

قوله تعالى :

﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ
 بِكُمْ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٩٨) آية
 بلا خلاف .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو « دائرة السوء » بضم السين . الباقون بفتح السين .
 من نصب اراد المصدر وإنما اضاف الدائرة الى السوء تأكيداً كما يقال : عيني
 رأسه وشمس النهار ، تقول : سؤته اسوءه سوءاً ومساءة ومسائية ، وقوله : « ما كان
 ابوك امراً سوءاً » (١) لا يجوز فيه غير فتح السين وكذلك في قوله : « وظننتم
 ظن السوء » (٢) لأن الضم بمعنى الاسم وتقديره عليهم دائرة العذاب والبلاء .
 اخبر الله تعالى أن من جملة هؤلاء المنافقين من الأعراب من يتخذ ما ينفقه في
 الجهاد وغيره من طرق الخير « مفرماً » أي غراماً من قولهم : غرمته غراماً وغرامة .
 والغرم لزوم نائبة في المال من غير جنابة . ومنه قوله : « من مفرم منقولون » (٣)
 وأصل المفرم لزوم الأمر ، ومنه قوله : « إن عذابها كان غراماً » (٤) أي لازماً ،
 وحبّ غرام أي لازم والغريم كل واحد من المتدائنين وغرمته كذا الزمته إياه
 في ماله .

وقوله : « يتربص بكم الدوائر » فالتربص التمسك بالشيء لعاقبة ومنه الترابص
 بالطعام لزيادة السعر ، فهؤلاء يتربصون بالمؤمنين لعاقبة من الدوائر . والدائرة جمع -
 دوائر وهي العواقب المذمومة .

وقال الفراء والزجاج : كانوا يتربصون بهم الموت والقتل وإنما خص رفع النعمة
 بالدوائر دون رفع النعمة ، لأن النعمة اغلب وأعم لأن كل واحد لا يخلوا من نعم
 الله وليس كذلك النعمة ، لأنها خاصة . والنعمة عامة . وقد قيل : دارت لهم الدنيا
 بخلاف دارت عليهم . ثم قال تعالى : « عليهم دائرة السوء » يعني على هؤلاء المنافقين
 دائرة العذاب والبلاء - في قراءة من قرأ بالضم - وقوله : « والله سميع عليم » معناه

(١) سورة مريم آية ٢٨ . (٢) سورة الفتح آية ١٢ .

(٣) سورة الطور آية ٤٠ وسورة القلم آية ٤٦ .

(٤) سورة الفرقان آية ٦٥ .

هاهنا ان يسمع ما يقوله هؤلاء المنافقون ويعلم بواطن امورهم . ولا يخفى عليه شيء من حالهم وحال غيرهم .

قوله تعالى :

﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سِوَى ذَلِكَ لَمَّا قَبْلَهُ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٩٩) آية بلاخلاف .

قرأ ورش واسماعيل « قربة » بضم الراء ، اتبع الضمة التي قبلها . وقال ابو علي : لا يجوز أن يكون اتباعاً لما قبله لأن ذلك إنما يجوز في الوقف آخر الكلام ، وإنما الضمة فيها الأصل ، وإنما خفت في قولهم : رسل وطنب ، فقالوا : رسل وطنب . فادا جمع فلا يجوز فيه غير ضم الراء ، لأن الحركة الأصلية لا بد من ردها في الجمع . لما ذكر الله تعالى ان من جملة الأعراب من يتخذ اتفاهه في سبيل الله مفرماً ذكر ان من جملتهم ايضاً « من يؤمن بالله » اي يصدق به وباليوم الآخر يعني يوم القيامة ، وأنه يتخذ ما ينفقه في سبيل الله قربات عند الله . قال الزجاج : يجوز في قربات ثلاثة اوجه - ضم الراء واسكانها وفتحها - وما قرىء الا بالضم ، والقربة هي طلب الثواب والكرامة من الله تعالى بحسن الطاعة وهي تدني من رحمة الله ، والتقدير انه يتخذ نفقته وصلوات الرسول أي دعاءه له قربة الى الله .

وقال ابن عباس والحسن : معنى وصلوات الرسول استغفاره لهم ، وقال قتادة : معناه دعاؤه بالخير والبركة قال الأعمش :

تقول بنتي وقد قربت مرتحلاً يارب جنب ابني الأوصاب وانوجما

عليك مثل الذي صليت فأغتمضي نوماً فإن لجنب المرء مضطجماً (١)
ثم قال : « إلا انها قرينة » يعني صلوات الرسول « قرينة لهم » اي تقربهم الى
نواب الله . ويحتمل ان يكون المراد ان نفقتهم قرينة الى الله .
وقوله : « سيدخلهم الله في رحمته » وعد منه لهم بأن يرحمهم ويدخلهم فيها
وفيه مبالغة فإن الرحمة وسعتهم وغمرتهم ولو قال فيهم رحمة الله لأفاد انهم اتبعوا الرحمة
من الله تعالى .
وقوله : « ان الله غفور رحيم » معناه انه يستر كثيراً على العصاة ذنوبهم ولا
يفضحهم بها لرحمته بخلقه « وغفور رحيم » جميعاً من الفاظ المبالغة فيما وصف به نفسه
من المغفرة والرحمة .

قوله تعالى :

﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ
اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾
(١٠٠) آية بلا خلاف .

قرأ ابن كثير وحده « جنات تجري من تحتها » باثبات (من) وكذلك
هو في مصاحف اهل مكة . الباقون بحذف (من) ونصبوا تحتها على الظرف .
وقرأ يعقوب « والآنصار والذين » بضم الراء . الباقون بجرها .
من رفع عطف على قوله : « والسابقون الأولون » رفع على الابتداء والخبر
قوله : « رضى الله عنهم » .

(١) ديوانه ٧٢٠ القصيدة ١٣ وقد مر البيت الثاني في ١ : ١٩٣ .

ومن جر عطفه على المهاجرين كما أنه قال: من المهاجرين ومن الانصار .
ومن اثبت (من) فلان في القرآن مواضع لا تخصي « جنات تجري من تحتها »
ومن اسقطها تبع مصحف غير اهل مكة . والمعنى واحد .

اخبر الله تعالى ان الذين سبقوا اولاً الى الايمان بالله ورسوله والاقرار بها
من الذين هاجروا من مكة الى المدينة والى الحبشة ومن الانصار الذين سبقوا اولاً
غيرهم الى الاسلام من نظرائهم من اهل المدينة والذين تبعوا هؤلاء بأفعال الخير
والدخول في الاسلام بعدهم وسلوكهم منهاجهم .

وقال القراء: يدخل في ذلك من يجيء بعدهم الى يوم القيامة وقال الزجاج: مثله .
ثم اخبر ان الله رضي عنهم ورضي افعالهم ورضوا هم ايضاً عن الله لما اجزل لهم
من الثواب على طاعتهم وايمانهم به وبنبيه .

والسبق كون الشيء قبل غيره . ومنه قيل في الخيل السابق ، والمصلي هو الذي
يجيء في اثر السابق يتبع صلاه وانما كان السابق الى الخير افضل لانه داع اليه بسبقه
والثاني تابع فهو امام فيه ، وكذلك من سبق الى الشر كان اسوء حالاً لهذه العلة .
والاتباع طلب الثاني لحال الاول ان يكون على مثلها على ما يصح ويجوز ، ومثله
الافتداء .

والاحسان هو النفع الواصل الى الغير مع تعربه من وجوه القبح . فأما قولهم
احسن فمن فعله فقد يكون بفعل النفع وبفعل الضرر ، لأنه تعالى اذا فعل في الآخرة
العقاب يقال انه احسن لـكن لا يقال: احسن اليه .

وقوله: « واعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار » اخبار منه تعالى انه
مع رضاه عنهم ورضاهم عنه أعد لهم الجنات يعني البساتين التي تجري تحت اشجارها
الأنهار ، وقيل: ان انهارها اخايد في الأرض فلذلك قال: تحتها « خايدن فيها ابداء »
اي يبقون فيها ببقاء الله لا يفنون ، منعمين .

وقوله : « ذلك الفوز العظيم » معناه ان ذلك النعيم الذي ذكره هو الفلاح العظيم الذي تصفر في جنبه كل نعمة .

واختلفوا فيمن نزلت فيه هـ . هذه الآية ، فقال ابو موسى وسعيد بن المسيب وابن سيرين وقتادة : نزلت فيمن صلى القبلتين ، وقال الشعبي : نزلت فيمن بايع بيعة الرضوان وهي بيعة الحديبية ، وقال : من اسلم بعد ذلك وهاجر فليس من المهاجرين الأولين .

وقال ابو علي الجبائي : نزلت في الذين اسلموا قبل الهجرة .
وروي أن عمر قرأ والأنصار بالرفع الذين اتبعوهم باسقاط الواو ، فقال ابي :
والذين اتبعوهم بأمر المؤمنين فرجعوا الى قوله .

قوله تعالى :

﴿ وَمَنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمَنْ أَهْلُ الْمَدِينَةِ
مُردُّوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ
يَمْ يَرُدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ (١٠١) آية بلا خلاف .

معنى قوله : « ومن حولكم » من جملة من حولكم يعني حول مدينتكم . وحول الشيء المحيط به ، وهو مأخوذ من حال يحول إذا دار بالانقلاب . ومنه المحالة لأنها تدور في المحول . وقوله : « من الأعراب » والأعراب هم الذين يسكنون البادية إذا كانوا مطبوعين على العربية وليس واحدهم عرباً ، لأن العرب قد يكونوا حاضرة والأعراب بادية .

وقوله : « منافقون » معناه من يظهر الإيمان ويبطن الكفر « ومن أهل المدينة » ايضاً منافقون وانما حذف لدلالة الأول عليه « مردوا على النفاق » يقال :

مرد على الشيء . يرد مروداً فهو مرد ومريد إذا عتا وطمى وأعيا خبتاً ومنه (شيطان
مرد ، ومريد) .

وقال ابن زيد : معناه أقاموا عليه لم يتوبوا كما تاب غيرهم .

وقال ابن إسحاق : معناه لجوا فيه وابوا غيره . وقال الفراء : معناه سرنوا
عليه ونجروا عليه . وقال الزجاج : فيه تقديم وتأخير والتقدير ومن حولكم من
الأعراب منافقون مردوا على النفاق ومن أهل المدينة أيضاً مثل ذلك .

وأصل المرود الملاسة . ومنه قوله : « صرح بمرد من قوارير » (١) ، أي
بمأس ومنه الأُمرد الذي لا شعر على وجهه ، والمرودة والمرداء الرملة التي لا تذب
شيئاً والخمراد بيت صغير يتخذ للحمام بمأس بالطين ، والمرداء الصخرة الملساء .

« لا تعلمهم » معناه لا تعرفهم يا محمد « نحن نعلمهم » أي نعرفهم .

وقوله : « سنعذبهم مرتين » قيل في معناه أقوال :

أحدها - قال الحسن وقتادة والجبائي : يعني في الدنيا وفي القبر . وقال
ابن عباس : نعذبهم في الدنيا بالفصيحة لأن النبي (ص) ذكر رجالاً منهم وأخرجهم
من المسجد يوم الجمعة في خطبته قال : أخرجوا فإنكم منافقون ، والآخرى في القبر .
وقال مجاهد : يعني في الدنيا بالقتل والسبي والجوع . وفي رواية أخرى عن
ابن عباس أن أحدها إقامة الحدود عليهم والآخرى عذاب القبر . وقال الحسن :
أحدها - أخذ الزكاة منهم والآخرى عذاب القبر وقال ابن إسحاق : أحدها - غيظهم
من أهل الإسلام والآخرى عذاب القبر . كل ذلك محتمل غير أننا نعلم أن المرتين معاً
قبل أن يردوا إلى عذاب النار يوم القيامة .

وقوله : « ثم يردون إلى عذاب عظيم » معناه ثم يرجعون يوم القيامة إلى
عذاب عظيم مؤبد في النار . وروي أن الآية نزلت في عيينة بن حصين وأصحابه .

قوله تعالى :

﴿ وَأَخْرُونََ إِعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٠٢) آية بلا خلاف .

روى عن ابن عباس انه قال : نزلت هذه الآية في عشرة اقص تخلفوا عن غزوة تبوك فيهم ابو لبابة فربط سبعة منهم انفسهم الى سوارى المسجد الى ان قبلت نوبتهم . وقيل كانوا سبعة منهم ابو لبابة .

وقال ابو جعفر «ع» : نزلت في ابي لبابة ولم يذكر غيره ، وكان سبب نزولها فيه ما جرى منه في غزاة بني فريظة ، وبه قال مجاهد . وقال الزهري : نزلت في ابي لبابة خاصة حين تأخر عن تبوك . واكثر المفسرين ذكروا ان ابا لبابة كان من جملة المتأخرين عن تبوك .

وروي عن ابن عباس انها نزلت في قوم من الأعراب . وقيل نزلت في خمسة عشر نفساً ممن تأخر عن تبوك .

هذه الآية عطف على قوله : « ومن اهل المدينة » اي ومنهم « آخرون اعترفوا بذنوبهم » اي اقرؤا بها مع معرفتهم بها فان الاعتراف هو الاقرار بالشيء عن معرفة والاقرار مشتق من قر الشيء . إذا ثبت . والاعتراف من المعرفة .

وقوله : « خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً » معناه انهم يفعلون افعالاً جميلةً ويفعلون افعالاً سيئةً قبيحة ، فيجتمعان وذلك يدل على بطلان القول بالاجباط ، لأنه لو كان صحيحاً لكان احدهما إذا طرى . على الآخر ابطأه فلا يجتمعان فكيف يكون خلطاً .

وقوله : « عسى الله ان يتوب عليهم » قال الحسن وكثير من المفسرين : إن (عسى) من الله واجبة . وقال قوم : انما قال : (عسى) حتى يكونوا على طمع واشفاق فيكون ذلك ابعث من الانكسار على العفو واهمال التوبة ، والتقدير في قوله : « خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا » اي بأخر سيء . ومثله قولك : خلطت الماء واللبن اي باللبن . وقد يستعمل ذلك في الجمع من غير امتزاج كقولهم : خلطت الدراهم والدنانير . وقال قوم : هو يجري مجرى قولهم : استوى الماء والخشب اي مع الخشب . وقال اهل اللغة : خلط في الخير مخففاً وخلط في الشر مشدداً .
وقوله : « ان الله غفور رحيم » تعليل لقبول التوبة من العصاة لأنه غفور رحيم .

قوله تعالى :

﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكّيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم ﴾ (١٠٣) آية بلا خلاف .
قرأ اهل الكوفة الا ابا بكر « ان صلاتك » على التوحيد ونصب التاء .
الباقون على الجمع وكسر التاء ، لأنه جمع السلامة .

فمن قرأ على التوحيد فلا نه مصدر يقع على القليل والكثير ، فلا يحتاج الى جمعه . ومثله « لصوت الحمير » (١) ومما ورد في القرآن بلفظ التوحيد والمراد به الجمع قوله : « وما كان صلاتهم عند البيت الامكاه » (٢) وقوله : « اقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » (٣) ومن جمع فلاختلاف الصلاة ، كما ان قوله : « ان انكر

(١) سورة لقمان آية ١٩ . (٢) سورة الانفال آية ٣٥ .

(٣) سورة النساء آية ٧٦ وسورة الحج آية ٧٨ وسورة النور آية ٥٦ والمجادلة

آية ١٣ والمزمل آية ٢٠ .

الأصوات ، (١) جمع في اختلاف ضروبه ،

والصلاة في اللغة الدعاء قال الأعشى في الحجر :

وقابلها الريح في دنها وصلى على دنها وارتمس (٢)

ومعنى « صلّ عليهم » ادع لهم « فان دعائك سكن لهم » بمعنى تسكن اليه نفوسهم وتطيب به ، ولفظ التوحيد هاهنا احسن لأن المراد دعاء النبي (ص) لهم لا اداء الصلوات ، والجمع على ضروب دعائه . وقولهم : صلى الله على رسول الله وعلى ملائكته ولا يقال انه دعاء لهم من الله كما لا يقال في نحو (ويل للمكذبين) أنه دعاء عليهم لكن المعنى أن هؤلاء ممن يستحق عندهم أن يقال فيهم هذا اللغو من الكلام . ومثله قوله : « بل عجبت ويسخرون » (٣) فيمن ضم التاء هذا مذهب سيديويه ، وذكر الفراء وغيره أن هؤلاء الذين تابوا وأقلموا قالوا للرسول : خذ من اموالنا ما تريد فقال رسول الله : لا افعل حتى يؤذن لي فيه ، فأنزل الله « خذ من اموالهم صدقة » فأخذ منهم بمضاً وترك الباقي . وروى ذلك عن ابن عباس وزيد بن اسلم وسعيد بن جبيرة وقتادة والضحاك وهي في ابي لبابة وجد بن قيس وأوس وحذام .

وقوله : « خذ من اموالهم صدقة » امر من الله تعالى أن يأخذ من المالكين النصاب الزكاة، الورق إذا بلغ مئتين والذهب إذا بلغ عشرين مثقالا ، والابل إذا بلغت خمسا . والبقر إذا بلغت ثلاثين والغنم إذا بلغت اربعين . والغلات اذا بلغت خمسة أوسق .

وقوله : « خذ من اموالهم » يدل على ان الأخذ من اختلاف الأموال ، لأنه

جمعه . ولو قال : خذ من مالهم أفاد وجوب الأخذ من جنس واحد متفق . و (من)

(١) سورة لقمان آية ١٩ .

(٢) ديوانه : ٢٩ القصيدة ٤ وقد سلف في ١ : ٥٦ ، ١٩٣ .

(٣) سورة ص آية ١٢ .

دخلت للتبويض ، فكأنه قال : خذ بعض مختلف الأموال .
 وظاهر الآية لا يدل على انه يجب أن يأخذ من كل صنف لأنه لو اخذ من
 صنف واحد لكان قد اخذ بعض الأموال وإنما يعلم ذلك بدليل آخر . والصدقة
 عطية ماله قيمة للفقر والحاجة . والبر عطية لاجتلاب المودة . ومثله الصلة .
 وقوله : « تطهرهم وتزكيتهم بها » إنما ارتفع تطهرهم لأحد امرين :
 احدها - ان تكون صفة للصدقة وتكون التاء للتأنيث . وقوله : « بها » تبين
 له والتقدير صدقة مطهرة .

والثاني - ان تكون التاء خطاباً للنبي (ص) والتقدير فانك تطهرهم بها وهو
 صفة للصدقة ايضاً الا انه اجتزأ بذكر (بها) في الثاني عن الأول .
 وقيل : انه يجوز ان يكون على الاستئناف وحمله على الاتصال أولى ، ولا
 يجوز ان يكون جوباً للأمر لأنه لو كان كذلك لكان مجزوماً .
 وقوله : « وتزكيتهم » تقديره وأنت تزكيتهم على الاستئناف .
 وقيل في هذه الصدقة قولان :
 احدها - قال الحسن : انها هي كفارة الذنوب التي اصابوها ، وقال ابو علي :
 هي الزكاة الواجبة .

وأصل التطهير ازالة النجس ، والمراد هاهنا ازالة النجس الذنوب بما يكفرها
 من الطاعة .

وقوله : « وصل عليهم » امر من الله تعالى للنبي ان يدعو لمن يأخذ منه الصدقة .
 وقال الجبائي : يجب ذلك على كل ساع يجمع الزكوات ان يدعو لصاحبها بالخير
 والبركة ، كما فعل رسول الله (ص) .

وقوله : « والله سميع عليم » معناه انه تعالى يسمع دعاءك لهم بنياتهم في الصدقة
 التي يخرجونها .

قوله تعالى :

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ
الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (١٠٤) آية بلا خلاف .

الألف في قوله : « ألم يعلموا » الف استفهام والمراد بها التنبيه على ما يجب ان يعلم المخاطب اذا رجع الى نفسه وفكر فيما نبه عليه علم وجوباً . وإنما وجب أن يعلم ان الله يقبل التوبة ، لأنه اذا علم ذلك كان ذلك داعياً له الى فعل التوبة والتمسك بها والمسارعة اليها ، وما هذه صورته وجب عليه ان يعلمه ليتخلص به من العقاب ويحصل له الثواب . وسبب ذلك انهم لما سألوا النبي (ص) ان يأخذ من مالهم ما يكون كفارة لذنوبهم فامتنع النبي من ذلك وقال : حتى يؤذن لي فيه فبين الله تعالى انه ليس الى النبي قبول توبتكم وان ذلك الى الله تعالى دونه ، فإنه الذي يقبل التوبة ويقبل الصدقات . وفعل التوبة يستحق به الثواب لأنها طاعة فأما اسقاط عقاب المعاصي المتقدمة عندها فالمعقل لا يوجب ذلك . وإنما علم ذلك سماً لأن السم قطع العذر بأن الله يسقط العقاب عند التوبة الصحيحة . وقد بينا في غير موضع فيما تقدم ان التوبة التي يسقط العقاب عندها قطعاً هي الندم على القبيح والعزم على ان لا يعود الى مثله في القبيح ، لأن الامة بجمعة على سقوط العقاب عند هذه التوبة وفيما خالف هذه التوبة خلاف .

وقوله : « يأخذ الصدقات » معناه انه يأخذها بتضمن الجزاء عليها كما تؤخذ الهدية كذلك . وقال ابو علي الجبائي : جعل الله اخذ النبي (ص) والمؤمنين للصدقة أخذاً من الله على وجه التشبيه والمجاز من حيث كان بأمره . وقد روي عن النبي (ص) ان الصدقة قد تقم في يد الله قبل ان تصل الى يد السائل والمراد بذلك انها تنزل هذا التنزيل ترغيباً للعباد في فعلها وذلك يرجع الى تضمن الجزاء عليها .

وقوله : « وان الله هو التواب الرحيم » عطف على قوله : « الم يعملوا » ولذلك فتح (أن) لأنها مفعول بها . والتوآب في صفة الله معناه انه يقبل التوبة كثيراً وفي صفة العبد يفيد انه يسهل التوبة كثيراً . وقيل في معنى « تاب الله عليكم » (١) صفح عنكم ولم يكونوا اذنبوا فیتوبوا ليتوب الله عليهم وكذلك قوله : « علم الله انكم كنتم تخفون انفسكم فتاب عليكم » (٢) بمعنى صفح لانهم لم يتوبوا .

قوله تعالى :

﴿ وَقُلْ اَعْمَلُوا فَيَسِيرَ اللهُ عَمَلِكُمْ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسُتْرَدُونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (١٠٥) آية بلا خلاف .

هذا امر من الله تعالى لنبيه (ص) ان يقول للمكافين : « اعملوا » ما امركم الله به من الطاعة واجتنبوا معاصيه فان الله « سيرى عملكم ورسوله والمؤمنون » وفي ذلك ضرب من التهديد ، كما قال مجاهد ، والمراد بالرؤية هاهنا العلم الذي هو المعرفة ولذلك عداه الى مفعول واحد ، ولو كان بمعنى العلم الذي ليس بمعرفة لتعدى الى مفعولين ، وليس لأحد ان يقول : ان اعمال العباد من الحركات يصح رؤيتها لمكان هذه الآية ، لأنه لو كان المراد بها العلم لعداه الى الجملة وذلك أن العلم الذي يتعدى الى مفعولين ما كان بمعنى الظن ، وذلك لا يجوز على الله ، وانما يجوز عليه ما كان بمعنى المعرفة . وروي في الخبر أن أعمال العباد تعرض على النبي (ص) في كل اثنين وخميس فيعلمها . وكذلك تعرض على الأئمة (ع) فيمرفونها ، وهم المعنيون

بقوله : « والؤمنون » ، وإنما قال : « فديرى الله » على وجه الاستقبال ، وهو عالم بالأشياء قبل وجودها ، لأن المراد بذلك انه سيعلمها موجودة بعد أن علمها معدومة وكونه عالماً بأنها ستوجد من كونه عالماً بوجودها إذا وجدت لا يجدد حاله بذلك .
وقوله : « وستردون الى عالم الغيب والشهادة » معناه سترجعون الى الله الذي يعلم السر والعلاية « فنبئكم » بما كنتم تعملون ، وبجازيكم عليه .

قوله تعالى :

﴿ وَأَخْرَجَ مَرْجُونَ لَأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (١٠٦) آية بلا خلاف .

قرأ أهل المدينة عن أبي بكر « مرجون » بغير همزة . الباقر بالهمزة . والوجه فيها انها لغتان ... ويقال : أرجأت وأرجيت بمعنى واحد .
وهذه الآية عطف على قوله : « ومن أهل المدينة مردوا على النفاق ... وآخرون اعترفوا بذنوبهم .. وآخرون مرجون لأمر الله » والارجاء تأخير الأمر الى وقت يقال : أرجأت الأمر أرجاء وأرجيته بالهمزة وترك الهمزة لغتان .

وقوله : « إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ » فلفظة (إِمَّا) لوقوع احد الشيتين والله اعلم بما يصير اليه امرهم إلا ان هذا للعباد ، خوطبوا بما يعلمون . والمعنى وليكن امرهم عندكم على هذا اي على الخوف والرجاء . والآية تدل على صحة قولنا في جواز النفي عن العصاة ، لأنه تعالى بين ان قوماً من هؤلاء العصاة امرهم مرجأ الى الله ان شاء عذبهم وان شاء قبل توبتهم فعفا عنهم ، فلو كان سقوط العقاب عند التوبة واجباً لما جاز تعليق ذلك بالمشيئة على وجه التخيير لأنهم ان تابوا وجب قبول توبتهم عند الخضم واسقاط العقاب عنهم ، وان اصرّوا ولم يتوبوا فلا يعنى عنهم ، فلا معنى للتخيير على قولهم ، وإنما يصح ذلك على ما نقوله : من أن مع حصول التوبة يحسن

المؤاخذة فان عفا بفضله وان عاقب فبعدله .

وقوله : «وإما يتوب عليهم» معناه واما يقبل توبتهم . وقوله : «والله عليم حكيم» معناه عالم بما يؤل اليه حالهم «حكيم» فيما يفعله بهم .
والفرق بين الآخر والآخر ان الآخر يفيد انه بعد الأول والآخر مقابل لاحد في تفصيل ذكر اثنين احدهما كذا والآخر كذا .

وقال مجاهد وقتادة : الآية نزلت في هلال بن امية الرامي وفزارة بن ربيعي وكعب بن مالك من الأوس والخزرج ، وكان كعب بن مالك رجل صدق غير مطعون عليه ، وانما تخلف توابياً عن الاستعداد حتى فاته المسير وانصرف رسول الله ولم يتعذر اليه بالكذب . وقال : والله مالي من عذر ، فقال (ص) : صدقت فقم حتى يقضي الله فيك وجاء الرجلان الآخران فقالا مثل ذلك وصدقا ، فنهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن كلامهم بعد ما عذر المنافقين وجميع المتخلفين ، وكانوا نيفاً وثمانين رجلاً فأقام هؤلاء الثلاثة على ذلك خمسين ليلة حتى هجرهم ولدانهم ونساؤهم طاعة لرسول الله (ص) بأمره . وبني كعب خيمة على سلم يكورن فيها وحده . وقال في ذلك :

أبعد دور بني القين الكرام وما شادوا على بيت البيت من سمف (١)
ثم نزلت التوبة عليهم في الليل فأصبح المسلمون يبتدرونهم يدشرونهم ، قال كعب : فجئت الى رسول الله في المسجد وكان اذا سر يستبشر كأن وجهه فلقمة قر فمال لي ووجهه يبرق من السرور : ابشر بخير يوم طلع عليك شرفه منذ ولدتك امك قال كعب ، فقلت له : أمن عند الله او من عندك يا رسول الله ؟ قال فقال : من عند الله . وصدق كعب بثلاث ماله شكراً لله على توبته .

(١) مجمع البيان (صيدا) ٣ : ٦٩ .

قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ
 الْمُؤْمِنِينَ وَارِصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ
 إِنْ أُرِدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (١٠٧) آية
 بلا خلاف .

قرأ ابن عامر وأهل المدينة « الذين اتخذوا » باسقاط الواو . الباقون
 بانيات الواو .

فن أثبت الواو ، عطفه على ما تقدم من الآيات وتقديره : ومنهم الذين
 اتخذوا مسجداً ضراراً ومن حذفها ابتداءً الكلام وحذف الخبر أطول الكلام ، قال
 الزهري وبزيد بن رومان وعبد الله بن أبي بكر ، وعاصم بن عمر بن قتادة .
 نزلت هذه الآية في اثني عشر رجلاً من المنافقين قال الفراء : كانوا من بني عمرو
 ابن عوف من الأنصار . وقال غيره : كانوا من بني غيم ابن عوف من الأنصار
 الذين بنوا مسجد الضرار وقيل انهم كانوا خمسة عشر رجلاً منهم عبد الله بن نفيل
 في قول الواقدي - وقال ابن اسحاق : هو نفيل بن الحارث ولم يذكر عبد الله ،
 وهذا المختلف في اسمه هو الذي كان ينقل حديث النبي الى المنافقين فأعلم الله نبيه
 ذلك . وأخبر الله عنهم انهم بنوا المسجد الذي بنوه ضراراً اي مضارة . ونصب على
 انه مفعول له اي بنوه للمضارة .

والضرار هو طلب الضرّ ومحاولته كما ان الشقاق محاولة ما يشق تقول : ضاره
 مضارة وضراراً .

والآية تدل على ان الفعل يقع بالارادة على وجه التبعيض دون الحسن او الحسن

دون القبيح ، لأنهم لو بنوا المسجد للصلاة فيه لكان حسناً لكان لما قصدوا المضارة كان ذلك قبيحاً ومعصية .

وقوله : « وتفريقاً بين المؤمنين » اي بنوه للمضارة والكفر والتفريق بين المؤمنين . وانما يكون تفريقاً بين المؤمنين بأن يتحزبوا فحزب يصلي فيه وحزب يصلي في غيره لتختلف الكلمة وتبطل الالفة . واتخذوه ايضاً ليكفروا فيه بالطعن على النبي (ص) والاسلام والمسلمين .

وقوله : « وارصاداً لمن حارب الله ورسوله » معناه اتخذوه له ليكون متى اراد الاجتماع معهم حضره وأنس به ، وهو رجل يقال له ابو عامر الراهب لحق بقبيح بر فتنصر وبعث اليهم سائئلكم بجنس فخرج به محمد آ وأصحابه فبنوه يترقبونه ، وهو الذي حارب الأحزاب وحارب مع المشركين ، فلما فتحت مكة هرب الى الطائف ، فلما اسلم اهل الطائف لحق بالشام وخرج الى الروم وتنصر ، وابنه عبد الله قتل يوم احد وهو قتيل الملائكة ذهب اليه اكثر المفسرين كابن عباس ومجاهد وقتادة .

وأصل الارصاد الارتقاب تقول : رصدته يرصده رصداً وأرصد له ورصده مرصدة وترصد ترصداً وارصدته إرتصاداً .

وقوله : « وليحلفن ان اردنا إلا الحسنى » معناه ان هؤلاء يحلفون على انهم ما أرادوا ببناء هذا المسجد إلا الحسنى يعني إلا القملة الحسنى ، فقال الله تعالى تكذيباً لهم : « والله يشهد انهم لكاذبون » وكفى بمن يشهد الله بكذبه خزيماً . ووجه رسول الله (ص) قبل قدومه من تبوك عاصم بن عون العجلاني ومالك بن الدخيم وكان مالك من بني عوف ، وقال لهما : (انطلقا الى هذا المسجد الظالم اهله فأهدماه ثم حرّاه) فخرجا يشددان سرّيمين على اقدامها ففعلا ما امرها به فثبت قوم من جملتهم زيد بن حارثة بن عامر حتى احترقت البتة .

قوله تعالى :

﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا الْمَسْجِدُ الَّذِي تَقُومُ فِيهِ مِنَ الْأَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴾ (١٠٨) آية بلا خلاف .

نهى الله نبيه - وعنى معه جميع المؤمنين - أن يقوموا في المسجد الذي بنى ضراراً « ابدأ » أو يصلوا فيه . وأقسم أن المسجد الذي « اسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه » وقيل في المسجد الذي اسس على التقوى قولان :

أحدهما - قال ابن عباس والحسن وعطية أنه مسجد قباء .

وقال ابن عمرو وابن المسيب : هو مسجد المدينة .

وقال عمر بن شبة : المسجد الذي اسس على التقوى مسجد رسول الله (ص) والذي اسس على تقوى ورضوان مسجد قباء كذلك فصل بينها . ورواه عن أشياخه .

والتقوى خصلة من الطاعة يجتريز بها من العقوبة ، والمتقى صفة مدح لا تطلق إلا على مستحق الثواب . وواو (تقوى) ابدلت من الياء ، لأنه من تقيت وإنما ابدلت للفرق بين الاسم والصفة في الابنية ومثله شروى من شريت ، فأما الصفة فنحو خزيباً . ولو قيل كيف يبنى فعلى من قصيت ؟ قلت : قصوى في الاسم وقصي في الصفة .

وقوله : « من أول يوم » معناه أول الأيام إذا ميزت يوماً يوماً ، لأن الفعل بعض ما اضيف اليه . ومثله اعطيت كل رجل في الدار اي كل الرجال إذا ميزوا رجالاً رجالاً . والفرق بين من أول يوم ومنذ أول يوم ان منذ إذا كانت حرفاً فهي الوقت

الخاص كقولك منذ اليوم ومنذ الشهر ، ومنذ السنة وليس كذلك (من) واذا كانت اسما وقع على ما بعدها على تقدير كلامين و (من) على النهاية لأنها نقيض (الى) قال زهير :

لمن الديار بقنة الحجر اقوين من حجج ومن شهر (١)
وقوله : « احق ان تقوم فيه » مع ان القيام في الآخر قبيح منه عنده ، وانما قال ذلك على وجه المظاهرة بالحجة بأنه لو كان من الحق الذي يجوز لكان هذا احق . ويجوز على هذا ان تقول : عمل الواجب اصلح من تركه . وقيل : المراد به القيام فيه حق ظاهراً وباطناً اذا كانت الصلاة في المساجد على ظاهرها حق .

وقوله : « فيه رجال » والأول ظرف للقيام . والثاني ظرف لكون الرجال .
وقوله : « يحبون ان يتطهروا » قال الحسن : معناه يريدون ان يتطهروا من الذنوب . وقيل : يتطهرون بالماء عن الغائط والبول ، وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) ثم قال : « والله يحب المطهرين » اي يريد منافع المتطهرين من الذنوب وكذلك المتطهرين من النجاسة بالماء . وروي عن النبي (ص) انه قال لأهل قباء : (ماذا تعملون في طهركم فان الله احسن عليكم الثناء) قالوا : نفضل اثر الغائط ، فقال : (انزل الله فيكم والله يحب المطهرين) .

وقيل : ان سبب نزول هذه الآية ان اهل مسجد ضرار جاءوا اليه ، فقالوا يا رسول الله بديننا مسجداً للضعيف في وقت المطر نسألك ان تصلي فيه وكان متوجهاً الى تبوك فوعدهم ان يفعل اذا عاد فنهاه الله عن ذلك .

وقوله : « والذين اتخذوا مسجداً » مبتدأ وخبره في قوله : « لا تقم فيه ابداً » كما تقول : والذي يدعوك الى النفي فلا تسمع دعاه . والنقد في الآية لا تقم في مسجدهم ابداً واسقط ذلك اختصاراً .

قوله تعالى :

﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ أَمْ
مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانَهَا رَبَّهُ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١٠٩) آية بلا خلاف .

قرأ نافع وابن عباس «اسس بنيانه» بضم الهمزة وكسر السين ورفع النون من بنيانه
في الموضوعين جميعاً . الباقون بفتح الهمزة ونصب النون من بنيانه .
وقرأ ابن عامر إلا الداخوني عن هشام وحزمة وخلف وأبو بكر إلا الأعشى
والبرجي «جرف» بسكون الراء . الباقون بضمها .

وقرأ أبو عمرو والكسائي والداخوني عن أبي ذكوان وهبة الله عن حفص من
طريق النهرواني والدوري عن سليم من طريق ابن فرج وأبو بكر إلا الأعشى والبرجي
«هار» بالامالة . وافقهم على الوقف علي بن مسلم وابن غالب ومحمد في الوقف من
طريق السوسي من طريق ابن جيش .

قال أبو علي الفارسي : البنيان مصدر وهو جمع كشعير وشعيرة لأنهم قالوا في
الواحد بنيان قال أوس

كبنيانه القرى موضع رحلها وأتار نسعتها من الدف ابلق (١)

وجاء بناء المصادر على هذا المثال في غير هذا الحرف نحو : الغفران . وليس
بنيان جمع بناء ، لأن فملاناً إذا كان جمعاً نحو كشيان وقضبان لم تلحقه تاء التأنيث ،
وقد يكون ذلك في المصادر ، نحو : اكل وأكلة وضرب وضربة من ذلك . وقال
أبو زيد يقال : بنيت ابني بنياناً وبناءً وبنية وجمعها البنى وأنشد :

(١) بجمع البيان ٣ : ٧١ (صيدا) .

بني السماء فحوها ببنيتهما ولم تمد باطناب ولا عمد (١)

فالبناء والبنية مصدران ومن ثم قول به الفراش في قوله : « الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً » (٢) فالبناء لما كان رفعاً للمعني قول به الفراش الذي هو خلاف البناء . ومن ثم وقع على ما كان فيه ارتفاع في نصبته وان لم يكن مبنيّاً فأما من فتح الهمزة وبني الفعل للفاعل، فلأنه الباني والمؤسس فأسند الفعل اليه وبناء له كما اضاف البنيات اليه في قوله : « بنيانه » فكما ان المصدر مضاف الى الفاعل كذلك يكون الفعل مبنيّاً له . ومن بني الفعل للمفعول لم يعمد ان يكون في المعنى كالأول ، لأنه إذا أسس بنيانه فتولى ذلك غيره بأمره كان كبنائه هو له . والأول اقوى لما قلناه .

وقال ابو علي : و (الجرف) - بضم العين - هو الأصل ، والاسكان تخفيف ومثله الشغل والشغل . ومثله الطنب والطنب . والعنق والعنق ، يجوز في جميعه التنقيط والتخفيف . وكلاهما حسن .

وقال ابو عبيدة : « على شفا جرف هار ، مثل ، قال : لأن ما يبني على التقوى فهو اثبت اساساً من بناء يبني على شفا جرف . ويجوز ان تكون المعادلة وقعت بين البنائين ، ويجوز ان تكون بين البناءين ، فإذا عادت بين البنائين كان المعنى المؤسس بنيانه متقناً خير ام المؤسس بنيانه غير متقن ، لأن قوله : « على شفا جرف » يدل على ان بانيه غير متقن لله . ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف كأنه قال : ابنا من اسس بنيانه على تقوى خير ام بناء من اسس على شفا جرف . والبيان مصدر يراد به المبني ، كما ان المخلق يراد به المخلوق إذا اردت ذلك ، وضرب الامير إذا اردت به المضروب . وكذلك نسج العنبر يراد به المنسوج ، فانما قلنا ذلك لأنه لا يجوز ان

(١) بجمع البيان ٧١:٣ وقد مر في ١ : ١٠٠ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٢ .

يراد به الحدث ، لأنه إنما يؤسس المبنى الذي هو عين ، يبين ذلك قوله : « على شفا جرف » والحدث لا يكون على شفا جرف . والجار في قوله : « على » تفوي ، وفي قوله : « على شفا جرف » في موضع نصب ، والتقدير ائمن اسس بنيانه متقياً خيراً ام من اسس بنيانه معاقباً على بنيانه ، وفاعل (انهار) البنيان ، وتقديره انهار البنيان بالباني في نار جهنم ، لأنه معصية وفعل لما كرهه الله من الضرار والكفر والتفريق بين المؤمنين .

ومن امال « هار » فقد احسن لما في الراء من التكرير فكانك لفظت براءين مكسورتين وبحسب كثرة الكسرات تحسن الامالة .

ومن لم يعمل فلان كثيراً من العرب لا يميلون هذه الالفات . وترك الامالة هو الأصل . وأما الف « هار » فمقلبة عن الواو ، لأنهم قالوا : نهور البناء إذا تماقظ وتداعى . والانهار والانهيال متقاربان في المعنى . والالف في قوله : « ائمن » الف استفهام يراد بها هاهنا الانكار ومعنى « خير » في الآية افضل . وليس فيه اشتراك يقولون : هذا خير وهذا شر ولا يراد به افعل قال الشاعر :

والخير والشر مقرونان في قرن فالخير متبعم وللشر محذور (١)

وأما قوله لهم : وافعل الخير معناه افعلوا الأفضل . و (الشفا جرف) الشيء وشفيره وجرفه نهايته في المساحة ويثنى شفوان . والجرف جرف الوادي وهو جانبه الذي ينحفر بالماء اصله فيبقى وهياً وهو من الجرف والاجتراف وهو اقتلاع الشيء من اصله .

ومعنى (انهار) انصدع بالتهدم هار الجرف يهور هوراً فهو هائر ونهور نهوراً وانهار انهياراً . ويقال ايضاً : هار يهار . وأصلها هار هائر إلا انه قلب كما قال الشاعر :

(١) مجمع البيان ٣ ٧٣ .

لا ث به الاشاء والمعبري (١)

اي لا يث بمعنى دائر ومثله شاك في السلاح وشائك . والاشاء النخل والمعبري
السدر الذي على ساقى الأ نهار ، ومعنى لا ث اي مطيف به .

شبهه الله تعالى بنيان هؤلاء المنافقين مسجد الضرار ببناءه يبنى على شفير جهنم ،
فأنهار ذلك البناء بأهله في نار جهنم ، ووقع فيه . وروي عن جابر بن عبد الله انه
قال : رأيت المسجد الذي بني ضراراً يخرج منه الدخان وهو قول ابن جريج .

قوله تعالى :

﴿ لا يزالُ بنيانُهمُ الَّذي بنوا ريبةً في قلوبهمُ إلا أن تقطعَ
قلوبهمُ واللهُ عليمٌ حكيمٌ ﴾ (١١٠) آية بلا خلاف .

قرأ ابن عامر وحزمة وحفص وأبو جعفر ويعقوب « تقطع » بفتح التاء . الباقر
بضمها . وقرأ يعقوب وحده « الى ان » على انه حرف جر .

وقوله : « لا يزال » من اخوات كان ترفع الاسم وتنصب الخبر . وإنما عمل في
الاسم والخبر لأنه إنما يتعلق في معنى الجملة فيدل على انه يدوم إذ المعنى فيه أن يكون
الشيء على الصفة ابداً . قال ابو علي : البنيان مصدر واقم على المبنى وتقديره لا يزال
بناء المبنى الذي بنوه ريبة اي شكاً في قلوبهم فيما كان من اظهار اسلامهم وثباتاً على
النفاق الى ان تقطع قلوبهم بالموت والبلى لا يخلص لهم ايمان ولا ينزعون عن النفاق
الى ان تقطع قلوبهم بالموت والبلى .

ومن قرأ « الى ان تقطع » فإنه يريد حتى تبلى وتقطع بالبلى اي لا تنلج قلوبهم
بالايمان ابداً ولا ينزعون عن الخطيئة في بناء المسجد ولا يتوبون .
ومن ضم الياء اضاف الفعل الى المقطع المبلى للقلوب بالموت .

ومن فتحها اسند الفعل الى القلوب لما كانت هي البالية ، كما قالوا : مات زيد ومرض عمرو ، ووقع الحائط .

وفي قراءة ابي (حتى المات) .

ومعنى قوله : « الذي بنوا » مع قوله : « بنيانهم » إنما هو ليعلم ان البناء ماض دون المستقبل اذ قد تجوز الاضافة على جهة الاستقبال كقولك للغير : أقبل على عملك .

وقيل في معنى الريبة في الآية ثلاثة اقوال :

احدها - ان هذا البنيان الذي بنوه لا يزال شكاً في قلوبهم . وقيل معناه حزازة

في قلوبهم ، وقيل حسرة في قلوبهم يترددون فيها .

وقوله : « إلا ان تقطع قلوبهم » موضع « ان تقطع » نصب والتقدير الا على

تقطع قلوبهم غير ان حرف الاضافة يحذف مع (أن) ولا يحذف مع المصدر . ومعنى

(الا) هاهنا (حتى) لأنه استثناء من الزمان المستقبل ، والاستثناء منه منته اليه

فاجتمعت مع (حتى) في هذا الموضع على هذا المعنى . قال الزجاج : يحتمل ان يكون

المراد الا ان يتوبوا توبة تنقطع بها قلوبهم ندماً وأسفاً على تفریطهم .

وقوله : « والله عليم حكيم » اي عالم بنيتهم في بناء مسجد الضرار « حكيم »

في امره بنقضه والمنع من الصلاة فيه .

قوله تعالى :

﴿إِنَّ اللَّهَ إِشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمِ الْجَنَّةَ

يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمَيْتَةٌ لَّوْنٌ وَوُيَّةٌ تَلَوْنَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي

التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا

بِئْتِمَارِكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ آية
بلا خلاف .

قرأ حمزة والكسائي « فيقتلون ويقتلون » على مفعول وفاعل . الباقيون على
فاعل ومفعول . من قدم الفعل المسند الى الفاعل ، فلا نهم يقتلون اولاً في سبيل الله
ويقتلون ، ولا يقتلون اذا قتلوا ومن قدم الفعل المسند الى المفعول جاز ان يكون
اراد ذلك المعنى ايضاً لأن المعطوف بالواو يجوز ان يراد به التقديم . وان لم يقدر
ذلك كان المعنى يقتل بعضهم ويقتل من بقي منهم بعد قتل من قتل منهم ، كما أن
قوله : « ثا وهنوا لما اصابهم في سبيل الله » (١) ومعناه ما وهن من بقي منهم لقتل
من قتل من المؤمنين .

وحقيقة الاشارة لا تجوز على الله تعالى ، لأن المشتري انما يشتري ما لا يملك
والله تعالى مالك الأشياء كلها . وانما هو كقوله : « من ذا الذي يقرض الله قرضاً
حسناً » (٢) في انه اجري بحسن المعاملة والتلفظ في الدعاء الى الطاعة مجرى ما لا
يملكه المعامل فيه ولما كان الله تعالى رغب في الجهاد وقاتل الاعداء وضمن على ذلك
الثواب عبر عن ذلك بالاشتراء فجعل الثواب مئناً والطاعات مئناً على ضرب من المجاز
وكما ان في مقابلة الطاعة الثواب فكذلك في مقابلة الالم العوض غير أن الثواب مقترن
بالاجلال والاكرام والعوض خال منها . والمثاب محسن مستحق على احسانه المدح
وايس كذلك المعروض .

اخبر الله تعالى انه اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بما ضمن لهم على بذلها
من الثواب في قوله : « بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله » اعداء الله واعداء نبيه
فيقتلون اعداء الله ويقتلهم اعداء الله فيصبرون على ذلك .

(١) سورة آل عمران آية ١٤٦ . (٢) سورة البقرة آية ٢٤٥ .

ومن قدم المفعول اراد يقتل بعضهم فيقتل الباقيون اعداء الله .
 وقوله : « وعدا عليه حقاً » نصب وعدا على المصدر بما دل عليه اشترى اذ
 يدل على انه وعد . ومثله « صنم الله الذي اتقن كل شيء » (١) و« فطرة الله التي فطر
 الناس عليها » (٢) والوعد خبر بما يفعله المخبر من الخير بغيره والوعيد خبر بما يفعله المخبر
 من الشر بغيره .

وقوله : « حقاً » معناه يتبين الوعد بالحق الواجب من الوعد بما لم يكن واجباً .
 فالوعد بالثواب دل على وجوبه من وجهين :
 احدهما - من حيث انه جزاء على الطاعة .
 والثاني - انه ايجاز الوعد .

وقوله : « في التوراة والانجيل والقرآن » معناه ان هذا الوعد للمجاهدين
 مذكور في هذه الكتب . قال الزجاج : وذلك يدل على ان الجهاد كان واجباً على
 اهل كل ملة .

وقوله : « ومن اوفى بعهده من الله » معناه لا احد احق بالوفاء بالعهده من
 الله « فاستبشروا » ايها المؤمنون « ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم »
 يعني ذلك الشراء والبيع هو الفلاح العظيم الذي لا يقارنه شيء .

قوله تعالى :

﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ
 الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ
 وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٢) آية بلا خلاف .

(١) سورة النمل آية ٨٨ . (٢) سورة الروم آية ٣٠ .

قيل في ارتفاع قوله : « التائبون » ثلاثة اقوال :
احدها - انه ارتقم بالمدح والتقدير هم التائبون .
الثاني - بالابتداء وخبره محذوف بمسد قوله : « والحافظون لحـود الله »
لهم الجنة .

الثالث - على ان يكون بدلا من الضمير في « يقاتلون » اي إنما يقاتل في
سبيل الله من هذه صفة . وقيل هو كقوله : « لكن الرسول والذين آمنوا معه » (١)
التائبون . وقرأ ابي كل ذلك بان نصب على انه صفة للمؤمنين .
وصف الله تعالى المؤمنين الذين اشتروا منه انفسهم وأموالهم بأنهم التائبون .
ومعناه الراجعون الى طاعة الله المنقطعون اليه والنادمون على ما فعلوه من قبيح
« العابدون » اي يعبدون الله وحده لا شريك له « الحامدون » يعني الشاكرون
لنعم الله عليهم على وجه الاخلاص له . وقال الحسن : هم الذين بحمدون الله على كل
حال في سراة كانوا او ضراء ، وبه قال قتادة . « الصائمون » قيل معناه الصائمون وقال
المؤرج : الصائمون الصائمون بلفظ هذيل . وروي عن النبي (ص) انه قال : (سياحة
امتي الصوم) وهو قول ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد .
وقال الحسن : هم الذين يصومون ما افترض الله عليهم . وقال غيره : هم الذين يصومون
دائما وكذلك قال في قوله : « الراكعون الساجدون » انهم الذين يؤدون ما افترض
الله عليهم من الصلاة والركوع والسجود .

وأصل السبح الاستمرار بالذهاب في الأرض كما يسبح الماء فالصائم مستمر على
الطاعة في ترك المشتبه من الأكل والمشرب والمنكح .

وقوله : « الراكعون الساجدون » معناه الذين يقيمون الصلاة التي فيها الركوع
والسجود « والآمرين بالمعروف والناهون عن المنكر » معناه الذين يأمرون بما امر

الله به من الواجبات والمندوبات وينهون عمّا نهى الله عنه وزهد فيه من القبائح .
 وإنما عطف الناهون بالواو دون غيره من الصفات لأنه لا يكاد يذكر على
 الافراد بل يقال : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فجاءت الصفة مصاحبة للأولى .
 فأما قوله : « والحافظون » فلا نه جاء وهو اقرب الى المعطوف . ومعنى
 « الحافظون لحمد الله » انهم يحفظون ما أمر الله به ونهى عنه فلا يتجاوزونه
 الى غيره .

وقوله : « وبشر المؤمنين » امر للنبي (ص) أن يبشر المؤمنين المصدقين بالله المعترفين
 بذنوبه بالثواب الجزيل والمنزلة الرفيعة وخاصة إذا جمعوا هذه الأوصاف على كمالها
 ونعمائها دون غيرهم .

قوله تعالى :

﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ
 كَانُوا أَوْلِيَا قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ (١١٣)
 آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى انه لم يكن « للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا » ومعناه ان
 يطلبوا المغفرة « للمشركين » الذين يعبدون مع الله إلهًا آخر والذين لا يوجدونه
 ولا يقرّون بالالهية « وان كان » الذي يطلب لهم المغفرة اقرب الناس اليهم بعد أن
 يعلموا انهم كفار مستحقون للخلود في النار . والقربى معناه القرب في النسب بالرجوع
 الى اب او ام باضافة قريبة .

ومعنى قوله : « ولو كانوا اولى قرنى » اي القرابة وان دعت الى الحنو والرفقة
 فإنه لا يلتفت الى دعائها في الخصلة التي نهى الله عنها .

قوله تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ إِسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ (١١٤) آية بلا خلاف .

لما ذكر الله تعالى انه ليس للنبي والذين آمنوا أن يطلبوا المغفرة للمشركين ، بين الوجه في استغفار ابراهيم لايه مع انه كان كافراً سواء كان أباه الذي ولده او جده لأمه او عمه على ما يقوله اصحابنا . وهو ان قال : وجه حسن ذلك انه كان تقدم ذلك موعده فلاجلها وجب عليه الوفاء به .

وقيل في معنى الموعده التي كانت عليه في حسن الاستغفار قولان :

احدهما - ان الموعده كانت من ابي ابراهيم لابراهيم انه يؤمن ان استغفر له فاستغفر له لذلك وطلب له الغفران بشرط ان يؤمن « فلما تبين » بعد ذلك : « انه عدو لله تبره منه » .

والثاني - ان الوعد كان من ابراهيم بالاستغفار ما دام يطعم في الايمان ، كما قال : « إلا قول ابراهيم لأبيه لا تستغفرون لك وما أملك لك من الله من شيء » فاستغفر له على ما يصح ويجوز من شرائط الحكمة « فلما تبين انه عدو لله » وآيس من ايمانه « تبرأ منه » . والذي عندي وهو الأقوى ان اياه اظهر له الايمان وصار اليه وكان وعده ان يستغفر له ان آمن فلما اظهر الايمان استغفر له ، فأعلم الله ان ما ظهر منه بخلاف ما يبطنه « فتبرأ منه » ويقوي ذلك قوله : « واغفر لأبي انه كان من الضالين » (١) اي فيما مضى ، ويجوز ان يكون اظهر الكفر بعد ذلك فلما تبين

ذلك تبرأ منه .

فأما من قال ان الوعد كان من ابراهيم فالسؤال باق ، لأن لغائل ان يقول ولم وعد كافرأ ان يستغفر له ؟

فان قلنا : وعده بأن يستغفر له ان آمن كان الرجوع الى الجواب الآخر .
والعداوة هي الابداد من النصر الى اعداد العقوبة . والولاية التقريب من
النصرة من غير فاصلة بالحياة والكرامة .

وقوله : « ان ابراهيم لأواه حلیم » قيل في معنى « أواه » ثمانية اقوال :
فقال ابن عباس في معنى (أواه) نواب . وقال ابن مسعود : معناه دعا . وقال
الحسن وقتادة : معناه رحيم . وقال مجاهد : معناه موقن . وقال كعب : معناه إذا
ذكر النار قال اوه . وقال الضحاك : معناه المؤمن الموقن بالخشية الرحيم . وقال
آخرون : معناه فقيه . وقال ابو عبيدة : معناه المتوجع المتضرع الى الله خوفاً
وإشفاقاً .

وأصل الأواه من التأوه وهو التوجع والتحزن تقول : تأوه تأوهاً وأوه
تأويهاً ، قال المثقب العبيدي :

إذا ما قمت ارحلها بليل تأوه أهة الرجل الحزين (١)
والعرب تقول : أوه من كذا بكسر الواو وتسكين الهاء قال الشاعر :
فأوه بذكرها إذا ما ذكرتها ومن بعد ارض دونها وسماه (٢)
والعامة تقول اوه يقال ايضاً اوه بسكون الواو وكسر الهاء وينشد البيت المتقدم
ذكره كذلك وقال الجعدي :

(١) ديوانه : ٢٩ وبجاز القرآن ١ : ٢٧٠ واللسان (أوه) وطبقات خول الشعراء
٣٣١ والمفضليات ٥٨٦ . وتفسير الطبري ١٤ : ٥٣٥ يصف ناقته بأنها تحن الى الديار .
(٢) اللسان (أوه) والطبري ١٤ : ٥٣٥ .

صروح صروح يتبع الورق بعدما يعرس شكوى اهة وتنمرا (١)
وقال الزاجر :

فأوه الداعي وضوضاء اكلبه (٢)

ولو جاء منه فعل يفعل لكان آه يؤوه اوهاً على وزن قال يقول قولاً . والحليم هو الممهّل على وجه حسن . والحلم الامهال على ما تقتضيه الحكمة . وهي صفة مدح والله حليم عن العصاة بأمهاله لهم مع قدرته على تمجيل عقوبتهم . وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة انما تبين عداوته لما مات على كفره . وقال ابو علي الجبائي لما آيس من فلاحه عند تصميجه على بعد الوعد في الايمان بالله الذي كان وعد باظهاره في وقت بعينه .

قوله تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١١٥) آية بلا خلاف .

قال مجاهد : وجه اتصال هذه الآية بما قبلها هو انه لما حرم الله تعالى على المؤمنين استغفار المشركين بين انه لم يكن الله ليأخذكم به الا بعد ان يدللكم على تحريمه وانه يجب عليكم ان تتقوه .

وقوله : « ليضل قوماً » معناه هاهنا لم يكن الله ليحك بضلال من عدل عن طريق الحق على وجه الذم له الا بعد ان ينصب له على ذلك الدليل ، والهدى هو الحكم بالاهتداء الى الحق على وجه الحمد له . والبيان والبرهان والحجة والدلالة بمعنى

(١) دهبوانه : ٣٣ ، ٥٢ وجمهرة اشعار العرب : ١٤٦ والطبرى ١٤ : ٥٣٤

ويروى (خوف) و (ظروح) و (طروح) بدل (صروح) .

(٢) تفسير الطبرى ١٤ : ٥٣٥ .

واحد ، و فرق الرّماني بين البيان والبرهان ، فقال : البيان اظهار المعنى في نفسه بمثل اظهار نقيضه . والبرهان اظهار صحته بما يستحيل في نقيضه كالبيان عن معنى قدم الاجسام ، ومعنى حدوثها ، فالبرهان يشهد بصحة حدوثها وفساد قدمها .

وقال مجاهد : معناه حتى يبين لهم ما يتقون من ترك الاستغفار للعشر كين لأنهم كانوا يستغفرون لهم ، فلما نهوا عنه انتهوا .

وقوله : « ان الله بكل شيء عليم » معناه انه يعلم جميع المعلومات حتى لا يشذ شيء منها عنه لكونه عالماً لنفسه . وقال الحسن : مات قوم من المسلمين على الاسلام قبل فرض الصلاة والزكاة وغيرها وفرائض الدين ، فقال المسلمون : يا رسول الله اخواننا الذين ماتوا قبل الفرائض ما منزلتهم ؟ فقال الله تعالى : « وما كان الله ليقضل قوماً » وهم مؤمنون ولم يبين لهم الفرائض .

قوله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (١١٦) آية بلا خلاف .

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها الحظ على ما تقدم ذكره من جهاد المشركين ملوكهم وغير ملوكهم ، لأنهم عبيد من له ملك السماوات والأرض يأمر فيهم ما يشاء ويدبرهم على ما يشاء فأخبر الله ان « له ملك السماوات والأرض » ومعناه انه قادر على التصرف فيهما وليس لأحد منعه منها . والملك اتساع المقدور لمن له العياصة والتدبير . وخزائن الله لا تقنى وملكه لا يبديد ولا يبلى ، وكل ذلك يرجع الى مقدوراته في جميع اجناس المعاني .

وقوله : « يحيي ويميت » معناه انه يحيي الجماد ويميت الحيوان . والحياة معنى بوجب كون الحيوان حياً والحى المختص بصفة لا يستحيل معها كونه عالماً قادراً

والموت عند من اثبتته معنى هو ما يضاد الحياة . ومن لا يثبتته معنى يقول : هو عبارة عن فساد بنية الحياة .

وقوله : « وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير » فالولي هو المقرب بالنصرة من غير فاصلة . والانسان ولي الله ، لأنه يقربه بالنصرة من غير فاصلة . والله وليه بهذا المعنى ، والنصير ، والاستنصار طلب النصر والانتصار والانتصاف بالنصرة .

قوله تعالى :

﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْمُسْرَقَةِ مِنْ بَدْمِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١١٧) آية بلا خلاف .

القراءة والحجة والاعراب :

قرأ حمزة وحفص « يزيف » بالياء . الباقون بالتاء . قال ابو علي النحوي : يجوز ان يكون فاعل كاد احد ثلاثة اشياء :

احدها - ان يضم فيه الفصة أو الحديث ويكون (تزيغ) الخبر وجاز ذلك للزوم الخبر لها فأشبهه الموامل الداخلة على الابتداء للزوم الخبر لها ، ولا يجوز ذلك في عسى ، لأن عسى يكون فاعله المفرد في الاكثر ولا يلزمه الخبر . نحو قوله : « وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئاً وهو شر لكم » (١) فاذا كان فاعله المفرد في كثير من الأمر لم يحتمل الضمير الذي احتمله كاد كما لم تحتمله سائر الأفعال التي تسند الى فاعلها مما لا يدخل على المبتدأ . وما يجيء في الشعر من كاد ان يفعل . وعسى يفعل فلا يعتمد به ، لأنه من ضرورة الشعر .

الثاني - من فاعل كاد ان يضمنه ذكراً مما تقدم ، لما كان النبي (ص) والمهاجرون والأَنْصَار قبيلًا واحدًا وفريقًا جاز ان يضم في (كاد) ما يدل عليه ما تقدم ذكره من القبيل والحزب والفريق . وقال : منهم من حملة على المعنى كما قال : « من آمن بالله واليوم الآخر » ثم قال : « فلا خوف عليهم » (١) فكذلك فاعل كاد .

والثالث - من فاعل كاد ان يكون فاعلها القلوب كأنه من بهمسد ما كاد قلوب فريق منهم تزيع وإنما قدم (تزيع) كما قدم خبر كاد في قوله : « وكان حقاً علينا نصر المؤمنين » (٢) وجاز تقديمه وإن كان فيه ضمير من القلوب ولم يكن ذلك من الاضمار قبل الذكر ، لأن النية به التأخير .

ومن قرأ بالياء يجوز ان يكون جعل في (كاد) ضمير الحديث فاذا اشتغل كاد بهذا الضمير ارتفع القلوب بـ (تزيع) فذكر وان كان (كاد) فاعله مؤنثاً لتقدم الفعل . ومن قرأ بالتاء جاز ان يكون ذهب اليه ان القلوب مرتفعة بـ (كاد) فلا يكون يرفع فعلاً مقدماً فاذا لم يكن مقدماً قبسح التذكير لتقدم ذكر الفاعل كما قبح في قول الشاعر :

ولا ارض اقبل ابقالها (٣)

ولم يصح اقبل ارض ويجوز ان يكون الفعل المسند على القصبة والحديث يؤنث اذا كان في الجملة التي تفسيرها مؤنث كقوله : « فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا » (٤) ويجوز الحاق التاء في كاد من وجه آخر وهو ان يرفع تزيع قلوب بكاد فتلحقه علامة التأنيث من حيث كاد مسنداً الى مؤنث كقوله : « قالت

(١) سورة البقرة آية ٦٢ ، وسورة المائدة آية ٧٢ .

(٢) سورة الروم آية ٤٧ .

(٣) مر تخريجه في ١ : ١٢٦ . (٤) سورة الانبياء آية ٩٧ .

الأعراب ، (١) فعلى هذا يكون في (تزيغ) ضمير القلوب ، لأن النية في (تزيغ) التأخير .

المعنى والقصة :

اقسم الله تعالى في هذه الآية - لأن لام (لقد) لام القسم - بأنه تاب على النبي والمهاجرين والأَنْصار بمعنى انه رجع اليهم ، وقبل توبتهم «الذين اتبعوه في ساعة العسرة» يعني في الخروج معه الى تبوك . و (العسرة) صعوبة الأمر وكثرت ذلك في غزاة تبوك لأنه لحقهم فيها - مشقة شديدة من قلة الماء حتى نَحروا الابل وعصروا كروشها ومصوا الذوا ، وقل زادهم وظهرهم ، في قول : مجاهد وجابر وقتادة . وروي عن عمر انه قال : اصابنا عطش شديد فأمر الله السماء بدعاء النبي (ص) فمشنا بذلك «من بعد ما كراد بزيع قلوب فريق منهم» والتزيغ ميل القلب عن الحق ومنه قوله : «فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم» (٢) . ومنه قوله : «لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا» (٣) . وكان ابو خيثمة عبد الله بن خيثمة تخلف الى ان مضى من مسير رسول الله عشرة ايام ثم دخل يوماً على امرأتين له - في يوم حار - عريشين لهما قد رشتاهما وبردتا الماء وهياتا له الطعام فقام على العريشين ، فقال : سبحان الله رسول الله قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر في الضح والريح والحر والقر يحمل سلاحه على عاتقه وأبو خيثمة في ظلال باردة وطعام مهياً وامراتين حسناوين ما هذا بالنصف ، ثم قال : والله لا اكلم واحدة منكما كلمة ولا ادخل عريشاً حتى الحق بالنبي (ص) فأناخ ناضحه واشتد عليه وتزود وارنحل وامرأتاه تكلمانه ولا يكلمهما ثم سار حتى اذا دنا من تبوك ، قال الناس : هذا راكب على الطريق فقال النبي (ص) :

(١) سورة الحجرات آية ١٤ . (٢) سورة الصف آية ٥ .

(٣) سورة آل عمران آية ٨ .

كن ابا خيثمة ، فلما دنا قال الناس : هذا ابو خيثمة يا رسول الله فأناخ راحلته وسلم على رسول الله (ص) فقال له النبي (ص) أولى لك ، فحدثه الحديث ، فقال له خيراً ، ودعا له ، فهو الذي زاغ قلبه للمقام . ثم نبته الله وقيل ان من شدة ما لحقهم هم كثير منهم بالرجوع فتاب الله عليهم ، وقيل من بعد ما كان شك جماعة منهم في دينه ثم تابوا فتاب الله عليهم . وقوله : « ثم تاب عليهم ، اي رجع عليهم بقبول توبتهم » انه بهم رؤوف رحيم « اخبار منه تعالى انه بهم رؤوف فارأفة أعظم من الرحمة ، قال كعب بن مالك الانصاري :

نطيم نبينا ونطيم رباً هو الرحمن كان بنا رؤوفاً (١)
وقال آخر :

تري للمسلمين عليك حقاً كمثل الوالد الرؤف الرحيم (٢)

قوله تعالى :

﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِقُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ
بِمَا رَحَّبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمُ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا
إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (١١٨) آية
بلا خلاف .

النزول والقصة :

تقدير الكلام وتاب الله على الثلاثة الذين خلفوا . وقيل نزلت هذه الآية بحسب

(١) مر تخريجه في ٢ : ١٢ وهو في مجاز القرآن ١ : ٢٧٠ .

(٢) اللسان (رأف) نسبة الى جرير وروايته (يري للمسلمين عليه) . و(كفعل)

بدل (كثل) ومجاز القرآن ١ : ٢٧١ .

الثلاثة الذين تخلفوا عن غزاة تبوك ولم يخرجوا مع النبي (ص) لا عن تفاق لـكن عن توان ، ثم ندموا . فلما ورد النبي (ص) جاءوا اعتذروا ، فلم يكلمهم النبي (ص) وتقدم الى المسلمين بأن لا يكلمهم احد منهم فهجروا الناس حتى الصبيان وأهاليهم وجاءت نساؤهم الى رسول الله (ص) تعتذر لهم ، فقال : لا ولكن لا يقربونكن فضاقت عليهم المدينة ، فخرجوا الى رؤس الجبال ، فكان اهاليهم يجيئون لهم بالطعام ويتركونه لهم ولا يكلمونهم فقال بعضهم لبعض : قد هجرنا الناس ولا يكلمنا احد ، فهلاً نتهاجر نحن ايضاً فتفرقوا ولم يجتمع منهم اثنان ، وثبتوا على ذلك نيفاً وأربعين يوماً . وقيل سنة يضرعون الى الله تعالى ويتوبون اليه ، فقبل الله تعالى حينئذ توبتهم ، وأنزل فيهم هذه الآية . والثلاثة هم : كعب بن مالك وهلال بن امية ، وفزارة بن ربيعة ، وكلهم من الأنصار - في قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وجابر . -

اللغة والمعنى :

والتخليف تأخير الشيء عن مضي ، فأما تأخير الشيء عنك في المكان ، فليس بتخليف . وهو من الخلف الذي هو مقابل لجهة الوجه . وقال مجاهد : خلفوا عن قبول التوبة بعد قبول توبة من قبل توبته من المنافقين ، كما قال تعالى فيما مضى : « وآخرون مرجون لأمر الله إما يهديهم وإما يتوب عليهم » (١) .

وقال قتادة : « خلفوا » عن غزوة تبوك كما تخلفوا هم . وبه قال الحسن . وفي قراءة أهل البيت (ع) « خالفوا » قالوا لأنهم لو خلفوا لما توجه عليهم العتب .

وقوله : « حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت » فالضيق ضد السعة ومنه ضيق الصدر ، خلاف اتساعه ، بالهم الذي يحدث فيه فيشغله عن غيره . وليس كذلك

(١) سورة النوبة آية ١٠٧ .

السرور لأنه لا يشغل عن ادراك الامور .

ومعنى « بما رحبت » اي بما اتسعت تقول : رحبت رحباً ، ومنه مرحباً وأهلاً اي رحبت بلادك وأهلت . وضيق انقصهم هاهنا بمعنى ضيق صدورهم ، بالهم الذي حصل فيها .

وقوله : « وظنوا ان لا مجاً من الله إلا اليه » معناه وعلموا انه لا يمصمهم منه موضع إذا اعتصموا به والتجؤوا اليه كأنه قال : لا معتصم من الله إلا به : لجأ يلجأ لجأه وألجأه الى كذا إلجاء إذا صيره اليه بالمنع من خلافه . والتجأ اليه التجاه وتلاجؤا تلاجؤاً .

وقوله : « ثم تاب عليهم ليتوبوا » قيل في معناه ثلاثة اقوال :

احدها - لطف لهم في التوبة ، كما يقال في الداء : تاب الله عليه .

الثاني - قبل توبتهم ليمسكوا بها في المستقبل .

الثالث - قبل توبتهم ليرجعوا الى حال الرضا عنهم .

وقال الحسن : جعل لهم التوبة ليتوبوا بها ، والمخرج ليخرجوا به .

وقوله : « ان الله هو التواب الرحيم » اخبار منه تعالى بأنه (جلّ وعز)

يقبل توبة عباده كثيراً ويغفر ذنوبهم إذا رجعوا اليه لرحمته عليهم ورأفته بهم . وكان

ابو عمرو يحكي عن عكرمة بن خالد (وعلى الذين خلفوا) بفتح الخاء والتخفيف وكان

لا يأخذ بها .

فان قيل : ما معنى التوبة عليهم واللائمة لهم وهم قد خلفوا فهلا عذروا ؟

قيل ليس المعنى انهم امسروا بالتخلف ورضي منهم به بل كقولك لصاحبك : اين

خلفت فلاناً ؟ فيقول : بموضع كذا ايس يريد انه امره بالتخلف هناك بل لعله ان

يكون نهاء وانما يريد انه تخلف هناك .

قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (١١٩)

آية بلا خلاف .

هذا امر من الله تعالى للمؤمنين المصدقين بالله والمقرين بنبوة نبيه بأن يتقوا معاصي الله ويبتئبوا وان يكونوا مع الصادقين الذين يصدقون في اخبارهم ولا يكذبون ، قال ابن مسعود : لا يصلح من الكذاب جد ولا هزل ، ولا ان يعد احدكم ولده شيئاً ثم لا ينجزه . ثم قرأ « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله » الآية . وقال : هل ترون في هذه رخصة ؟

وقال نافع والضحاك : امروا بأن يكونوا مع الغيبين والصدّيقين في الجنة بالعمل الصالح .

وقيل : ان المراد بالصادقين هم الذين ذكرهم الله في قوله : « رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه » (١) وهم حمزة وجعفر « ومنهم من ينتظر » يعني علياً (ع) فأمر الله تعالى بالافتداء بهم والاهتداء بهم ، وهم الذين وصفوا في قوله : « ليس البر ان تولوا وجوهكم ... » الآية الى قوله : « اولئك الذين صدقوا » (٢) فأمر بالافتداء بهؤلاء .

وقال بعضهم : ان (مع) بمعنى (من) وكأنه امر بأن يكونوا في جملة الصادقين وفي قراءة ابن مسعود « وكونوا من الصادقين » .

وقيل : اراد كونوا مع كعب بن مالك واصحابه الذين صدقوا في اقوالهم ولم يكذبوا في الاعتذار .

والصادق هو الفاعل بالحق العامل به ، لأنها صفة مدح لا تطلق الا على من

(١) سورة الاحزاب آية ٢٣ . (٢) سورة البقرة آية ١٧٧ .

يستحق المدح على صدقه . فأما من فسق بارتكاب الكبائر فلا يطلق عليه اسم صادق ولذلك مدح الله الصديقين وجعلهم تالين للنبيين في قوله : « فأولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين » (١) .

قوله تعالى :

﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظُلْمٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَؤُنَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفْرَانَ وَلَا يُنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٢٠) آية .

لما قص الله تعالى قصة الذين تأخروا عن النبي (ص) والخروج معه الى تبوك . ثم اعتذارهم عن ذلك وتوبتهم منه وأنه قبل توبة من ندم على ما كان منه لرافته بهم ورحمته عليهم ، ذكر عقيب ذلك على وجه التوبيخ لهم والازراء على ما كانوا فعلوه فقال : لم يكن لأهل المدينة ولا من يسكن حول المدينة من الاعراب والبوادي « ان يتخلفوا » بمعنى ان يتأخروا عن رسول الله « ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه » ومعناه ولا ان يطلبوا نفع نفوسهم ، لأن الرغبة طلب المنفعة وتقيضها الرهبة . ويقال رغب فيه اذا طلب المنفعة به ورغب عنه طلب المنفعة بتركه ، والترغيب ضد الترهيب . ومعنى « يرغبوا بانفسهم عن نفسه » اي يطلبون المنفعة بترفيه انفسهم دون نفسه وهذه فريضة الزمهم الله اياها ، لحقه فيما دعاهم من الهدى الذي اهدوا به وخرجوا من ظلمة الكفر الى نور الايمان .

(١) سورة النساء آية ٦٨ .

وقوله : « ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب » إشارة الى ما ألزمهم الله أيام من تحمل هذه المشقة لأنهم لا يصيبهم ظمأ وهو شدة العطش تقول : ظمى^١ يظماً ظمأ وهو ظمى^٢ وظمآن وأظماه الله اظماه . ومنه قيل : انا ظمآن الى رؤية فلان . ومعنى « ولا نصب » اي تمب تقول : نصب ينصب نصباً فهو نصب . ومثله الوصب قال النابغة :

كليني لهم يا اميمة ناصب وليل افاسيه بطي^٣ السكواكب (١)

وقوله : « ولا نخمصه » يعني مجاعة وأصله ضمور البطن للمجاعة ومنه رجل نخميص البطن وامرأة نخمصانة

وقوله : « في سبيل الله » يعني من قتال اعدائه المشركين .

وقوله : « ولا يطؤون موطأً يغيظ الكفار » اي لا يخطون خطوة « إلا كتب لهم اجرها » والموطي^٤ الأرض ، والغيظ انتقاض الطبع بما يرى مما يشق . والغضب هو ما يدعوا الى الانتقام على ما سلف من المعصية مما هي متعلقة به ، وهو مستحق بها ولذلك جز ان يطلق الغضب على الله ولم يجز اطلاق الغيظ عليه .

وقوله : « ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح » والنيل لحوق الشيء . تقول : نلته انا له نيلاً اذا نلته بيدك وهو منيل ، وليس من للتناول لأن هذا من الواو تقول : نلته بخبر انوله نولا ونوالا وانالني خيراً انالة .

والمعنى ان هؤلاء المؤمنين لا يصيدون من المشركين امراً ، من قتل او جراح او مال ، او امر يفهمهم ويغيظهم الا ويكتب الله للمؤمنين « به عملاً صالحاً ان الله لا يضيع اجر المحسنين » اخبار منه تعالى انه لا يضيع اجر من فعل الأفعال الحسنة التي يستحق بها المدح وقد يكون فاعل الحسن لا يستحق المدح مثل فاعل المباح .

وقال قتادة : حكم هذه الآية مختص بالنبي فانه اذا غزا النبي (ص) لم يكن

لأحد أن يتخلف عنه ، فأما من بعده من الخلفاء فإن ذلك جائز ، وقال الاوزاعي وعبد الله بن المبارك والفرازي والسبعمي وأبو جابر ، وسميد بن عبد العزيز : ان هذه الآية لأول الامة وآخرها من المجاهدين في سبيل الله . وقال ابن زيد : هذا حين كان المسلمون قليلين ، فلما كثروا نسخ بقوله : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة » وهذا هو الأقوى لأنه لا خلاف ان الجهاد من فروض الكفايات فلولا لم كل احد النفر لصار من فروض الأعيان .

قوله تعالى :

﴿ وَلَا يَنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٢١) آية
بلا خلاف .

هذه الآية عطف على ما تقدم ذكره في الآية الاولى من قوله : « ولا يبطؤون موطنًا يعطي الكفار ولا يذالون من عدو نيلاً... ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة » اي لا ينفق هؤلاء المؤمنون في سبيل الله وجهاد اعدائه نفقة صغيرة ولا كبيرة يريدون بها اعزاز دين الله ونعم المسلمين والتقرب الى الله بها ، لأن الاتفاق متى كان للشهوة او ليدكر بالجود كان ذلك مباحاً وان كان للرياء والسمعة والمعاناة على فساد كانت معصية والصغير ما نقص ثوابه عن ثواب ما هو اكبر منه ، والكبير ما زاد ثوابه على ثواب ما هو دونه ، وقوله : « ولا يقطعون وادياً » معناه ولا يتجاوزون وادياً . وقوله : « إلا كتب لهم » ثواب ذلك لهم « ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون » معناه انه يكتب طاعتهم ليجزيهم عليها احسن مما فعلوه . وقال الرماني : ذلك يدل على

انه يكون حسن احسن من حسن قال : لان لفظه افعل تقتضي التفاضل فيما شاركه في الحسن. وهذا ليس بشيء لان المعنى ان الله تعالى يجزيهم احسن ما كانوا يعملون يعني ماله مدخل في استحقاق المدح والثواب من الواجبات والمندوبات دون المباحات التي لا مدخل لها في ذلك وان كانت حسنة .

قوله تعالى :

﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافةً قلولا نفرًا من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾ (١٢٢) آية بلا خلاف .

قوله : « قلولا نفر » . معناه هلا نفر ، وهي للتخصيص إذا دخلت على الفعل ، فإذا دخلت على الاسم فهي بمعنى امتناع الشيء لأجل وجود غيره .
وقيل في معناه ثلاثة اقوال :

احدها - قال الحسن : حث الله تعالى الطائفة النافرة على التفقه لترجع الى المتخلفة فتحذرها . وقال قتادة : إن المعنى انه لم يكن لهم ان ينفروا باجمعهم في السرايا ويتركوا النبي (ص) بالمدينة وحده ، ولو سكن تبقى بقية لتتفقه البقية ثم تنذر النافرة وبه قال الضحاك وابن عباس ، وقال ابو علي الجبائي : تنفر الطائفة من كل ناحية الى النبي (ص) لتسمع كلامه وتتفقه عنه ، ثم يبينوا ذلك لقومهم إذا رجعوا اليهم . وقال مجاهد : نزلت الآية في قوم خرجوا الى البادية ، ليفقهوهم ولينالوا منهم خيراً ، فلما عاب الله من تأخر عن النبي عند خروجه الى تبوك وذم آخرين خافوا ان يكونوا منهم فنفروا باجمعهم ، فقال الله : هلا نفر بمضهم ليفقه عن النبي (ص) ما يجب عليهم وما لا يجب ويرجعون فيخبرون اصحابهم بذلك ليحذروا .

والنفور عن الشيء هو الذهاب عنه لتكره النفس له والنفور اليه الذهاب اليه لتكره النفس لغيره . والنفقة تعلم الفقه . والفقه فهم موجبات المعنى المضمنة بها من غير تصريح بالدلالة عليها وصار بالعرف مختصاً بمعرفة الحلال والحرام ، وما طريقه الشرع . قوله : « لعالمهم يحذرون » معناه لكي يحذروا ، لأن الشك لا يجوز على الله . والحذر تجنب الشيء لما فيه من المضرة يقال : حذر حذراً وحذرته تحذيراً وحاذره محاذرة وتحذر تحذراً .

واستدل جماعة بهذه الآية على وجوب العمل بخبر الواحد بأن قالوا : حث الله تعالى الطائفة على النفور والتفقه حتى إذا رجعوا الى غيرهم لينذروهم ليحذروا ، فلولا انه يجب عليهم القبول منهم ، لما وجب عليهم الانذار ، والتخويف . والطائفة تقع على جماعة لا يقع بخبرهم العلم بل تقع على واحد ، لأن المفسرين قالوا في قوله : « وليشهد عذابها طائفة من المؤمنين » انه يكفي ان يحضر واحد .

وهذا الذي ذكروه ليس بصحيح ، لأن الذي يقتضيه ظاهر الآية وجوب النفور على الطائفة من كل فرقة ووجوب التفقه والانذار إذا رجعوا ، ويحتمل ان يكون المراد بالطائفة الجماعة التي يوجب خبرهم العلم ، ولو سلمنا انه يتناول الواحد أو جماعة قليلة فلم اذا وجب عليهم الانذار وجب على من يسمع القبول ؟ والله تعالى إنما اوجب على المنذرين الحذر والحذر ليس من القبول في شيء بل الحذر يقتضي وجوب البحث عن ذلك حتى يعرف صحته من فساده بالرجوع الى الأدلة ، ألا ترى ان الحاضر إذا ورد على المكلف وخوفه من ترك النظر فانه يجب عليه النظر ولا يجب عليه القبول منه قبل ان يعلم صحته من فساده ، وكذلك إذا ادعى مدع النبوة وان معه شرعا وجب عليه ان ينظر في معجزه ولا يجب عليه القبول منه وتصديقه قبل ان يعلم صحة نبوته ، فكذلك لا يمتنع ان يجب على الطائفة الانذار ويجب على المنذرين البحث والتفتيش حتى يماموا صحة ما قالوه فيعملوا به ، وقد استوفينا الكلام في ذلك في كتاب

اصول الفقه لا تطول بذكره هاهنا .

وقيل : ان اعراب اُسد قدموا على النبي (ص) في المدينة فقلت الاُسماعيل
وملأوا الطرق بالعدرة فأنزل الله تعالى الآية يقول : فهلا جاء منهم طوائف ثم
رجعوا الى قومهم فأخبروهم بما تعلموا وروى الواقدي ان قوماً من خيار المسلمين
خرجوا الى البدو يفتقون قلوبهم فاحتج المنافقون في تأخيرهم عن تبوك بأولئك
فنزلت « وما كان المؤمنون لينفروا كافة » قال : وفيهم نزلت « والذين يحاجون
في الله من بعد ما استجيب له حجهم داحضة » (١) يعني ان احتجوا بتأخير هؤلاء
في البادية فانهم مستجيبون مؤمنون ، فكيف يكون لهم بهم اسوة او حجة في تأخيرهم
وهم منافقون مدهنون .

وقال ابو جعفر (ع) كان هذا حين كثر الناس فأصرهم الله ان ينفر منهم طائفة
ويقيم طائفة للتفقه وان يكون الغزو نوباً .

قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ
وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (١٢٣) آية
بلا خلاف .

روى المفضل عن عاصم (غلظة) بفتح الغين . الباقون بكسرها ، قال ابو الحسن :
قراءة الناس بالكسر وهي العربية ، قال وبه اقرأ ولا أعلم الفتح لغة . وقال غيره : هي
لغة . وذكر الزجاج أن فيه ثلاث لغات الفتح والضم والكسر ، والكسر أفصحها .
والكسر لغة أهل الحجاز والضم لغة تبم .

امر الله تعالى المؤمنين أن يقاتلوا الكفار الذين يلونهم يعني الأقرب فالأقرب وذلك يدل على انه يجب على اهل كل ثغر ان يقاتلوا عن انفسهم إذا خافوا على بيضة الاسلام إذا لم يكن هناك امام عادل وانما جاز من الله تعالى ان يأمر بالقتال ليدعوهم الى الحق ولم يجوز ان يمنهم من الكفر ، لأن المنع يناهى التكليف . ومن قاتل الأبعد من الكفار وترك الأقرب فالأقرب فان كان باذن الامام كان مصيباً وان كان بغير أمره كان مخطئاً ، ولو قال : قاتلوا الأقرب فالأقرب لاصح لأنه يمكن ذلك . ولو قال : قاتلوا الأبعد فالأبعد لم يصح لأنه لا حد للأبعد مبتدأ منه كما للأقرب .

وقوله : « وليجدوا فيكم غلظة » معناه وليخشوا منكم بالغلظة، والغلظة ضد اللين وخلاف الرقة ، وهي الشدة في احلال النعمة ونخرج الكلام على الأمر بالوجود ، وإنما معناه يجدون ذلك ويجوز ان يكون المراد وليعاملوا منكم الغلظة .

وقوله : « واعلموا ان الله مع المتقين » امر من الله للمؤمنين ان يتيقنوا أن الله مع الذين يتقون معصيته ، بالنصرة لهم ومن كان الله ناصره في الحرب لم يغلبه احد فأما إذا نصره بالحجة في غير الحرب فإنه يجوز أن يغلب بالحرب لضرب من المحنة وشدة التكليف .

قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيْدِيكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ (١٢٤) آية بلا خلاف .

(ما) في قوله : « وإذا ما » يحتمل امرين :

أحدهما - ان تكون دخلت لتسلط إذا على الجزاء .
والثاني - ان تكون صلة مؤكدة ، وقوله : « فمنهم من يقول » الضمير عائد على المنافقين في قول الحسن والزجاج ، والتقدير فمن المنافقين من يقول بعضهم لبعض على وجه الانكار : « أيكم زادته هذه ايماناً » وقال الجبائي : يقول المنافقون لضعفة المؤمنين على وجه الاستهزاء . فأخبر الله تعالى انه متى نزلت سورة من القرآن قال المنافقون على وجه الاستهزاء والانكار : « أيكم زادته هذه ايماناً » ثم قال تعالى :
« فأما الذين آمنوا فزادتهم ايماناً » المعنى ازدادوا عندها ايماناً وانما أضافه الى السورة لأن عندها ازدادوا ، فوجه زيادة الايمان انهم يصدقون بأنها من عند الله ويعترفون بذلك ويعتقدونه وذلك زيادة اعتقاد على ما كانوا معتقدين له .

وقوله : « وهم يستبشرون » جملة في موضع الحال ، وتقديره انهم يزدادون الايمان عندها مستبشرين بذلك فرحين بما لهم في ذلك من السرور والثواب . والزيادة ضم الشيء الى جنسه لأنك لو ضمنت حجراً الى ذهب لم تكن زدت ولو ضمنت ذهباً الى ذهب أو حجراً الى حجر لمكنت زدته .

قوله تعالى :

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ
وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ (١٢٥) آية .

لما بين الله تعالى ان المؤمنين يزدادون الايمان عند نزول السورة بين ان الذين في قلوبهم مرض يعني شك وتناق من الاسلام يزدادون عند ذلك رجساً الى رجسهم اي تفاقاً وكفرآ الى كفرهم ، لأنهم يشكون في هذه السورة كما يشكون في الذي تقدم فكان ذلك هو الزيادة . وسمي الشك في الدين مرضاً ، لأنه فساد يحتاج الى علاج كالفساد في البدن الذي يحتاج الى مداواة . ومرض القلب اعضل وعلاجه اعسر

ودواؤه اعز وأطبأؤه أقل . والرجس والنجس واحد وسمي الكفر رجساً على وجه
الذم ، وانه يجب تجنبه كما يجب تجنب الانجاس . وانما اضاف الزيادة الى السورة
لأنهم يزدادون عندها ، ومثله كفي بالسلامة داء ، كما قال الشاعر :

ارى بصرى قد رابني بعد صحة وحسبك داء ان تصح وتسلما (١)

وقوله : « وماتوا وهم كافرون » فيه بيان أن المرض في القلب اداوم الى ان
ماتوا على شر حال لأنها تسوق الى النار نعوذ بالله منها . وانما قال : « وماتوا » على
لفظ الماضي لأنه عطف على قوله : « زادهم رجساً الى رجسهم » والمعنى انهم يموتون
وهم كافرون .

قوله تعالى :

﴿ أُولَٰئِكَ يَرْوُونَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ
هُمْ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ (١٢٦) آية بلا خلاف .

قرأ حمزة ويعقوب « أولاء ترون » بالتاء . الباقيون بالياء .

قوله : « اولاء يرون » تنبيه وتقريع لمن غني بالخطاب . فنقرأ بالتاء فوجهه
ان المؤمنين نبهوا على اعراض المنافقين عن النظر والتدبر لما ينبغي ان ينظروا فيه
ويتدبروا ، لأنهم يمتحنون بالأمراض والأسباب التي لا يؤمن معها الموت ، فلا
يرتدعون عن كفرهم ولا ينزجرون عما هم عليه من النفاق ، فلا يقدمون عليه اذا ماتوا .
فتنبه المسلمين على قلة اعتبارهم وانعاشهم .

ومن قرأ بالياء وجه التقريع - بالاعراض عما يجب ان لا يعرضوا عنه من التوبة
والاقتلاع عما هم عليه من النفاق - الى المنافقين دون المسلمين ، لأن المسلمين قد عرفوا
ذلك من امرهم وكان الأولى ان يلحق التنبيه من براد تنبيهه وتقريعه بتركه ما ينبغي

(١) فائله حميد بن نور الهلالي العقد الفريد ٢ : ٣٣١ .

ان يأخذ به .

ونحتمل الرؤية في الآية على القراءتين ان تكون متعدية الى مفعولين . وان تكون من رؤية العين ، فاذا جمعت متعدية الى مفعولين سداً (ان) مسدداً . وان جمعت من رؤية العين كان اولى ، لا أنهم مبتلون في الاعراض عنه على ترك الاعتبار به ، وهذا ابلغ من التعدية الى مفعولين ألا ترى ان تارك الاستدلال اعذر ممن يكابر المشاهدات .

ولو قرىء بضم الياء وبني الفعل للمفعول به كان (ان) في موضع نصب بأنه مفعول الفعل الذي يتمدى الى مفعول ، وفتحت الواو في قوله : « او لا » لأنهما واو العطف دخلت عليها الف الاستفهام ، فهو متصل بذكر المنافقين ومتصل بذكر آخرين ذكرهم بدليل العلامتين الواو والألف .

والفتنة المحنة بالقتل والسبي ونصر الله لنبيه حتى يستعلي على كل من ناراه - في قول الحسن وقتادة - وقال مجاهد : هي بالقحط والجوع . وقال الجبائي : هي بالمرض الذي ينزل بهم . وقيل تهتك استارهم بما يظهره الله من سوء نياتهم وخبث سرائرهم وقال الزجاج : معناه انهم يختبرون بالدعاء الى الجهاد ، وهو قول الحسن وقتادة . واجاز الرماني ان تفعل التوبة خوفاً من العقاب ، كما يجوز ان تفعل لقبح المعصية . قال : لأن كل واحد من الأمرين يدعو اليه الفعل ، ومن جحد احد الأمرين كمن جحد الآخر . والذي عليه اكثر اهل العدل انه لا يجوز ان تفعل التوبة الا لوجه قبح المعصية . ومتى فعلت لحوف العقاب لم تكن مقبولة .

وقوله : « ثم لا يتوبون ولا هم يدركون » اخبار منه تعالى انه مع ما يمتحنهم في كل سنة دفعة او دفتين فانهم لا يقلعون عن المعاصي ولا يتوبون منها - ولا يتفكرون فيها والتذكر طلب الذكر بالفكر فيه .

قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (١٢٧) آية بلا خلاف

أخبر الله تعالى في هذه الآية أنه متى أنزل سورة من القرآن « نظر بعضهم إلى بعض » نظراً يؤمنون به « هل يراكم من أحد » وإنما يفعلون ذلك لأنهم منافقون يتحذرون أن يعلم بهم ، فكانهم يقول بعضهم لبعض هل يراكم من أحد ثم يقومون فيفسدواهم .

ويحتمل أن يكون انصرفهم عن العمل بشيء مما يستمعون ، فقال الله تعالى « صرف الله قلوبهم » يعني من رحمته عقوبة لهم بأنهم قوم لا يفقهون مواعظ الله ولا أمره ونهيه وإنما صرف قلوبهم عن السرور بالفائدة التي تحصل للمؤمنين بسماع الوحي فيحرمون ما للمؤمنين من الاستبشار بتلك الحال . والفقه فهم موجب المعنى المضمن به ، وقد صار علماء على علم الفتيا في الشريعة لأن المعتمد على المعنى ، وكان القوم عقلاء يفقهون الأشياء ، وإنما نفى الله عنهم ذلك ، لأنهم لم ينظروا فيه ولم يعملوا بموجبه فكانهم لم يفقهوه ، كما قال « صم بكم صمي » لما لم يذنبوا بما سمعوه ورأوه .

قوله تعالى :

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٢٨) آية بلا خلاف

اقسم الله تعالى في هذه الآية بأنه قد « جاءكم رسول من أنفسكم » لأن لام

(لقد) هي اللام التي يتلقى بها القسم . والخطاب متوجه الى جميع الخلق ومعنى « من انفسكم » اي انكم ترجعون الى نفس واحدة ، كما قال « قل انما انا بشر مثلكم » (١) ويحتمل ان يكون المراد به من العرب كما انكم كذلك . ويكون على هذا الخطاب متوجهاً الى العرب خاصة فانتم تحبونه وقيم على مذهبه .

وقيل انه لم يبق بطن من العرب إلا وولد النبي عليه السلام وانما ذكر ذلك لأنه اقرب الى الألف وأبعد من المحك واللجاج وأسرع الى فهم الحجية ، فهو من انفسكم في اشرف نسبه منكم ، ومن انفسكم في القرب منكم ، ومن انفسكم بالاختصاص بكم .

وقوله « عزيز عليه » أي شديد عليه لأنه لا يقدر على ازالته ، والعزيز في صفات الله سبحانه المنيع القادر الذي لا يتعذر عليه فعل ما يريد ، والعزة امتناع الشيء بما يتعذر معه ما يحاول منه ، وهو على ثلاثة اوجه امتناع الشيء بالقدرة أو بالقلة أو بالصعوبة .

وقوله « ما عنتم » يعني ما يلحقكم من الأذى الذي يضيق الصدر به ، ولا يهتدي للخروج منه ، ومنه قيل فلان يعنت في السؤال ، ومنه قوله تعالى « ولو شاء الله لا عنتم » اي ضيق عليكم حتى لا تمتدوا للخروج منه ، والعنت إلقاء الشدة .
وقوله « حريص عليكم » فالحرص شدة الطلب للشيء على الاجتهاد فيه ، والمعنى حريص عليكم ان تؤمنوا - في قول الحسن - ثم استأنف فقال « بالمؤمنين رؤوف رحيم » اي رفيق بهم رحيم عليهم .

قوله تعالى :

﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ

وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ آية بلا خلاف .

معنى «فان تولوا» ان ذهبوا عن الحق واتباع الرسول وما يأمرهم به وأعرضوا عن قوله . ونقيض التولي عنه التوجه اليه ومثل التولي الاعراض ، وقال الحسن : المعنى فان تولوا عن طاعة الله ، وقيل فان تولوا عنك .

وقوله تعالى «حسبي الله» معناه ان ذهبوا هؤلاء الكفار عنك ولم يقرؤا بنبوتك «فقل» يا محمد «حسبي الله» ومعناه كافي الله وهو من الحساب ، لا نه تعالى يعطي بحسب الكفاية التي تغني عن غيره ويزيد من نعمه ما لا يبلغ الى حد ونهاية اذ نعمه دأمة ومنه متظاهرة .

وقوله «لا إله الا هو» جملة في موضع الحال وتقديره حسبي الله : مستحقاً لا خلاص العباد والاقرار بأن لا إله الا هو .

وقوله «عليه توكلت» فالتوكل تفويض الأمر الى الله على الثقة بحسن تدبيره وكفايته ، باخلاص النية في كل شيء يحذر منه ، ومنه قوله «حسبنا الله ونعم الوكيل» (١) اي المتولى للقيام بمصالح عباده ، وفي هذه الصفة بلطف .

وقوله «وهو رب العرش العظيم» قيل في تخصيصه الذكر بأنه رب العرش العظيم
ثلاثة اقوال :

احدها - انه لما ذكر الأَعْظَم دخل فيه الأصغر .

الثاني - انه خص بالذكر تشريفاً له وتمخيها لشأنه .

الثالث - ليدل به على انه ملك الملوك ، لأنه رب السرير الأَعْظَم .

وجر القراءات كلها (العظيم) على انه صفة للعرش . وقال الزجاج : يجوز رفعه .

بجمله صفة لب العرش و « ما » في قوله « ما عنتم » بمعنى الذي وهو في موضع رفع

بالابتداء وخبره « عزيز » قدم عليه . وقال الفرآء هو رفع بعزير .

وقال ابي بن كعب وسعيد بن جبير والحسن

وقتادة هذه آخر آية نزلت من

القرآن ولم ينزل

بعدها شيء .



(١٠) سورة يونس

[مكية وهي مئة وتسع آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ اَر تَلِكْ اَيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴾ (١) آية بلا خلاف

القراءة والحجة :

إنما لم تعد « اَر » آية كما عد (الم) آية في عدد الكوفيين لأن آخره لا يشاكل
رؤس الآي التي بعده إذ هي بمنزلة المردف بالياء « وطه » عد ، لأنه يشاكل رؤس الآي
التي بعده وقرأ « اَر » بالتفخيم ابن كثير ونافع وأبو جعفر وقرأ بالأمالة أبو عمرو
وابن عاصم وحمزة والكسائي. واختلف عن عاصم قرأ هبيرة عن حفص بكسر الراء
الباقون عنه بالتفخيم .

قال أبو علي الفارسي : من ترك الامالة فلأن كثيراً من العرب لا يعيل ما يجوز
فيه الامالة ، كما يمنعها المستعلي . ومن أمال ، فلأنها اسم لما يلفظ به من الأصوات

فجارت الامالة من حيث كانت اسماً ، ولم تكن كالحروف التي تمنع فيها الامالة . وقال
الرماني : انما جاز امالة حروف الهجاء . لأن الفه في تقدير الانقلاب من ياء .
المعنى واللغة :

وقد بينا في اول سورة البقرة معنى هذه الحروف التي في اول السور واختلاف
المفسرين وقتنا : ان اقوى الوجوه انها اسماء السور ، فلا وجه لاعادته .

وقوله « تلك » قال ابو عبيدة معناه هذه . وقال الزجاج المعنى الآيات التي تقدم
ذكرها ، وهو قول الجبائي . وقال قوم : انما قال « تلك » لتقدم الذكر في « آر »
كقولك هندی كريمة وانما اضيفت الآيات الى الكتاب ، لانها ابعاض الكتاب ،
كما ان السورة ابعاذه . وكذلك محكمه ومتشابهه واسماؤه وصفاته ووعدده ووعدده
وأمره ونهيه وحلاله وحرامه .

والآية العلامة التي تنبىء عن مقطع الكلام من جهة مخصوصة والقرآن مفصل
بالآيات مضمن بالحكم النافية للشبهات وانما وصف الكتاب بأنه حكيم لأنه دليل
على الحق كالناطق بالحكمة ، ولأنه يؤدي الى المعرفة التي يميز بها طريق الهدى من
طريق النجاة . وقال ابو عبيدة « حكيم » ههنا بمعنى محكم وانشد لأبي ذؤيب :

يواعدني عكاظ لنزلنه ولم أشعر اذن اني خليف (١)

أي يخلف من خلفته الوعد ويؤكد ذلك قوله « آر كتاب احسكت آياته »
والآيات العلامات ، والكتاب اسم من اسماء القرآن وقد بيناه فيما مضى . وحكى عن
مجاهد أنه قال « تلك » إشارة الى التوراة والانجيل وهذا بعيد لأنه لم يجر لها ذكر .

(١) ديوان الهذليين ١ : ٩٩ واللسان (خلف) وبجاز القرآن ١ : ٢٧٣ . ورواية
اللسان : تواعدني الربيع لنزلنه ولم تشعر إذن اني خليف

قوله تعالى :

﴿أَ كَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ
النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صَدَقَ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ
الْكَافِرُونَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ آية بلا خلاف

قرأ ابن كثير وعاصم وحزمة والكسائي « لساحر مبين » بألف . الباقون بغير
ألف . قال ابو علي الفارسي يدل على ساحر قوله « وقال الكافرون ان هذا ساحر
كذاب » ويدل على « ساحر » قوله « فله ا جاءهم الحق قالوا هذا ساحر وانا به
كافرون » (١) والقول في الوجهين انه قد تقدم قوله « أن أوحينا الى رجل منهم »
فن قال « ساحر » أراد به الرجل ومن قال « ساحر » أراد الذي أوحى « ساحر »
أي الذي يقول انه وحي « ساحر » وليس بوحي .

ومعنى قوله « أ كان للناس عجباً » أ كان ابخاؤنا القرآن الى رجل منهم عجباً
وانذارهم عقاب الله على معاصيه كأنهم لم يعلموا أن الله قد أوحى من قبله الى مثله
من البشر فمعجبوا من وحيننا اليه الآن . فالألف ألف استفهام والمراد به الانكار
وقال ابن عباس ومجاهد وابن جريج عجبت العرب وقريش أن يبعث الله منهم نبياً ،
فأنزل الله الآية . وقال الحسن معناه ليس بعجب ما فعلنا في ذلك . والمعنى ألم
يبعث الله رسولا من اهل البادية ولا من الجن ولا من الانس .

والمعجب تغير النفس بما لا يعرف سببه مما خرج عن العادة الى ما يجوز كونه .
والانذار هو الاخبار على وجه التخويف فمن حذر من معاصي الله فهو منذر . وهذه
صفة النبي (ص) .

وقوله « ان ارحينا » في موضع رفع وتقديره « كان للناس عجيباً وحيناً و » أن
انذر « في موضع نصب وتقديره وحيناً بأن انذر ، فحذف الجار فصار موضعه نصباً
و « ان لهم » نصب بقوله « وبشر الذين آمنوا » ولو قرىء بالكسر كان جازياً لأن
البشارة هي الفول إلا أنه لم يقرأ به . وقوله « وبشر الذين آمنوا » أمر للنبي (ص)
أن يبشر المؤمنين ، وهو ان يعرفهم ما فيه السرور بالخلود في نعيم الجنة على وجه
الاحكام والاجلال بالأعمال الصالحة .

وقوله « أن لهم قدم صدق عند ربهم » معناه ان لهم سابقة اخلاص الطاعة
كاخلاص الصدق من شائب الكذب . وقالوا : له قدم في الاسلام والجاهلية . وهو
كالقدم في سبيل الله ، قال حسان :

لنا القدم العليا اليك وخلفنا
لاولنا في طاعة الله تابع (١)
وقال ذو الرمة :

لكم قدم لا ينكر الناس أنها
مع الحصب العادي طمعت على البحر (٢)

وقال ابو سعيد الخدري وابو عبد الله (ع) : معناه ان محمداً (ص) لهم
شفيع يوم القيامة ، وهو المروي عن أبي جعفر (ع) . وقال مجاهد : معناه لهم
قدم خير باعمالهم الصالحة . وقال قتادة : لهم سلف صدق . وقال الضحاك : لهم
نواب صدق . وقال ابن عباس : لهم ما قدموه من الطاعات .

وقوله « قال الكافرون ان هذا لساحر مبين » حكاية عن الكفار أنهم يقولون
إن النبي ساحر مظهر أو ما أنى به سحر مبين على اختلاف القراءات .

والسحر فعل يخفى وجه الحيلة فيه حتى يتوهم أنه معجزة . والعمل بالسحر كفر

(١) ديوانه (شرح البرقوقي) : ٢٥٤ ونفسير الطبري ، الطبعة الاولى ، ١١ : ٥٣
وسياتى في ٥ : ٢٤ من هذا الكتاب .

(٢) ديوانه : ١٩ ونفسير القرطبي ٨ : ٣٠٦ والطبري ١١ : ٥٣ .

لادعاه المعجزة به ، ولا يمكن مع ذلك معرفة النبوة . وقال الزجاج : المراد
بـ (الناس) في الآية أهل مكة . وقيل انهم قالوا : لم يجد الله من يبعثه رسولا إلا
ينبى ابى طالب ؟

قوله تعالى :

﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ
أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأُمُورَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا
مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَاِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٣)
آية بلا خلاف

خطب الله تعالى بهذه الآية جميع الخلق وأخبرهم بأن الله الذي يملك تدبيركم
وتصرفكم بين أمره ونهيه ويحب عليكم عبادته « الله الذي خلق السموات والأرض »
فاخترعها وأنشأها على ما فيها من عجائب الصنعة ومتمن الفعل . واطلاق الرب لا يقال إلا
فيه تعالى ، فأما غيره فإنه يقيد له ، فيقال رب الدار ، ورب الضيعة بمعنى أنه مالكها .
وكذلك معنى قوله « رب العرش » والربوبية ملك التدبير الذي يستحق به العبادة .
وقيل في الوجه « الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام » بلا زيادة ولا نقصان
مع قدرته على إنشائها دفعة واحدة قولان :

أحدهما - أن في إظهارها كذلك مصلحة للملائكة وعبرة لهم .

والثاني - لما فيه من الاعتبار إذا أخبر عنه بتصرف الحال كما صرف الله الانسان

من حال الى حال ، لأن ذلك أبعد من توهم الاتفاق فيه .

وقوله « ثم استوى على العرش » معناه استولى عليه بإنشاء التدبير من جهته ، كما

يستوى الملك على سريره ملكه بالاستيلاء على تدبيره . قال الشاعر :

ثم استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مہراق (١)
يعني بشر بن مروان . ودخلت ثم ، لأن التدبير من جهة العرش بعد استوائه .
وقوله « يدبر الأمر » فالتدبير تنزيل الأمور في مراتبها على أحكام عواقبها ،
وهو مأخوذ من الدبور ، فتجري على أحكام الدابر في الباري .
وقوله « ما من شفيع إلا من بعد إذن » فالشفيع هو السائل في غيره لاسقاط
الضرر عنه . وعند قوم أنه متى سأله في زيادة منعمة توصل إليه كان شفيعاً . والذي
افتضى ذكره ههنا صفات التعظيم مع اليأس من الإنكال في دفع الحق على الشفيع .
والمعنى ههنا أن تديره الأشياء وصنعتة لها ليس يكون منه بشفاعة شفيع ولا
بتدبير مدبر لها سواء ، وأنه لا يجسر أحد أن يشفع إليه إلا بعد أن يأذن له
فيه من حيث كان تعالى أعلم بموضع الحكمة والصواب من خلقه بمصالحهم .
وقوله « ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون » معناه ان الموصوف بهم هذه
الصفات هو ربكم وإلهكم فاعبدوه وحده ، لأنه لا إله لكم سواه ، ولا يستحق
هذه الصفات غيره . وحثهم على التذكر والتفكير في ذلك وعلى تعرف صحة
ما أخبرهم به .
وقيل ان العرش المذكور ههنا هو السموات والارض ، لأنهم من بنائه . والعرش
البناء . ومنه قوله « يمرشون » (٢) اي يبنون . واما العرش المعظم الذي تعبد الله
الملائكة بالخوف به والاعظام له وعنايه بقوله « الذين يحملون العرش ومن
حواله (٣) فهو غير هذا .

وانما ذكر الشفيع في الآية ولم يجر له ذكر ، لأن المخاطبين بذلك كانوا يقولون

(١) مر هذا البيت في ١ : ١٢٥ ، ٢ : ٣٩٦ .

(٢) سورة النحل آية ٦٨ وسورة الأعراف آية ١٣٦ .

(٣) سورة المؤمن آية ٧ .

الاصنام يشفعواؤهم عند الله . وذكر بعدها « ويمبسون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » ، واذا كانت الأصنام لا تمقل فكيف تكون شافعة ؟ ! مع انه لا يشفع عنده الا من ارتضاه الله . واختار البلخي ان يكون خلق السموات والأرض في ستة ايام إنما كان لان خلقه لها دفعة واحدة لم يكن ممكناً كما لا يمكن الجمع بين الضدين ، ولا يمكن الحركة إلا في المتحرك ، وهذا الذي ذكره غير صحيح ، لان خالق السموات والأرض خالق الجواهر واختراعها ، والجواهر لا تختص بوقت دون وقت ، فلا حال إلا ويصح اختراعها فيه ما لم يكن فيها لم يزل . وإنما يصح ما ذكره في الاعراض التي لا يصح عليها البقاء او ما يستحيل جمعه للتضاد فأما غيره فلا يصح ذلك فيه .

قوله تعالى

﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا أَنَّهُ يُبْدِئُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ (٤) آية بلا خلاف

قرأ ابو جعفر « حقاً أنه » بفتح الهمزة . الباقون بكسرها من فتح ضمناه اليه مرجعكم ، لانه يبدأ . ومن كسر استأنف . قال الفراء من فتح جملة مفعول حقاً كأنه قال حقاً انه . قال الشاعر :

أحقاً عباد الله أن لست زائراً
بثينة او يلقي الثريا رقيبها (١)

(١) تفسير الطبري (الطبعة الاولى) ١١ : ٥٤ وروايته « إلا على رقيب ، بدل

« او يلقي الثريا رقيبها » .

اخبر الله تعالى ان الذي خلق السموات والأرض هو الله تعالى ، وهو الذي يستحق العبادة لا غيره وان اليه مرجع الخلق كلهم . والمرجع يحتمل معنيين : احدهما - ان يكون في معنى الرجوع فيكون مصدراً . والآخر - موضع الرجوع فيكون ظرفاً كأنه قال اليه موضع رجوعكم يكو أنه إذا شاء . ومعنى الرجوع اليه يحتمل امرين :

احدهما - ان يعود الأمر الى ان لا يملك احد التصرف في ذلك الوقت غيره تعالى بخلاف الدنيا ، لأنه تعالى قد ملك كثيراً من خلقه التصرف في دار الدنيا ومكنهم من ذلك .

والثاني - ان يكون معناه انكم ترجعون اليه احياء بعد الموت أي الى موضع جزائه . وقوله « وعد الله حقاً » نصب على المصدر وتقديره احقه حقاً او وعد الله وعداً حقاً ، لان في قوله « مرجعكم » انه وعد بذلك إلا انه لما لم يذكر الفعل اضيف المصدر الى الفاعل ، كما قال كعب بن زهير :

يسمى الوشاة جنابها وقيلهم انك يا ابن ابى سلمى لمقتول (١)

اي ويقولون قيلهم . وقوله « انه يبدؤ الخلق ثم يعيده » اخبار منه تعالى انه الذي انشأ الخلق ابتداء ، وهو الذي يعيدهم بعد موتهم النشأة الاخرى ليدل بذلك خلقه على انه اذا كان قادراً على الابتداء فهو قادر على الاعداء وقوله « ليجزي الذين آمنوا و عملوا الصالحات » فيه بيان انه إنما يعيد الخلق ليعطيهم جزاء اعمالهم من طاعة وممضية، والعطاء اذا كان ابتداء لا يسمى جزاء .

وقوله « بالقسط » معناه بالعدل ، لأنه لو زاد الجزاء او نقص لخرج عن العدل ولكن يجزيهم وفق اعمالهم حتى لا يكون الجزاء على النبوة كالجزاء على الايمان بل كل

(١) ديوانه ١٩ ومجاز القرآن ١ : ١١٢ ، ٢٧٣ وقد مر البيت في ١ : ٣٠٠ من

طاعة يستحق الجزاء على قدرها .

وقوله « والذين كفروا لهم شراب من حميم » معناه أن الذين يجحدون نعم الله ويكفرون بوجدانينه ويجحدون رسله « لهم شراب من حميم » وهو الذي اسسخن بالنار اشد اسسخان . قال المرقش الاصغر (١)

وكل يوم لها مقطرة فيها كباء معدة وحميم (٢)

الكباء العود الذي يتبخر به . وقوله « عذاب أليم » معناه مؤلم « بما كانوا يكفرون » اي جزاء على كفرهم .

قوله تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ
مَنَازِلَ لِّتَعْلَمُوهُمُ أَعْدَادَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا
بِالْحَقِّ يُفَعِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (٥) آية بلا خلاف .

القراءة والحجة :

روى ابن مجاهد عن قنبل والولى عن الربيعي (ضئاء) بهمزة بعد الضاد مكان الياء حيث وقع . الباوقون بياء بعد الضاد ومدة بعدها .

قال أبو علي الفارسي لا يخلو « ضياء » من أن يكون جمع ضوء كسوط وسياط

(١) واسمه عمرو بن حرملة بن سعد بن مالك . وقيل اسمه حرملة بن سعد . وقيل

غير ذلك

(٢) لسان العرب : « قطر » ، « حمم » ، ومجاز القرآن ١ : ٢٧٤ وتفسير الطبرى

« الطبعة الاولى ، ١١ : ٥٥ ورواية اللسان :

كل عشاء لها مقطرة ذات معد وحميم

وحوض وحياض ، او مصدر (ضاء) يضوء ضياءً مثل عاذ يعوذ عيـاذاً او قام يقوم قياماً ، وعلى اي الوجهين حملته فالمضاف محذوف ، والمعنى جعل الشمس ذات ضياءً ، والقمر ذا نور او يكون جعل النور والضياء لكثرة ذلك فيها . فأما الهمزة في موضع العين من « ضياءً » فيكون على القلب كأنه قدم اللام التي هي همزة الى موضع العين واخر العين التي هي واو الى موضع اللام ، فلما وقعت طرفاً بعد الف زائدة قلبت همزة ، كما فعلوا ذلك في (سقاء وعلاء) وهذا اذا قدر جمعاً كان أسوغ ، كما قالوا قوس وقسي ، فصححوا الواحد وقلبوا في الجمع واذا قدرته مصدراً كان ابعد ، لأن المصدر يجري على فعله في الصحة والاعتلال ، والقلب ضرب من الاعتلال فاذا لم يكن في الفعل لم يمتنع أن يكون ايضاً في المصدر ألا ترى انهم قالوا : لاذ لو اذاً وباع يباعاً ، فصححوها في المصدر كصحتها في الفعل ، وقالوا : قام قياماً فأءلوه ونحوه ، لاعتلاله في الفعل .

وقرأ ابن كثير واهل البصرة وحفص (يفصل) بالياء . الباقيون بالنون .
من قرأ بالياء فلا نه قد تقدم ذكر الله تعالى فأضمر الاسم في الفعل . ومن قرأ بالنون فهذا المعنى يريد ، ويقويه بقوله « تلك آيات الله نتلوها » وقد تقدم « اوحينا » (١) فيكون تفصل محمولا على « اوحينا » والياء اقوى ، لأن الاسم الذي يعود اليه اقرب اليه من (اوحينا)

المعنى واللغة :

اخبر الله تعالى ان الذي يرجع اليه الخلق هو الله « الذي جعل الشمس ضياءً »
والجمل وجود ما به يكون الشيء على صفة لم يكن عليها ، نتارة يكون باحداثه
واخرى باحداث غيره . والشمس والقمر آيتان من آيات الله تعالى لما فيها من

عظم النور ، ومسيرهما بغير علاقة ولا دعامة ، وفيها أعظم الدلالة على وحدانية الله تعالى . والنور شعاع فيه ما ينافي الظلام . ونور الشمس لما كان اعظم الأنوار سماه الله ضياءً ، كما قيل للنار نار لما فيها من الضياء . ولما كان نور القمر دون ذلك سماه نوراً ، لأن نور الشمس وضياءها يغلب عليه ، ولذلك يقال أضواء النهار ، ولا يقال أضواء الليل بل يقال انار الليل ، وليلة منيرة . ويقولون في قلبه نور ، ولا يقال فيه ضياء ، لأن الضوء يقال لما يحس بكثرته .

وقوله « وقدره منازل » إنما وحده في قوله « وقدره » ولم يقل وقدرها ، لأحد أمرين :

أحدهما - أنه أراد به القمر ، لأن القمر يحصي شهور الأهلة التي يعمل الناس عليها في معاملتهم .

والآخر - أنه معنى التثنية غير أنه وحده للإيجاز اكتفاءً بالمعلوم ، كقوله « والله ورسوله أحق أن يرضوه » (١) وقال الشاعر :

رمانى بأمر كنت منه ووالدي بريئاً ومن جول الطوى رمانى (٢)

وقوله « ما خلق الله ذلك إلا بالحق » معناه لم يخلق ما ذكره في السموات والأرض والشمس والقمر وقدرها منازل إلا حقاً .

وقوله « يفصل الآيات » أي يميز بعضها من بعض « لقوم يعلمون » ذلك ويتبينونه . وقال قوم : معناه لقوم لهم عقول يتناولهم التكليف ويصح منهم الاستدلال دون البهائم ومن لا عقل له .

(١) سورة التوبة آية ٦٣

(٢) مر تخرجه في ١ : ١٧٢ ، ٢٠٣ .

قوله تعالى :

(إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ) (٦) آية بلا خلاف .

الاختلاف ذهاب كل واحد من الشئيين في غير جهة الآخر ، فاختلاف الليل
والنهار ذهاب أحدهما في جهة الضياء والآخر في جهة الظلام . والليل عبارة عن
وقت غروب الشمس الى طلوع الفجر الثاني وهو جمع ليلة كتمرة ونمر . والنهار عبارة
عن اتساع الضياء من طلوع الفجر الثاني الى غروب الشمس . والنهار واليوم معناهما
واحد إلا أن في النهار فائدة اتساع الضياء .

وقوله «وما خلق الله في السموات والارض ، معناه ما قدر فيها وفعله على مقدار
تقتضيه الحكمة : من الحيوان والنبات وغيرها من غير نقصان ولا زيادة . ورفع السماء
بلا عمد ، وتسكينه الارض بلا سند ، مع عظيمها الأعظم آيات لمن تفكر في ذلك
وتمعنه ، ويتقوى مخالفته . والخلق مأخوذ من خلقت الأديم اذا قدرته . وإنما خص
ما خلق في السموات والأرض بالذكر للأشعار بوجوه الدلالات إذ قد تكون
الدلالة في الشيء من جهة الخلق ، وقد تكون من جهة اختلاف الصورة ومن جهة
حسن المنظر ، ومن جهة كثرة النفع ومن جهة عظم الأمر ، كالجيل والبحر .
وقوله «لآيات لقوم يتقون» معناه ان في هذه الاشياء التي ذكرها دلالات
على وحدانية الله لقوم يتقون معاصيه ويخافون عقابه ، وخص المتقين بالذكر لما كانوا
هم المنتقمين بها دون غيرهم .

قوله تعالى

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا

بها والذين هم عن آياتنا غافلون ﴿٧﴾ آية بلا خلاف .

معنى « ان الذين لا يرجون لقاءنا » يحتمل امرين :

احدهما - لا يخافون عقابنا ، كما قال الهذلي :

اذا لسعته النحل لم يرج لصعها وخالفها في بيت نوب عواسل (١)

والثاني - ان يكون معناه لا يطمعون في ثوابنا ، كما يقال تاب رجاء لثواب الله

وخوفاً من عقابه . والملافة وان كانت لا تجوز الا على الاجسام ، فانما اضافها الى

نفسه ، لان ملافة ما لا يقدر عليه إلا الله يحسن ان يجعل لقاء الله تفخيماً لشأنه كما

جعل إتيان ملائكته اتياناً لله في قوله « هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من

الغمام » (٢) وكما قال « وجاء ربك » (٣) وانما يريد وجاء امر ربك .

ومعنى قوله « ورضوا بالحياة الدنيا » قنعوا بها دون غيرها من خير الآخرة . ومن

كان على هذه الصفة . فهو مذموم لا تقطاعه بها عن الواجب من امر الله .

وقوله « واطمأنوا بها » معناه ركنوا اليها على وجه التمكين فيه ، فهؤلاء مكنوا

الاحوال الدنيا ، فصاحبها يفرح لها ويغم لها ويرضى لها ويسخط لها .

وقوله « والذين هم عن آياتنا غافلون » معناه الذين يذهبون عن تأمل هذه الآيات

ولا يعتبرون بها . والغفلة والسهو نظائر ، وهو ذهاب المعنى عن القلب بما يضاده وقد

تستعمل الغفلة في التعرض لها ، ولذلك يقولون : تغافل ولا يقولون مثله في السهو .

قوله تعالى :

﴿ أُولَئِكَ مَاؤُهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (٨) آية بلا خلاف .

(١) مر تخرجه في ٢ : ٢١٠ ، ٣ : ٣١٥ وهو في مجاز القرآن ١ : ٢٧٥

واللسان ، خلف ،

(٢) سورة الفجر آية ٢٢

(٣) سورة البقرة آية ٢١٠

«أولئك» اشارة الى الذين تقدم ذكرهم في الآية الاولى ، والكاف في «اولئك» حرف الخطاب ، مثل الكاف في قولهم أنا ذاك، ولهذا لم يجزأ تأكيده ولا البدل منه، ولو كان اسماً لجاز (اولئك نفسك) وأولاء مبني على الكسر وإنما بني لتضمنه معنى الاشارة الى المعرفة لأن اصله أن يتعرف بعلامة اذ لم يوضع للشيء بعينه ، كما وضع زيد وعمرو ، وبني على الحركة لالتقاء الساكنين وبني على الكسر لأنها في الاصل في حركة التثنية الساكنين إذا كثرت ذلك في الفعل ، لما يدركه من الجزم فاستحق الكسر لأنه لما يدخل في حال الاعراب و (هو لا) لما قرب و (اولئك) لما بعد ، كما تقول في (هذا) و (ذاك) لأن ما بعد يقتضي التعريف بالخطاب وما قرب يكفي فيه التثنية .

اخبر الله تعالى أن الذين تقدم وصفهم في الآية الاولى مستقرهم النار جزاء بما يكسبون من المعاصي .

قوله تعالى :

﴿ اِنَّ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ يَهْدِيْهِمْ رَبُّهُمْ بِاَيْمٰنِهِمْ
تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهِمُ الْاَنْهٰرُ فِيْ جَنَّٰتِ النَّعِيْمِ ﴾ (٩) آية بلا خلاف .

لما ذكر الله تعالى الكفار وما يستحقونه من المصير الى النار في الآيات الاولى ذكر في هذه « ان الذين آمنوا » يعني صدقوا بالله ورسوله ، واعترفوا بها وأضافوا الى ذلك الاعمال الصالحات « يهديهم » الله تعالى جزاء بايمانهم الى الجنة « تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم » يعني البساتين التي تجري تحت اشجارها الأنهار التي فيها النعيم يعني انواع اللذات والمنافع يتنعمون فيها . ومعنى « تجري من تحتهم الأنهار » تجري بين ايديهم وهم يرونها من عل ، كما قال تعالى « وقد جعل ربك تحتك

سريا « (١) ومعلوم انه لم يجعل السري تحتها، وهي قاعدة عليه لان السري هو الجدول، وانما اراد انه جعل بين يديها . وقال حاكبا عن فرعون « أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي » (٢) وقيل من تحت بساينهم وأسرهم وقصورهم - في قول أبي علي .

ومعنى الهدى هنا الارشاد الى طريق الجنة نوابا على أعمالهم الصالحة ، ألا ترى انه قال « يهديهم ربهم بإيمانهم » يعني جزاء على إيمانهم وذلك لا يلبق إلا بما قلناه . ويحتمل ان يكون وصفهم بالهداية على وجه المدح جزاء على إيمانهم بالله تعالى .

قوله تعالى :

﴿ دَعَاؤُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ

دَعَاؤُهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١٠) آية بلا خلاف

معنى « دعواهم فيها » أن دعاء المؤمنين لله في الجنة ، وذكرهم له فيها هو أن يقولوا « سبحانك اللهم » ويقولون ذلك ولهم فيها لذة لا على وجه العبادة ، لانه ليس هناك تكليف . وقيل أنه اذا مر بهم الطير يشتهونه قالوا « سبحانك اللهم » فيؤتون به ، فاذا نالوا منه شهوتهم قالوا « الحمد لله رب العالمين » هذا قول ابن جريج . وقال الحسن آخر كلام يجري لهم في كل وقت « الحمد لله رب العالمين » لانه ينقطع . والدعوى قول يدعى به الى أمر ، ومعنى « سبحانك اللهم » نزهك يا الله من كل ما لا يلبق بك ولا يجوز من صفاتك من تشبيهه او فعل قبيح . وقيل معناه براءة الله من السوء فيما يروى عن النبي (ص)، قال الشاعر :

اقول لما جاءني نخره سبحان من علقمة الفاخر (٣)

(٢) سورة الزخرف آية ٥١

(١) سورة مريم آية ٢٣

(٣) مر هذا البيت في ١ : ١٣٤ ، ٣ : ٨١ ، ٥ : ٢٤١

أي براءة منه . والتحية التكرمة بالحال الجليلة ولذلك يسمون الملك التحية ، قال
عمرو بن معديكرب :

ازور بها ابو قابوس حتى انيخ على تحيته بجند (١)
وقال زهير بن حباب الكلابي :

من كل ما نال الفتى قد نلته الا التحية (٢)

وهو مأخوذ من قولهم أحياك الله حياة طيبة . والمعنى تحية بعضهم لبعض سلام
أي سلمت وامنت مما ابتلى به اهل النار .

و (ان) في الآية هي المخففة من الثقيلة وجاز أن لا تعمل لخروجها بالتخفيف عن
شبه الفعل ، كما قال الشاعر :

في فتية كسيوف الهند قد عاموا أن هالك كل من يحفى وينتمل (٣)
والميم في اللهم بمعنى (يا) كما أنه قال يا الله ، ولم يجعل في موضع (يا) لئلا يكون
كحروف النداء التي تجرى في كل اسم .

قوله تعالى :

وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِاخْتِيارِ كَفْضِي إِلَيْهِمْ
أَجَلَهُمْ فَفَذَرُوا الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾
(١١) آية بلا خلاف .

(١) تفسير الطبري ١١ : ٥٨ (٢) تفسير الطبري ١١ : ٥٨

(٣) حاشية الصبان ١ : ٢٩٠ ، وفي القرطين ، لابن قتيبة بيت يشبهه نسبه الى الاعشى

وهو موجود في ديوانه : ٥٥ القصيدة ٦ وهو :

في فتية كسيوف الهند قد علموا ان لا يدفع عن ذي الحيلة الحيل

قرأ ابن عامر ويعقوب « لقضى اليهم أجلهم » بفتح القاف . الباقون بضمها على ما لم يسم فاعله .

قال أبو علي الفارسي اللام في قوله « لقضى اليهم أجلهم » جواب (لو) في قوله « ولو يعجل الله للناس » والمعنى « ولو يعجل الله للناس » دعاء « الشر » أي ما يدعون به من الشر على انفسهم في حال ضجر وبطر « استعجلهم » اياه بدعاء « الخير » فأضاف المصدر الى المفعول به وحذف الفاعل كقوله دعاء الخير ، وحذف ضمير الفاعل والتقدير « ولو يعجل الله للناس الشر » استعجالا مثل « استعجلهم بالخير لقضى اليهم أجلهم » قال أبو عبيدة معناه الفراغ من أجلهم ومدتهم المضروبة للحياة ، فهلكوا ، وهو قريب من قوله « ويدعو الانسان بالشر دعاؤه بالخير وكان الانسان عجولا (١)

وقيل للمبت مقضي كأنه قضى اذا مات وقضى فعل ، التقدير استوفى أجله ، قال ذو الرمة :

اذا الشخص فيها هزه الآل اغمضت عليه كغماض المقضى هجولها (٢)
والمعنى اغمضت هجول هذه البلاد على الشخص الذي فيها ، فلم ير اقربه كغماض المقضى ، وهو الميت . فأما قوله « لقضى اليهم » وما يتعاق هذا الجار ، فإنه لما كان معنى (قضى) معنى (فرغ) وكان قولك (فرغ) قد يتعدى بهذا الحرف وفي التنزيل « سنفرغ لكم » (٣) فإنه يمكن ان يكون الفعل يتعدى باللام كما يتعدى به (الى) كما ان اوحى في قوله « واوحينا اليه » قد تعدى به (الى) وفي قوله « بأن ربك اوحى لها ،

(١) سورة الاسرى آية ١١

(٢) اللسان ، غمض ، الآل ما اشرف من البعير ، والاعماض : الاختفاء والهجول - من الارض . ومعنى البيت ان الابل تهر براكبها بسرعة هائلة .

(٣) سورة الرحمان آية ٣١

تمدى باللام ، فلما كان معنى قضى فرغ ، وفرغ تعاقبها الى كذلك تعلق بقضى .
 ووجه قراءة ابن عامر واسناده الفعل الى الفاعل ، لان الذكر قد تقدم في قوله
 « ولو يعجل الله للناس » فقال (لقضى) الله - على هذا - وقوى ذلك بقوله « ثم
 قضى اجلا وأجل مسمى عنده » (١) فقوله « قضى اجلا » اضافه الى الفاعل فكذلك
 في هذه الآية . وقوله « واجل مسمى عنده » يعني اجل البعث بدلالة قوله « ثم
 انتم تموتون » (٢) اي تشكون في البعث ومن ضم القاف وبنى الفعل للمفعول ، فلانه
 في المعنى مثل قول من بنى الفعل للفاعل .

اخبر الله تعالى في هذه الآية انه او عجل للخلاق الشر ، والتعجيل تقديم الشيء قبل
 حينه وقد يكون تقديم الشيء في المكان ، فلا يكون تعجيلا .

والفرق بين التعجيل والاسراع ان التعجيل بالشيء عمله قبل وقته الذي هو اولى
 به . والاسراع عمله في وقته الذي هو احق به ، وضده الابطاء . والشر ظهور
 ما فيه الضرر . واصله الاظهار من قولهم : شررت التوب اذا اظهرته للشمس ، ومنه
 شر النار لظهوره وانتشاره .

وقوله « لقضى اليهم اجلهم » قيل ان معناه لاميتوا ، كأنه قيل لقطع اجلهم
 وفرغ منه قال ابو ذؤيب :

وعليها مسرودتان قضاها داود او صنع الحوابع تبع (٢)

وقال الحسين بن علي المغربي معناه رد قطع اجلهم اليهم ليكون السبب فيه دعاؤهم .
 وقوله « استعجلهم بالخير » نصب استعجلهم على المصدر وتقديره ولو يعجل
 الله للناس تعجيله استعجلهم بالخير اذا دعوا . وقيل في معناه قولان :

(١) سورة الانعام آية ٢

(٣) مر هذا البيت في ١ : ٤٢٩ ، ٤ : ٨٨ ، ١٦٥ . وهو في مجاز القرآن ١ : ٢٧٥

وغیره .

احدهما - قال مجاهد وقتادة : وهو كقول الرجل لولده وماله في حال غضبه :
 اللهم لا تبارك فيه والمنة . وقال الحسن هو كقوله « ويدعو الانسان بالشر دعاؤه
 بالخير » (١)

وقال الجبائي معناه : يطلبون الخير قبل حينه وسبيله في انه لا ينبغي أن يكون
 كسبيل الشر من الاهلاك بالعقاب قبل حينه لما فيه من الاقتران عن التوبة والاطف .
 وقوله « فنذر الذين لا يرجون لقاءنا » معناه ترك الذين لا يخافون لقاءنا ولا
 يطمعون فيه بمعنى انهم لا يخافون عقاب معاصينا ، ولا يطمعون في ثواب طاعتنا
 « في طغيانهم يعمهون » فالطغيان الغلو في ظلم العباد والطاغي والباغي نظائر . و(المنة)
 شدة الحيرة ، وتقديره تركهم وهم يترددون في ضلالتهم ، لا انه يريد منهم العمه في
 الطغيان ، لانه انما يتركهم ليتوبوا من ذلك ويؤمنوا لئلا ينعاهم . ولا يعاجلهم
 بالعقاب في الدنيا وهم مع ذلك لا يرجعون بل يترددون في الطغيان . وقيل المعنى
 تركهم في الآخرة يتحيرون في جزاء طغيانهم .

قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا
 كَشَفْنَا عَنْهُ يُسْرَهُ مَرَّكَانَ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ
 لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَمْعَلُونَ ﴾ (١٢) آية بلا خلاف

اخبر الله تعالى في هذه الآية عن قلة صبر الانسان اذا ناله الضر دعا ربه على
 سائر حالاته التي يصيبه ذاك عليها سواء كان قائما او قاعداً اذا اطافه ، أو على جنبه
 من شدة المرض فيجتهد في الدعاء ، لأن يهب الله له العافية . وليس غرضه بذلك نيل

الثواب للآخرة . وإنما غرضه زوال ما هو فيه من الآلام فإذا كشف الله عنه ذلك الضر ، ووهب له العافية مر مرضاً عن شكر ما وهبه له من نعمة وعافية ، فلا يتذكر ما كان فيه من الآلام وصار في الاعراض عن ذلك بمنزلة من لم يدع الله كشف ألمه ولا سألته ازالة الضرر عنه الذي كان به .

وقوله « كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون » قال ابو علي الجبائي: الشياطين الذين دعوا المسرفين الى المعاصي واغوؤهم بها وبترك شكر نعم الله زينوا لهؤلاء المسرفين ما كانوا يعملونه من المعاصي والاعراض عن ذكر نعمه واداء شكره . والغرض بذلك انه ينبغي لمن وهب الله له العافية بمد المرض ان يتذكر محسن صنع الله اليه وجزيل نعمه عليه ، فيشكره على ذلك ويسأله ادامة ذلك عابه . ونبهه بذلك على انه يجب عليه الصبر عند المرض وترك الجزع عند احتساب الاجر وطلب الثواب في الصبر على ذلك وان يعلم ان الله محسن اليه بذلك ، وليس بظالم له .

وقال الحسن التزني هو التحسين من الشيطان والغواية .

وقال غيره هو التحبيب بالشهوة لتحبيب المشتبه .

وقوله « او قاءداً او قائماً » نصب على الحال . وقوله « كأن » هي المخففة عن

الثقيلة وتقديره كأنه لم يدعنا ومثله قول الخنساء :

كان لم يكونوا حمى متقى اذا الناس اذ ذاك من عزيزاً (١)

اي كأنهم . وقوله « مر كان لم » أي استمر على طريقته الأولى كأنه لم يدعنا ،

ولم يسألنا ذلك . وموضع الكاف نصب على أنه مفعول ما لم يسم فاعله والمعنى زين

للمسرفين عملهم « كذلك » اي مثل ذلك .

قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾
(١٣) آية بلا خلاف

اقسم الله تعالى في هذه الآية أنه اهلك من كان قبل هذه الامة من القرون وهو جمع قرن . وسمي اهل كل عصر قرناً لمقارنته بعضهم لبعض . والقرن هو المقاوم لقرينه في الشدة ، ويعني بذلك الذين كذبوا رسل الله الذين بعثهم الله اليهم ، فكفروا بذلك بربههم ، وظلموا انفسهم فأهلكهم الله بأنواع العذاب وفتن الاستئصال ، كما اهلك قوم لوط وقوم موسى ، وغيرهم ، وبين بقوله « وما كانوا ليؤمنوا » ان هذه الأمم التي اهلكنا لم يكونوا مؤمنين لو أبقاهم الله لم يؤمنوا بالرسل الذين أتوهم والكتب التي جاؤهم بها ، ولما كان ذلك المعلوم من حالهم استحقوا من الله تعالى العذاب فأهلكهم . وقوله « كذلك نجزي القوم المجرمين » أي نعاقب مثل عقوبة هؤلاء المجرمين إذا استحقوا او كانوا ممن لا يؤمن ، ولا يصلح . وجعل ابو علي الجبائي ذلك دليلاً على ان تبقية الكافر اذا علم من حاله انه يؤمن فيما بعد واجبة .

قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ (١٤) آية بلا خلاف .

بين الله تعالى بهذه الآية انه انما جعل المخاطبين بهذا الخطاب بعد اهلاك من اهلك وتكليفه اياهم من طاعته وتصديق رسله مثل ما كان كافهم لينظر كيف تعملون معناه انكم ان عملتم بالمعاصي مثل ما عمل بها اولئك وكذبتم الرسل ولم ترجعوا عن

الكفر أهلكم ببعض العقاب كما أهلك من تقدم . وان آمنتم أنا بكم الله في الدنيا والآخرة ورضي عنكم ، فجعل قوله « لننظر كيف تعملون » دلالة لهم على اني أفعل بكم احـد هذين: الثواب ان آمنتم واطعتم ، والعذاب ان كفرتم وعصيتم . واستعمل ذلك على هذا المعنى مجازاً كما يستعمله اهل اللغة على هذا المعنى ، لأنهم لا يعملون ما يكون من المكافين وما يفعل بهم من الثواب والعقاب وهو عالم بذلك . ومثل ذلك يستعمله العرب فيما يعلمه الانسان يقول القائل لعلامة الذي بأمره اني سأعاقبك واضربك لأنظر كيف صبرك ، واعطيك ما لا لأنظر كيف تعمل وان كان عالماً بما يؤل اليه الأمر في ذلك . وموضع (كيف) نصب بقوله « تعملون » وإنما قدم لأنه للاستفهام ولا يجوز ان يكون معمولاً « لننظر » لان ما قبل الاستفهام لا يعمل في الاستفهام ولو قلت لننظر أخيراً يعملون او شرأ كان العامل في خير وشر يعملون .

قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا تُلِيٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا إِيَّاكَ بَقَرٰنٍ غَيْرِ هٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِيْ أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَآءِ نَفْسِيْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّيْ عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ ﴾ (١٥) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى في هذه الآية انه اذا قرأ النبي (ص) على الكفار آيات الله وكلامه . و « بينات » نصب على الحال وهي الآيات التي امر فيها عباده بأشياء ونهاهم عن اشياء « قال الذين لا يرجون لقاءنا » اي عذاب الله وما وعدهم به من ثوابه ان اطاعوه « آت بقرآن غير هذا » الذي تنلوه علينا « او بدله » فأجمله على خلاف ما تقرأه علينا وإنما فرق بين قوله « آت بقرآن غير هذا او بدله » لأن الايتان بغيره

قد يكون معه ، وتبديله لا يكون الا برفعه والانيان بغيره . وانما لم يرجوا ثواب الله وعذابه لأنهم كانوا غير مقربين بالله ولا معترفين بذنوبهم نبيه (ص) ولا يصمدقونه فيما يخبرهم به عن الله ويذكركم به من البعث والنشور والحساب والجزاء . وكان قولهم هذا له على وجه التعمت والتسبب الى الكفر به وتكذيبه ، واحتجاجاً عليه بما ليس بحجة لأنه (ص) كان قد بين لهم ان هذا القرآن ليس من كلامه وانه ليس له تغير به وتبديله فأرادوا ان يوهموا ان الامر موقوف على رضاهم به وليس برضون بهذا فيريدون غيره .

وقال الزجاج : انه كان غرضهم اسقاط ما فيه من عيب آلهتهم وتسفيه احلامهم ومن ذكر البعث والنشور ، فأمر الله تعالى نبيه ان يقول لهم في جواب ذلك ليس لي « ان ابدله من تلقاء نفسي » اي من جهة نفسي ومن ناحية نفسي كأنه قيل له قل ليس لي ان اتلقاه بالتبديل كما ليس لي ان اتلقاه بالرد . والتلقاء جهة مقابلة الشيء الا انه قد يستعمل ضمناً فيقال : هو تلقاءه كما يقال هو حذاء وقبالتة ونجابهه .

قوله « ان اتبع الا ما يوحى الي » اي ليس لي ان اتبعم الا الذي يوحى إلي « اني اخاف ان عصيت ربي » في اتباع غيره « عذاب يوم عظيم » يعني يوم القيامة . ومن استدلل بهذه الآية على ان نسخ القرآن بالسنة لا يجوز فقد ابعد لأنه اذا نسخ ما يتضمنه القرآن بالسنة ، فالسنة لا يقوله النبي (ص) الا بوحى من الله . وليس بنسخه من قبل نفسه . بل يكون ذلك النسخ مضافاً الى الله . وانما لا يكون قرآناً لأنه تعالى قد يوحى الى نبيه ما هو قرآن وما ليس بقرآن ، لأن جميع ما بينه النبي (ص) من الشريعة لم يبينها إلا بوحى من الله لقوله « وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى » (١) وان كان تفصيل ذلك ليس موجود في القرآن ، فلا استدلال

بذلك على ما قالوه بعيد .

قوله تعالى :

﴿ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (١٦) آية بلا خلاف

حكى عن الحسن انه قرأ « ولا أدراكم به » . وقرأ ابو ريعة وفسبل الا
المالكي والطار « ولا دراكم به » بجملائها (لاماً) ادخلت على (ادراكم) وأمال
(أدراكم) و (ادراك) في جميع القرآن ابو عمرو وحمة والكسائي وخلف
والداحوني عن ابن ذكوان ، والكسائي عن أبي بكر ، وافقههم يحيى والميمى في هذه
السورة . حكى سيبويه : دريته ودريت به ، قال واكثر الاستعمال بالباء ، يبين ذلك
قوله « ولا ادراكم به » ولو كان على اللغة الأخرى لقال ولا ادراكموه ، وقالوا :
الدرية على وزن (فعلة) كما قالوا الشعرمة والفظنة ، وهي مصادر يراد بها ضمروب من
العلم . فأما الدراية فكالهداية والدلالة وكان الدراية التأنى والتعمل لعلم الشيء . وعلى هذا
المعنى ما تصرف في هذه الكلمة ، وقالوا : داريت الرجل اذا لا يذته وختلته فعلى هذا لا
يوصف الله تعالى بالداري ، واما قول الراجز .

اللهم لا أدري وانت الداري (١)

فلا يكون حجة في جواز ذلك لأمرين :

احدهما - انه لما تقدم قوله : لا أدري استجاز أن يذكر الداري بعده ،
ليزدوج الكلام ، كما قال تعالى « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه » (٢) ونظائره
كثيرة .

الثاني - ان الاعراب ربما ذكروا أشياء امتنع جوازها كما قال :

(٢) سورة البقرة آية ١٩٤

(١) مجمع البيان ٣ : ٩٦

لو خافك الله عليه حرمة (١)

وقال آخر :

لهم إن كنت الذي بهدي ولم تغيرك الأمور بمدي (٢)

فأما الهمزة على ما حكى عن الحسن ، فلا وجه له لأن الدرء اللفظ ، كما قال « فأدرأوا عن أنفسكم الموت » (٣) وقال « فأدرأتم فيها » (٤) وقوله (ع) « ادروا الحدود بالشبهات » قال الفراء إن كان ما حكى عن الحسن لغة ، والابجوزان يكون الحسن ذهب إلى طبعه وفصاحته فذهب إلى درأت الحد ، وقد يغلط بعض العرب في الحرف إذا ضارعه آخر في الهمزة فيهمز ما ليس مهموزاً سمعت امرأة من غنى تقول : رثأت زوجي بأبيات ، ويقولون : لبأت بالحج وحلات المويق . وكل ذلك غلط ، لأن (حلات) إنما هو من دفع الأبل العطاش عن الماء ، و (لبأت) من اللبأ الذي يوكل ، و (رثأت) من الرثية إذا حلبت الحليب على الرايب ، ومن أمال فتحة الراء وأمالي الألف بعدها ، فلأن هذه الألف تنقلب ياء في أدريته ، وهما مدريان . ومن لم يمل فلأن الأصل عدم الإمالة ، ولأن كثيراً من الفصحاء لا يميل ذلك .

ومعنى قوله « ولا ادراكم به » قال ابن عباس ولا أعلمكم به من دريت به وادرائني الله به . ومعنى الآية الأمر للنبي (ص) بأن يقول لهؤلاء الكفار ولو أراد الله أن يمنهم فأئدته ما أعلمهم به ، ولا أمر النبي (ص) بتلاوته عليهم . وقوله « فقد لبئت فيكم عمراً من قبله » ومعناه لبئت على هذه الصيغة لا أتلوه عليكم ولا أعلمكم الله به حتى أمرني به وشاء إعلامكم . وقال قتادة لبئت في قومه أربعين سنة قبل أن يوحى إليه .

(١) مجمع البيان ٣ : ٩٧ وقد مر في ٢ : ١٨٥

(٢) مجمع البيان ٣ : ٩٧

(٤) سورة البقرة آية ٧٢

(٣) سورة آل عمران آية ١٦٨

وقوله « أفلا » تعقلون ، معناه هلا تتفكرون فيه بمقولكم فتقبيبنوا بذلك ان هذا القرآن من عند الله انزله تصديقاً لنبيه (ص) قال الرماني والعقل هو العلم الذي يمكن به الاستدلال بالشاهد على الغائب . والناس يتفاضلون فيه بالأمر المتفاوت فبعضهم أعقل من بعض اذ كان أقدر على الاستدلال من بعض .

ومعنى ذلك ان يقول لهم قد لبثت فيكم حيناً طويلاً ونشأت بين أظهركم وعرفتم منصرفي ومنقلي فلو كان ما أتيت به مخترعاً او كان ما فيه من الأخبار من عند غير الله لكنتم عرفتم ذلك اذ فيكم ولدت ونشأت ومعكم تصرفت « أفلا تعقلون » في التدبير والنظر والانصاف فتعملون فعل من يعقل . على انه (ص) لو كان اخذ ذلك من غيره وخالط اهلها او لو كان شاعراً او لو كان يعلم السحر - كما ادعوا - ثم خفي ذلك اجمع عليهم حتى لم يعرفوا الوجه الذي منه اخذ لكان في ذلك أعظم الحجة . وعلى ما روي عن قنبل يكون المعنى « لو شاء الله ما تلوته » يكون تقياً للتلاوة « ولا أدراكم » ولأعلمكم نبوته ويكون اثباتاً للعلم ، وعلى قراءة الباقيين يكون تقياً للامرين معاً .

قوله تعالى :

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ

إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمَجْرُمُونَ ﴾ (١٧) آية بلا خلاف .

قوله « فمن اظلم ممن » ظاهره الاستفهام والمراد به الاستعظام والاخبار به أنه لا احد اظلم ممن اخترع كلاماً او خبراً ثم اضافته الى الله ويريد به النبي نفسه لو كان فعل « او كذب بآياته » يعنيهم « انه لا يفلح » اي لا يفوز المجرمون . وانما قال : لا احد اظلم ممن هذه صفة ، لأنه ظلم كفر ، وهو اعظم من ظلم ليس بكفر . والتقدير لا احد اظلم ممن يظلم ظلم كفر ، فعلى هذا من يدعي الربوبية داخل في هذه الجملة ،

لأن ظلمه ظلم كفر ، كأنه قيل لا أحد أظلم من الكافر وليس لأحد أن يقول المدعي للربوبية أظلم من المدعي للنبوة وهو كاذب . والكذاب بآيات الله ظلم لنفسه بما يدخل عليها من استحقاق العقاب وظالم لغيره ممن يجوز أن تلحقه المنافع والمضار بتكذيبه إياه وردة عليه ، لأن من شأنه أن يعمه مثل هذا التكذيب ، و(من) في الآية للاستفهام وهي لا توصل لأنها تضمنت حرف الاستفهام فعملت معاملته ، كما أنها إذا كانت بمعنى الجزاء لم توصل لتضمنها معنى (ان) التي هي أم الباء في الجزاء .

قوله تعالى

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَنتَبِئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَـُٔمُّكُمْ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ تُسَبِّحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (١٨) آية بلا خلاف

قرأ أهل الكوفة إلا عاصمًا « عما تشركون » بالتاء ههنا وفي النحل في موضعين وفي الروم . الباقيون بالياء .

من قرأ بالتاء بناء على ما تقدم من قوله « أنتبئون الله بما لا يعلم » فلما خاطبهم بذلك وجه اليهم الخطاب بتزيهه عما يشركون .

ومن قرأ بالياء بناء على الخبر عن الغائب لأن أول الآية مبني على ذلك ، وهو قوله « ويعبدون من دون الله » وكلاهما حسن .

أخبر الله تعالى على وجه الذم للكفار بأنهم يوجهون عبادتهم إلى من هو دون الله من الأصنام والأوثان التي لا تضر ولا تنفع .

فإن قيل كيف ذمهم على عبادة الوثن الذي لا ينفع ولا يضر مع أنه لو نفع وضر لم تجز عبادته ؟ قلنا لأنه إذا كان من يضر وينفع قد لا يمتحق العبادة إذا لم يقدر

على اصول النعم ، فمن لا يقدر على النعم والضر اصلا ابعد من ان يستحق العبادة .
 وقوله « ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » اخبار منه تعالى عن هؤلاء الكفار
 أنهم يقولون انا نعبد هذه الأصنام لتشفع لنا عند الله ، فتوهموا أن عبادتها أشد
 في تعظيم الله من قصده تعالى بالعبادة ، فخلت من هذه الجهة محل الشفاعة عند الله .
 وقال الحسن شفعاء في صلاح معاشهم في الدنيا ، لأنهم لا يقرون بالبعث بدلالة قوله
 « وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت ، والعبادة خضوع بالقلب في
 اعلى مراتب الخضوع ، فكل طاعة فعلت على هذا الوجه فهي عبادة . وانما قال
 « ويعبدون من دون الله » مع أنهم كانوا يشركون في عبادة الله لأمرين :
 احدهما - ان عابد الوثن خاصة قد أشرك في استحقاق العبادة .

الثاني - ان من عبد الله وعبد الوثن فقد عبده من دون اخلاص العبادة لله .
 وقوله « اتنبئون الله بما لا يعلم » أمر منه تعالى لنبيه أن يقول لهم على وجه
 الالزام اتخبرون الله بما لا يعلم من حسن عبادة الأوثان وكونها شائعة لأن ذلك لو
 كان صحيحاً لكان الله به عالماً ولما تقي العلم بذلك تقي المعلوم .
 وقوله « سبحانه وتعالى عما يشركون » تزيه منه تعالى لنفسه ، وتزيه من أن
 يعبد معه إله او يتخذ من دونه معبود .

قوله تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
 سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِي مَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (١٩) آية
 بلا خلاف .

اخبر الله تعالى في هذه الآية أنه لم يكن الناس فيما مضى الا امة واحدة . والامة

الجماعة التي على معنى واحد في خلق او ما يستمر على عبادته بالظاهر ، فعلى هذا
الناس امة والطير امة . والمراد ههنا انها كانت على دين واحد .
واختلفوا في الدين الذي كانوا مجتمعين عليه قبل حدوث الاختلاف بينهم
على قولين :

فقال الحسن كانوا على الشرك كما قال تعالى « كان الناس امة واحدة فبعث الله
النبیین مبشرين ومنذرين » (١)

قال الزجاج أراد بذلك العرب الذين كانوا قبل مبعث النبي (ص) فأنهم كانوا
مشركين ، فلما بعث النبي آمن به قوم وكفر به آخرون .

وقال الجبائي : أنهم كانوا على الاسلام ، في عهد آدم وولده وانكر الاول ، قال
لان الله تعالى قال « فكيف اذا جئنا من كل امة بشـهيد وجئنا بك على هؤلاء
شهيدا » (٢) فلو كانوا كلهم على الكفر لما كان فيهم شهيداً اصلاً .

قال الرماني : لا يتمتع أن يكون الأمر على ما قال الحسن ويكون المراد التغليب
كأن المسلمين كانوا قليلين ، فلا يعتد بهم فيجوز أن يقال فيهم أنهم امة مشركة ، كما
روي عن النبي (ص) انه (قال ان الله نظر الى أهل الأرض فمقتهم الا بقايا من
أهل الكتاب .)

وقال مجاهد : فاختلّفوا حين قتل ابن آدم أخاه .

والاختلاف هو الذهاب في الجهتين فصاعداً من الجهات ، وحد المختلفين ان لا
يسد احدهما مسد صاحبه فيما يرجع الى ذاته كما لم يسد السواد مسد البياض .

وقوله « ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم » معناه لو لا كلمة سبقت من ربك
من انه لا يماجل العصاة بالمعقوبة انعاماً عليهم في التأنى بهم « لقضى بينهم » في

(٢) سورة النساء آية ٤٠

(١) سورة البقرة آية ٢١٣ .

اختلافهم بما يضطرهم الى علم الحق من المبطل وقيل معنى ذلك « لقضى بينهم » اي فصل بينهم بأن اهلك العصاة وانجا المؤمنين ، لكنه أخرجهم الى يوم القيامة تفضلا منه وزيادة في الانعام عليهم .

قوله تعالى :

﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَبِهُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴾ (٢٠) آية بلا خلاف .

حكى الله تعالى عن هؤلاء الكفار أنهم قالوا : هلا انزل على محمد آية وأرادوا بذلك انه يضطرهم الى المعرفة ولا يحتاجون معها الى النظر والاستدلال ، ولم يطلبوا معجزة يستدل بها على صدقه لأنه قد كان اتاهم بالمعجزات التي تدل على صدقه فلم يجيبهم الله الى ما التمسوه ، لأن التكليف يمنع من الاضطرار الى المعرفة ، لأن الغرض بالتكليف التمهيد للثواب . ولو عرفوا الله تعالى ضرورة لما استحقوا ثواباً فكان ذلك ينقض غرضهم .

وقال ابو علي طلبوا آية سوى القرآن .

والاصل في (لولا) امتناع الثاني لكون الأول كقولك : لولا زيد لجئتك فخرجت الى معنى التحضيض بأنه ليس يفغني أن يتمتع ذا لكون غيره .

قوله « فقل إنما الغيب لله » معناه ان ما لا تعرفونه ولا نصب لكم عليه دليل يجب ان تسلموا علمه لله لأنه العالم بالخطفيات وما يكون في المستقبل ، فلا جل ذلك لا يفعل الآية التي اقترحتموها في هذا الوقت لما في ذلك من حسن التدبير ووجه المصلحة .

والغيب خفاً الشيء عن علم العباد ، والله تعالى عالم الغيب والشهادة لأنه عالم لنفسه يعلم الأشياء قبل كونها وبعد كونها لا يخفى عليه خافية .

وقوله « فانتظروا » معناه انتظروا ما وعدكم من نصر المؤمنين وقهر الكافرين وانزال الذل والعقاب بهم ان أقاموا على كفرهم فد « اني معكم من المنتظرين » لذلك .

قوله تعالى

﴿ وَإِذَا أذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنَّا مِن بَعْدِ ضِرَّاءَ مَسَّتْهُمُ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مُكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تُمَكِّرُونَ ﴾ (٢١) آية بلا خلاف

روى روح « يمكرون » بالياء والباقون بالتاء .

اخبر الله تعالى بأنه إذا اذاق الناس يعني الكافرين « رحمة » بأن انعم عليهم وأوسع أرزاقهم وأخصب اسعارهم « من بعد ضراء » يعني بعد شدة كانوا فيها من جذب وضيق نالتهم « مكروا في آياتنا » فجواب (اذا) الأولى في (اذا) الثانية وإنما جعلوا (اذا) جواباً اذا كانت بمعنى الجملة على ما فيها من المفاجأة ، كما قال تعالى « وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقطنون » (١)

حقيقة الذوق تناول ماله طعم بالقم ليوجد طعمه . وإنما قال « اذقناهم » على طريق البلاغة لشدة ادراك الحاسة . والمكر فعل الشيء الى غير وجهه على طريق الحيلة فيه ، فهؤلاء محتالون لدفع آيات الله بكل ما يجدون السبيل اليه من شبهة او تخليط في مناظرة او غير ذلك من الأمور الفاسدة .

وقال مجاهد مكرهم استهزأؤهم وتكذيبهم ، فقال الله لنبيه (ص) « قل » لهم « الله اسرع مكرًا » يعني اقدر جزاء على المكر ، وذلك أنهم جعلوا جزاء النعمة المكر مكان الشكر ، فقولوا بما هو أشد .

والسرعة عمل الشيء في وقته الذي هو احق به ، والمعنى ان ما يأتيهم من العقاب اسرع مما اتوه من المكر اي وقع في حقه .

وقوله « ان رسلنا يكتبون ما تمكرون ، اخبار منه تعالى ان ملائكة الله الموكلين بهم يكتبون ما يمكرون من كفرهم وتكذيبهم ، ففي ذلك غاية الزجر والتهديد على ما يفعلونه من المكر والحيل في امر النبي (ص) . وقبل انما سمي جزاء المكر مكرآ ، لانهم اذا نالهم العذاب على مكرهم بحيث لا يحتسبونه ولا يتوقعونه فكأنه مكرهم .

قوله تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي يُسِيرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَينَ بِهِمْ بَرْجًا طَيِّبَةً وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أُنزِلَتْ سَوَابِقُ النَّارِ مِنَ السَّمَاءِ لَنُكْفَرُنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (٢٢) آية بالاخلاق .

قرأ ابن عامر وابو جعفر « ينشركم » بالنون والشين من النشر الباقوت بالياء والسين وتشديد الياء من التسيير .

قال ابو علي حجة ابن عامر ان (ينشركم) مثل قوله « وبث منها رجالا كثيرا ونساء » (١) فالبث تفريق ونشر . وحجة الباقيين قوله « قل سيروا في الارض » (٢) « فامشوا في مناكبها » (٣) فالمعنيان متقاربان .

(٢) سورة الانعام آية ١١ وسورة النمل

(١) سورة النساء آية ١

آية ٦٩ وسورة العنكبوت آية ٢٠ والروم آية ٤١ .

(٣) سورة الملك آية ١٥ .

امتحن الله على خلقه في هذه الآية وعدد نعمه التي يفعلها بهم في كل حال ، فقال « هو الذي يسيركم في البر والبحر » وتسييره إياه اما في البحر ، فلا نه بالريح ، والله المحرك لها دون غيره ، فلذلك نسبته الى نفسه ، واما في البر فلا نه كائن باقداره ونامكينه وتسييره ، فلذلك نسبته الى نفسه .

والتسيير التحريك في جهة تمتد كالسير الممدود ، والبر الأرض الواسعة التي تقطع من بلد الى بلد ، ومنه البر لانساع الخير به . والبحر مستقر الماء الواسع حتى لا يرى من وسطه حافته وجمعه أبحر وبحور ، ويشبهه به الجواد ، فيقال انما هو بحر لانساع عطائه . وقوله « حتى إذا كنتم في الفلك » خص الخطاب براكب البحر . والفلك السفن ، وسميت فلكا لدورانها في الماء ، وأصله الدور ، ومنه فلكة المنزل ، والفلك الذي تدور فيه النجوم . وتلك ثدي الجارية اذا استدار . والفلك - ههنا - جمع ، وقد يكون واحداً . كقوله « في الفلك المشحون » (١)

وقوله « وجرين بهم بريح طيبة » عدل عن الخطاب الى الأخبار عن الغائب تصرفاً في الكلام مع انه خطاب لمن كان في تلك الحال واخبار لغيره من الناس ، قال لبيد :

باتت تشكي إلي النفس مجهشة وقد حملتك سبعا بعد سبعينا (٢)

وقوله « وفرحوا بها » يعني بالريح الطيبة « جاءتها ريح عاصف » يعني ربما شديدة يقولون : عصفت الريح فهي عاصف وعاصفة ، ومنهم من يقول : اعصفت فهي معصف ومعصفة . والريح مؤنثة وانما قال عاصف ، لأنه لا يوصف بذلك غير الريح فجري مجرى قولهم امرأة حائض قال الشاعر :

(١) سورة يس آية ٤١ والشعراء : ١١٩

(٢) مر تخريجها في ١ : ٣٥ ، ٤٧٢ .

حتى إذا عصفت ريح مزرعة فيها قطار ورعد صوته زجل (١)
وقوله « وجاءهم الموج من كل مكان » معناه جاء راكبي الفلك الأمواج العظيمة
الهائلة من جميع الوجوه . « وظنوا أنهم أحيط بهم » أي ظنوا أنهم هالكون لما
احاط بهم من الأمواج « دعوا الله مخلصين له » أي عند هذه الشدائد والأحوال
والتجؤوا إلى الله ودعوه على وجه الإخلاص ، ولم يذكروا الأوثان والاصنام لعلمهم
بأنها لا تنفع ههنا شيئاً وقالوا « لئن أنجيتنا » يارب من هذه الشدة « لنكونن »
من جملة من يشكرك لنعمك ، ويقوم بأدائها . ويقال لمن اشرف على الهلاك أحيط به ،
ومنه قوله « واحيط بشعره » (٢) أي اهلك .

قوله تعالى :

﴿ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ
إِنَّمَا بَغَيْتُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ
فَذُنِّبْكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٢٣) آية بلا خلاف .

قرأ حفص « متاع الحياة » بنصب العين . الباقر بالرفع من رفع يحتمل أمرين :
أحدهما - ان يكون رفماً بأنه خبر المبتدأ والمبتدأ قوله « بغيكم »
الثاني - ان يكون بغيكم مبتدأ ، وقوله « على انفسكم » خبره . ورفع متاع على
تقدير ذلك متاع الحياة الدنيا .

ومن نصب فعلى المصدر . قال ابو علي الفارسي « على انفسكم » يحتمل أمرين :
أحدهما - ان يكون متملقاً بالمصدر ، لأن فعله متعد بهذا الحرف ، كما قال « بغي

(١) تفسير الطبري ، الطبعة الاولى ، ١١ : ٦٣ وجمع البيان ٣ : ١٠٠

(٢) سورة الكهف آية ٤٣ .

بعضنا على بعض، (١) وقال «ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بنفي عليه لينصره الله» (٢) فإذا جمعت الجار من جملة المصدر كان الخبر متاع الحياة الدنيا والمعنى بنفي بعضكم على بعض متاعاً في الحياة الدنيا .

ويجوز ان تجعله متعلقاً بمحذوف ، ولا تجعله من صلة المصدر ، وفيه ذكر يعود الى المصدر . والتقدير انما بنفي بعضكم على بعض قائم على انفسكم ، فعلى هذا يتعلق بالمحذوف دون المصدر المبتدأ وهو في المعنى كقوله «ولا يحيق المكر الدسيء الا بأهله» (٣) وقوله «فمن نكث فأنا ينكث على نفسه» (٤) فإذا رفعت متاع الحياة على هذا كان خبر مبتدأ محذوف كأنك قلت ذلك متاع الحياة الدنيا او هو متاع .
ومن نصب احتمال وجهين :

احدهما - ان يجعل من صلة المصدر ، فيكون الناصب لمتاع هو المصدر الذي هو البني ، ويكون خبر المبتدأ محذوفاً وحسن ذلك لطول الكلام ، لأن بنفيكم يدل على تبغون .

والآخر - ان يجعل على انفسكم خبر المبتدأ ويكون نصب متاع على أحد وجهين :
احدهما - يمتعون متاع الحياة فيدل انتصاب المصدر عليه .

والآخر - ان يضم تبغون كأنه قال تبغون متاعاً ، فيكون مفعولاً له ، ولا يجوز أن يتعلق بالمصدر اذا جمعت (على) خبراً ، لقوله انما بنفيكم على انفسكم ، لفصلك بين الصلة والموصول .

المعنى :

اخبر الله تعالى في هذه الآية عن هؤلاء الكفار الذين اذا رأوا الاوهال والشدائد

(٢) سورة الحج آية ٦٠

(٤) سورة الفتح آية ١٠

(١) سورة ص آية ٢٢

(٣) سورة فاطر آية ٤٣

في الفلك في البحر فزعدوا الى الله ودعوه مخلصين له الدين، وقالوا متى انجيتنا من هذه
« لنكونن من الشاكرين » انه اذا انجاهم وخلصهم من تلك الشدائد عادوا الى البغي
وهو الاستعلاء بالظلم . واصل البغي الطلب . تقول بغاه يبغيه اذا طلبه والبغية
الطلبية ، والنجاة التخلص من الهلاك . والتخليص من الاختلاط لا يسمى نجاة .
ومعنى « لما » ايجاب وقوع الثماني بالاول كقولك: لما قام قت، ولما جاء زيد قام
عمرو ، والحق وضع الشيء في موضعه على ما يدعوا العقل اليه ، والحق والحسن
معناها واحد . وقوله « يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم » خطابه من الله تعالى
للخلق بأن بغيكم على انفسكم من حيث ان عقابه يلحقكم دون غيركم « متاع الحياة
الدنيا » معناه انكم تطلبون بالبغي بغير الحق من التمتع في الحياة الدنيا . ثم بعد ذلك
ترجعون الى الله بعد موتكم فيجازيكم بأعمالكم بعد ان يعلمكم ما عملتموه وما
استحققتم به من انواع العقاب .

وقال مقاتل : معنى « يبغون في الأرض بغير الحق » يبدون غير الله . وقال غيره
معناه كما انعمنا عليهم بغوا للدين واهله الغوائل .

قوله تعالى :

﴿ انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به
نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى اذا أخذت الأرض
زخرفها وازيدت وظن أهلها أنهم قادرون عليها اناها من ناليل
أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس كذلك تفصل
الآيات لقوم يتفكرون ﴾ (٢٤) آية بلا خلاف

المثل قول سائر يشبه به حال الثاني بالأول. وقيل مثل الحياة الدنيا صفة الحياة الدنيا. وقيل في المشبه والمشبه به في الآية ثلاثة اقوال:

احدها - قال الجبائي انه تعالى شبه الحياة الدنيا بالنبات على ما وصفه الله تعالى في الاغترار به والمصير الى الزوال كالنبات الذي يصير الى مثل ذلك .

الثاني - انه شبه الحياة الدنيا بالماء فيما يكون به من المتاع ثم الانقطاع

الثالث - انه شبه الحياة الدنيا بحياة مقدره على هذه الأوصاف ، لما يقتضيه « وطن أهلها أنهم قادرون عليها » اي علموا الانتفاع بها ، وقوله « فأخذه مطأ به نبات الأرض » فلاختلاط تداخل الأشياء بعضها في بعض فربما كان على صفة مدح ، وربما كان على صفة ذم .

وقوله « حتى اذا اخذت الأرض زخرفها » فالزخرف حسن الألوان كالزهر الذي يروق البصر ، ومنه قيل زخرفت الجنة لأهلها . وقوله « وطن أهلها أنهم قادرون عليها » معناه ظنوا أنهم قادرون على استصحاب تلك الحال منها - جعلها على غير شيء منها ، لأن القادر عليهم وعليها اهلكها .

وقوله « وازينت » أصله تزينت فادغمت التاء في الزاي واجلبت الهمزة لامكان النطق بها . وقرأ الأعرج وغيره « وازينت » على وزن أفعلت ، والأول اجود لأن عليه القراء .

وقوله « كأن لم تغن بالأمس » معناه كان لم تقم على تلك الصفة فيما قبل ، يقال: غنى بالمكان اذا اقام به والمغاني المنازل قال النابغة :

غنيت بذلك اذ هم لك حيرة منها بعطف رسالة وتودد (١)

وقوله « كذلك تفصل الآيات لقوم يتفكرون » معناه مثل ذلك تميز الآيات وتبينها

لقوم يفكرون ويمتبرون بها ، لان من لا يفكر فيها ولا يعتبر بها كأنها لم تفصل له ،
فلذلك خصصهم بالذكر .

قوله تعالى :

﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٢٥) آية بلا خلاف

اخبر الله تعالى بأنه الذي يدعو عباده الى دار السلام . والدعاء طلب الفعل بما يقع
لاجله ، والداعي الى الفعل خلاف الصارف عنه . وقد يدعو اليه باستحقاق المدح
عليه .

والفرق بين الدعاء والامر ، ان في الامر ترغيباً في الفعل ، وزجراً عن تركه ، وله
صيغة تنبيه عنه ، وليس كذلك الدعاء ، وكلاهما طلب . وأيضاً الامر يقتضي ان يكون
المأمور دون الأمر في الرتبة . والدعاء يقتضي أن يكون فوقه . وفي معنى دار
السلام : قولان :

احدهما - قال الحسن السلام هو الله وداره الجنة وبه قال قتادة .

الثاني قال الجبائي والزجاج : معناه دار السلامة .

وقوله « ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم » قيل في الهداية هنا ثلاثة اقوال :

احدهما - يفعل الألفاظ التي تدعوهم الى طريق الحق لمن كان المعلوم أن
له لطفاً .

الثاني - الاخذ في الآخرة الى طريق الجنة .

الثالث - قال ابو علي : يريد به نصب الأدلة لجميع المكلفين دون الأطفال والمجانين .

والاستقامة المرور في جهة تؤدي الى البغية ، فالادلة طرق الى العلم على الاستقامة
لأنها تؤدي اليه .

قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٢٦)
آية بلا خلاف .

أخبر الله تعالى بأن الذين يفعلون الحسن من الطاعات التي أمرهم الله بها جزاء على ذلك « الحسنى » وهي الجنة ولذاتها وقيل جامعة المحاسن من السرور والذات على أفضل ما يكون وهي تأنيث الاحسن .

وقوله « وزيادة » معناه ان لهم زيادة التفضل على قدر المستحق على طاعتهم من الثواب ، وهي المضاعفة المذكورة في قوله « فله عشر امثالها (١) » ذهب اليه ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وعلقمة بن قيس .

وقال ابو جعفر (ع) « وزيادة » معناه ما أعطاهم الله في الدنيا لا يحاسبهم به في الآخرة .

وقوله « ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة » فالرهق لحاق الامر ، ومنه رهاق الغلام اذا لحق حال الرجال ، ورهقه في الحرب اذا ادركه . و(الرهاق) الاعمجال . و(القتر) الغبار . والقتر العبرة . ومنه الاقتار في النفقة لقلته ، قال الشاعر :

متوج برداً الملك يقبمه

موج يرى فوقه الرايات والقترا (٢)

والذلة صغر النفس بالاهانه . والذلة نقيض العزة . وقد يكون صغر النفس

(١) سورة الانعام آية ١٦٠ .

(٢) قائلة الفرزدق ديوانه : ٢٩٠ . وتفسير الطبري ١١ : ٦٩ . ومجاز القرآن ٢٧٧

وتفسير القرطبي ٨ : ٣١١ . واللسان « قتر » . ورواية الديوان « معتصب » بدل « متوج »

بضيق المقدرة .

وقوله « أولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون » اخبار منه تعالى بأن الذين وصفهم الملازمون للجنة على وجه الخلود والنعيم فيها ولا زوال لذلك عنهم .

قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٢٧)
آية بلا خلاف .

لما وصف الله تعالى المطيعين ، وما لهم من الثواب الجزيل في الجنة والخلود فيها ذكر حكم العصاة والذين يرتكبون السيئات ويكسبونها وان لهم جزاء كل سيئة مثلها يعني قدر ما يستحق عليها من غير زيادة ، لان الزيادة على قدر المستحق من العقاب ظلم ، وليس كذلك الزيادة على قدر المستحق من الثواب ، لان ذلك تفضل يحسن فعله ابتداء .

فمثل - في الآية - المراد به مقدار المستحق من غير زيادة ولا نقصان . والكسب فعل يجتلب به نفع او يدفع به ضرر ، وقد يكتسب الانمان الحسنه والسيئة ، ولهذا لا يوصف الله تعالى بالكسب .

وقوله « وترهقهم ذلة » اي يلحقهم هوان في انفسهم . « وما لهم من الله من عاصم » اي ما لهم مانع من عقاب الله .

وفي رفع (جزاء) في الآية وجهان :

احدهما - ان تقديره فلمهم جزاء سيئة بمثلها اي شا كل « للذين احسنوا » .

والآخر - ان يكون الخبر يمثلها والباء زيادة كزيادتها في قولك ليس زيد بقائم .
وقوله « كأنما اغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً » شبه سواد وجوههم بقطع
من الليل المظلم وانما ذكر ووحّد مظلم لاحد أمرين :
احدهما - ان يكون حالاً من الليل .

والثاني - على قول الشاعر :

لو ان مدحة حمي تنشرن احداً احيا اباكن يا ليلى الامايح (١)
و (القطع) قرأه بتصكين الطاء ابن كثير والكماي . الباقرن بالتحريك ،
وهما لغتان .

وقوله « اصحاب النار هم فيها خالدون » اخبار منه تعالى بأن من وصفهم ملازمون
للنار خالدون فيها غير زائل عذابها .

قال ابو عبيدة « قطعاً من الليل » وهو بعض الليل تقول اتيته لقطع من الليل
اي ساعة من الليل ، وقطم واقطاع . وقال ابو علي : القطع الجزء من الليل الذي فيه
ظلمة فأما قوله « مظلماً » اذا اجرته على (قطع) فيحتمل نصبه وجهين :
احدهما - ان يكون صفة من القطع وهو احسن ، لانه على قياس قوله « وهذا
كتاب أنزلنا مبارك » (٢) وصف الكتاب بالمفرد بمد ما وصفه بالجملة واجراه
على النكرة .

والثاني - يجوز ان يكون حالاً من الذكر الذي في الظرف .

ومن قرأ « قطعاً » لم يكن مظلماً صفة ل (قطع) ولا حالاً من الذكر الذي في
قوله « من الليل » ولكن يكون حالاً من الليل المظلم فلما حذف الالف واللام نصب على
الحال .

(٢) سورة الانعام آية ٩٢ ، ١٥٥

(١) مجمع البيان ٣ : ١٠٤

قوله تعالى :

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ
أَنْتُمْ وَشُرَكَائِكُمْ فزِيلنَا بيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا
تَعْبُدُونَ ﴾ (٢٨) آية بلا خلاف .

اخبر تعالى في هذه الآية أنه يوم يحشر الخلائق أجمعين . والحشر هو الجمع من كل أوب الى الموقف ، وانما يقومون من قبورهم الى أرض الموقف « ثم نقول للذين أشركوا ، يعني من أشرك مع الله في عبادته غيره ، والمشرك بالاطلاق لا يقال إلا فيمن أشرك في العبادة ، لأنها صفة ذم مثل كافر وظالم .

وقوله « مكانكم » معناه انتظروا مكانكم « جميعاً » نصب على الحال و (مكانكم) نصب على الامر ، كأنه قال انتظروا مكانكم حتى تفصل بينكم . ويقول المتوعد لغيره : مكانك فانتظر ، يستعمل ذلك في الوعيد .

وقوله « انتم وشركاءكم » يعني انتظروا انتم مع شركائكم الذين عبدتموهم من دون الله .

وقوله « فزيلنا بينهم » مأخوذ من قولهم زلت الشبيء عن مكانه أزيله ، وزيلنا - للكثرة من هذا - اذا نحيت عن مكانه ، وزايلت فلاناً إذا فارقته . وقال القتيبي : وهو مأخوذ من زال يزول ، وهو غلط ، وخلاف لقول جميع المفسرين ، وأهل اللغة . والتزيل التفريق .

والمعنى فرقنا بين المشركين بالله وما أشركوا به .

وقوله « وقال شركائهم ما كنتم إيانا تعبدون » قيل في معناه قولان :

أحدهما - قال مجاهد : انه ينطق الاوثان يوم القيامة فيقولوا ما كنا نشعر بأنكم

إيانا تعبدون .

والثاني - ان ذلك قول من كانوا يعبدونهم من الشياطين
وفي كيفية جحدهم لذلك قولان :

احدهما - أنهم يقولون ذلك على وجه الاهانة بالرد عليهم . والمعنى ما اعتدنا

بذلك لكم .

والآخر - انه في حال دهش ككذب الصبي . وقال الجبائي يريد انكم لم تعبدونا
بأمرنا ودعائنا ولم يرد انهم لم يعبدوها أصلاً لان ذلك كذب وهو لا يقع في الآخرة
لكونهم ملجئين الى ترك القبيح . وهذه الآية نظيرة قوله « اذ تبرأ الذين اتبعوا
من الذين اتبعوا » (١) وكان مجاهد يقول : الحشر ههنا هو الموت . والاول اولي .

قوله تعالى :

﴿ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۗ إِنَّ كُفْرًا عَن ۖ عِبَادَتِكُمْ ۗ

لَغَافِلِينَ ۗ ﴾ (٢٩) آية بلا خلاف .

هذا اخبار من الله تعالى عن شركاء المشركين من الآلهة والأوثان يوم القيامة
حين قال المشركون انا انما اياكم كنا نعبد ، وانهم يجحدون ذلك يقولون : حسبنا الله
شاهداً بيننا وبينكم ايها المشركون بأنه تعالى عالم انا ما علمنا ما تقولون ، وانا كنا
عن عبادتكم ايانا غافلين ، لا نشعر به ولا نعلمه . وانما قال « شهيداً بيننا » ولم يقل
علينا ، لانه إذا قال بيننا فمعناه لنا وعلينا ، فهو أعم واحسن .

ونصب (شهيداً) على التمييز ، وتقديره وكفى بالله من الشهداء . وقال الزجاج

نصب على الحال ، وتقديره كفى بالله في حال الشهادة .

(١) سورة البقرة ١٦٦ .

وقوله « ان كنا » فهذه (ان) المخففة عن الثميلة بدلالة دخول اللام في الخبر للفرق بين (ان) الجحد و (ان) المؤكدة . وقال الزجاج : هي بمعنى (ما) ومعناه ما كنا عن عبادتكم إلا غافلين .

قوله تعالى :

﴿ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ (٣٠) آية بلا خلاف .

قرأ اهل الكوفة الاعاصم « تنلوا » بالتاء من التلاوة . والباقون بالباء ومعناه تخبر من قوله « وبلوناهم بالحسنات والسيئات » (١) اي اختبرناهم ، ومنه قولهم : البلاء ثم الثناء اي الاختبار للثناء عليه ينبغي ان يكون قبل الثناء ليكون عن علم بما يوجبه . ومعنى اختبار النفس ما اسلفت ان قدم خيراً او شراً جزى عليه ، كما قال « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » (٢) وغير ذلك .

ومن قرأ بالتاء فن التلاوة . ويقوي ذلك قوله « فاوائك يقرؤن كتابهم » (٣) وقوله « اقرأ كتابك » (٤) وقوله « ورسلنا لديهم يكتبون » (٥) ويكون (تنلو) بمعنى تتبع ويكون المعنى هنالك تتبع كل نفس ما اسلفت من حسنة وسيئة ، فمن أحسن جوزي بالحسنات ومن اساء جوزي به ، فملى هذا يكون المعنى مثل قراءة من قرأ بالباء .

(٢) سورة الزلزال آية ٧ - ٨

(٤) سورة الاسرى آية ١٤

(١) سورة الاعراف آية ١٦٧

(٣) سورة الاسرى آية ٧١

(٥) سورة الزخرف آية ٨٠

وقال ابن زيد معنى « تبلو » تعابن . وقال الفراء : معناه تقرأ ، وقال غيره تتبع
وقال ابن عباس معنى (تملو) تخبر قال الشاعر :

قد جعلت دلوي تستليني ولا احب تبع القرين (١)

اي تتبعني من ثقلها ، ومعنى « هناك » في ذلك المكان وهو ظرف فـ (هنا)
للقرين و (هناك) للبعيد و (هناك) لما بينهما قال زهير :

هناك ان يستخبلوا المال يخبلوا وان يسألوا يعطوا وان يسيروا يغلوا (٢)

والاسلاف تقديم أمر لما بعده ، فمن أسلف الطاعة لله جزي بالثواب . ومن أسلف
المعصية جزي بالمعاقب .

وقوله « وردوا الى الله » فالرد هو الذهاب الى الشيء بعد الذهاب عنه ، فهو لاء
ذهبوا عن امر الله فأعيدوا اليه . والرد والرجع نظائر ، ويجوز ان يكون الرد بمعنى
الذشاة الثانية ، وهو الأليق ههنا .

وقوله « مولايم الحق » فالمولى المالك للعبيد ، ومعناه مالكم لانهم يملك أمرهم ،
وهو أملك بهم من أنفسهم .

وقوله « وضل عنهم ما كانوا يفترون » يعني ما كانوا يدعونهم - بافتراءهم من
الشركاء - مع الله يضلون عنهم يوم القيامة ويبطلون .

قوله تعالى :

﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ

(١) بجمع البيان ٣ : ١٠٥

(٢) ديوانه ١١٢ واللسان د خبل ، وقد اختلفت روايته فروى ان يستخولوا
المال يخولوا ، و ان يستخبلوا المال يخبلوا ، وغير ذلك . والشاعر يمدح قوماً بأنهم
كرماء . ومعنى « ييسروا » من اليسر وهو القمار . ومعنى (يغلوا) اي يأتون بجزور
سمين او انهم يغالوا أى يكثروا

وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ
وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾
آية بلا خلاف .

امر الله تعالى نبيه (ص) ان يقول لهؤلاء الكفار وغيرهم من خلقه « من يرزقكم من السماء » بانزال المطر والغيث ، ومن الارض باخراج النبات وانواع الثمار .
والرزق العطاء الجاري يقال : رزق السلطان الجند ، الا ان كل رزق ، فانه رازق به ، لانه لو لم يطلقه على يد الانسان لم يحى منه شيء . والواحد منا يرزق غيره لانه لا يطلق اسم رازق إلا على الله ، كما لا يقال : رب بالاطلاق إلا في الله . وفي غيره يقيد ، فيقال رب الدار ورب الفرس . ويطلق فيه لأنه يملك الجسم . يع غير مملك ، وكذلك هو تعالى رازق الجسم غير مرزوق ، ولا يجوز ان يخلق الله حيواناً يريد تبقيته إلا ويرزقه ، لأنه اذا اراد بقاءه فلا بد له من الغذاء ، فان لم يرد تبقيته كالذي يولد ميتاً فإنه لا رزق له في الدنيا .

وقوله « ام من يملك السمع والأبصار » يعني من الذي له التصرف فيها بلا مانع يمنعه منها وان شاء اصحها وان شاء امرضاها . و « من يخرج الحي من الميت » معناه من الذي يخلق الحيوان ويخرجه من امه حياً سوياً اذا ماتت امه « ويخرج الميت من الحي » يعني من يخرجه غير تام ولا بالغ حد الكمال .

وقيل معناه انه يخرج الحي من النطفة ، وهي ميتة ويخرج النطفة من الحي .
وقيل يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن .

و « من يدبر الأمر » اي ومن الذي يدبر جميع الأمور في السماء والارض؟ وليس جواب ذلك لمن انصف ولم يكابر الا ان يقول : الله الفاعل لجميع ذلك . واذا قالوا

ذلك واعترفوا به قيل لهم « أفلا تتقون » ومعناه فهلا تتقون خلافه وتحذرون معاصيه؟

وفي الآية دلالة على التوحيد لأن ما ذكره في الآية يوجب أن المدبر واحد ولا يجوز أن يقع ذلك اتفاقاً ، لاحالة العقل ذلك ، ولا يجوز أن يقع بالطبيعة ، لأنها في حكم الموات لو كانت معقولة ، فلم يبق بعد ذلك إلا أن الفاعل لذلك قادر عالم يدبره على ما يشاء ، وهو الله تعالى ، مع أن الطبيعة مدبرة - مفعولة - فكيف تكون هي المدبرة . وإنما دخلت (أم) على (من) لان (من) ليست اصل الاستفهام بل أصله الالف فلذلك جاز الجمع بينها .

قوله تعالى :

﴿ فذُرِّكُمْ اللهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنى تُصِرُّفُونَ ﴾ (٣٢) آية بلا خلاف .

« ذلك » اشارة الى اسم الله الذي ذكره في الآية الاولى ، وصفه بأنه الذي يخرج الحي من الميت ، والميت من الحي ويرزق الخلق من السماء والارض و (الكاف والميم) للمخاطبين ، وإنما جمع لأنه أراد جميع الخلق ، فأخبر الله تعالى ان الذي وصفه في الآية الأولى هو « الله ربكم » الذي خلقكم ويملك تصرفكم . وإنما وصفه بأنه « الحق » لأن له معنى الالهية دون غيره من الأوثان والأصنام ، وهو الرب تعالى وحده . وقوله « فإذا بعد الحق إلا الضلال » صورته صورة الاستفهام والمراد به التقرير على موضع الحجة ، لأنه لا يجد المجيب محيداً عن الاقرار به إلا بذكر ما لا يلتفت اليه ، وكما تدعوا اليه الحكمة على اختلافه فهو حق ، والمراد انه ليس بعد الاقرار بالحق ، والانقياد له إلا الضلال والعدول عنه .

وقوله « فأنى تصرفون » أي كيف تصرفون وتعدلون عن عبادته مع وضوح

الدلالة على أنه لا معبود سواه ، والصرف هو الذهاب عن الشيء فالصرف عن الحق
ذهاب الى الباطل ، وقد أنكر الله ذلك . وفيه دلالة على أنه من فعل غيره من الغواية
لأنه لو كان من فعله لما أنكره ، كما لم ينكر شيئاً من أفعال نفسه .

قوله تعالى :

﴿ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا
يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣٣) آية بلا خلاف .

قرأ أهل المدينة وابن عامر (كلمات) - ههنا وفي آخرها . وفي المؤمن - على الجمع
الباقون على التوحيد .

قال ابو علي : من قرأ على التوحيد احتمل في ذلك وجهين :

احدهما - ان يكون جملة ما اوعده به الفاسقين كلمة وإن كانت في الحقيقة كلمات ،
لانهم قد يسمون القصيد والخطبة كلمة ، فكذلك ما ذكرناه .
والثاني - ان يريد بذلك الجنس وقد اوقع على بعض الجنس كما اوقع اسم الجنس
على بعضه في قوله « وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل » (١) ومن جمع فانه جعل
الكلمات التي يوعدون بها كل واحدة منها كلمة ثم جمع ، فقال : كلمات . وأما قوله « كلمة
الله هي العليا » (٢) فيجوز ان يكون عنى بها قوله « كتب الله لأغلبن انا ورسلي » (٣)
كما فسر قوله « وألزمهم كلمة التقوى » (٤) انه لا إله الا الله ، ذكره مجاهد .
والكاف في قوله كذلك في موضع نصب والتقدير مثل أفعالهم جازاهم ربك . وقيل
في المشبه به « كذلك حقت كلمة ربك » قولان :

(٢) سورة التوبة آية ٤١

(٤) سورة الفتح آية ٢٦

(١) سورة الصافات آية ١٣٧

(٣) سورة المجادلة آية ٢١

احدهما - المعنى في انه ليس بعد الحق الا الضلال فـشبه به كلمة الحق بأنهم لا يؤمنون في الصحة .

الثاني - ما تقدم من العصيان شبه به الجزاء بكلمة العذاب في الوقوع على المقدار وإنما اطلق في الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون ، لأنه اريد به الذين تمردوا في كفرهم .
(و أنهم) في موضع نصب على قول الفراء والتقدير بأنهم أو لأنهم لا يؤمنون
فقوله « أنهم لا يؤمنون » بدل من كلمة ربك .

فأعلم الله أنهم باعمالهم قد منعوا من الايمان ، وجائز ان تكون الكلمة ما وعدوا به من العقاب .

والفصح في الشرع هو الخروج في المعصية الى الكبيرة فان كانت كفراً فالخروج الى أكبره وكذلك ان كانت منع حق . وفائدة الآية الابانة عن الحال التي لا يفلح صاحبها ليحذر من مثلها ، لأنه قد يكون في المعلوم انه من بلغ ذلك الحد لم يفلح ، قال وأصل المعنى حقت كلمة ربك ان الفساق والكفار ما داموا كفاراً فساقاً فلا يكونون مؤمنين . وقال الجبائي : معناه وجدانكم إياهم على الكفر والاصرار عليه دليل على أن ما أخبر الله تعالى عنهم بأنهم لا يؤمنون حق وصدق .

قوله تعالى

﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوُ الْخَلْقَ ثُمَّ يَعْبُدُهِ قُلْ
اللَّهُ يَبْدُوُ الْخَلْقَ ثُمَّ يَعْبُدُهِ فَأَنَّى تُوَفَّقُونَ ﴾ (٣٤) آية بلا

خلاف .

أمر الله تعالى نبيه (ص) أن يقول لهؤلاء الكفار الذين اتخذوا مع الله آلهة يعبدونها « هل من شركائكم من يبدؤ الخلق » بأن ينشئهم ويخترعهم . ثم اذا آمنتم

يميدهم ويحييهم لينبئهم بذلك على أنه لا يقدر على ذلك إلا الله القادر لنفسه الذي لا يمجزه شيء .

وقيل في معنى شركاءكم قولان :

أحدهما - أنهم الذين جعلوهم شركاء في العبادة .

الثاني - الذين جعلوهم شركاء في أموالهم من أولادهم ، كما قالوا « هذا الله بزعمهم وهذا لشركائنا » (١) والاعادة ايجاد الشيء ثانياً ، وقال لنبيه قل لهم : الله تعالى القادر لنفسه هو الذي يبدؤ الخلق فينشئهم ، ثم يميتهم ثم يميدهم لا يمجزه شيء عن ذلك .

وقوله « فأنى تؤفكون » معناه أنى تصرفون عن الحق وتقبلون عنه ، ومنه

الافك ، والكذب ، لأنه قلب المعنى عن جهته .

قوله تعالى :

﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَنْ يَهْدِيَ إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُدَبِّعَ أُمَّ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ (٣٥) آية بلا خلاف .

قرا اهل الكوفة الا عاصم « يهدي » بفتح الياء وسكون الهاء وتخفيف الدال .

وقرا اهل المدينة الا ورشا بفتح الياء ، وسكون الهاء ، وتشديد الدال .

وقرا ابن كثير وابن عامر وابو عمرو وورش بفتح الياء والهاء وتشديد الدال ،

الا ان السوسي من طريق ابن حبش لا يشبع فتحة الهاء ، وكذلك روى الخليل عن

(١) سورة الانعام آية ١٣٦ .

شجاع .

وقرأه يعقوب وحفص والاعشى والبرجمي بفتح الياء وكسر الهمزة وتشديد الدال . ورواه ابو بكر الاعمشى والبرجمي بكسر الياء والهاء وتشديد الدال .

قال ابو علي من قرأ « يهدى » بفتح الياء والهاء وتشديد الدال فقد نسبهم الى غاية الذهاب عن الحق في معادلتهم الآلهة بالله تعالى الاترى ان المعنى افمن يهدى غيره الى طريق التوحيد والحق احق ان يتبع ام من لا يهتدى هو الا ان يهدى والتقدير افمن يهدى غيره فخذف المفعول الثاني .

فان قيل هذه التي اتخذوها آلهة لا تهتدي وان هديت لانها موات من حجارة وادمان ونحو ذلك .

قيل تقدير الكلام على انها ان هديت اهتدت وان لم تكن في الحقيقة كذلك لانهم لما اتخذوها آلهة عبر عنها كما يعبر عن الذي يجب له العبادة، كما قال « ويمعبدون من دون الله مالا يعلمك لهم رزقاً من السماوات والارض شيئاً ولا يستطيعون » (١) وقال « ان تدعوم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم » (٢) فاجرى عليه اللفظ كما يجرى على من يعلم كانه قال ام من لا يهدى الا ان يهدى اي ام من لا يعلم حتى يعلم ، ومن لا يستدل على شيء حتى يدل وان كان لودل او اعلم لم يعلم ولم يستدل واراد الله بذلك تعجيبهم من انفسهم وتبيين جهلهم وقلة تمييزهم في تسويتهم من لا يعلم ولا يقدر بالله القادر العالم .

وقرأ حمزة والكماني « ام من لا يهدى » بمعنى ام من لا يهدي غيره ، ولكن يهدى اي لا يعلم شيئاً ولا يعرفه ولا يمكن ان يهدى اي لا هداية له ولو هدى ايضاً لم

(١) سورة النحل آية ٧٣ .

(٢) سورة فاطر آية ١٤ .

يهد غير ان اللفظ جرى عليه كما قلناه فيما تقدم .

ومن شدد ، فلان اصله يهتدى فادغم التاء في الدال ومن حرك الهاء التي حركة الحرف المدغم على الهاء لانها من كلمة واحدة ومن كسر الهاء لم يلق الحركة تشبيهاً بالمنفصل وكسر الهاء لالتقاء الساكنين . ومن سكن الهاء جمع بين الساكنين . ومن اشم فلان الاشمام في حكم التحريك . ومن كسر اليا اتبع اليا ما بعدها من الكسر لان اصله يفتعل .

وقال قوم : معنى « ام من لا يهدى الا ان يهدى » لا يتحرك حتى يحرك . امر الله تعالى نبيه ان يقول ايضاً لهؤلاء الكفار الذين اتخذوا مع الله شركاء في العبادة « هل من شركائكم » الذين تعبدونهم من دون الله او تشركون بينهم في العبادة . من يهدى غيره الى الحق والى طريق الرشاد ، ثم قال قل يا محمد « الله يهدى للحق » واذمال الخير ثم قال « انمن يهدى غيره الى الحق » والى الصراط المستقيم اولى « ان يتبع » ويقبل قوله « ام من لا يهدى الا ان يهدى » اى الابد ان يهدى . وحكى البلخي انه قال هدى واهتدى بمعنى واحد .

وقوله « فما لكم كيف تحكمون » اى بما تدعون من عبادة من دون الله ، فالهداية المعرفة بطريق الرشاد من النقي فكل هداية فائدة الى سلوك طريق النجاة بدلا من طريق الهلاك . وقال الزجاج « ما لكم » كلام تام ، كانه قال اى شي لكم في عبادة الاوثان ثم قال لهم « كيف تحكمون » على اى حال ، فوضع (كيف) نصب بد (تحكمون) ويقال هديته للحق والى الحق بمعنى واحد .

قوله تعالى :

﴿ وما يتبع أكثرهم إلا ظناً إن الظن لا يُغني عن الحق شيئاً إن الله أعلم بما يفهمون ﴾ (٣٦) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى أنه ليس يتبع أكثر هؤلاء الكفار الا الظن الذي لا يجزي شيئاً من تقايد آبائهم وروايتهم . ثم قال تعالى : « ان الظن لا يغني من الحق شيئاً » لان الحق انما ينتفع به من عرفه وعلمه حقاً لان الظن حقيقة ما قوي كون المظنون عند الظان على ما ظنه مع تجوز أن يكون على غيره ، فاذا كان معه تجوز كون المظنون على خلاف ما ظنه ، فلا يكون مثل العلم . وقد يكون للظن حكم إذا قام على ذلك دليل اما عقلي او شرعي ويكون صادراً عن امارات معروفة بالعادة والخبر أو رده الى نظيره عند من قال بالقياس ، وكل ذلك اذا اقترن به دليل بوجب العمل به ، وكل موضع يمكن أن يقوم عليه دليل ويعلم صحته من فساد ، فلا يجوز أن يعمل فيه على الظن ، لأنه بمنزلة من ترك العلم وعمل على ظن غيره .

وقوله « ان الظن لا يغني من الحق شيئاً » معناه انه لا يقوم مقام العلم مع وجوده أو امكان وجوده وانما يعبد الله في الشرع في مواضع بالرجوع الى الظن مع أنه كان يمكنه ان ينصب عليه دليلاً بوجب العلم لما في ذلك من المصلحة .
وقوله « ان الله عليم بما يفعلون » فيه ضرب من التهديد ، لأنه اخبر أنه تعالى يعلم ما يفعلونه ولا يخفى عليه منه شيء فيجازيهم على جميعه على الطاعة بالثواب وعلى المصيبة بالعقاب .

قوله تعالى :

﴿ وما كان هذا القرآن أن يُفترى من دون الله ولا كُنَّ تصديقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْمَالِكِينَ ﴾ (٣٧) آية بلا خلاف

نفى الله تعالى في هذه الآية ان يكون هذا القرآن الذي أنزله على نبيه

محمد (ص) مفترى من دون الله . والافتراء الاخبار على القطع بالكذب ، وهو مأخوذ من فرى الاديم وهو قطعه بمد تقديره ، والقرآن عبارة عن هذا الكلام الذي هو في اعلى طبقات البلاغة مع حسن النظم والجزالة ، وكل شيء منه فيه فائدة وكل فصل منه فيه فائدة أخرى .

وقوله « ولكن تصديق الذي بين يديه » شهادة من الله له بأنه صدق و بأنه شاهد لما تقدم من التوراة والانجيل والزبور بأنها حق ، وشاهد ايضاً من حيث انه مصدق لها اذا جاء على ما تقدمت البشارة به فيها . وقيل مصدق لما بين يديه من البعث والذبور والجزاء والحساب .

وقوله « وتفصيل الكتاب » اي تبين الفصل من المعاني الملتبسة حتى يظهر كل معنى على حقيقته . والتفصيل والتمييز والتقسيم نظائر وضده التلبيس والتخليط .
وقوله « لا ريب فيه » اي لا شك فيه « من رب العالمين » اي نازل من عند مالك العالمين . وقيل : ان معنى « تفصيل الكتاب » اي تفصيل الفروض الشرعية .
والكتاب ههنا المفروض .

وقال الفراء : معنى « وما كان هذا القرآن ان يفترى » اي لا ينبغي ان يكون افتراءً ، كما قال تعالى « وما كان لنبي ان يفل » (١) اي لا ينبغي له . وقال غيره تقديره وما كان هذا القرآن مفترى .

قوله تعالى :

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٣٨) آية بالاخلاف .

معنى « أم » ههنا تقرير على موضع الحجج بعد مضي حجة أخرى و تقديره بل أتقونون افتراء ، فإلزموا على هذا الاصل الفاسد امكان أن يأتوا بمثله .
 وقوله « فأتوا بسورة مثله » صورته صورة الامر والمراد به التحدي باتيان سورة وهو الزام لهم على اصلهم اذ اصلهم فاسد بوجب عليهم ان يأتوا بسورة مثله فالتحدي يطلب ما يوجبهم اصلهم عليهم .

وقوله « فأتوا بسورة مثله » معناه سورة منه . وقيل في معناه قولان :
 احدهما - ان فيه حذفاً و تقديره فأتوا بسورة مثل سورته ذكره بعض البصريين
 والآخر - ائتوا بسورة مثله في البلاغة ، وهو احسن الوجهين .
 والسورة منزلة محيطة بآيات الله كاحاطة سور البناء من أجل الفاتحة والخاتمة وكل منزلة من سورة البناء محيطة بما فيها .

وقوله « فادعوا من استطعتم من دون الله » معناه ادعوهم الى الموازنة على المعارضة بسورة مثله أي استمعينوا بكل من قدرتم عليه . والامتناء حالة للحمي تنطاع بها الجوارح للفعل وهي مأخوذة من الطوع . والقدر من القدر ، فهي معنى يمكن أن يوجد به الفعل وان لا يوجد لنعصير قدره عن ذلك المعنى .

وقوله « ان كنتم صادقين » معناه ان كنتم صادقين في أن هذا القرآن مفترى من دون الله فأنتم تقدرون على معارضته ، فحيث لا تقدرون على ذلك علم أن الامر بخلاف ما تذكرونه من انه من عند غير الله ، وصح أنه من عند الله ، لأنه لو قدر محمد (ص) على افتراءه لقدرتهم على معارضته لمشاركنكم اياه في النشوء والفصاحة .

قوله تعالى:

﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ

كذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٣٩)
آية بلا خلاف .

أخبر الله تعالى عن هؤلاء الكفار الذين حكى عنهم أنهم قالوا ان محمداً (ص) افتري هذا القرآن ولم ينزل الله عليه بأنهم « كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه » ومعناه بما لم يعلموه من كل وجوهه لان في القرآن ما يعلم المراد منه بدليل ، ويحتاج الى الفكر فيه والرجوع الى الرسول في معرفة مراده وذلك مثل المتشابه ، فالكفار لما لم يعرفوا المراد بظاهره كذبوا به ، وقالوا انه افتري على الله كذبا ، ومعنى كذبوا أنهم شهدوا بان الدعاء الى الله والدعاة الى الحق من المؤمنين كاذبون جهلا منهم وتوهموا لا حقيقة لهم ولا حجة معهم به .

وقوله « ولما يأتيهم تأويله » معناه ما يؤول أسره اليه وهو عاقبته . ومعناه متأوله من الثواب والعقاب . ثم حكى الله أنه مثل ذلك كذب الذين من قبلهم أنبياء الله ورسوله فأهلكهم ودمرهم . ثم قال لنبيه « فانظر كيف كانت عاقبة الظالمين » يعني ما أدى الى اهلاكهم بمذاب الاستئصال على ما تقدم من ظلمهم لانفسهم وغيرهم في كذبهم .

وقيل في موضع « كيف كان » نصب بأنه خبر كان ، ولا يكون معمول (انظر) لان ما قبل الاستفهام لا يعمل في الاستفهام .

قوله تعالى :

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرُبُّكَ
أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴾ (٤٠) آية بلا خلاف .

أخبر الله تعالى ان من جملة هؤلاء الكفار الذين كذبوا بالقرآن ونسبوه الى الافتراء من سيؤمن به اى بالقرآن في المستقبل ، و منهم من لا يؤمن بل يموت على كفره .

وقوله « وربك اعلم بالفسدين » معناه من يدوم على الفساد ممن يتوب ، وانا بقايم الله لما في معلومه انه يتوب منهم . وانا جاز ان يقول « اعلم » وان لم يكن هناك كثرة علوم لاحد امرين :

احدهما - ان الذات تغنى عن كل علم .
والثاني - انه يراد كثرة المعلوم .

قوله تعالى :

﴿ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٢١) آية بلا خلاف .

خاطب الله تعالى نبيه (ص) فقال « ان كذبوك هؤلاء الكفار ولم يصدقوك وردوا عليك بذلك و نسبوك الى الكذب « فقل لي عملي » و إن كنت كاذباً فوباله علي « ولكم عملكم » اى ان كنتم غير محقين فيما تردونه علي و تكذبونني فلکم جزاء عملكم فانتم تبرؤن مما عمل وانا ابرأ من اعمالكم . وفائدة ذلك الاخبار بأنه لا يجازى احد الا على عمله ، و لا يؤخذ احد بجرم غيره كما قال تعالى « ولا تزر وازرة وزر اخرى » (١) والبراءة قطع العلقة التي توجب رفع المطالبة وذلك كالبراءة من الدين ، والبراءة من العيب في البيع ، ولم يقل النبي (ص) هذا القول شكاً منه فيما يجازى الله الكفار والمؤمنين به من الثواب والعقاب . وانا قال علي وجه التلطف لخصمه

(١) سورة الانعام آية ١٦٤ والاسرى : ١٥ وفاطر : ١٨ والزمر : ٧

وحسن العشرة ، وان لا يستقبلهم بها بكرهونه من الخطاب فربما كان داعياً لهم ذلك الى الانقياد والنظر في قوله .

وقال ابن زيد : هذه الآية منسوخة بآية الجهاد ، وعلى ما قلناه لا يحتاج الى ذلك .

قوله تعالى :

﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَكَوُنُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (٤٢) آية بلا خلاف .

أخبر الله ان من جملة هؤلاء الكفار « من يستمع اليك » يا محمد . والاستماع طلب السمع ، فهم كانوا يطلبون السمع للرد لا للفهم ، فلذلك لزمهم الذم ، فهم اذا سمعوه على هذا الوجه كأنهم صم لم يسموه حيث لم يفتفموا به .
وقوله « افانت تسمع الصم » خطاب للنبي (ص) بأنه لا يقدر على استماع الصم الذين لا يسمعون ، وهم صمم وهم الذين ولدوا صماً و الاصم المفسد السمع بما يمنع من ادراك الصوت ، وقد صم صمماً . و السمع ادراك الشيء بما به يكون مسموعاً وتسمى الاذن السليمة سمماً ، لانه يسمع بها .

وقوله « ولو كانوا لا يعقلون » تشبيهه من الله تعالى لهؤلاء الكفار في ترك إصغائهم الى النبي (ص) و استماع كلامه طلباً للفائدة بالذين لا يسمعون اصلاً . وان النبي (ص) لا يقدر على استماعهم على وجه يفتفموا به اذا لم يستمعوا بنفوسهم ، لا فكر فيه ، كما لا يقدر على استماع الصم .

وقوله « من » يقع على الجمم كما يقع على الواحد ، فلذلك أخبر عنه بلفظ الجمم بقوله « يستمعون اليك » و (لو) في اكثر الامر يكون ما بعدها اقل مما قبلها

تقول اعطني دابة ولو حماراً ، وقد يجيء ما بعدها أكثر مما قبلها ، كما يقول الرجل
 انا اقاتل الاسد فيستمع ذلك منه ، فيقال انت تقاتل الاسد ولو كان ضارياً ، وعلى
 هذا مخرج الآية قال الزجاج : والمعنى ولو كانوا جهالاً كما قال الشاعر :

اصم عما ساءه سميع (١)

قوله تعالى :

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا
 لَا يُبْصِرُونَ ﴾ (٤٣) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى بأن من جملة الكفار « من ينظر اليك » يا محمد (ص) فلم يخبر
 بلفظ الجمع لانه حمله على اللفظ ، واللفظ لفظ الواحد . والنظر المذكور في الآية
 معناه تقليب الحدقة الصحيحة نحو المرئي طلباً لرؤيته وقيل معناه من ينظر الى أدلتك
 والنظر يكون بمعنى الاعتبار والفكر ، وهو الموازنة بين الامور حتى يظهر الرجحان
 او المساواة ، وذلك الجمع بين الشيعين في التقدير بما يظهر به شهادة احدهما بالآخر ثم
 قال « افأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون » اي نظرم اليك لا على وجه الاستمادة
 بمنزلة نظر الاعمي الذي لا يبصر ، فكما لا يقدر ان يهدي الاعمي فكذلك هؤلاء
 لا ينتفعون بنظرم اليك ، فكأنهم لا يبصرون .

و العمي آفة تمنع من الرؤية ، وهو على وجهين : عمى العين ، و عمى القلب
 وكلاهما يصلح له هذا الحد . والابصار ادراك المبصر بها به يكون مبصراً كما ان السموم
 إدراك المسموع بها به يكون مسموعاً .

(١) مر فيما سلف في ٢ : ٨٠ ، ٤ : ١٣٤

قوله تعالى :

﴿ ان الله لا يظلمُ النَّاسَ شَيْئاً وَاَكُنَّ النَّاسُ اَنْفُسَهُمْ

يَظْلَمُونَ ﴾ (٤٤) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى في هذه الآية على وجه التمدح به بأنه لا يظلم احداً شيئاً وانما الناس هم الذين يظلمون انفسهم بارتكاب ما نهى الله عنه من القبائح فيستحقون بها عقاباً ، فكانهم الذين ادخلوا عليها ضرراً ، فذلك كانوا ظالمين لانفسهم . والمعنى ههنا ان الله لا يمنع احداً الا انتفاع بها كلفهم الانتفاع به من القرآن وادلته ، و لكنهم يظلمون انفسهم بترك النظر فيه والاستدلال به وتقويتهم انفسهم الثواب وإدخالهم عليها العقاب .

ففي الآية دلالة على انه لا يفعل الظلم ، لان فاعل الظلم ظالم ، كما ان فاعل الكسب كاسب ، وليس لهم ان يقولوا يفعل الظلم ، ولا يكون ظالماً به ، كما يفعل العلم ولا يكون به عالماً ، وذلك ان معنى قولنا ظالم انه فعل الظلم ، كقولنا ضارب انه يفيد انه فعل الضرب . وكذلك يكون ظالماً بما يفعله من الظلم في غيره ، وليس كذلك العالم لانه يفيد انه على صفة مخصوصة ، ولذلك قد يكون عالماً بما يفعله فيه من العلم ، ولا يكون ظالماً بما يفعله فيه من الظلم . ويكون عالماً بما يفعله فيه من العلم وليس كذلك الظلم ، فبان الفرق بينهما .

وليس لاحد ان يقول : ان الانتفاء من الظلم كالاتفاء من السنة والنوم في

انه ليس بنفي الفعل .

وذلك ان الظلم مقدور قبل العدل وليس كذلك النوم واليقظة لانهما

يحتاجان عليه .

و « ليكن » اذا كانت مشددة عملت عمل (أن) واذا خففت لم تعمل ، لأن الخففة تدخل على المفرد ، كما يدخل حرف العطف . والثقبلة تدخل على الجملة فتزول الابتداء .

قوله تعالى :

﴿ وَ يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ
يَتَعَارَفُونَ فِيهِمْ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِإِيمَانِ اللَّهِ وَ مَا كَانُوا
مُهْتَدِينَ ﴾ (٤٥) آية بلا خلاف .

قرأ حفص : يحشرهم ، بالياء . البااقون بالنون . قال ابو علي الفارسي - سي قوله « كأن لم يلبثوا » يحتمل ثلاثة أوجه :
احدها - ان يكون صفة اليوم .
والآخر - أن يكون صفة للمقدر المحذوف .

الثالث - ان يكون حالا من الضمير في « يحشرهم » فاذا جعلته صفة لليوم احتمل امرين :

احدهما - أن يكون التقدير « كأن لم يلبثوا » قبله « الا ساعة » كما قال « فاذا بلغن أجلهن فامسكوهن بمروف » (١) اي امسكوهن قبله ، وكذلك قوله « فان فاءوا فان الله » (٢) معناه فان فاءوا قبل انقضاء الاربعة أشهر .
ويحتمل ان يكون المعنى « كأن لم يلبثوا » قبله حذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه . ثم حذف الهاء من الصفة ، ومثله « وترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو

(١) سورة البقرة آية ٢٣١ وسورة الطلاق آية ٢

(٢) سورة البقرة آية ٢٢٦

واقع بهم» (١) والتقدير وجزاؤه واقع بهم . وان جعلته صفة للمصدر ، كان على هذا التقدير الذي وصفناه ومثله « كان لم يلبثوا » قبله فحذف وأقام المضاف اليه مقام المضاف ثم حذف العائد من الصفة ، كما يحذف من الصلة في نحو قوله « أهذا الذي بعث الله رسولا » (٢) وان جعلته حالا من الضمير المنصوب لم يحتج الى حذف شيء في اللفظ ، لأن الذكر من الحال قد عاد الى ذي الحال .

والمعنى يحشرهم مشابهة احوالهم احوال من لم يلبث الا ساعة . ويحتمل ان يكون معمولا بما دل عليه قوله « كأن لم يلبثوا » فاذا جعلته معمولا لـ (يتعارفون) انتصب (يوم) على وجهين :

احدهما - ان يكون ظرفاً .

والآخر - ان يكون مفعولا على الساعة ، على يا سارق الليلة أهل الدار .

ومعنى « يتعارفون » يحتمل أمرين :

احدهما - ان يكون المعنى يتعارفون مدة إقامتهم التي وقع حشرهم بعدها ، وحذف المفعول للدلالة عليه او يكون اعلم الفعل الذي دل عليه يتعارفون ألا ترى انه قد دل على سيعلمون اذ يتعارفون ، فعلى هذا يكون قوله « ويوم يحشرهم » معمول « يتعارفون » .

والآخر - ان يكون « يوم يحشرهم » معمول ما دل عليه قوله « كأن لم يلبثوا » لأن المعنى تشابه احوالهم احوال من لم يلبث ، فعمل في الظرف هذا المعنى ولا يمنع المعنى من أن يعمل في الظرف وان تقدم الظرف عليه كقولهم : أكل يوم لك ثوب ، واذا جمعت « يتعارفون » العامل في « يحشرهم » لم يجوز ان يكون صفة اليوم ، على انك كأنك وصفت اليوم بقوله كأن لم يلبثوا ويتعارفون ، فوصفت يوم يحشرهم بمجملتين ، لم يجوز ان يكون معمولا لقوله « يتعارفون » لأن الصفة لا تعمل

في الموصوف ، وجاز وصف اليوم بالجل وان اضيف ، لأن الاضافة ليست محضة ، فلم تعرفه .

ومن قرأ بالنون فلقوله « وحشسرتنا فلم نغادر » (١) وقوله « فجمعناهم جمعاً » (٢) وقوله « ونحشره يوم القيامة أعمى » (٣)

ومن قرأ بالياء فلقوله « ليجمعنكم اليه يوم القيامة » (٤) والنون والياء متعارفان في مثل هذا بدلالة قوله « وكذلك نجزي من اسرف ولم يؤمن بآيات ربه » (٥) فعلم من هذا ان كل واحد منها يجري مجرى الآخر .

يقول الله تعالى في هذه الآية انه يوم يحشر الخلق الى الحشر والموقف « كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار » عند انفسهم لقلته بقائهم فيها وسرعة تصرفها عنهم مع طول وقوفهم يوم القيامة ومع علمهم بدوام بقائهم في الآخرة شبهه قرب الوقت الى ذلك الحين بساعة من النهار لأن كل ما هو آت قريب ، كما قال « اقتربت الساعة » (٦) ودل بذلك على انه لا ينبغي لاحد ان يغتر بطول ما يأمله من البقاء في الدنيا اذ كان عاقبة ذلك الى الزوال .

وقوله « يتعارفون بينهم » اخبار منه تعالى ان الخلق يعرف بعضهم بعضاً في ذلك الوقت خسرتهم ويتذكرونه .

وقوله « قد خسرت الذين كذبوا بلقاء الله » اخبار منه تعالى بأن الذين كذبوا بالبعث والنشور ولقاء ثواب الله ولقاء عقابه يخسرون نفوسهم . والخسران ذهاب رأس المال فالنفس اكبر من رأس المال

(١) سورة الكهف آية ٤٨	(٢) سورة الكهف آية ١٠٠
(٣) سورة طه آية ١٢٤	(٤) سورة النساء آية ٨٦ وسورة الانعام آية ١٢
(٥) سورة طه آية ١٢٧	(٦) سورة القمر آية ١

وقوله « وما كانوا مهتدين » معناه لا يكونون مهتدين الى طريق الجنة لكونهم مستحقين للعقاب .

وقال الزجاج معنى الآية قرب ما بين موتهم وبعثهم كما قالوا « لبشنا يوماً او بعض يوم » (١) و « يتعارفون بينهم » اي يعرف بعضهم بعضاً وفي ذلك توبيخ لهم واثبات الحججة عليهم .

قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْهِ نُنَادِ

سِرِّجَهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴾ (٤٦) آية بلا خلاف .

نون التأکید في الجزاء لا تجوز الا مع (ما) كما لا يجوز الجزاء بـ (اذا ، وحيث) الا مع (ما) يخرجونها عن اخواتها فدخلت (ما) لتقريبها منها ، فالتون تدخل في الأمر والنهي والاستفهام والعرض وكله طلب ، وكله غير واجب . وليس في الجزاء طلب الا انه يشبه غير الواجب .

وقوله « نرينك » من رؤية العين لانها لو كانت من رؤية الاعلام (٢) لتعدى الى مفعولين . والبعض شيء يفصل من الكل ، والبعض والقسم والجزء نظائر والتوفي القبض على الاستيفاء بالأمانة ، لأن الروح تخرج من البدن على تمام وكال من غير نقصان .

ومعنى الآية ان اريناك يا محمد بعض ما نعد هؤلاء الكفار من العذاب عاجلاً بأن

(١) سورة المؤمنون آية ١١٣ . وسورة الكهف آية ١٩

(٢) اي الرؤية القلبية ومعنى الاعلام الاخبار وسماها رؤية الاعلام لانها تدخل على الجملة الاخبارية .

نزل عليهم ذلك في حياتك ، وان اخبرنا ذلك عنهم الى بعد وفاتك ووفاتهم ، فان ذلك لا يفوتهم لأنه اليانا مرجعهم والله شاهد بأعمالهم ، وعالم بها وحافظ لها فهو يوفيهم عقاب معاصيهم .

وقال مقاتل: معنى اما نريك بعض الذي نعد المؤمنين من النصر والاعلاء وهو يوم بدر .

وقوله « الله » م عطف في قول الفراء ، وقال غيره : (ثم) بمعنى الواو .

قوله تعالى :

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ

بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (٤٧) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى في هذه الآية ان لكل جماعة على دين واحد طريقة واحدة كأمة محمد وأمة موسى وعيسى (ع) رسولا بعثه الله اليهم وحمله الرسالة التي يؤديها اليهم ليقوم بأدائها .

وقوله « فاذا جاء رسولهم » يعني يوم القيامة - في قول مجاهد - وقال الحسن في الدنيا بما اذن الله تعالى من الدماء عليهم .

وقوله « قضى بينهم » معناه فصل بينهم الأمر على الحتم . والله تعالى يقضي بين الخصوم اي يفصل بينهم فصلا لا يرد « بالقسط » يعني بالعدل . والمقسط العادل والقاسط الجائر ، ومنه قوله « واما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً » (١) والأصل واحد ، والمقسط العادل الى الحق والقاسط العادل عن الحق .

وقوله « وهم لا يظلمون » انما نفى عنهم الظلم بعد ان وصف انه يقضي بينهم بالعدل ليكون العدل في جميع الاحوال من الابتداء الى الانتهاء ، لأنه كان يمكن

ان يكون العدل في اوله والظلم في آخره ، فنفي بذلك تقياً عاماً ليخلص العدل في كل احوالهم .

قوله تعالى

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٤٨)

آية بلا خلاف .

حكى الله تعالى عن الكفار والذين تقدم وصفهم أنهم « يقولون متى هذا الوعد » الذي تعدونا به من البعث والنشور والثواب والعقاب « ان كنتم صادقين » في كون ذلك . والقول كلام مضمن في ذكره بالحكاية وقد يكون كلام لا يعبر عنه ، فلا يكون له ذكر متضمن بالحكاية ، فلا يكون قولاً ، لأنه انما يكون قولاً من أجل تضمين ذكره بالحكاية .

و « متى » سؤال عن الزمان . و (اين) سؤال عن المكان ، وهما ظرفان يتصلان بالفعل من غير حرف اضافة تقول : متى يكون هذا ، ولا يجوز أن تقول ما يكون هذا على معنى الظرف ، ولكن فيم يكون هذا . والوعد خير ما يعطي من الخير . والوعيد خير ما يعطي من الشر هذا اذا فصل . فان اجمل وقع الوعد على الجميم . والصدق الاخبار عن الشيء على ما هو به .

قوله تعالى :

﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَأْخِذُونَ ﴾

(٤٩) آية بلا خلاف .

لما حكى الله تعالى عن الكفار استبطاءهم ما وعد الله ، وقولهم « متى هذا الوعد » امر الله نبيه (ص) ان يقول لهم على وجه الانكار عليهم اني « لا املك لنفسي ضراً ولا نفعاً » من الثواب والعقاب بل ذلك الى الله ، ولا املك الا ما ملكني الله فكيف املك لكم .

والملك هو القدرة على التصرف في الشيء على وجه ليس لأحد منعه منه فالانسان لا يملك الا ما ملكه الله ، لان له تعالى منعه منه . وقد يملك الطفل ومن لا عقل له من المجانين بالحكم .

والنفع هو اللذة او السرور او ما ادى اليها او الى واحد منها . والضرر الالم نفسه او النقم او ما ادى اليها او الى واحد منها . وقوله « الا ما شاء الله » ان يملكني اياه من نفع او ضرر فيمكنه مما جعل له اخذه او ارجب عليه تركه .

والاجل هو الوقت المضروب لوقوع امر ، كأجل الدين واجل البيع واجل الانسان واجل المسافر ، فأخبر تعالى انه اذا اتى اجل الموت الذي وقته الله لكل حي بحياة ، لا يتأخر ذلك ساعة ولا يتقدم على ما قدره الله تعالى .

قوله تعالى :

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَيْكُمْ عَذَابُهُ بُيُوتًا أَوْ نَهَارًا مَا ذَا يَسْتَعْجِلُ

مِنْهُ الْجُرُؤُونَ ﴾ (٥٠) آية بلا خلاف

امر الله تعالى نبيه بهذه الآية ان يقول لهؤلاء الكفار الذين استبطاءوا وعد الله « أرايتم » اي اعلمتم ، لانها من رؤية القلب ، لانها دخلت على الجملة من الاستفهام « ان أتاكم عذابه » يعني عذاب الله . والعذاب الالم المستمر واصله الاستمرار ، ومنه

المذوبة لاستمرارها في الحلق « بيانا » وهو اتيان الشيء ليلا يقال بيته تبييتا وبيانا
وبات بيتوته ، وفلان لا يستبيت اذا لم يكن له ما يببت به . وجواب « ان » محذوف
وتقدير الكلام ارايتم ما اذا يستعجل المجرمون من العذاب ان اتاكم عذابه بيانا او
نهارا ، ووقع « ان اتاكم » في وسط الكلام موقع الاعتراض .

ومعنى (ما) في قوله « ماذا » للانكار ، لان يكون في العذاب شيء يستعجل به
وجاه على صيغة الاستفهام ، لانه لا جواب لصاحبه يصح له .

وقال ابو جعفر (ع) هو عذاب ينزل في آخر الزمان على فسقة اهل القبلة . نعوذ بالله منه .
وقال الزجاج موضع (ماذا) رفع من وجهين : احدهما - ان يكون (ذا) بمعنى
(الذي) والتقدير ما الذي يستعجل منه المجرمون . ويجوز ان يكون (ماذا) اسما
واحداً ، والمعنى اي شيء يستعجل منه . والهاء في قوله « منه » عائدة على العذاب
ويجوز ان تكون عائدة على الاستعجال .

قوله تعالى :

﴿ اٰتَمُّ اِذَا مَا وَقَعَ اٰمَنْتُمْ بِهِ الْاَنَ وَقَدْ كُذَّبْتُمْ بِهِ
تَسْتَعْجِلُوْنَ ﴾ (٥١) آية بلا خلاف

« اتم » دخلت الف الاستفهام على (تم) ليدل على ان الجملة الثانية بعد الاولى
مع ان للألف صدر الكلام . وقال الطبري معنى (تم) - ههنا - هنالك ، وهذا
غلظ ، لان (تم) بالفتح تكون بمعنى هنالك ، وهذه مضمومة فلا تكون الالاعطف .
والعامل في (اذا) يستعمل امرين :

احدهما - ان يكون « آمنتم به » على ان تكون (ما) صلة .

الثاني - ان يكون العامل (وقع) وتكون (ما) مسلطة على الجزاء . وانما جاز

ان يعمل الفعل الأول في الجزاء دون الثاني ولم يجز في (إذا) لثلاثا يختلط الشرط بجزائه وليس كذلك (إذا) لأنها مضافة إلى الفعل الذي بعدها . والوقوع الحدوث . وقوله « الآن » مبني على الفتح ، لأن تعريفه كتعريف الحرف في الانتعاش من معنى إلى معنى . وممناه عند سيبويه أنحن من هذا الوقت فعمل كذا ، وفتحت لالتقاء الساكنين وقال الفراء أصلها (آن) دخات عليها الألف والسلام وبنيت كالذين ، ودخول الألف واللام على الزوم لا يمكنه ، كما لا يمكن الذي .

ومعنى الآية أنا منون حلول هذا العذاب بكم . ثم يقال لكم إذا وقع بكم العذاب وشاهدتموه الآن آمنتم به وكنتم به تستعجلون . وفائدتها الإبانة عما يوجب استمجال العذاب من التوبيخ عند وقوعه حين لا يمكن استدراك الأمر فيه بعد أن كان ممكناً لصاحبه .

قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ
إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ (٥٢) آية بلا خلاف .

قوله (ثم) عطف على الإيمان الذي وقع في حال الإلجاء إليه و « قيل » لهم بعد ذلك هذا القول على وجه التوبيخ والتقريع ، لأنها ليست حال استدراك لما فات . والمأمى أنه يقال لهؤلاء الذين آمنوا حين نزل العذاب بهم . وقيل لهم الآن وقد استكبرتم « ذوقوا عذاب الخلد » يعني الدائم . ويقال لهم « هل تجزون » بهذا العقاب إلا بما كنتم تكسبون من المعاصي .
والذوق طلب الطعم بالفم في الابتداء ، شبهوا بالذائق لأنه أشد احساساً . وقيل لأنهم يتجرعون العذاب بدخوله أجوافهم .

قوله تعالى :

﴿ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ بِهِمْ أَمْ لِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ (٥٣) آية بلا خلاف .

معنى « ويستنبئونك » يستخبرونك أي يطلبون النبأ الذي هو الخبر « أحق هو » يعني هذا الوعيد الذي ذكره الله في هذه الآية الأولى ، فقال الله لنبيه « قل أي وربِّي » أي نعم وحق الله انه لحق . والحق في الدين ما شهدت به الأدلة الموجبة للعلم او اقتضاه غالب الظن فيما طريقه الظن .

وقوله « وما انتم بمعجزين » أي لستم تفقدرون على اعجاز الله عما يريد من انزال العذاب بكم .

قوله تعالى :

﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (٥٤) آية بلا خلاف .

اخبر الله على وجه التعظيم لهذا العذاب وشدته بأنه لو كان لمن ظلم بارتكاب المعاصي « ما في الارض » من الاموال « لافتدت به » من هول ما يلحقه من العذاب وفتحت (ان) بعد (لو) لأنها مبنيّة على ما هو بمنزلة العامل لاختصاصها بالفعل . والتقدير لو كان ان لسكل نفس إلا انه لا يظهر المعنى عن اظهاره بطلب (ان) له . وجاز ان تقع (أن) بعد (لو) ولم يجز المصدر ، لان فتحها يدل على اضمار العامل اللفظي وائس كذلك المصدر ، لانه مما يعمل فيه الابتداء .

والافتداء ايقاع الشيء بدل غيره لدفع المكروه يقال: فداء يفديه فدية وفداء .
وافتداء ابتداء ، وفاداه مفاذاة وتمادى تمانياً ، وفداه تقدية .

وقوله « واسرروا الندامة لما رأوا العذاب » اي اخفوا الندامة . وقيل « واسرروا
الندامة » رؤساء الضلالة من الاتباع والسفلة . وقيل « اسرروا الندامة » اي اخلصوها .
والندامة الحسرة على ما كان يتمنى انه لم يكن وهي حالة معقولة يتأسف صاحبها
على ما وقع منه ويود انه لم يكن اوقعه . وقال ابو عبيدة : « اسرروا » معناه اظهروا .
قال الازهرى هذا غلط إنما يكون بمعنى الاظهار ما كان بالشين المنقطة من فوق .
وقوله « وقضي بينهم بالقسط » اي فصل بينهم بالعدل « وهم لا يظلمون » في القضاء
والحكم بينهم وما يفعل بهم من العقاب ، لانهم جرؤوا على انفسهم بارتكاب المعاصي .
وروي انه قيل لرسول الله (ص) ما يغنيهم اسرار الندامة وهم في النار ؟ . قال :
(يكرهون شماتة الاعداء) . وروى مثله عن ابي عبد الله (ع) .

قوله تعالى :

﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ
وَأَلَكِنَّا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ لَا يُعْمَلُونَ ﴾ (٥٥) آيه بلا خلاف .

« ألا كلمة تستعمل في التنبيه وأصلها (لا) دخلت عليها حرف الاستفهام تقريراً
وتأكيذاً ، فصارت تنبيهاً وكسرت (ان) بـمد (الا) لان (الا) تستأنف ما بعدها لينبه
بها على معنى الابتداء . ولذلك وقع بعدها الامر والدعاء كقول امرئ القيس :
ألا انعم صباحاً ايها الطلل البالي وهل ينعمن من كان في العصر الخالي (١)
ووجه اتصال هذه الآية بما قبلها أحد أمرين :

(١) ديوانه ١٥٨ وهو مطلع قصيدة له مشهورة .

أحدهما - للاثبات بمد النفي لان ما قبلها تقديره ليس للظالم ما يفتدي به بل
جميع الملك لله تعالى .

الثاني - ان يكون معناه من يملك السموات والارض يقدر على ايقاع ما توعد به .
والسموات جمع سماء وهو مأخوذ من السمو الذي هو العلو ، وهي المزيونة
بالكواكب وهي سقف الأرض ، وهي طبقات كما قال سبع سموات طباقاً . وجمعت
السموات ، ووحدت الأرض في جميع القرآن لان طبقاتها السبع خفية عن الحس وليس
كذلك السموات .

وقوله « الا ان وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون » صحة ذلك لجهلهم به
تعالى وبما يجوز عليه وما لا يجوز وجهلهم بصحة ما أتى به النبي (ص)

قوله تعالى :

﴿ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٥٦) آية بلا خلاف .

في هذه الآية اخبار منه تعالى ان الذي يملك التصرف في السموات والارض هو الذي
يحيي الخلق بمد كونهم امواتاً وهو الذي يميتهم اذا كانوا احياء . ثم يرجعون اليه
يوم القيامة فيجازيهم بمثل اعمالهم ان كانوا معطيئين بالثواب الدائم ، وان كانوا
كفاراً بالمعاقب الدائم . قال ابو علي : في هذه الآية دلالة على انه لا يقدر على الحياة
الا الله لانه تعالى تمدح بكونه قادراً على الاحياء والاماتة ، فلو كان غيره قادراً على
الحياة لما كان في ذلك مدح . وفيها دلالة على كونه قادراً على الاعادة لان من قدر
على النشأة الاولى يقدر على النشأة الثانية .

قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي

الْصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ آية بلا خلاف .

هذا خطاب من الله تعالى للمكلفين من الناس يخبرهم الله تعالى بأنه أتاهم موعظة من الله . والموعظة ما يدعو الى الصلاح ويزجر عن القبيح بما يتضمنه من الرغبة والرغبة ويدعو الى الخشوع والنسك ويصرف عن الفسوق والاثم ، ويريد بذلك القرآن وما أتى به النبي (ص) من الشريعة .

وقوله « وشفاء لما في الصدور ، فاشفاء معنى كالدواء لازالة الداء فداه الجهل أضر من داء البدن وعلاجه أعسر وأطباؤه أقل والشفاء منه أجل . والصدور جمع صدر وهو موضع القلب ، وهو أجل موضع في الحمي لشرف القلب .

وقوله « وهدى ورحمة للمؤمنين » وصف القرآن بأنه يقال عما يؤدي الى الحق ودلالة تؤدي الى المعرفة ونعمة على المحتاج ، لأنه لا يقال للملك اذا اهدى الى ملك آخر جوهرة انه قد رحمه بذلك وان كانت نعمة يجب بها شكره ومكافأته . وانما أضافه الى المؤمنين لانهم الذين انتفعوا به دون الكفار الذين لم ينتفعوا به ، كما قال « هدى للمتقين » وان كان هدى لغيرهم .

قوله تعالى :

﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ

خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (٥٨) آية بلا خلاف .

قرا الحسن « فلتفرحوا » بالتاء . وبه قرأ ابو جعفر المدني ورويس . وروي ذلك عن ابي ابن كعب . الباقرن بالياء . وكان الكسائي يعيب القراءة بالتاء وأجازها الفراء واحتج بقولهم : لتأخذوا مصاكم . واللام في قوله « فليفرحوا » لام الامر وانما احتج اليها ليؤمر الغائب بها . وقد يجوز أن يقع في الخطاب للتصرف في الكلام .

وقرأ أبو جعفر وابن عامر ورويس «تجمعون» بالتاء . الباقون بالياء . قال أبو علي :
الجار في قوله «فبذلك» يتعلق بقوله «فليفرحوا» لأن هذا الفعل يصل به
قال الشاعر :

فرحت بما قد كان من سيديكما (١)

والغاء في قوله «فبذلك فليفرحوا» زائدة لأن المعنى فافرحوا بذلك ومثله
قول الشاعر :

فإذا هلكت فعند ذلك فاجزعي (٢)

فألفاء في قوله فاجزعي زيادة مثل التي في «فليفرحوا» وقال الفراء : «فبذلك»
بدل من قوله «بفضل الله وبرحمته»

ومن قرأ بالياء جملة أمراً للغائب ، واللام إنما تدخل على فعل الغائب لأن المواجهة
استغني فيها عن اللام بقولهم : (افعل) فصار مشبهاً للعاضي في قوله (يدع) الذي
استغني عنه به (ترك) ، ولو قلت بالتاء لكنت مستعملاً لما هو كالمرفوض ، وإن
كان الأصل . ولا يرجح القراءة بالتاء ، لكونها هي الأصل لأنه أصل مرفوض .
ومن قرأ بالتاء اعتبر الخطاب الذي قبله من قوله «قد جاءكم موعظة . . . فلتفرحوا»
وزعموا أنها في قراءة أبي فافرحوا ، قال أبو الحسن : وزعموا أنها لغة وهي قليلة بمعنى
لتضرب ، وانت مخاطب .

فإن قيل كيف جاء الأمر المؤمنين بالفرح ، وقد ذم الله ذلك في مواضع من

(١) قائلة زهير ابن أبي سلمى ديوانه : ١٠٩ وروايته

فرحت بما خبرت من سيديكما وكانا امرأين كل شأنهما يعلوا

(٢) قد مر في ٥ : ٢٠٤

القرآن كقوله « ان الله لا يحب الفرحين » (١) وقال « انه لفرح نخور » (٢) وغير ذلك؟ .

قيل : اكثر ما جاء مقترناً بالذم من ذلك ما كان مطلقاً ، فاذا قيد لم يكن ذماً كقوله « برزقون فرحين » وفي الآية مقيد بذلك فأما قوله « فرح المخلفون بمقدمهم خلاف رسول الله » (٣) فإنه مقيد ومع ذلك ، فهو مذموم لكنه مقيد بما يقتضي الذم ، كما جاء مقيداً بما لا يقتضي الذم ، فطلقه يقتضي الذم ، ومقيد به بحسب ما يقيد به ، فان قيد بما يقتضي الذم أظاد الذم وان قيد بما يقتضي المدح أظاد المدح . فأما قوله « فلما جاءهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم » (٤) وقوله « ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله » (٥) والفرح بنصر الله للمؤمنين محمود ، كما ان القعود عن رسول الله بالتقيد في الموضوعين مذموم

امر الله تعالى نبيه (ص) ان يقول للمكلفين افرحوا بفضل الله ، وهو زيادة نعمه وانا جاز ان يقول : فضل الله ، وانا هو من افضال الله ، لانه في موضع افضال الله ، كما ان النبات في موضع انبات في قوله « انبتكم من الارض نباتاً » (٦) وايضاً فان اضافة الفضل الى الله بمعنى الملك كما يضاف العبد اليه بمعنى انه مالك له .

والفرح لذة في القلب بادراك ما تحب وان شئت فقل هو لذة في القلب بنيل المشتى ، وقد حسنه الله في هذه الآية ، فدل على انه لا يحب الفرحين بمعنى البطرين . وقوله « هو خير مما يجمعون » قيل فضل الله هو القرآن ، ورحمته هو الاسلام « خير مما يجمعون » من الذهب والفضة . ذكره ابن عباس وابو سعيد الخدري

(٢) سورة هود آية ١٠

(٤) سورة المؤمن آية ٨٣

(٦) سورة نوح آية ١٧

(١) سورة الفصص آية ٧٦

(٣) سورة التوبة آية ٨٢

(٥) الروم آية ٤ - ٥

والحسن وقتادة ومجاهد .

ومن قرأ بالياء عنى به المخاطبين ، والغيب ، غير انه غلب الغيب على المخاطبين ، كما غلب التذكير على التأنيث ، فكأنه اراد المؤمنين وغيرهم .

ومن قرأ بالتاء كان المعنى فأفرحوا بذلك ايها المؤمنون اي افرحوا بفضل الله ، فان ما آتاكموه من الموعظة شفاء ما في الصدور خير مما يجمع غيركم من اعراض الدنيا .

وقال ابو جعفر (ع) « بفضل الله » يعني الاقرار برسول الله و « برحمته »

الأنعام بعلي (ع) « خير مما » يجمع هؤلاء من الذهب والفضة .

واذا حملت الآية على عمومها كان هذا ايضاً داخل فيها .

قوله تعالى :

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا
وَحَلَالًا قُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تُفْتَرُونَ ﴾ (٥٩) آية بلا

خلاف .

قال الحسن : المعنى بهذه الآية مشير كوا العرب قال الله لهم « أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق ، ان ارزاق العباد من المطر الذي ينزله الله فجعلتم منه حراماً وحلالاً » يعني ما حرموا من السائبة الوصيلة والحام ، وما حرموا من زروعهم . قل يا محمد لهم « آله اذن لكم أم على الله تفترون » معناه انه لم يأذن لكم في شيء من ذلك بل انتم تكذبون في ذلك على الله .

واستدل قوم بذلك على ان القياس في الاحكام لا يجوز .

قال الزجاج (ما) في قوله « ما أنزل الله » في موضع نصب بد (انزل) والمعنى انكم جعلتم البحائر والسوائب حراماً ، والله تعالى لم يحرم ذلك وتكون (ما) بمعنى

الاستفهام . ويحتمل ان تكون (ما) بمعنى الذي وتكون نصباً بـ (أرايتم) .
والرزق منسوب كله الى الله لأنه لا سبيل للعبد اليه الا باطلاقه بفعله له او اذنه فيه
اما عقلاً او سمعاً . ولا يكون الشيء رزقاً بمجرد التمكين لانه لو كان كذلك لكان
الحرام رزقاً ، لان الله مكّن منه .

قال الرماني : التحريم عقد بمعنى النهي عن الفعل والتحليل حل بمعنى النهي
بالاذن .

قوله تعالى :

﴿ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنْ
اللَّهُ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ (٦٠)

آية بلا خلاف .

المعنى اي شيء يظن الذين يكذبون على الله انه يصيبهم يوم القيامة على افتراءهم
على الله ، اي لا يبغني ان يظنوا ان يصيبهم على ذلك الا العذاب والعقاب ، وجعل
ذلك زجراً عن الكذب على الله . ثم اخبر تعالى « ان الله لذو فضل على الناس »
بما فعل بهم من ضروب النعم « ولكن اكثرهم لا يشكرون » نعمه ولا يعترفون به
ويجحدونه ، وهذا خرج مخرج التقريع على افتراء الكذب ، وان كانت بصورة
الاستفهام وتقديره أيؤديهم الى خیرام شر؟ . وافتراء الكذب الخش من فعل الكذب
بزوره وتنمية فالزاجر عنه اشد .

وقيل معنى قوله « لذو فضل على الناس » اي لم يضيق عليهم بالتحريم لما لا
مصلحة لهم في تحريمه كما ادعيت عليه .

وقيل : معناه انه لذو فضل على خلقه بتركه معاملة الكذاب بالمعقوبة في الدنيا ،

وامهاله اياه الى يوم القيامة .

قوله تعالى :

﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (٦١) آية بلا خلاف .

القراءة والحجة والاعراب :

قرأ الكسائي « يعزب » بكسر الزاي هنا وفي صبا . الباقون بضمها ، وها لغتان . وان كان الضم أفصح وأكثر . وقرأ حمزة وخلف ويعقوب « ولا اصغر ولا اكبر » بالرفع فيها . الباقون بفتحها .

فن فتح الراء فلأن (افعل) في الموضعين في موضع جر ، لأنه صفة المجرور الذي هو قوله « مثقال ذرة » وانما فتح ، لأن (افعل) اذا اتصل به متكرر كان صفة لا تنصرف في النكرة . ومن رفعه حمله على موضع الموصوف ، لأن الموصوف الذي هو « من مثقال ذرة » الجار والمجرور في موضع رفع ، كما كانا في موضعه في قوله « كفي بالله » (١) ومثل قوله « من آله غيره » (٢) فن رفع يجوز ان يكون صفة بمنزلة (مثل) ويجوز ان يكون استثناء كما تقول : مالكم من إله الا الله .

(١) سورة النساء آية ٥ ، ٤٤ ، ٦٩ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ١٣١ ، ١٦٥ ، ١٧٠ ، ويونس : ٢٩ ، والرعد : ٤٥ ، والاسرى : ٩٦ ، والمعنكبوت : ٥٢ ، والاحزاب : ٣ ، ٤٨ ، والفتح : ٢٨

(٢) سورة هود آية ٥٠ ، ٦١ ، ٨٣ ، والمؤمنون : ٢٣ ، ٢٤

ومثله « فاصدق واكن من » (١) وغير ذلك . ويجوز ان يعطف قوله « ولا اصفر » على « ذرة » فيكون التقدير وما يعزب عن ربك مثقال ذرة ولا مثقال اصفر ، فعلى هذا لا يجوز الا الجر ، لانه لا موضع للذرة غير لفظها ، كما كان لقولك من مثقال ذرة موضع غير لفظه ، ولا يجوز على قراءة حمزة ان يكون معطوفاً على (ذرة) كما جاز في قول الباقيين ، لانه اذا عطف على (ذرة) وجب ان يكون اصفر مجروراً ، وانما فتح ، لانه لا ينصرف . وكذلك يكون على قول من عطفه على الجار الذي هو (من)

اللغة والمعنى :

معنى قوله « وما تكون في شأن » ليس تكون في حال من الاحوال ، لان الشأن والبال والحال نظائر وجمعه شؤون . والشأن معنى مفخم على طريق الجملة يقال : ما شأنك وما حالك وما بالك .

وقوله « وما تتلون من قرآن » اي ليس تتلو من القرآن فتكون الهاء كناية عن القرآن قبل الذكر لتفخيم ذكر القرآن ، كما قال « انه ان الله العزيز الحكيم » (٢) ويحتمل ان تكون الهاء عائدة على الشأن وتقديره وما يكون من الشأن .

وقوله « وما تعملون من عمل الا كنا عليكم شهوداً » اي ليس يخفى على الله شيء من اعمالكم بل يعلمها كلها ويشهدها .

والمشاهدة الادراك بالحاسة . والمشاهد المدرك بحاسة اي ذات يعني عن حاسة يقال : شاهد ومشهود وشهدها .

وقوله « اذ تفيضون فيه » فالأفضة الدخول في العمل على جهة الانصباب اليه ، وهو الانبساط اليه في العمل مأخوذ من فيض الاناء اذا انصب من جوانبه .

(٢) سورة النمل آية ٩

(١) سورة المنافقين آية ١٠

ومنه قوله « افضتم في عرفات » (١) اي تفرقتم كتفرق الماء الذي ينصب من الاناء . ومثله افاض الماء عليه وافاض في الحديث .

وقوله « وما يعزب عن ربك » فالعزوب الذهاب عن المعلوم وضده حضور المعنى للنفس . وتم زب اذا اقرد عن اهله .

رقال ابن عباس معنى لا يعزب لا يغيب .

وقوله « من مثقال ذرة » فالذر صغار الخمل واحده ذرة ، وهو خفيف الوزن جدا . ومعنى مثقال ذرة وزن ذرة يقال : خذ هذا فإنه أخف مثقالا اي اخف وزناً .

وقوله « ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين » معناه لا يخفى عليه ما وزنه مثقال ذرة ولا ما هو اصغر منها ولا ما هو اكبر الا وقد بينه في الكتاب المحفوظ وكتبته ملائكته وحفظوه .

قوله تعالى

﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٦٢)

آية بلا خلاف

بين الله تعالى في هذه الآية أن اولياءه لا خوف عليهم يوم القيامة من العقاب « ولا هم يحزنون » اي ولا يحزنون . وقال ابن عباس وسعيد بن جبيرة : هم قوم ذكرهم الله بما هم عليه من سيئات الخير والاخبات . وقال ابن زيد : هم الذين آمنوا وكانوا يتقون . وقد بينهم في الآية بمدها . وقال قوم : هم المتحابون في الله ذكر ذلك في خبر مرفوع .

والاولياء جمع ولي وهو الذي يستحق من الله ان يوليه نوابه وكرامته ، وهو

المطيع لله الذي يتولى اجلاله واعظامه . وقبل الولي النصير ولا يسمى المتولي الانعام على غيره انه وليه ، لانه قد يتولى الانعام عليه للمظاهرة بالجليل في امره واستصلاحه الذي يصرف عن القبيح، وان كان عدوه . ولا يجتمع الولاية والعداوة . والخوف انزعاج القلب لما يتوقع من المكروه . والخوف والفزع والجزع نظائر وضده الامن . والحزن غلظ الهم مأخوذ من الحزن ، وهي الارض الغليظة وضده السرور .

وقال الجبائي هذه الآية تدل على ان المؤمنين المستحقين للثواب لا يخافون يوم القيامة اصلاً بخلاف ما يقول قوم اثم يخافون الى ان يجوزوا الصراط . وقال البلخي ليس يمتنع ان يخافوا من احوال يوم القيامة وان علموا ان مصيرهم الى الجنة والثواب . وعلى ما نذهب اليه من انه يجوز ان يعاقب الله بعض الفساق . ثم يردم الى الثواب يذنبغي ان تكون الآية مخصوصة بمن لا يستحق العقاب اصلاً . او نقول المراد بذلك لا خوف عليهم ولا هم يحزنون لذلك . وروي عن الحسين (ع) انهم ادوا فرائض الله واخذوا بسنن رسول الله وتورعوا عن محارم الله وزهدوا في عاجل زهرة الدنيا ، ورغبوا فيما عند الله واكتسبوا الطيب من الرزق لمعاتهم لا يريدون به التفاخر والتكاثر . ثم انفقوه فيما يلزمهم من حقوق واجبة فاولئك الذين يبارك الله لهم فيما اكتسبوا ويشابون على ما قدموا منه لا آخرتهم .

قوله تعالى

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ (٦٣) آية بلا خلاف .

يحتمل موضع الذين ثلاثة اوجه من الاعراب :

احدها - ان يكون نصباً بأن يكون صفة للأولياء .

الثاني - ان يكون رفعاً على المدح .

الثالث - ان يكون رفعاً بالابتداء وخبره « لهم البشرى »
اخبر الله تعالى ان الذين آمنوا هم الذين يصدقون بالله ويمترفون بوحدانيته وهم
مع ذلك يتقون معاصيه .

والفرق بين الايمان والتقوى ان التقوى مضمن باتقاء المعاصي مع منازعة النفس
ليها والايمان من الأمن بالعمل من عائد الضرر .

والفرق بين الايمان بالله والطاعة له ان الطاعة من الانطباع بجاذب الأمر
والارادة المرغبة في الفعل . والايمان هو الامن المنافي لانزعاج القلب .
وقوله « يتقون » فالانقاء اصله من (وقيت) فقلبت الواو ، وادغمت في ياء
الافتعال كما قلبت في نجاة وتراث .

قوله تعالى :

﴿ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ
لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٦٤) آية بلا خلاف .

ذكر الله تعالى ان الذين وصفهم في الآية الاولى من انهم يؤمنون بالله ويتقون
معاصيه « لهم البشرى » وهي الخبر بما يظهر سروره في بشرة الوجه . والبشرى
والبشارة واحد .

وقوله في الحياة الدنيا قيل فيه ثلاثة اقوال :

احدها - قال قتادة والزهري والضحاك والحياتي هو بشارة الملائكة (ع) انها
الرؤيا الصادقة الصالحة يراها الرجل او يرى له .
وقال ابو جعفر (ع) البشرى في الدنيا الرؤيا الصالحة يراها المؤمن او يرى
له في الآخرة الجنة .

الثالث بشرى القرآن بصفة الايمان ذكره الفراء والزجاج وغيرهما .
 وقوله « لا تبديل لكلمات الله » معناه لا خلف لما وعد الله تعالى من الثواب
 بوضع كلمة اخرى مكانها بدلا منها ، لانها حق والحق لا خلف له بوجه .
 وقوله « ذلك هو الفوز العظيم » اشارة الى « هذه البشرى المتقدمة » بأنه الفوز
 الذي يصغر كل شيء في جنبه .

قوله تعالى :

(وَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ
 الْعَلِيمُ) (٦٥) آية بلا خلاف .

ظاهر قوله « ولا يحزنك قولهم » ظاهره النهي والمراد به التسمية للنبي (ص)
 عن قولهم الذي يؤذونه به والنهي في اللفظ القول . وإنما هو عن السبيل المؤدي
 الى التأذي بالقول . ومثله لا اراك ههنا والمعنى لا تكن ههنا فمن كان ههنا رأيت ،
 فكذلك المراد بالآية لا تمبأ بالأذى فيمن غني به اذا .

وقوله « ان العزة لله جميعاً » كسرت (ان) بالاستئناس بالتذكير لما ينسفي
 الحزن لا انها معمول القول ، لانها ايمت حكاية عنهم ، لانهم لم يقولوا ان العزة لله .
 ولا يجوز نصبها على ان تكون معمول القول لانهم لو قالوه لما احزن ذلك النبي (ص)
 ولو فتحت (ان) على معنى (لان) جاز .

والعزة القدرة على كل جبار بالقهر بأن لا يرام ولا يضمم : عز يمز عزاً فهو
 عزيز . والمعنى انه الذي يمزك وينصرك حتى تصير اعز بمن ناواك .
 وقوله « هو السميع العليم » معناه انه يسمع قولهم ويعلم ضميرهم فيه . مجاز بهم بما
 تقتضيه حالهم ويدفع عنك شرهم .

قوله تعالى:

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يُتَّبِعُ
الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ
هُمْ إِلَّا بِخِرْصُونٍ﴾ (٦٦) آية بلاخلاف .

قد بينا فيما مضى ان اصل (ألا) (لا) وانما دخلت عليها حرف الاستفهام
تنبهياً . والفرق بين (ألا) و (اما) ان (ألا) للاستقبال ولا تقع به . لها (إن)
الا مكسورة . و (اما) تكون بمعنى حقاً كقولهم اما انه منطلق ، لأنها للحال
وبجوز بعد (اما) كسر (ان) وفتحها .

لما سلى الله النبي (ص) فقال « لا يحزنك » قول هؤلاء الكفار في « ان العزة
لله » يعني القدرة والقهر فانهم لا يفوتونه ، بين بعد ذلك ما يدل عليه وينبه على صحته
وهو ان له تعالى « من في السموات ومن في الارض » يعني العقلاء . واذا كان له
ملك العقلاء فما عداهم تابع لهم ، ووجب ان يكون ملكاً له . وانما خص العقلاء
تعظيماً للامر .

وقوله « وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء » تحتمل (ما) في قوله « وما
يتبع » وجهين :

احدهما - ان تكون بمعنى (اي) كأنه قال واي شيء يتبع الذين يدعون من
دون الله شركاء ، تقييماً لعلمهم .

الثاني - ان تكون نافية ، وتقديره وما يتبعون شركاء في الحقيقة والمعرفة .
وقوله « ان يتبعون الا الظن » معناه ليس يتبعون في اتخاذهم مع الله شركاء الا
الظن لتقليدهم اسلافهم في ذلك او لشبهة دخلت عليهم بأنهم يتقربون بذلك الى الله

تعالى وبين بمد ذلك انهم ليسوا الا كاذبين بهذا القول والاعتقاد في قوله « ان هم
الا بخرصون » .

وقائدة الآية الابانة عن انه يجب اخلاص العبادة لمن يملك السموات والارض
وان لا يشرك معه في العبادة غيره .

قوله تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا
انَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ (٦٧) آية بلا خلاف .

بين الله تعالى في هذه الآية ان الذي يملك من في السموات ومن في الارض « هو
الذي جعل الليل » اي خلقه « لتسكنوا فيه » اي خلقه وعرضه لتسكنوا فيه ، وانه
بالسكون فيه ولاجل ذلك خلقه لبزول التعب الكلال وجعل « النهار مبصرًا » وانا يبصر
فيه تشبيهًا ومجازًا واستعارة في صفة الشيء بحببه على وجه المبالغة ومثله قول جرير :

لقد ملتنا يا أم عيلان في السرى ونمت وما ليل المطي بناأم (١)
وقال روبة :

ونام ليلى ونجلى همي (٢)

والفرق بين الجمل والفعل ان جعل الشيء قد يكون باحداث غيره كجعل الطين
خزفًا ولا يكون فعله إلا باحداثه . والفرق بين الجمل والتغيير أن تغيير الشيء لا يكون
الا بتصويره على خلاف ما كان ، وجعله يكون بتصويره على مثل
ما كان كجعل الانسان نفسه ساكتًا على استدامة الحان .

(١) ديوانه (نشر الصاوي) ٥٤٤ و (الطبعة الاولى) : ١٢٨ وتفسير الطبري

(الطبعة الاولى) ١١ : ٨٩ ومجاز القرآن ١ : ٢٧٩ وجمع البيان ٣ : ١٢١

(٢) ديوانه : ١٤٣ ومجاز القرآن ١ : ٢٧٩ ، وجمع البيان ٣ : ١٢١

وقوله « ا » في ذلك لا آيات لقوم يسمعون ، اخبار منه تعالى وتنبية على ان هذا الجمل لا يقدر عليه الا الله تعالى ، وانه لا يصح الا من عالم قاصد ، وانه نعمة على الخلق بما لهم في ذلك من النفع والصلاح ، وانه من الامور اللازمة الدائرة ، وانه منصوب للفكر لا يغيب عنه طرفة عين .

قوله تعالى :

﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ عِنْدَ كُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا آتَةٌ لَكُمْ وَلَوْ نَشَاءُ عَلَى اللَّهِ مَا لَمْ نَأْتِكُمْ بِهَا آيَةً بَلَا خِلَافٍ .

اضاف اتخاذ الولد اليه طائفتان :

احداها - كفار قريش والعرب ، فأنهم قالوا للملائكة بذات الله .
والاخرى - النصارى الذين قالوا : المسيح ابن الله ، فكذب الله الفريقين . ولا يجوز اتخاذ الولد على الله على وجه التبني ، كما لا يجوز عليه اتخاذ إله على التعظيم ، لانه لما استحال حقيقته عليه استحال مجازه المبني عليها .

وحقيقة الولد من ولد على فراشه او خلق من مائه ، ولذلك لا يقال : تبني الشاب شيخاً ، ولا تبني الانسان بهيمة لما كانت ذلك مستحيلاً ، وهذه الحقيقة مستحيلة فيه تعالى ، فاستحال مجازها أيضاً . واتخاذ الخليل جائز ، لان الخلقة اصغاف المودة التي توجب الاطلاع على سره ثقة به . وان كان مشتقاً من الخلقة - بفتح الخاء - فهو لافتقار اليه ، لان الخلقة هي الحاجة . ويجوز ان يقال المسيح روح الله ، لان الارواح كلها ملك لله . وانما خص المسيح بالذكر تشرافاً له بهذا الذكر كما خص الكعبة بأنها بيت الله ، وان كانت الارض كلها لله تعالى .

وقوله « سبحانه هو الغني » تزيه من الله تعالى نفسه عن اتخاذ الولد لكونه غير محتاج الى ذلك ، لانه مالك ما في السموات والارض .

وقوله « ان عندكم من سلطان بهذا » إخبار منه أنه ليس من هؤلاء الذين يتخذون مع الله ولداً برهان ولا حجة ، لأن السلطان هو البرهان الظاهر ، ويخبرهم على قولهم ذلك فقال « اتقولون على الله ما لا تعلمون » لأن من أقدم على الاخبار عما لا يعلم صحته ولا يأمّن كونه كذباً مقبح عند العقلاء .

قوله تعالى :

﴿ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ (٦٩) مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ أَلَيْنَا مَصْرَجَهُمْ ثُمَّ نَذِيرُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿ ٧٠ ﴾ آيتان عند الجميع .

قوله « لا يفلحون » وقف تام . أمر الله تعالى نبيه (ص) ان يقول للمكافين « إن الذين ، يكذبون على الله باتخاذ الولد وغير ذلك « لا يفلحون » اي لا يفوزون بشي من الثواب .

وكسرت (إن) بعد القول ، لانها حكاية لما يستأنف الاخبار به ولذلك دخلت لام الابتداء في الخبر ، لانها تؤذن بأنه . وضع ابتداء .

والكذب يتماظم الأثم عليه بحسب تماظم الضرر به وكثرة الزواجر عنه ، فالكذب على الله أعظم لكثرة الزواجر عنه لما فيه من تضييع حق المنعم بأجل النعم .

وقوله « متاع في الدنيا » رفع بأنه خير الابتداء . وتقديره ذلك متاع أو هو متاع . ويجوز أن يكون على تقدير لهم متاع . وإنما خص بالدنيا لثلاث يفتقر به . والمتاع ما يقم به الانتفاع من أثار أو غيره . والانتفاع حصول الالتذاذ . وإنما جاز أن

يعتموا في الدنيا دون الآخرة ، لان الدنيا دار عمل والآخرة دار جزاء ، ولذلك كان التكليف في الدنيا دون الآخرة .

وقوله « ثم الينا مرجعهم » فالمرجع المصير الى الشيء بعد الذهاب عنه ، فهو لاء ابتدأهم الله ثم يصيرون الى الهلاك بالموت . ثم يرجعون بالانشاء تانية .

وقوله « ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون » معناه انا لا تقتصر على بعثهم بعد موتهم بل نوصل اليهم العذاب الشديد وننزله بهم جزاء بما كانوا يكفرون في دار الدنيا .

قوله تعالى :

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾ (٧١) آية بلا خلاف .

قرا نافع في رواية الأصمعي عنه « فاجموا » من جمع الباقون بقطع الهمزة . وقرا يعقوب « وشركاؤكم » بالرفع الباقون بالنصب . قال أبو علي : ما رواه الأصمعي عن نافع من وصل الهمزة من جمعت ، والاكثر في الامر يقال أجمعت ، كقوله « وما كنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم » (١) وكما قال الشاعر :

* هل اغدون يوماً وأمرى بجمع * (٢)

اي مفرد ويمكن أن يكون المراد ، واجموا ذوي الأمر منكم أي رؤسكم

(١) سورة يوسف آية ١٠٢ (٢) تفسير الطبري ١١ : ٩٠ والقرطبي ٨ : ٣٦٢

وصدره :

باليث شعري والمثى لا تنفع

ووجوهكم ، كما قال « وأولى الأمر منهم » (١) فحذف المضاف وأجرى على المضاف إليه ما كان يجري على المضاف لو ثبت . ويجوز أن يكون حمل الأمر ما كانوا يجمعونه من كيدهم ثم الذين يكيدونه به . فيكون بمنزلة قوله « فاجمعوا كيدكم ثم اتوا صفاً » ، على أن أبا الحسن يزعم أن وصل الألف في « واجمعوا أمركم وشركاءكم » أكثر في كلام العرب . قال وإنما يقطعون الهمزة إذا قالوا أجمعوا على كذا وكذا ، قال والقراءة بالقطع غريبة . ومن وصل الهمزة حمل الشركاء على هذا الفعل الظاهر لانك جمعت الشركاء وجمعت القوم ، وعلى هذا قال « ذلك يوم مجموع له الناس » (٢) ومن قطع الهمزة أضمر للشركاء فعلاً آخر كأنه قال فاجمعوا أمركم واجمعوا شركاءكم أو ادعوا شركاءكم قال الشاعر :

* علفتها تبناً وماء بارداً * (٣)

وقال آخر

* شراب البان وتمر واقط *

وفي قراءة أبي « وادعوا شركاءكم » ويجوز أن يكون انتصاب الشركاء على أنه مفعول معه ، وهو قول الزجاج ، كما قالوا استوى الماء والخشبة . وجاء المبرد والطيالسة . وقالوا لو ترك الفصيل وأمه لرضع من لبنها . ومن رفع « وشركاءكم » كيعقوب والحسن حملة على الضمير ، وتقديره فاجمعوا أنتم وشركاءكم . قال الزجاج وحسن ذلك لدخول المنصوب بينهما ولم يدخل لما حسن . ولا يجوز أن تقول اجمعوا وشركاءكم . وإنما يجوز العطف على الضمير إذا أكد .

(١) سورة النساء آية ٨٢ . (٢) سورة هود آية ١٠٤

(٣) تاويل مشكل القرآن ١٦٥ وإمالي المرتضى ٢ : ١٧٠ واللسان (علف)

وشواهد المغنى : ٣١٤ وألفية بن عقيل ٥٠٤ الشاهد ١٦٦

وزعم ابو الحسن أن قوماً يقيسون هذا الباب . وقوماً يقصرونه على ما سمع . قال ابو علي الفارسي والاول عندي أقيس .

امر الله تعالى نبيه (ص) أن يقرأ على هؤلاء الكفار أخبار نوح (ع) حين « قال اقومه يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي » بين أظهركم « وتذكري » اياكم « بايات الله » وحججه وهممتم بقتلي واذاي فافعلوا ما بدا لكم فاني على الله توكلت . وإنما جعل جواب الشرط « فعلى الله توكلت » مع انه متوكل عليه في جميع احواله ليبين لهم أنه متوكل في هذا على التفصيل لما في إعلامه ذلك من زجرهم عنه لان الله تعالى يكفيه امرهم .

والتوكل والتعمد جعل الامر الى من يدبره للثقة به في تدبيره فمن فوض أمره الى الله ، فقد توكل عليه .

وقوله « ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة » معناه ليكن أمركم ظاهراً مكشوفاً ولا يكون مغطياً مستوراً من غممت الشيء اذا سترته ، فالغمّة ضيق الامر الذي يوجب الحزن ، والغمّة والضغطة والكربة والشدة نظائر ، ونقيضه الفرجة . وقيل (غمّة) معناه مغطى تغطية حيرة مأخوذة من غم الهلاك .

وقوله « فاجمعوا أمركم وشركاءكم » فيه تهديد . وقوله « ثم اقضوا الي ولا تنظرون » معناه افعلوا ما تريدون على وجه التهديد لهم ، وانه اذا كان الله ناصرهم وعليه توكله فلا يبالي بمن عاداه واراد به سوء . فان الله يكفيه امره . وقرئ بالقاء ومعناها متقاربان ، ولان معنى اقضوا توجهوا الي . وقال ابن الانباري معنى « اقضوا » امضوا يقال قضى فلان إذا مات ومضى . ومعنى « ولا تنظرون » ولا تؤخرون .

قوله تعالى :

﴿ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَسْأَلُكُمْ مِنْ أَجْرِهِ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَالِي ﴾

اللَّهِ وَأُمرتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ آية بلا خلاف .

يقول الله تعالى لنبيه (ص) تمام ما حكاه عن نوح انه قال لقومه إن «توليتم» اي هرتم عن الحق واتباعه ولم تقبلوه ولم تنظروا فيه. والتولى والاعراض والانصراف نظائر . وقوله «ثما سألتكم من اجر» اي لا اطلب منكم اجراً على ما أوذبه اليكم من الله فيثقل ذلك عليكم . والاجر النعم المستحق بالعمل . والاجرة مظمنة بشرطه او او مجرى عادة .

وقوله «ان اجري الاعلى الله» اي ليس اجري في القيام باداء الرسالة الا على الله . وقوله «وامرت ان اكون من المسلمين» معناه قل لهم امروني الله بأن اكون من المسلمين لأمر الله بطاعته ثقة بأنها خير ما يكسبه العباد .

قوله تعالى :

﴿فَكَذَّبُوهُ فَمَجِئْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَمَلْنَا لَهُمْ خَلَائِفَ
وَأَعْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَكْبِرِينَ﴾
(٧٣) آية بلا خلاف .

لما حكى الله تعالى ما قال نوح لقومه في الآيتين الاوليتين ذكر ما كان من قومه في مقابلة ذلك وهو انهم كذبوه اي نسبوه الى الكذب فيما ذكره من انه نبي الله وان الله بعثه اليهم ليدعوهم الى طاعته ، وانه تعالى عند ذلك نجا نوحاً اي خلصه ، وخلص الذين معه في السفينة وجعلهم خلائف معه ، انه جعل الذين نجوا مع نوح لمن هلك بالفرق عبرة . وقيل انهم كانوا ثمانين نفساً .

وقال البلخي يجوز ان يكون اراد به جعل منهم رؤساء في الارض واهلك باقي اهل الارض اجمع لتكذيبهم لنوح .

والفرق الاهلاك بالماء الغامر، وقد يفرق الحصة بالماء على هذا المعنى . واما التفريق في رحمة الله ، فانما هو تشبيه بما اكتنفه الماء الغامر . ثم قال لنبيه (ص) « انظر كيف كان عاقبة الذين » خوفوا بالله وعذابه فلم يخافوه كيف اهلكهم الله ليهلمهم بذلك ان حكم هؤلاء الذين كذبوه وجحدوا نبوته حكم او اهلك في الله يهلكهم ويدمر عليهم ، يسليه بذلك عن ترك انقيادهم له .

قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (٧٤) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى انه بعث رسلا - بعد نوح واهلاك قومه - إلى قومهم الذين كانوا فيهم بعد ان تناسلوا وكثروا فأتوهم بالحجج والمعجزات الدالة على صدقهم وانهم مع ذلك « ما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل ، ويحتمل ذلك امرين :

احدهما - أنهم لم يكونوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل : من توحيد الله وتصديق انبيائه .

والثاني - قال البلخي ما كانوا ليؤمنوا بالحجج والبيئات بعد اتيان الانبياء بها - با كذبوا به من قبل يخبر عن عنادهم وعتوهم .

وقال « كذلك نطبع على قلوب المعتدين » معناه انا جعلنا على قلوب هؤلاء الكفار سمة وعلامة على كفرهم يلزمهم الذم بها ، وتعرفهم بها وانا مثل ذلك تفعل بقلوب المعتدين . وايس المراد بالطبع في الآية المنع من الايمان ، لان مع المنع من الايمان لا يحسن تكليف الايمان .

والطبع جعل الشيء على صفة غيره بمعنى فيه . والملتدون هم الظالمون لنفوسهم - م
الذين تعدوا حدود الله .

قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ
بِآيَاتِنَا فَأَسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴾ (٧٥) آية بلاخلاف .

هذا اخبار من الله تعالى انه - بعد ارسال من الانبياء بعد نوح
واهلاك قومه وما ذكره من انهم لم يؤمنوا به وانه طبع على قلوبهم عقوبة لهم على ذلك -
بعث ايضاً بعدهم موسى وهارون (ع) نبيين مرسلين « الى فرعون وملائته » يعني رؤساء
قومه « بآياتنا » اي بادلتنا وحججنا وأنهم استكبروا عن الانقياد لها والايان بها
« وكانوا قوماً مجرمين » في ذلك مستحقين للعقاب الدائم .

والملائة الجماعة الذين هم وجوه القبيلة مأخوذ من انهم تملأ الصدور هيبتهم عند
منظرهم . ومنه قوله (ص) في قتلى بدر (اولئك الملائة من قريش) .
والاستكبار طلب الكبر من غير استحقاق فاما المتكبر في اوصاف الله
فهو الظاهر فان له اعلى مراتب الكبر ، وهو صفة ذم في العباد ومدح في صفة الله تعالى .
والاجرام اكتساب السيئة وهي صفة ذم واصل الاجرام القطع يقال جرم التمر يجرمه
جرماً فهو جارم والجمع جرام إذا صرمه وزمن الجرام زمن الصرام ونجرت السنة اذا
انصرت . وفلان جريمة اهله اي كاسبهم . وقوله « لا جرم ان لهم النار » (١) اي
لا بد لهم النار قطعاً قال الشاعر :

ولقد طمنت ابا عيضية طمنة جرت فزارة بعدها ان يغضبوا (٢)

اي حملتهم على الغضب بقطعها اياهم وانجرت الجسيم ، والجرم الصوت ، والجرم

(١) سورة النحل آية ٦٢ (٢) مرتخرجه في ٣ : ٢٣ : ٤ .

الذنب .

وزن (موسى) مفعول وهو محمول على قياس العربية فزيادة الميم اولا اكثر من زيادة الالف اخيراً وكذلك زيادة همزة الفعل في اقل هذه العلة .

قوله تعالى :

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (٧٦)

آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى عن قوم فرعون الذين ذكروهم واخبر عنهم بالاستكبار انهم قالوا مع ذلك حين جاءهم الحق من عند الله ان هذا الذي اتى به موسى من المعجزات والبراهين سحر ظاهر .

(ولما) اول على ما مضى ولا بد لها من الجواب و (اذا) لما مضى و امتعني عن الجواب كقولك : مضى اليه اذ قدم اي يوم قدم . (واذا) تكون للمستقبل كحرف الجزاء . والحق معنى معتقده على ما هو به ، وهو ما اتت به الرسل من البيان والبرهان عن الله تعالى .

والسحرا يهام المعجزة على طريق الحيلة ويشبهه به البيان في خفاء السبب قال الشاعر :
وحديثها السحر الحلال لو آتته لم يجن قتل المسلم المتحرز
والساحر الذي يعتقد صحة سحره كافر لأنه لا يمكنه مع ذلك معرفة النبوة
فان كان يخرق بالسحر ويعلم انه باطل لم يكفر ولم يطلق عليه صفة ساحر .

قوله تعالى :

﴿ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ

السَّاحِرُونَ ﴾ (٧٧) آية بلا خلاف .

حكى الله تعالى عن موسى أنه قال لقومه الذين نسبوه إلى السحر « اتقوا ولون
للحق لما جاءكم أسحر هذا » ويريد بذلك تمكينهم وتهجينهم . ثم قال موسى « ولا
يفلح الساحرون ، أي لا يفوزون بشيء من الخير . ويجوز أن يكون ذلك اخباراً من
الله تعالى لا حكاية عن موسى وذلك يدل على بطلان السحر أجمع .
وقيل في تكرير الف الاستفهام في قوله « اسحر هذا » بعد أن قال « اتقولون »
ثلاثة اقوال :

أحدها - أنه يكون لتأكيد التقرير على الحذف كأنه قال اتقولون للحق لما
جاءكم ان هذا لسحر . بين اسحر هذا .

الثاني على وجه التكرار كقولك اتقول اعندك مال .

الثالث ان يكون حكاية قولهم وان اعتقدوا انه السحر كما يقول الرجل للجارية
اذا اتته أحق هذا ، فيقولونه على التمجيب . ولو قالوا الحق لا يكون سحراً . ولكن
ليس بحق لقال لهم فلو كان حقاً كيف كان الا هكذا من قلب الجماد حيواناً برونه
عياناً وغير ذلك من الآيات .

قوله تعالى :

﴿ قَالُوا اجِئْتَنَا بِلُحُوبٍ أَمْ عَلِيمٌ وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونُ
لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ بِكُلِّ بَعْدٍ مِّنْكُمْ ﴾ (٧٨)

آية بلا خلاف .

روى العليمي « ويكون » بالياء . الباقون بالتاء .

وجه الياء انه تأنيث غير حقيقي ، وقد فصل بينهما . ومن قرأ بالتاء فلان

الكبرياء لفظها لفظ التأنيث .

اخبر الله تعالى عن قوم موسى انهم قالوا لما اظهر لهم المعجزات ودعاهم الى التصديق بنبوته « اجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه ابائنا » اي لتصرفنا عن ذلك والافتت الصرف عن امر تقول : لفته يلفته لفتاً وافت عنقه اذا لواها ، قال رؤبة :
* وافت لفات لها حصاد *

وقال ايضاً

لفتاً وتهزيماً سواء آلفت (١)

• التهزيم الدق واللفت اللي

وقوله « وتكون لكما الكبرياء في الارض » قال مجاهد الكبرياء الملك . وقال قوم هي العظمة . وقال آخرون هي السلطان . والكبرياء استحقاق صفة الكبر في اعلى المراتب .

والالف في قوله « اجئتنا » الف استفهام ، والمراد به الانكار على طريق اللجاج والحجاج منهم فتملقوا بالشبهة في انهم على رأي آبائهم وان من دعاهم الى خلافه فظاهر امره انه يريد التأمير عليهم .

وقوله « وما نحن بمؤمنين » حكاية انهم قالوا لموسى وهارون لسنا بمصدقين لكما فيما تدعيانه من النبوة .

قوله تعالى :

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴾ (٧٩) آية

بلا خلاف .

(١) مجاز القرآن ١ : ٢٨٠ وروايته :

يدق صلبان العظام لفتى لفتاً وتهزيع سواء اللفت

قرا اهل الكوفة الا عاصمًا بكل سحار ، بتشديد الحاء والفاء بمدها
 الباقون (ساحر) على وزن فاعل . وقد بينا الوجه في ذلك في الاعراف .
 حكى الله تعالى عن فرعون انه حين اعجزه المعجزات التي ظهرت لموسى ، ولم يكن
 له في دفعها حيلة قال لقومه ائتوني بكل ساحر عليهم بالسحر بليغ في علمه .
 (وفرعون) لا ينصرف لأنه أعجمي معرفة ، وهو منقول في حال تعريفه ولو
 نقل في حال تنكيره انصرف كياقوت . ووزن فرعون فعلول ، الواو زائدة ، لانها
 لحقت عند سلامة الثلاثة . ومثله فردوس .

وإنما طلب فرعون كل ساحر ليتعاونوا على دفع ما أتى به موسى وحتى لا
 يفوته شيء من السحر بتأخر بعضهم . وإنما توهم مقاومة السحرة لموسى ممن قول
 موسى له قد علمت ما انزل هؤلاء إلا رب السموات والارض ، لانه إنما عرف ذلك فيما
 بعد لما بهرهم الامر فكان قبل ذلك على الجهل لتوهمه ان السحر يقاوم الحق .

قوله تعالى :

﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةَ قَالُوا لَوْ كُنَّا نَمْلًا مُّسْمِعِينَ ﴾

(٨٠) آية بلا خلاف .

حكى الله تعالى ان السحرة الذين طلبهم فرعون وامر باحضارهم لما جاؤا فرعون
 وموسى حاضر « قال لهم موسى القوا ما اتمم ملقون » وهذا ظاهره الامر ويحتمل امرين :
 احدهما - ان يكون قال ذلك على سبيل التحدي والالزام بمعنى : من كان عنده
 انه يقاوم المعجزات لزمه ان يأتي بها معه حتى تظهر منزلته ، وانما جاز إلزام الباطل على الخصم
 ليثبت ان اصله الفاسد يوجب عليه اعتقاد ذلك الباطل ، كما ان الشيطان يوجب الفساد
 ويدعه الى الضلال .

الثاني ان يكون ذلك امراً على الحقيقة بدليل ان كان معه قوله « القوا ما انتم ملقون » انما لم يقتصر على قوله « القوا » لان المراد به القوا جمع ما انتم ملقون في المستأنف فلا يكفى منه القوا .

والالقاء اخراج الشيء عن اليد الى جهة الارض ويشبه بذلك قولهم والقي عليه مسألة والقي عليه كلمة ، والالقاء والطرح نظائر وفي الكلام حذف ، لان تقديره قال فرعون ائتوني بكل ساحر عليهم فأتوه بهم فقال لهم موسى .

قوله تعالى

﴿ فَلَمَّا آتَوْا الْقَوَا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلِ الْمُفْسِدِينَ (٨١) آية بلا خلاف .

قرأ ابو عمر ووحده «السحر» على الاستفهام . الباقون على الخبر . قال ابو علي الفارسي في قراءة ابي عمر وما يرفع بالابتداء ، وجئتم في موضع الخبر والكلام استفهام ، لان الكلام يستقبل بقوله جئتم به . ولو كانت موصولة احتاج الى خبر آخر .

وهذا الاستفهام المراد به التقرير كما ، قال « أنت قلت للناس » (١) لان موسى كان عالماً بأن ذلك السحر . وانما الحق الف الاستفهام بقوله « السحر » لان السحر بدلا من « ما » المبتدأ ولزم ان يلحق السحر الاستفهام ليساوي المبتدل منه في انه استفهام الاتري انه - ليس في قولك السحر استفهام ، وعلى هذا قالوا كم مالك اعشرون ام ثلثون ، فجعلت العشرون بدلا من - كم فالحقت ام لانك في قولك كم درهماً مالك مدع ان له مالا .

ومن قرأ على الخبير جعل (ما) موصولة (وجئتم به السحر) صلة والهاء
مجرورة عائدة على الموصول والسحر خبر المبتدأ الذي هو الموصول .
وحكى الفراء ، انه دخل الالف واللام في قوله « السحر » للمهد ، لانهم قالوا لما
أتى به موسى إنه سحر ، قال موسى ما جئتم به فهو من السحر .
وفي قراءة أبي ما جئتم به سحر بلا الف ولام .
ومن قرأ بالاستفهام جعل (ما) في قوله « ما جئتم به » للاستفهام .
ومن قرأ على الخبير جعل (ما) بمعنى الذي وفسرت ما بالواحد في السحر ، لان
المعنى عليه ، وإنما ذكر لانويخ كقولك ما صنعت الفساد .
حكى الله تعالى انه لما القوا السحرة سحرهم قال لهم موسى الذي جئتم به السحر
فن قرأ على الخبير ، واي شيء جئتم به السحر مقررآ لهم ثم اخبر ان الله سيبطل
هذا السحر الذي فملتموه « ان الله لا يصلح عمل المفسدين » فالاصلاح تقديم العمل
على ما ينفع بدلا مما يضر . والاصلاح استقامة العمل على هذا الوجه . والافساد تعويج
العمل الى ما يضر بدلا مما ينفع . والفساد اضطراب العمل على هذا الوجه . والاصلاح مضمن
بالنفع لانه اذا اضيف ظهر معنى النفع فيه كقولك صلاح زيد ، وهو اصلح له اي
انعم له وان كان فيه فساد على غيره .

قوله تعالى :

﴿ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (٨٢)

آية بلاخلاف .

هذا عطف على قوله « قال موسى ما جئتم به السحر ان الله سيبطله ان
الله لا يصلح عمل المفسدين » ويحق الله الحق بكلماته ، وقيل في معناه ثلاثة اقوال

اولها قال الحسن بوعده لموسى .
الثاني - قال ابو علي بكلامه الذى يبين به معاني الآيات التي اتاها نبيه (ص)
الثالث - بما سبق من حكمة في اللوح المحفوظ بأن ذلك يكون .
واحقاق الحق معناه اظهاره وتمكينه بالدلائل الواضحة والآيات البيضة حتى يرجع
الطاعن عليه حسيراً والمناصب له مفلولا .
وقوله « ولو اكره المجرمون » معناه انه يحق الحق وان كرهه من هو مجرم .
وفي الآية دلالة على انه تعالى ينصر المحقين كلهم لنصره اياهم بالحجة فاما بالغلبة
في كل حال فوقوفه ، لان المصلحة قد تكون بالتخلية تارة وبالحيلولة اخرى . والحق
على ضربين :

احدهما ما كان يمكن ان يكون حقاً وغير حق ، فهذا لا يصير حقاً إلا بأن يقصد
فاعله على ايقاعه حقاً ، فجاز ان يقال انه حق بالفاعل . والآخر لا يؤثر فيه قصد فاعله
فلا يقال في ذلك انه حق بالفاعل .

قوله تعالى :

﴿ ثاآن من لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون
وملائهم ان يفتنهم وان فرعون كمال في الارض وانه لمن
المسرفين ﴾ (٨٣) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى انه لم يصدق لموسى بالنبوة الا ذرية من قومه مع خوفهم من
فرعون ورؤساء قومه ان يفتنهم . (والذرية) الجماعة من نسل القبيلة . وحكى ابن
عباس انه اراد الا قليل من قومه . وقيل كان امهاتهم من بني اسرائيل وآبائهم من
القبط . وقيل سموا ذرية لانهم اولاد الذين ارسل عليهم موسى فلم يستجب الاباء وقيل

هم قوم من بني اسرائيل اخذهم فرعون بتعلم السحر وجعلهم من اصحابه . ويحتمل ان يكون ذرية على وزن فعلية ماخوذاً من الذر كقمرية والثاني - أن يكون على وزن فعلية من الذرو في تذروه الرياح كقولك مزقته ، ويجوز أن يكون من ذرأ الله الخلق فترك همزه . والفتنة في الدين الامتحان الذي يصرف عنه وقد يكون ذلك بالاكراه تارة وبالهدى اخرى ، وبالشبهة الى الضلال .

وقوله « ان فرعون لعال في الارض » فالعلو في الامر عظم الشأن فيه وكل معنى لا يخلوا من ان يكون في صفة عالية او دانية او فيما بينهما من الجلالة والضمه .
والضمير في قوله « وملائهم » قيل فيمن يمود اليه ثلاثة اقوال:
احد هاء الى الذرية فقط .

الثاني - الى فرعون واتباعه . الثالث الى فرعون ، لانه معلوم .
وقوله « وانه لمن المرفين » اخبار منه تعالى ان فرعون لمن جملة من ابعدي مجاوزة الحق . والاسراف قد يكون في القتل وفي الاكثار من المعاصي .

قوله تعالى:

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ اٰمِنْتُمْ بِاللّٰهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا
إِن كُنتُمْ مُّسْلِمِينَ (١٤) آية بلا خلاف .

حكى الله تعالى عن موسى انه قال لقومه ان كنتم صدقتم بتوحيد الله فتوكلوا عليه . وقوله « ان كنتم مسلمين » بعد قوله « ان كنتم امنتهم بالله » ليقين المعنى بالصفتين من الايمان والاسلام وبالتقييد والاطلاق على ان الثقة بالله توجب الاستسلام لامره . والتوكل التوثق باسناد الاسرائي الله . والوكالة عقد الامر لمن يقوم به مقام مالكه . والله عز وجل املك بالعبد من نفسه فهو احق بهذه الصفة . ويوجب التوكل على الله النجاة من كل

محذور ، والفوز بكل سرور وحبور اذا اخلص فيه وسلمت النية فيه .
 وحذفت يا الاضافة من قوله « يا قوم » اجتزاء بالكسرة منها وهو في النداء
 احسن من اثباتها لقوة النداء على التغيير .
 وفائدة الآية البيان عما يعمل عليه عند نزول الشدة من ان من كان يؤمن بالله
 فليتوكل على الله ويعلم امره اليه ثقة بحسن تدبيره له .

قوله تعالى :

﴿ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾
 (٨٥) ﴿ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِّنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (٨٦) آيتان بلا
 خلاف .

الفاء في قوله « ف قالوا » فاء المطفوء - و اب الامر كما يقال قال السائل كذا
 فقال المجيب كذا . وانما جازت الفاء في الجواب ولم تجز الواو ، لان الفاء ترتيب من
 غير مهلة ، فهي موافقة لمعنى وجوب الذاني بالاول وليس كذلك الواو .
 لما حكى الله تعالى قول موسى لقومه « ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا »
 حكى ما اجاب به قومه من قولهم : توكلنا على الله . وانهم سألوا الله وقالوا « ربنا
 لا تجعلنا فتنة » اي محنة واعتباراً « للقوم الظالمين » وخلصنا « برحمتك من القوم » الذين
 كفروا بآياتك ، وكل كافر ظالم لنفسه بتعرضه للمعاقب وليس كل ظالم كافراً .
 والفتنة اصلها البلية وهي معاملة تظهر الامور الباطنة يقال : فذنت الذهب اذا احرقته
 بالنار ليظهر الخالص . وقوله « يوم هم على النار يفتنون » (١) اي يحرقون بما فيه
 من اظهار حالهم في الظلال . وقوله « الفتنة اشد من القتل » (٢) معناه التعذيب المراد عن
 الدين ، لما فيه من اظهار النصره أشد ، ومعنى « لا نجعلنا فتنة للقوم الظالمين » لا نمنكهم

من ظلمنا بما يحملنا على اظهار الانصراف عن ديننا - في قول مجاهد وقال ابو الضحى والجبائي معناه : لا يظهروا علينا فيروا آثم خير منا .
وقوله « ونجنا » معناه خلصنا بما فيه المخافة والشامة . وانما جاز وصف الله تعالى بالرحمة مع كثرة استمالتها في الرقة لدلالة التعظيم على انتفاء معنى الرقة ان نعمه في الاسباع والكثرة تقع . موقع ما تبعث عليه الرقة . وانما سألوا النجاة من استعباد فرعون وملائه اياهم وأخذهم بالاعمال الشاقة والمهن الخسيسة .

قوله تعالى :

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكَ مِكْرًا بِمِصْرَ
يُيُوتَا وَأَجْمَلُوا يُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٨٧)
آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى أنه أوحى الى موسى وأخيه بمعنى ألقى اليها في خفاء والابحاه والابحاه والاشارة نظائر ، وكله بيان ودلالة .

وحكى الرماني أن قوماً أجازوا أن يوحى الله الى من ليس بنبي برؤياً أو إلهام ، قال : وليس يجوز عندنا على المعنى الذي يقع الوحي الى الانبياء ، لأنه إنما يقع على خلاف مجرى العادة بمعجزة تشهد بأنه تعالى ألقى المعنى اليه . ولا يجوز أن يطلق الصفة بالوحي الا لنبي فان قيد ذلك على خلاف هذا المعنى كان جائزاً ، كقوله « وأوحى ربك الى النحل » (١) .

ومعنى قوله « تبوءا » انخذا يقال : بوأته منزلاً أي انخذه له . وأصله

الرجوع من « و باؤوا بغضب من الله » (١) أي رجعوا والمبوء المنزل لأنه يرجع إليه للمقام فيه ومنه قولهم (بوء بشسم كليب) أي ارجع به . وقوله « و اجملوا بيزنكم قبلة » معناه صلى . وقيل قبلة : مسجداً ، لأنهم كانوا خائفين فأمسروا بأن يصلوا في بيوتهم في قول ابن عباس ومجاهد وإبراهيم والسدي والضحاك والربيع - وقال الحسن يعني قبلة نحو الكعبة .

ولم يصرف (مصر) لأنه مؤنث معرفة كقولك هند ، ولو صرفته لخصفته كما صرفت هند ، كان جائزاً وترك الصرف أقيس .
وقوله « وأقيموا الصلاة » أمر من الله إياهم بإقامة الصلاة والدوام على فعلها « وبشر المؤمنين » أمر منه لموسى ان يبشر المؤمنين بالجنة وما وعد الله تعالى من الثواب وانواع النعيم .

قوله تعالى :

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُ عَنِ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَأَشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ (٨٨) آية بلا خلاف .

حكى الله تعالى في هذه الآية عن موسى (ع) أنه قال يا « ربنا انك اعطيت فوعون وملائه » يعني قومه ورؤساءهم « زينة واموالا في الحياة الدنيا » وإنما اعطاهم الله تعالى ذلك للانعام عليهم مع تعريه من وجوه الاستفساد .

(الزينة) ما يترين به من الحلي والثياب والمتاع . ويجوز أن يراد به حسن الصورة « ليضلوا عن سبيلك » فهذه لام العاقبة ، وهي ما يؤل إليه الأمر كقوله « فالتقطه »

(١) سورة البقرة آية ٦١ وسورة آل عمران آية ١١٢ .

آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً ، (١) ويحتمل ان يكون المعنى لثلاثا يضلوا عن سبيلك ، فحذفت (لا) كقوله « من ترضون من الشهداء ان تفضل احداها » (٢) اي لثلاثا تفضل احداها ، وكقوله « ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين » (٣) اي لثلاثا يقولوا ولا يجوز ان يكون لام الغرض ، لأن الله لا يفعل بهم الزينة ويعطيهم ويريد منهم ان يضلوا بل إنما يفعل لينتفعوا ويطيعوه ويشكروه .
وقال قوم : لو كان اراد منهم الضلال لكانوا إذا ضلوا مطيعين ، لان الطاعة هي موافقة الارادة وذلك باطل بالاتفاق .

وقوله « ربنا اطمس على اموالهم » إخبار عن موسى انه دعا على قومه فسأل الله ان يطمس على اموالهم .
والطمس محو الأثر تقول : طمست عينه اطمسها طمساً وطموساً وطمست الریح آثار الديار .

فدعا موسى (ع) عليهم بأن يقلب حالهم عن الانتفاع بها كقوله « من قبل ان نطمس وجوهاً » (٤) والطمس تغير الى الدبور والدروس قال كعب بن زهير :
من كل نضاخة الذفرى إذا عرفت عرصتها طامس الاعلام مجهول (٥)
وقال قتادة والضحاك وابن زيد و ابو صالح : صارت اموالهم حجارة .
وقوله « واشدد على قلوبهم » معناه ثبتهم على المقام ببلدهم بعد اهلاك اموالهم فيكون ذلك اشد عليهم .

وقولهم « فلا يؤمنوا » يحتمل موضعه وجهين من الاعراب :

(٢) سورة البقرة آية ٢٨٢ .

(٤) سورة النساء آية ٤٦ .

(١) سورة القصص آية ٨ .

(٣) سورة الاعراف آية ١٧١ .

(٥) انظر ١ : ٢٢٦ تعليقه ١ و ٣ : ٢١٦ .

احدهما - النصب على جواب صيغة الامر بالفاء او بالعطف على « ليضلوا »
وتقديره لئلا يضلوا فلا يؤمنوا .

الثاني - الجزم بالدعاء عليهم ، كما قال الاعشى :

فلا يذبسط من بين عيذك ما انزوى ولا تلقني إلا وانفك راغم (١)
وقال الفراء : ذلك دعاء عليهم بأن لا يؤمنوا . وحكى الجبائي عن قوم ابن
المراد بذلك الاستغمام والانكار كأنه قال : إنك لا تفعل ذلك ليضلوا
عن سبيلك .

وقال احمد بن يحيى ثعلب : هذه لام الاضافة ، والمعنى لضلالتهم عن سبيلك
« اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم » .

وحكى البلخي انه لا يجوز ان يكون ذلك على التقديم والتأخير وتقديره
ربنا ليضلوا عن سبيلك فلا يؤمنوا ربنا اطمس على اموالهم .

وقيل إن قوله « فلا يؤمنوا » خرج مخرج الجواب للامر ومعناه الاخبار ، كما
يقولون انظر الى الشمس تغرب .

وقيل ان المعنى لا يؤمنون ايمان الجاه حتى يروا العذاب الاليم وهم مع ذلك
لا يؤمنون ايمان اختيار اصلا .

وقال بعضهم اللام لام كي وانه اعطاهم الاموال والزينة لكي يضلوا عقوبة
وهذا خطأ ، لانه بوجب ان يكون ضلالهم عن الدين طاعة لله .

قوله تعالى :

﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقْبَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ

(١) ديوان الاعشى والاعشىين ٥٨ قصيد ٩ و تفسير القرطبي ٨ : ٢٧٥

و الطبري ١١ : ١٠٢

الَّذِينَ لَا يَمْلِكُونَ ﴿٨٩﴾ آية بلا خلاف .

حكى الله تعالى أنه أجاب موسى وهارون ، فقال لهما « قد اجيبت دعوتكما »
والجواب موافقة للدعوة فيما طلب بها . لوقوعها على تلك الصفة . فأنه تعالى يجيب الدعاء
إذا وقع بشروط الحكمة .

واختلفوا في هل يجوز أن يجيب تعالى دعوة الكافر أو لا ؟

فقال ابو علي الجبائي لا يجوز لان إجابته إكرام له كما يقولون : فلان يجاب
الدعوة اي هو رجل صالح . والكافر ليس بهذه المنزلة .

وقال ابو بكر بن الاخشاد : يجوز ذلك إذا كانت فيه ضرب من المصلحة .
والاجابة قد تكون من الاعلى للادون من غير ترغيب المدعو . والطاعة لا
تكون إلا من الأدنى للأعلى . ولا يجوز عند اكثر المحصلين ان يدعو نبي على
قومه من غير إذن مسمي ، لانه لا يأمن ان يكون منهم من يتوب مع اللطف في
التبعية ، فلا يجاب . ويكون ذلك فتنة .

والدعوة طلب الفعل بصيغة الامر وقد يدعى بصيغة الماضي كقولك : غفر الله
لك واحسن اليك ، وجزاك الله خيراً .

وإنما قال « اجيبت دعوتكما » والداعي موسى لان دعاء موسى كان مع تأمين
هارون - على ما قاله الربيع وابن زيد وعكرمة ومحمد بن كعب وأبو العالية - والمؤمن
داع ، لان المعنى في التأمين اللهم اجب هذا الدعاء .

وقوله « فاستجبنا » امر منه تعالى لهما بالاستقامة في دعائها على فرعون وقومه على
ما أمرتكما به ولا تتبعنا سبيل الجاهلين لوعدي ووعيدي فإنه لا خلف له .

وقال ابن جريج : مكث فرعون بعد هذه الامور اربعين سنة .

وقوله « ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون » نهي منه تعالى لموسى وهارون ان

يتبعها طريقة من لا يؤمن بالله ولا يعرفه .

وقرأ ابن عامر وحده « ولا تتبعان » مخففة النون الالدا جوني عن هشام ،
فانه خير بين تخفيفها وتشديدها . وقرأ ابن عامر وحده « ولا تتبعان » ساكنة
التاء مخففة مشددة النون . وفي قراءة الاخفش الدمشقي عن ابن عامر بتخفيف التاء
والنون . الباكون بتشديد التاء والنون .

قال ابو علي النحوي من شدد النون فلأن هذه النون الثقيلة إذا دخلت على
(تفعل) فتح لام الفعل ، لدخولها ويبنى الفعل معها على الفتح نحو (لتفعلن) وحذفت
النون التي بنيت في (تفعلان) في حال الرفع مع النون الشديدة ، وحذف الضم في
(لتفعلن) ، وإنما كسرت الشديدة بعد ألف التثنية لوقوعها بعد الف التثنية ، فأشبهت
التي تلحق الألف في رجلان ، لما كانت في هذه مثلها ، وداخلة لمعنى كدخولها ،
ولم يعتد بالنون قبلها ، لأنها ساكنة ، ولأنها خفيفة فصارت المكسورة
كأنها وليت الألف .

ومن خفف النون يحتمل ان تكون مخففة من الثقيلة كما خففوا (رب) و(ان) ونحوها
وحذفوا الاولى من المثليين كما ابدلوا الاولى من المثليين في نحو (قيراطو ديمار) ولان اصلها
(قيراطو ديمار) فأبدلوا من إحدى النونين ياء . ويحتمل ان يكون حالا من قوله « فاستقبيا »
وتقديره فاستقبيا غير متبئين . ويحتمل ان يكون على لفظ الخبر والمراد به الامر .

قوله تعالى :

﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ
بَغِيًّا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا
الَّذِي آَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٩٠) آية

قرأ أهل الكوفة إلا عاصماً « آمنت أنه » بكسر الالف . الباقون بفتحها .
قال أبو علي : من فتح الهمزة فلأن هذا الفعل فصل بحرف الجر في نحو
« يؤمنون بالغيب » (١) و « يؤمنون بالجبت » (٢) فلما حذف الحرف وصل الفعل
إلى (ان) فصار في موضع نصب أو خفض على الخلاف في ذلك .
ومن كسر الالف حملة على القول المضمّر كأنه قال « آمنت » فقلت إنه
واضمار القول في نحو هذا كثير . وهذا أحسن لأن قوله (انه لا إله إلا الله) في
المنى إيمان ، وإذا قال آمنت فكأنه ذكر ذلك .

وقال الرماني من كسر (إن) جملة بدلاً من (آمنت) . ومن فتح جملة معمول
(آمنت) وفي الكلام حذف ، لأن تقديره فأتبعهم فرعون وجنوده بغيّاً وعدواً فيه
ففرقناه حتى إذا أدركه الفرق .

حكى الله تعالى إنه جاوز بيني إسرائيل البحر بمعنى أخرجهم منه بأن جفف
لهم البحر وجعله طرفاً حتى جاوزوه .

والمجاوزه الخروج عن الحد من أحد الجهات الأربعة ، لأنه لو خرج عن
البحر بقليل وهو متعلق عليه لم يكن قد جاوزه . والبحر مستقر الماء الواسع
بحيث لا يدرك طرفه من مكان في وسطه ويقال : ما فلان إلا بحر
لسعة عطائه .

وقوله « فأتبعهم فرعون وجنوده بغيّاً وعدواً » فلا تباع طلب اللحاق بالأول :
اتباعه إتباعاً وتبعه بمعنى . وحكى أبو عبيدة عن الكسائي أنه قال : إذا أريد أنه
اتبعه خيراً أو شراً قالوا بقطع الهمزة ، وإذا أريد أنه اقتدى بهم واتبع أثرهم قالوا

(١) سورة البقرة آية ٣

(٢) سورة النساء آية ٥٠

بتشديد التاء ووصل الهمزة ، والبغني طلب الاستعلاء بغير حق . والبغني مذموم لقوله تعالى « فقاموا التي تبغني حتى تبغني الى امر الله » . (١) و (عدوا) معناه عدواً وظالماً وقوله « حتى إذا أدركه الفرق قال آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل ، اخبار منه تعالى أن فرعون حين لحقه الفرق والهلاك قال ما حكاه الله وكان ذلك إيمان إيجاباً لا يستحق به الثواب كما لا يستحق بالايان الضروري .
وقوله « بغياً وعدواً » نصب على المصدر والمراد بغياً على موسى وقومه واعتداء عليهم

قوله تعالى :

﴿ الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنْ أَطْفُسِدِينَ ﴾ (٩١)

آية بلا خلاف .

قرأ ابو جعفر من طريق النهر واني ، وناقم إلا ابا طاهر عن اسماعيل واحمد بن صالح عن قالون والحلو واني عن قالون من طريق الحماني « الان » في الموضعين في هذه السورة بالقاء حركة الهمزة على اللام وحذف الهمزة . منها قال ابو علي النحوي اعلم ان لام المعرفة إذا دخلت على كلمة أولها الهمزة نخفضت الهمزة فان في تخفيفها وجهين : احدهما - ان تحذف وتلقى حركتها على اللام وتقر همزة الوصل فيقال الحمر بالالف والثاني - ان يقولوا : كالحمر بالالف فيحذفون همزة الوصل ، فالذين أثبتوا الهمزة فلان التقدير باللام السكون وان كانت في اللفظ متحركة . واللغة الأخرى كما انشد الكسائي :

فقد كنت نخفي حب سمراء حقة فبح لارت منها بالذي انت بائح (٢)

(١) سورة الحجرات آية ٩

(٢) مر هذا البيت في ١ : ٣٠٠ وهو في اللسان (أين)

فأسكن الحاء لما كانت اللام متحركة ، ولو لم يمتد بالحركة كما لم يمتد في الوجه
الاول تحرك الحاء بالكسر كما يحركه في بح اليوم .

معنى (الان) فصل بين الزمان الماضي والمستقبل مع انه الى الحاضر ولهذا بني
كما بني (اذا) وعرّف (الان) بالالف واللام (وامس) بتضمين حرف التعريف لأن
ما مضى بمنزلة المضمن في المعنى في أنه ليس له صورة والحاضر في معنى المصرح في
صحة الصورة .

واختلفوا فيمن القائل هذا القول ، فقال الجبائي ان القائل له ملك قال ذلك
بأمر الله وقال (غيره) ان ذلك كلام من الله قاله له على وجه الاهانة والتوبيخ وكان
ذلك معجزة لموسى (ع) ومعنى الآية حكاية ما قيل لفرعون حين قال « آمنت أنه
لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل ، بانك تقول هذا في هذه الساعة » وقد عصيت
قبل « هذا » وكنت من المفسدين ، في الارض بقتل المؤمنين وادعاء الآلهية ، وغير
ذلك من انواع الكفر !

قوله تعالى :

﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدْنِكَ لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ
كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنِ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴾ (٩٢) آية بلا خلاف .

قرأ يعقوب وقتيبة « ننجيك » بالتخفيف . الباقر بالتشديد .

معنى قوله « ننجيك ببदनك » نلقبك على نجوة من الارض ببदनك عريانا دون

روحك قال أوس بن حجر :

فن بنجوته كمن بمقواه . والمستكن كمن يمشى بقرواح (١)

(١) مر هذا البيت في ١ : ٢١٨ و ٣ : ٣٢٦ تعليقة ، منسوب الى عبيد بن

الابرص .

القرواح حيث لا ماء ولا مطر ، البدن مستكن روح الحيوان على صورته وكل حيوان فله روح وبدن ، والحي في الحقيقة الروح دون البدن عند قوم وفيه خلاف . ومعنى قوله « لتكون لمن خلفك آية » قيل فيه قولان :

احدهما - لمن يأتي بمدك بمن يراك على تلك الصفة وقد كنت تدعى الربوبية .
الثاني - ان بني اسرائيل قالوا ما مات فرعون فالتقاء الله تعالى على نجوة من الارض ليروه ذهب اليه ابن عباس ، وقتادة .

وقوله « وان كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون » اخبار منه تعالى أن كثيراً من الخلق غافلون عن الفكر في حجج الله وبياناته أي ذاهبون عنها والغفلة ذهاب المعنى عن النفس وتقيضها اليقظة ، والمراد بدمهم بالغفلة عن آيات الله التعريض بأنهم تركوا النظر في آيات الله .

قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأً صَدَقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمْ أَلْمَلُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (٩٣) آية بلا خلاف .

قوله « ولقد بوأنا » اخبار منه تعالى أنه وطأ منزل بني اسرائيل والتبوء توطئة المنزل لصاحبه الذي يأوى اليه تقول بوأته منزلاً نبوياً وتبوأ وبأه بالامر بوأه أي رجم .

وقوله « مبوأ صدق » أي منزل صدق أي فيه فضل كفضل الصدق ، كما يقال أخو صدق وقيل انه يصدق فيما يدل عليه من جلالة النعمة .

وقوله « ورزقناهم من الطيبات » أي ملكناهم الاشياء اللذيذة . والرزق المعقد

على العطاء الجاري ، ودلت الآية على سعة ارزاق بني اسرائيل . وقوله « فما اختلفوا حتى جاءهم العلم » قيل في معناه وجهان :

احدهما - أنهم كانوا على الكفر فما اختلفوا حتى جاءهم الدليل المودي الى العلم من جهة الرسول والكتاب فأمن فريق وكد كفر آخرون . وهو قول الحسن وابن جريج وابن زيد .

وقال قوم كانوا على الاقرار بالنبي قبل مبعثه بصفته ونعمته ، فما اختلفوا حتى جاءهم معلوم العلم به .

والمزلة الصدق الذي انزلوه قبل فيه ثلاثة اقوال :

قال الحسن هو مصر وهو منزل صالح خصب امن .

وقال قتادة هو الشام وبيت المقدس .

وقال الضحاك هو الشام ومصر .

وقوله « ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون » اخبار منه

تعالى انه الذي يتولى الفصل بين بني اسرائيل في الامور التي يختلفون فيها .

قوله تعالى :

﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا لِيكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ
الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ كَفَدَ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
الْمُتَرَدِّينَ ﴾ (٩٤) آية بلا خلاف .

هذا خطاب من الله تعالى لنبيه محمد (ص) يقول له « ان كنت في شك »

من الذي « انزلنا اليك » والشك هو توقف النفس فيما يخطر بالبال عن اعتقاده على

ما هو به ، وعلى ما ليس به .

وقيل ان هذا وإن كان خطاباً للنبي (ص) فان المراد به الذين كانوا شاكين

في نبوته .

وقال قوم ان معناه فان كنت ايها السامع في شك مما انزلنا على نبينا اليك ،
ومثله قول القائل لعبيده ان كنت مملوكي فانتبه الى امرى . وقول الرجل لابنه ان
كنت ابني فبرني . وقوله ان كنت والدي فتمطف علي . وحكى الزجاج وجهاً ثالثاً
وهو ان يكون معنى (ان) معنى (ما) والتقدير : ما كنت في شك مما انزلنا اليك
« فاسأل الذين » اي لسنا نريد بامرك لانك شاك لكن لتزداد بصيرة ، كما قال لبراهيم
« اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطعنن قلبي » (١) « فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من
قبلك » قيل انما امره بأن يسأل اهل الكتاب مع سجد اكثرهم لنبوته لامرين :
احدهما - ان يكون امره بان يسأل من آمن من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام
وكعب الاحبار وابن سوريا ذهب اليه ابن عباس ومجاهد وابن زيد والضحاك .

والثاني سلمهم عن صفة النبي (ص) المبشر به في كتبهم ثم انظر من وافق فيه
تلك الصفة . وقال البلخي ذلك راجع الى قوله « فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم
العلم » فأمره بأن يسألهم هل الأمر على ذلك ؟ فانهم لا يتمتعون عن الاخبار به ولم بأمره
بان يسألهم هل هو محقق فيه أو لا ؟ ولا ان ما انزله عليه صدق أو لا ؟ روجه آخر وهو انه
انما امره ان يسألهم ان كان شاكاً ولم يكن شاكاً فلا يجب عليه مسألتهم وهذا معنى ما
روى عنه (ص) انه قال (شككت ولا انا شاك) .

وقوله « لقد جاءك الحق من ربك » قسم منه تعالى بأنه قد جاءك يا محمد الحق

من عند ربك لان لام لقد لام القسم .

وقوله « فلا تكونن من الممترين » اي لا تكونن من الشاكين . والامراء طلب الشك

مع ظهور الدليل وهو من مرىء الضرع اي مصحه ليدر ، فلا معنى لمصححه بمـد
دروره باللب . وقال سعيد بن جبير والحسن وقتادة وابو عبد الله (ع) لم يسأل
النبي (ص) ويقوي ان الخطاب متوجه الى النبي والمراد به غيره قوله بمد هذا « قل
يا ايها الناس ان كنتم في شك » .

قوله تعالى :

وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ

الْخٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ آية بلا خلاف

هذا الكلام عطف على قوله « فلا تكونن من الممترين . ولا تكونن من الذين
كذبوا بايات الله » اي من جملة من يجهل بايات الله ولا يصدق بها فانك ان فعلت
ذلك كنت من الخاسرين . والمراد بالخطاب غير النبي (ص) من جملة امته من كان
شاكاً في نبوته .

والنون في قوله (لا تكونن) نون التأكيد ، وهي تدخل في غير الواجب لانك
لا تقول انت ~~تكونن~~ ، ودخلت في القسم على هذا الوجه لانه يطلب بالقسم
التصديق ونفي الفعل مع نون التأكيد لأنها ركبت مع الفعل على تقدير كلمتين كل واحدة
مركبة مع الاخرى مع ان الاولى ساكنة واقتضت حركة بناء لا لتقاء الساكنين .
وانما شبه الكافر بالخاسر مع ان حاله اعظم من حال الخاسر لان حال الخاسر قد
جرت بها عادة وذاق طعم الحمرة فيها فرد اليها لبيان امرها خسران النفس الذي هو
اعظم منها .

قوله تعالى :

﴿ ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ﴾ (٩٦) و لو
جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم ﴿٩٧﴾ آيتان عند الجميع
قد ذكرنا اختلافهم في كلمة وكلمات وان من واحد فلانه اسم جنس ومن جمع
اراد اختلاف الالفاظ .

اخبر الله تعالى « ان الذين حقت عليهم كلمة ربك » يا محمد اي وجب على التحقيق
بانهم لا يؤمنون من غير شرط ولا تقييد ، تقول حق الامر بحق حقاً . وانما جاز
وصف جملة من الكلام بالكلمة لانه لما كان في معنى واحد صار بمنزلة الكلمة الواحدة ،
ولذلك قالوا في قصيدة من الشعر انها كلمة وقوله « حتى يروا العذاب الاليم » معناه
انهم انما يؤمنون اذا شاهدوا العذاب فامنوا ملجئين ايماناً لا ينفعهم . والرؤية في الآية
رؤية العين ، لانها امتدت الى مفعول واحد . والعذاب وان كان المأ وهو لا يصح ان
يرى فلانه ترى اسبابه ومقدماته فصار بمنزلة ما يرى ، فلذلك اخبر عنه بالرؤية له
قوله « ولو جاءتهم كل آية » اعلام بان هؤلاء الكفار لا لطف لهم يؤمنون عنده
ايمان اختيار وانما جاز تكليفه الايمان باخبار الله تعالى انه لا يؤمن للانعام بالمنافع في
احوال التكليف التي لا تخصي كثرة مع ما في ذلك من اللطف لغيره ، ولا ظلم فيه
لاحد . وانما بظلم الكافر نفسه بسوء اختياره .
وانما انت قوله « جاءتهم كل آية » لانه مضاف الى الآية وهي مؤنثة كما قالوا
ذهبت بعض اصابعه .

ومعنى الآية الاخبار عن ان هؤلاء لا يؤمنون ايماناً يستحقون به الثواب ،
ولا ينافي ذلك قدرتهم على الايمان كما انه اذا اخبر انه لا يقيم القيامة الساعة لم يمنع

ذلك من قدرته على اقامتها في الحال . وقيل ان التقدير في الاية ان الذين لا يؤمنون
حققت عليهم كلمة ربك .

قوله تعالى :

فَلَوْ لَا كَانَتْ قَرْيَةٌ قَرِيبَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا
آمَدُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عُذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى
حِينٍ (٩٨) آية بلا خلاف .

معنى (فلولا) هلا ، وهي تستعمل على وجهين :

احدهما - على وجه التحضيض .

والثاني - على وجه التأنيب كقولك هلا يأتي زيد بحاجتك ، وهلا امتنعت من
الفساد الذي رغبت اليه قال الشاعر :

تعدون عمر النيب افضل مجدكم بني ضوطري لولا الكمي المنقما (١)
أي هلا تعدون الشجمان . وقوله « الا قوم يونس » نصب لأنه منقطع كما قال
الشاعر :

اعيت جواباً وما بالربعم من احد الا اوارى لا ياما ايئنها
والنوي كالحوض بالظلومة الجلد (٢) .

وحكى الفراء : لان ما بينهما قال جمع الشاعر بين ثلاثة احرف في النفي (لا وان . وما) وانما جاز
فلولا كانت قريبة آمنت لان المراد اهل قرية حذف اختصاراً من غير اخلال بالمعنى .
وقوله « فنفعمها ايمانها » معناه هلا كانت اهل قرية آمنت في وقت ينفعها الايمان

(١) انظر ١ : ٣١٩ ، تعليقة ٥ ، ٤٣٥ تعليقة ١

(٢) مر هذا الشعر في ١ : ٤٤ ، ١٥١ ، ٣ ، ٣٢٧ ، ٤ ، ٢٥ .

وجرى هذا مجرى قول فرعون « لما ادركه الفرق قال آمنت أنه لا اله الا الذي » (١)
 فأعلم الله أن الايمان لا ينفع عند نزول العذاب ولا عند حضور الموت ، وقوم يونس
 لم يقع بهم العذاب كأنهم لما رأوا الآية الدالة على العذاب آمنوا فلما آذوا كشف
 عنهم العذاب .

والنعم هو اللذة ، ومعناه ههنا أنه وجبت لهم اللذة بفعل ما يؤدي اليها كأن
 الصلة بالماء تقع لانه يؤدي الى اللذة وكذلك اكل الطعام الشهي وتناول الكريه عند
 الحاجة تقع لانه يؤدي الى اللذة . والحزني هو الهوان الذي يفضح صاحبه ويضع
 من قدره .

وقال الجبائي المراد بأهل القرية على قول كثير من اهل التأويل محمود الذين
 اهلكهم الله بكفرهم ، والتقدير هـلا اهل قرية سوى قوم يونس آمنوا فننعمهم ايمانهم
 وزال عنهم العذاب كما آمن قوم يونس لما احسوا بنزول العذاب ، فكشف الله عنهم
 عذاب الحزني في الحياة الدنيا وامتهم وبقائم احياء سالمين في الدنيا بعد توبتهم الى
 مدة من الزمان .

وهذا الذي ذكره انما كان يجوز لو كان (الاقوم يونس) رفعا وكان يكون « الاقوم
 يونس » صفة او بدلا من الاول لان المعنى الاقوم يونس محمول على معنى هلا كان
 قوم قرية او قوم نبي آمنوا الاقوم يونس ، قال الزجاج لم يقرأ أحد بالرفع ، ويجوز
 في الرفع ان يكون بدلا من الاول وان لم يكن من جنس الاول كما قال الشاعر :

وبلدة ليس لها انيس الا اليعا فيروا لا العيس (٢)

وقال ابو عبيدة (الا) ههنا بمعنى الواو ، والمعنى وقوم يونس . وقال الحسن

(١) سورة يونس آية ٩٠

(٢) مر تخريجه في ١ : ١٥١ ، ٣ : ٣٢٧

معنى الآية انه لم يكن فيها خلا ان يومن اهل قرية باجمعها حتى لا يشذ منهم احد الا قوم يونس ، فهلا كانت القرى كلها هكذا . وقرأ طلحة بن مصرف يونس ويوسف بكسر النون والسين اراد ان يجعل الاسمين عربيين مشتقين من اسف وانس ، وهو شاذ . فان قيل قوله « كشفنا عنهم العذاب » يدل على نزول المذاب بهم فكيف ينفع مع ذلك الايمان ، وهل ذلك الاضد قوله « فلم يك ينفهم ايمانهم لما راوا باسنا » (١) قلنا : ليس يجب ان يكون العذاب نزل بهم بل لا يمتنع ان يكون ظهرت لهم دلائله وان لم يروا العذاب كما ان العليل المدنف قد يستدرك التوبة فيقبل الله توبته قبل ان يتحقق الموت ، فاذا تحققت لم يقبل بعد ذلك توبته . وقد قال الله تعالى « وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها » (٢) ولا يدل ذلك على انهم كانوا دخلوا النار فانقذوا منها فكذلك لا يمتنع ان يكون كشف عنهم العذاب وان لم يكن حل بهم ولا عاينوه اذا كان قد قرب منهم واستحقوه في الحكم .

قوله تعالى :

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلِّهُم جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُنكَرُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (٩٩) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى في هذه الآية انه لو شاء و اراد « لآمن من في الارض كلهم جميعاً » فكلمهم رفع لأنه تأكيد (من) وهي مرتفعة بالايمان (وجميعاً) منصوب على الحال . والمشيئة والارادة والايثار والاختيار نظائر وانما يختلف عليهم الاسم بحسب مواقعها على ما بيناه في الاصول . وقيل ان الشيء مشتق من المشيئة لانه مما يصح ان

(١) سورة المؤمن آية ٨٥

(٢) سورة آل عمران آية ١٠٣

يذكر ويشاء ، كما اشتقوا المعنى من عنيت .

ومعنى الآية الاخبار عن قدرة الله وأنه يقدر على أن يكون الخلق على الايمان ، كما قال « ان نشاء نزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين » (١) وانا اراد بذلك الاخبار عن قدرته بلا خلاف ولذلك قال بعد ذلك « افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » ومعناه أنه لا ينبغي ان يريد اكرامهم ، لان الله عز وجل يقدر عليه ولا يريد ، لأنه ينافي التكليف و اراد بذلك تسلية النبي (ص) والتخفيف عنه مما يلحقه من التحسر والحرص على ايمانهم .

وفي الآية دلالة على بطلان قول المجبرة ، فإنه تعالى لم يزل شائئاً وأنه لا يوصف بالقدرة ايضاً ، لأنه تعالى اخبر أنه لو يشاء لقدر عليه لكنه لم يشأ فلذلك لم يوجد ولو كان شائئاً لم يزل لما جاز ان يقول ولو شاء ربك كما لا يجوز ان يقول لو شاء لقدر لما كان كونه قادراً حاصلًا لم يزل .

قوله تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْمَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (١٠٠) آية بلاخلاف .

قرأ ابو بكر إلا الاعشى والبرجي (ونجمل) بالنون الباقون بالياء .
من قرأ بالياء فلأنه تقدم ذكر الله فكفى عنه .
ومن قرأ بالنون ابتداءً بالاخيار عن الله .

ومعنى قوله « وما كان لنفس ان تؤمن إلا باذن الله » انه لا يمكن احد ان يؤمن إلا باطلاق الله له في الايمان وتمكينه منه ودعاه اليه باخلق فيه من العقل الموجب

لذلك . وقال الحسن وابو علي الجبائي : اذنه ههنا أمره كما قال « يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فامنوا خيراً لكم » (١) وحقيقة اطلاقه في الفعل بالامر وقد يكون الاذن بالاطلاق في الفعل برفع التبعة وقيل معناه وما كان لنفس ان تؤمن إلا بعلم الله . واصل الاذن الاطلاق في الفعل فلما الاقدار على الفعل فلا يسمى اذناً فيه ، لان النهي ينافي الاطلاق . قال الرماني والنفس خاصة الشيء التي لو بطل ما سواها لم يبطل ذلك الشيء ، ونفسه وذاته واحد إلا انه قد يؤكد بالنفس ولا يؤكد بالذات . والنفس مأخوذة من النفاسة .

وقوله « ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون » قيل في معناه قولان :

احدهما - قال الفراء : الرجس العذاب يجعله على الذين لا يعقلون امر الله ولا نبيه

ولا ما يدعوم اليه .

الثاني قال الحسن : الرجس الكفر اي يجعله بمعنى انه يحكم انهم اهله ذمماً لهم واماماً « على الذين لا يعقلون » اي كانوا لا يعقلون شيئاً ذمماً لهم وعيباً . وقال ابن عباس : الرجس الغضب والسخط . وقال ابو عبيدة الرجز العذاب ومثله الرجس ومنه قوله « لان كشف عنا الرجز » (٢) وقوله « فلما كشفنا عنهم الرجز » (٣) وقوله « والرجز طاهر » (٤) معناه وذا الرجز اي الذي تؤدي عبادته إلى العذاب . وقال الحسن : الرجز بضم الراء العذاب ، وبكسرهما الرجز . وقال الفراء يجوز ان يكون الرجز بمعنى الرجس وقلبت الزاي سيناً كما قالوا اسد وأزد .

(١) سورة يونس آية ١٠٨

(٢) سورة الاعراف آية ١٣٣

(٣) سورة الاعراف آية ١٣٤

(٤) سورة المدثر آية ٥

قوله تعالى :

﴿ قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الآيَاتُ
وَالنَّذْرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٠١) آية بلاخلاف .

امر الله تعالى نبيه (ص) أن يأمر الخلق بالنظر لانه الطريق للمؤدي الى معرفة
الله تعالى . والنظر المراد في الآية الفكر والاعتبار . وقال الرماني : هو طلب الشيء من
جهة الفكر كما يطلب ادراكه بالعين .

ومعنى قوله تعالى « ماذا في السماوات والارض » أي ما فيها من العبر من
بحي ، الليل والنهار ومجرى البحور والافلاك ونتاج الحيوان وخروج الزرع والثمار ،
ورقوف السماوات والارض بغير عماد ، لان كل ذلك تدبير يقتضي مدبراً لا يشبهه
الاشياء ولا تشبهه .

وقوله « وما تعني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون » قيل في معناه قولان :
احدهما - ان تكون (ما) نفياً بمعنى ما يعني عنهم شيئاً يدفع الضرر ، اذا لم يفكروا
فيها ولم يعتبروا بها كقولك وما يعني عنك المال شيئاً اذا لم تنفقه في وجوهه .
والاخر - ان تكون (ما) للاستفهام كقولك أي شيء . يعني عنهم من اجتلاب
نعم او دفع ضرر إذا لم يستدلوا بها . والنذر جمع نذير وهو صاحب النذارة وهي
اعلام بموضع المخافة ليقيم به السلامة .

قوله تعالى :

﴿ فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانظُرُوا
إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴾ (١٠٢) آية بلاخلاف .

خاطب الله تعالى نبيه (ص) بلفظ الاستفهام والمراد به النفي لان تقديره ليس ينتظر هؤلاء الكفار الا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم . وإنما قابل بين الايام المنتظرة والايام الماضية في وقوع العذاب والحسرة حين لا تنفع الندامة . والانتظار هو الثبات لموقع ما يكون من الحال تقول انتظرتني حتى الحقتك ولو قلت توقعني لم تكن أمرته بالثبات . والمثل في الجنس ماسد احدهما مسد صاحبه فيما يرجع الى ذاته وفي غير الجنس ما كان على المعنى يقر به من غيره كقبره من جذعه كتشبيه اعمال الكفار بالسراب . وقوله « قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين » أمر من الله لنبيه أن يقول لهم انتظروا ما وعد الله به من العقاب فاني منتظر نزوله بكم مع جميع المنتظرين كما وعد الله به .

قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٠٣) آية بلاخلاف

القرأة والحجة :

قرأ يعقوب « ثم ننجي » بالتخفيف . وقرأ الكسائي ويعقوب وحفص والكماشي عن ابي بكر « ننجي المؤمنين » بالتخفيف الباقون بالتشديد فيها . قال ابو علي النحوي يقال نجا زيد نفسه فاذا عديته فان شئت قلت أنجيته وان شئت قلت نجيته . ومن شدد فلقوله « وننجينا الذين آمنوا » (١) ومن خفف فلقوله « فأنجاه الله من النار » (٢) وكلاهما حسن .

(١) سورة حم السجدة آية ١٨

(٢) سورة العنكبوت آية ٢٤

المعنى :

أخبر الله تعالى أنه اذا أراد اهلاك قوم استمعوا الهلاك نجى رسله من بينهم وخلصهم من العقاب ، وبخلص مع الرسل المؤمنين الذين أقروا له بالوحدانية وللرسل بالتصديق .

وقوله « كذلك حقاً علينا بنجى المؤمنين » وجه التشبيه في ذلك أن نجاة من يقر من المؤمنين كنجاة من مضى في أنه حق على الله ثابت لهم . وبمحتمل أن يكون العامل في « كذلك » تنجى الاول وتقديره تنجى رسلنا والذين آمنوا كذلك الانجاء وبمحتمل ان يعمل فيه الثانى وكذلك حقاً علينا .

ومعنى قوله « حقاً علينا » يحتمل امرين .

احدهما - ان يكون معناه واجباً علينا تنجى المؤمنين من عقاب الكفار ، ذكره

الجبائى .

الثانى - ان يكون على وجه التأكيد كقولك مررت بزبد حقاً إلا ان علينا يقتضى

الوجه الاول .

والنجاة مأخوذة من النجوة وهي الارتفاع عن الهلاك . والسلامة مأخوذة من

اعطاء الشيء من غير نقیصة اسلمته اليه اذا اعطيته سالمًا من غير آفة .

قوله تعالى :

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ

الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَقَّأكُمْ وَأَمْرٌ

أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٤) آية بلا خلاف

هـ - هذا خطاب من الله لنبيه (ص) ان يقول للخلق « يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني » فان ديني ان لا اعبد الذين تعبدون من دون الله اي ان كنتم في شك مما اذهب اليه من مخالفتكم فاني اظهره لكم وابره مما انتم عليه واعرفكم ما امرت به وهو ان اكون مؤمناً بالله وحده وان اقيم وجهي للدين حقيقاً .

ان قيل لم قال « ان كنتم في شك من ديني » مع اعتقادهم بطلان دينه؟ قلنا عنه ثلاثة اجوبة :

احدها - ان يكون على وجه التقدير أي من كان شاكاً في أمري وهو مصمم على أمره فهذا حكمة .

الثاني - انهم في حكم الشاك للاضطراب الذي يجدون نفوسهم عليه عند ورود الآيات الثالث - ان فيهم الشاك فغلب ذكرهم ، وانما جعل جواب ان كنتم في شك (لا اعبد) وهو لا يعبد غير الله شكوا او لم يشكوا ، لان المعنى لا نطموا ان تشككوني بشككم حتى اعبد غير الله كعبادتكم ، كانه قيل ان كنتم في شك من ديني فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله بشككم ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم أي الذي احياكم ثم يقبضكم وهو الذي يحق له العبادة دون اوتانكم ودون كل شيء سواه .

قوله تعالى :

﴿ وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

(١٠٥) آية بلا خلاف .

هذه الآية عطف على ما قبلها والتقدير وأمرت أن اكون من المؤمنين ، وقيل

لي أقم وجهك . وقيل في معناه قولان :

احدهما - استقم باقبالك على ما أمرت به من القيام باعباء النبوة ونحمل أمر الشريعة

ودعاء الخلق الى الله بوجهك ، اذ من أقبل على الشيء بوجهه يجمع همته له فلم يضيع فيه الثاني - ان يكون معناه أتم وجهك في الصلاة بالتوجه نحو الكعبة .
والاقامة نصب الشيء المنافي لاضجاعه تقول : أقام العود إذا جعله على تلك الصفة فأما أقام بالمكان فمعناه استمر به .

والوجه عبارة عن عضو مخصوص ويستعمل بمعنى الجهة كقولهم : هذا معلوم في وجه كذا ، ويستعمل بمعنى الصواب كقولك هذا وجه الرأي .
وقيل في معنى الحنيف قولان :

احدهما - الاستقامة وقيل للمايل القدم أحنف تعأولا .

الثاني - الميل ، وقيل الحنف في الدين لأنه ميل الى الحق .

وقوله « ولا تكونن من المشركين » معناه نهى عن الاشرار مع الله تعالى غيره في العبادة تصریحاً بالتحذير عن ذلك والذم لفاعله .

قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَاً مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١٠٦) آية بلا خلاف.

قيل في معنى قوله « ولا تدع من دون الله » قولان :

احدهما - لا تدعه الها كما يدعو المشركون الوثن الها .

الثاني - لا تدعه دعاء الالهة في العبادة بدعائه . والدعاء ، يكون على وجهين :

احدهما - بلفظ النداء كقولك يا زيد اذا دعوته باسمه .

الثاني - ان تدعوه الى الفعل وتطلب منه فعله كقول القائل لمن فوقه اعمل .

وقوله « ولا تدع من دون الله » معناه لا تدع غير الله الها . وانما قال « ما لا ينفعك

ولا يضرك » مع انه لو تقع وضر لم تحسن عبادته لامرين :
أحدها - ان يكون معناه مالا ينفعك ولا يضرك تقع الاله وضره .
والثانى - انه اذا كان عبادة غير الله ممن يضر وينفع قبيحة فعبادة من لا يضر
ولا ينفع أقبح وابعد من الشبهة .

وقوله « فان فعلت فانك اذا من الظالمين » معناه انك ان خالفت ما أمرت به من
عبادة الله كنت ظالماً لنفسك بادخال الضرر الذي هو العقاب عليها . وهذا الخطاب وان
كان متوجهاً الى النبي فالمراد به امته ، ويجوز ان يكون الانسان يضر نفسه بما يفعل بان
يؤديها الى الضرر . ولا يجوز ان ينعم على نفسه لان النعمة تقتضي شكر المنعم عليه
وذلك لا يمكن من الانسان ونفسه كما لا يمكن ان يثبت له في نفسه مال او دين .

قوله تعالى :

﴿ وَإِنْ يَمْسُكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ
بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ ﴾ (١٠٧) آية بالاخلاق .

قوله « وان يمسك الله بضر » اي ان احل بك الضر ، لان المس الحقيقى لا يجوز
عليه ، لان حقيقتها تكون بين الجسمين ، لكن لما ادخل الباء للتعدي جري مجرى ان
تقول يمسك من امسه . واما اذا لم يتعد فيكون كقوله « مسني الضر » (١) والمماسمة
والمطابقة والمجامعة نظائر وضدها المباينة . والكشف رفع السائر المانع من الادراك .
فكان الضر ههنا كأنه سائر يمنع من ادراك الانسان .

وقوله « وان يردك بخير » تقديره وان يرد بك الخير وجاز على التقديم والتأخير

كما يقول القائل : فلان يريدك بالخير ويريد بك الخير . والمعنى انه لا اراد لما يريد الله بخلقه فان اراد بهم سوءاً لا يقدر على دفعه احد . وان ارادهم بخير فلا يقدر احد على صرفه عنهم « يصيب به من يشاء من عباده » يعني بالخير .
 وقوله « وهو الغفور الرحيم » معناه انه الغفار لكل من تاب من شركه وذنبه . فلا يياس من ذلك احد في حال تكليفه . وعندنا يجوز ان يغفر الله ذنب المؤمن من غير توبة . و (الرحيم) معناه انعامه على جميع خلقه .

قوله تعالى :

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ
 فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾
 (١٠٨) آية بلا خلاف .

امر الله تعالى نبيه في هذه الآية أن يقول للخلق قد جاءكم الحق من الله وهو الذي من عمل به من العباد نجا ، وضده الباطل وهو الذي من عمل به هلك ، فمن عمل بالحق كان حكيماً ، ومن عمل بالباطل كان سفيهاً . والمراد بالحق ههنا ما أتى به النبي (ص) من القرآن والشرائع والاحكام وغير ذلك من الآيات والدلالات « فمن اهتدى » بها بأن نظر فيها وعرفها حقاً وصواباً « فانما يهتدي لنفسه » ومعناه فان منافع ذلك تعود عليه من الثواب دون غيره « ومن ضل » عنها وعاد عن تأملها والاستدلال بها والعمل بموجبها « فانما يضل » عن منافع نفسه وهو الجاني عليها .
 وقوله « وما أنا عليكم بوكيل » معناه وما أنا عليكم بوكيل في منعكم من اعتقاد الباطل بل انظروا لانفسكم نظر من يطالب بعمله ولا يطالب غيره بحفظه كأنه قال ما أنا حافظكم من الهلاك اذا لم تنظروا انتم لانفسكم ولم تعملوا بما يخلصها كما يحفظ الوكيل مال غيره .

قوله تعالى :

﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ ۗ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾
(١٠٩) آية بلا خلاف .

امر الله تعالى نبيه (ص) ان يتبع ما يوحى اليه . والايحاء القاء المعنى في النفس على وجه خفي وهو ما يجي به الملك الى النبي (ص) عن الله تعالى فيلقيه اليه ويخصه به من غير ان يرى ذلك غيره من الخلق .

وقوله « واصبر » امر من الله تعالى له بالصبر وهو تجموع مرارة الامتناع من المشتهى الى الوقت الذي يجوز فيه تناوله ، كصبر الصائم على الجوع والمعش ، وكصبر النفس عن تناول المحرمات . وانما يعين على الصبر العلم بماقبته وكثرة الفكر فيه وفي الخير الذي ينال به وبذكر ما وعد الله على فعله من الثواب وعلى تركه من العقاب .

وقوله « حتى يحكم الله » وهو خير الحاكمين « امر منه تعالى للنبي بالصبر على اذى المشركين وعلى قولهم انك ساحر كذاب ومجنون حتى يحكم فياُمرُك بالهجرة والجهاد . قال الحسن وقد كان الله اعلمه انه سيفرض عليه جهاد الكفار . وقيل نسخ ذلك فيما بعد بالامر بالجهاد ، والتقدير الى ان يحكم الله بهلاكهم وعذابهم في يوم بدر وغيره « وهو خير الحاكمين » معناه خير الحكام ، لانه قد يكون حاكم افضل من حاكم مع كونها محققين كمن يحكم على الباطن فانه افضل ممن يحكم على الظاهر ، لان الاول لا يقم إلا حقاً والاخر يجوز ان يكون حقاً في الظاهر وان كان فاسد في الباطن .



(١٠) سورة هود

مكية في قراءة قتادة ومجاهد وغيرها

وهي مائة وثلاث وعشرون آية في الكوفي

واثنتان في المدني وواحدة في البصري وعند اسماعيل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الر. كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم

خبير﴾ (١) آية بلا خلاف

روى الكسائي عن أبي بكر « من لدن حكيم » ههنا ، وفي النمل بحكون الدال
واشتمائها الضم وكسر النون . الباقيون بضم الدال واسكان النون . ولم يعد احد من
القراء (الر) آية كما عد قوم (طه) و (الم) و (حم) آية لان ثانيه لا يشبه رؤس
الاي بنفس الحرف ولا بالردف . وقد بينا في اول سورة البقرة اختلاف المفسرين في
هذه الحروف وامثالها وان الأقوى ان يقال انها اسما للسور .

وروى عن الحسن انه قال ما ادري تأويل (الر) غير ان المسلمين كانوا يقولون هي اسماء السور ، ومفاتيحها ، وخرجت هذه الحروف على وجه التهجي ، لا يرب شي منها ، لانها حروف ولو كانت اسماء لدخلها الاعراب . وقال الفراء « الر كتاب » رفع بحروف الهجاء . وقال غيره « كتاب » رفع بانه خبر المبتدأ وتقديره هو كتاب او هذا كتاب والمراد بـ (كتاب) القرآن .

وقوله « احكمت آياته ثم فصلت » قيل في معناه ثلاثة اقوال :

احدها - قال الحسن احكمت بالامر والنهي ، وفصلت بالثواب والعقاب .

الثاني - قال قتادة احكمت آياته من الباطل . ثم فصلت بالحرام والحلال .

الثالث - قال مجاهد « احكمت آياته » على وجه الجملة « ثم فصلت » اي بيذت

بذكرها آية آية . والاحكام منم الفعل من الفساد قال الشاعر :

ابني حذيفة احكموا سفهاءكم
إني اخاف عليكم ان اغضبا (١)

وقوله « من لدن حكيم خبير » معناه من عند حكيم عليم . وقوم يجعلون في

(لدن) ضميراً فينصبون ما بعده فيقولون لدن غدوة . وقوم يجعلونه غاية ولا يضمرون

فيه شيئاً بعينه فيرفعون ما بعده لان ما بعد الغاية مرفوع ، فيقولون لدن غدوة .

وروي عن عكرمة انه قرأ « فصلت » يفتح الفاء والصاد وتخفيفها - وهي شاذة

لم يقرأ بها احد .

والحكيم يحتمل معنيين :

احدها - عليم ، فعلى هذا يجوز وصفه بأنه حكيم فيما لم يزل .

والثاني - بمعنى أنه محكم لافعاله . وعلى هذا لا يوصف به فيما لم يزل . والحكمة

المعرفة بما يمنع الفعل من الفساد والنقص وبها يميز القبيح من الحسن والفاسد من

الصحيح .

وقال الجبائي في الآية دلالة على أن كلام الله محدث بأنه وصفه بأنه احكمت آياته والاحكام من صفات الافعال ، ولا يجوز ان تكون احكامه غيره ، لانه لو كان احكامه غيره لكان قبل ان يحكمه غير محكم ولو كان كذلك لكان باطلا ، لان الكلام متى لم يكن محكما وجب ان يكون باطلا فاسداً ، وهذا باطل .

قوله تعالى :

﴿ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴾ (٢)

آية بلا خلاف .

يحتمل (ان) في قوله « ان لا تعبدوا » امرين :

احدها - ان يكون بمعنى المصدر كقولك كتبت اليه ان لا تخرج بالجزم ، وكان يجوز في العربية ان لا تعبدون على الوجه الاول ، وهو الاخبار بأنهم لا يعبدون كما تقول كتبت اليه ان لا تخرج اي بأنك لا تخرج . و « ان لا تعبدوا » في موضع نصب وتقديره فصلت آياته بأن لا تعبدوا او لئلا تعبدوا .

والثاني - يحتمل ان يكون المعنى امرتم بأن لا تعبدوا ، فلما حذف الباء نصب بعدها ، ومعنى (إلا) في الآية ايجاب للمذكور بعدها وهو ما نفى عن كل ما سواه من العبادة وهي التي تفرغ عامل الاعراب لما بعدها من الكلام .

وقوله « اني لكم منه نذير وبشير » اخبار ان النبي (ص) مخوف من مخالفة الله وعصيانه بأليم عقابه مبشر بثواب الله على طاعته واجتناب معاصيه ، والنذارة اعلام موضع المخافة ليتقى ، ونذير بمعنى منذر كأليم بمعنى مؤلم . والبشارة اعلام بما يظهر في بشرة الوجه به العمرة وبشير بمعنى مبشر . وقوله « وابشروا بالجنة » معناه واستبشروا .

قوله تعالى :

وَإِنِ اسْتَغْفَرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوَبُوا إِلَيْهِ يُغْفِرْ لَهُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى
أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِي كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ
عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ آية بلا خلاف .

• هذه الآية عطف على ما قبلها وتقديره ثم فصلت من لدن حكيم خبير بان لا تعبدوا
إلا الله وبأن استغفروا ربكم بمعنى سلوا الله المغفرة ثم توبوا اليه ، وانما ذكرت التوبة
بعد الاستغفار ، لان المعنى اطلبوا المغفرة بأن تجملوها غرضكم ثم توصلوا إلى مطلوبكم
بالتوبة ، فالمغفرة أول في الطلب وآخر في السبب . وقيل ان المعنى استغفروا ربكم من
ذنوبكم ثم توبوا اليه في المحتأنف متى وقعت منكم المعصية ، ذكره الجبائي .

وقوله « بمتعمم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى » يعني انكم متى استغفرتنموه
وتبتم اليه متمكم متاعاً حسناً في الدنيا بالنعم السابقة والملاذ المختلفة الى الوقت الذي
قدر لكم أجل الموت فيه .

وقوله « ويؤت كل ذي فضل فضله » يحتمل امرين :

احدهما - أن يعطي كل ذي عمل على قدر عمله في الآخرة دون الدنيا ، لانها

ليست دار الجزاء .

الثاني - الترغيب في عمل الخير لانه على مقداره يجازي صاحبه .

وقوله « فان تولوا فاني اخاف عليكم » يحتمل امرين :

احدهما - فان تولوا ، إلا انه حذف للتضعيف ولذلك شدد ابن كثير في رواية

الرازي عنه .

والآخر - ان يكون بمعنى فقل « انى اخاف عليكم . عذاب يوم كبير » يعني

عذاب يوم القيامة ووصف ذلك اليوم بالكبير لعظم ما يكون فيه من الالهوال والمجازاة لكل انسان على قدر عمله .

قوله تعالى :

﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٤) آية

بلا خلاف

قيل في معنى قوله « الى الله مرجعكم » قولان : احدهما - اليه مصيركم باعادته اياكم للجزاء . الثاني - الى الله مرجعكم باعادته الى مثل الابتداء من انه لا يملك لكم ضرراً ولا نفعاً سواه تعالى ، والمرجع المصير الى مثل الحال الاولى .

وقوله « وهو على كل شيء قدير » اخبار منه تعالى انه يقدر على كل شيء إلا ما اخرجه الدليل مما يستحيل ان يكون قادراً عليه او من مقدرات غيره وما يقضى وقته من الاجناس التي لا يصح عليها البقاء .

قوله تعالى :

﴿إِلَّا أَنَّهُمْ يُثَنُّونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَفْشُونَ
ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (٥)
آية بلا خلاف .

روي عن ابن عباس انه قرأ « إلا أنهم يثنون صدورهم » على وزن (يملون)
واراد المبالغة ومعنى (ألا) التنبية ، وما بعده مبتدأ .

اخبر الله تعالى ان الكفار يثنون صدورهم . وقيل في معناه ثلاثة اقوال :
احدها - قال الفراء والزجاج يثنونها على عداوة النبي (ص) .

وقال الحسن يثنونها على ما هم عليه من الكفر .

وقال ابو علي الجبائي يثنى الكافر صدره على سبيل الانحاء ، في خطابه لكافر

مثله ممن يختصه لئلا يعرف الله ما اضره .

وقال ابو عبد الله بن شداد ولي ظهره إذا رأى النبي (ص) وغطى وجهه بالثوب

واصل النبي العطف تقول ثنيه عن كذا أي غطيه ومنه الاثنان لعطف احدهما

على الآخر في المعنى ، ومنه اثناء لعطف المناقب في المدح ومنه الاستثناء لانه عطف

عليه بالاخراج منه .

وقوله « ليستخفوا منه » فالاستخفاء طلب خفاء النفس تقول : استخفى استخفاء

ونحفي تخفياً ، ونظيره استغشى وتغشى قالت الخنساء :

ارعى النجوم وما كلفت رعيتهما وتارة اتغشى فضل اطماري (١)

والهاء منه يحتمل ان تكون عائدة الى اسم الله - في قول الحسن ومجاهد

والجبائي - جهلاً منهم بأن الله لا يخفى عليه خافية .

الثاني - قال ابو عبد الله بن شداد : هي عائدة على النبي (ص) .

وقوله « ألحين يستغشون ثيابهم » معناه أنهم كانوا يتغطون بثيابهم ثم يتفادون

ما كانوا يدبرونه على النبي وعلى المؤمنين ويكتمونه عن الناس ، فبين الله تعالى أنهم وقت

ما يتغطون بثيابهم ويجعلونها غشاء فوقهم عالم بما يسرون وما يعلمون ، لا انه يتجدد له

العلم في حال استغشائهم بالثوب بل هو عالم بذلك في الأول ومعنى « ما يسرون وما

يعلمون » أي ما يخفونه في أنفسهم وما يعلمونه أي يظهرونه « انه عليهم بذات

الصدور » ومعناه عالم بأسرار ذات الصدور .

(١) ديوانها : ١٠٩ واللسان (رعى) ، و اساس البلاغة ١ : ٢٣٨ والصحاح ،

والنجم (رعى) . الاطمار اثنيات الرثة ، لانها كانت لا تلبس الثياب الجديدة حدادا على

أخيها (صخر) وكانت لا تنام الليل بل تبقى ساهرة ترقب النجوم حتى تغيب .

قوله تعالى:

﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا
وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (٦) آية بلا خلاف .

أخبر الله تعالى أنه ليس في الارض دابة إلا والله تعالى متكفل برزقها . والدابة
الحي الذي من شأنه أن يدب يقال دب يدب ديباً وأدبه ادباً ، غير انه صار بالعرف
عبارة عن الخيل والبراذين دون غيرها من الحيوان .

وقوله « ويعلم مستقرها ومستودعها » فالمستقر الموضع الذي يقربه الشيء وهو قراره
ومكانه الذي يأوي اليه والمستودع المعنى المجمعول في القرار كالولد في البطن والنطفة التي في
الظهر ، وقيل : مستودعها مدفنها بعد موتها . وقيل مستقرها في اصلاّب الآباء ومستودعها
في ارحام الامهات . وقيل مستقرها ما تستقر عليه ، ومستودعها ما تصير اليه .

وقوله « كل في كتاب مبين » خبر من الله تعالى أن جميع ذلك مكتوب في
كتاب ظاهر يعنى اللوح المحفوظ وانما اثبت تعالى ذلك مع انه عالم انه لا يعرف عنه شيء
لما فيه من اللطف للملائكة او يكون فيه لطف لمن يخبر بذلك .

قوله تعالى:

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ
عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَا تَقُولُ لَنْ نَرَهُ
مُبِعْوثُونَ مَنْ بَعْدَ الْمَوْتِ لَيَقُولُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ
مُبِينٌ ﴾ (٧) آية بلا خلاف .

أخبر الله تعالى أنه خلق السماوات والارض وأنشأها في ستة ايام ، وانما خلقها في
هذا المقدار من الزمان مع قدرته ان يخلقها في اقل من لمح البصر ليعين بذلك ان

الأمور جارية في التدبير على منهاج ، ولما علم في ذلك من مصالح الخلق من جهة اقتضاها ان ينشأها على ترتيب يدل على انها كانت عن تدبير عالم بها قبل فعلها مثل سائر الافعال المحكمة .
وقوله « وكان عرشه على الماء ليلوكم » معناه انه خلق الخلق ودبر الامر ليظهر احسان المحسن ، لانه الغرض الذي يجري بانفعل اليه

وفي وقوف العرش على الماء ، و« الماء على غير قرار اعظم للاعتبار لمن امعن النظر واستعمل الفكر والمراد بقوله « في ستة ايام » ما مقداره مقدار ستة ايام ، لانه لم يكن هناك ايام تعد ، لان اليوم عبارة عما بين طلوع الشمس وغروبها .

وقوله « ليلوكم » معناه ليعاملكم معاملة المبتلي المختبر مظهرة في العمل لئلا يتوهم انه يجازى العباد بحسب ما في المعلوم انه يكون منهم قبل ان يفعلوه .
وقوله « احسن عملا » فيه دلالة على انه يكون فعل حسن احسن من فعل حسن آخر لان لفظة افضل حقيقتها ذلك . ولا يجوز ترك ذلك الالدليل ، وليس ههنا ما يوجب الانصراف عنه .

وقوله « وانن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين » اعلام من الله تعالى لنبيه انه لو قال هؤلاء الكفار ان الله يبعثكم بعد موتكم ويجازيكم على اعمالكم لقانوا ايس هذا القول الا سحر ظاهر .

ومن قرأ (ساحر) اراد ليس هذا يعنون النبي (ص) الا ساحر مبين .
وقال الجبائي في الآية دلالة على انه كان قبل خلق السماوات والارض الملائكة قال ، لان خلق العرش على الماء لا وجه لحسنه الا ان يكون فيه لطف لمكلف يمكنه الاستدلال به فلا بد اذا من حي مكلف . والاقوى ان يقال انه لا يمتنع ان يتقدم خلق الله لذلك اذا كان في الاخبار بتقديمه مصلحة للمكلفين ، وهو الذي اختاره الرماني وكان علي بن الحسين الموسوي المعروف بالمرتضى (ره) ينصره .

وظاهر الآية يقتضي ان العرش الذي تعبد الله الملائكة بحمله كان مخلوقاً قبل

السموات والارض ، وهو قول جميع المفسرين : كابن عباس ومجاهد وقتادة والبلخي والجبائي والرماني والفراء والزجاج وغيرهم .

وقال ابن عباس : كان العرش على الماء ، والماء على الهواء ، وقال الجبائي ثم نقل الله العرش الى فوق السموات .

قوله تعالى :

﴿ وَ لَئِنَّا أَخْرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ الْآيَوْمَ يَا نَبِيَّهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ ثُمَّ حَاقَ بِهُمْ مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (٨) آية بلا خلاف .

اللام في قوله « ولئن أخرنا » لام القسم ، ولا يجوز ان تكون لام الابتداء ، لأنها دخلت على (ان) التي للجزاء ، ولام الابتداء إنما هي للاسم او ماضارع الاسم في باب (ان) وجواب الجزاء مستغنى عنه بجواب القسم ، لانه اذا جاء في صدر الكلام غلب عليه كما انه اذا تأخر او توسط النفي .

ومعنى قوله « أخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة » اخر الى حين امة معدودة كما قال « وادكر بعد امة » (١) اي بعد حين . وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والزجاج والفراء وغيرهم .

وقال الجبائي معناه الى أمم بعد هؤلاء يكلفهم فيمصونه فتقتضي الحكمة اهلاكهم واقامة القيامة .

وقال الرماني معناه الى جماعة معدودة بانه ليس فيها من يؤمن ، فإذا صاروا الى هذه الصفة أهلكوا بالعذاب ، كما اهلك قوم نوح في الدنيا . وأهلكوا بعذاب الآخرة

لكونهم على هذه الصفة .

وقوله « ليقولن ما يحبسهن » فالحبس المنع بالحصر في خباء . ويقال حبس الماء اذا منع من النفوذ . وحبس السلطان الرزق اذا منعه . وحبس عنهم العذاب اذا منع من اتيانهم الى الاجل المعلوم . والتقدير ما الذي يمنع من تعجيل هذا العذاب الذي نتوعده به ؟ فقال الله تعالى « ألا يوم ياتيهم ليس مصروفاً عنهم » ومعناه ان هذا العذاب الذي يستبطونه اذا نزل بهم في الوقت المعلوم لا يقدر على صرفه أحد منهم ولا يتمكنون من اذها به عنهم اذا اراد الله ان تأتيهم به .

وقوله « وحق بهم ما كانوا به يستهزؤن » معناه انه نزل بهم الذي كانوا يسخرون منه من نزول العذاب ويخفوه .

قوله تعالى:

﴿ وَلَئِن آذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّه لَكَايُوسٌ ۝ كَفُورٌ ﴾ (٩) آية بلا خلاف .

أقسم الله تعالى في هذه الآية انه لو احل تعالى بالانسان رحمة من عنده يعني ما يفعله الله تعالى بهم في الدنيا من الارزاق ، فانه يعم بها خلقه كافرهم ومؤمنهم . ثم نزعها منه وسلبها وسمى احلال اللذات بهم اذافة تشبيهاً ومجازاً ، لان الذوق في الحقيقة تناول الشيء بالفهم لادراك الطعم ، والانسان حيوان على الصورة الانسانية ، لأن الصورة الانسانية بانفرادها قد تكون للتمثال ولا يكون انساناً فاذا اجتمعت الحيوانية والصورة لشيء فهو انسان . قال الرماني وكما لاحياة فيه فليس بانسان ، كالشعر والظفر وغيرها .

والنزع رفع الشيء عن غيره مما كان مشابكاً له ، والنزع والقلع والكشط نظائر

والياس القطع بأن الشيء لا يكون وهو ضد الرجاء ، ويؤوس كثير اليأس من رحمة الله وهذه صفة ذم ، لانه لا يكون كذلك الا للجهل بسعة رحمة الله التي تقتضي قوة الأمل وفائدة الآية الاخبار عن سوء خلق الانسان وقنوطه من الرحمة عند نزول الشدة وانه اذا انعم عليه بنعمة لم يشكر عليها واذا سبها منه يئس من رحمة الله وكفر نعمه وهو مصروف الى الكفار الذين هذه صفتهم .

قوله تعالى :

﴿ وَلَئِن أَدْقَنَاهُ نَمَاءً بَعْدَ ضَرَاءٍ مَّسْتَهُ لَيَقُولُنَّ ذَهَبَ
الْسَّيِّئَاتِ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴾ (١٠) آية بلا خلاف .

وأقسم تعالى في هذه الآية أنه لو أحبل بالانسان « نعماء بعد ضراء مسته » لان الهاء كناية عن الانسان الذي مضى ذكره ، والنعماء إنعام يظهر أثره على صاحبه . والضراء مضرة تظهر الحال بها ، لأنها أخرجت مخرج الاحوال الظاهرة ، كحمراء وعوراء مع ما فيها من المبالغة . ومعنى « مسته » نالته . وقوله « ليقولن ذهب السيئات عني » أي يقول عند نزول النعماء به بعد أن كان في ضدها من الضراء ذهبت الخصال التي تسوء صاحبها من جهة نفور طبعه او عقله ، وهو ههنا بمعنى المرض والفقر ، ونحو ذلك .

وقوله « انه لفرح فخور » اخبار منه تعالى أن الانسان فرح فخور . والفرح انفتاح القلب بما يلتذ به وضده الغم ، ومثله السرور والمرح . والفرح لذة في القلب أعظم من ملاذ الحواس . والفخور المتطاول بتمديد المناقب ، وفخور كثير الفخر وهي صفة ذم إذا اطلقت لما فيه من التكبر على من لا يجوز أن يتكبر عليه . وقيل للعالم أن يفخر على الجاهل بالعلم لتعظيم العلم وتحقير الجهل ولذلك تفخر النبي على الكفار .

قوله تعالى :

﴿ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ
وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ (١١) آية بلا خلاف .

لما اخبر الله تعالى عن احوال الخلق وأن اكثرهم إذا حل بهم نعمه تعالى بعد
أن كانوا في مضرة شديدة وانه إذا ية ولون ذهب السيئات عنهم وأن كثيراً منهم فرح
نخور ، استثنى من جملتهم المؤمنين بتوحيد الله الصابرين على طاعته والكف عن معاصيه
واضافوا الى ذلك الاعمال الصالحات

والصبر حبس النفس عن المشتبه من المحارم . والصبر على سمرارة الحق يؤدي
الى الفوز بالجنة في الآخرة مع ما فيه من الجمال في الدنيا . واستثنى الذين صبروا من
الانسان ، لانه في معنى الجمع كما قال « والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا
وعملوا الصالحات » (١) .

وقال الزجاج والاختفش (الا) بمعنى (لكن) لانه ليس من جنس الأول ،
والاول قول الفراء .

وقوله « اولئك لهم مغفرة واجر كبير » اخبار من الله تعالى عن هؤلاء المؤمنين
بان لهم عند الله المغفرة والاجر العظيم .

قوله تعالى :

﴿ فَلَمَّا تَرَى تَارِكًا بَعْضَ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقًا بِهِ صَدْرُكَ
أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ لَّأَنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ ﴾

وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ آية بلا خلاف .

هذا خطاب من الله تعالى لنبيه (ص) بحثه على اداء جميع ما بعثه به و اوحى اليه وينهاه عن كتمانها ويشجعه على الاداء ويقول له لا يكون لعظم ما يرد على قلبك ويضيق به صدرك من غيظهم يوهمون عليك أهم يزيلونك عن بعض ما انت عليه من امر ربك ، وانك تترك بعض الوحي ويضيق به صدرك مخافة ان يقولوا او اثلا يقولوا « لو لا انزل عليه كنز » اي هلا انزل عليه كنز فينفق منه « اوجاه معه ملك » يعينه على امره بل « انما انت نذير » اي منذر مخوف من معاصي الله وعقابه « والله على كل شيء وكيل » اي حافظ يكتب عليهم افعالهم واقوالهم ومجازيهم عليها فلا تنعم اقوالهم ولا افعالهم ولا يضيق بذلك صدرك فان وبال ذلك عاند عليهم .

وضائق وضيق واحد الا ان (ضائق) ههنا احسن لمشاكلته لقوله تارك ، والضيق قصور الشيء عن مقدار غيره ان يكون فيه ، فاذا ضاق صدر الانسان قصر عن معان يحتملها الواسع الصدر ، والصدر مسكن القلب ويشبهه به رفيع المجالس ورئيس القوم لشرفه على غيره ، والكنز المال المدفون لعاقبته وصار في الشرع اسم ذم في كل مال لا يخرج منه حق الله من الزكاة وغيره ، وان لم يكن مدفونا .

قوله تعالى :

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ
وَإِذْ عَوَّاهُ مِنْ أَسْطِطْعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٣) آية
بلا خلاف .

هذه الآية صريحة بالتحدي وفيها قطع لاعتلال المشركين وبغيهم ، لانهم لما عجزوا عن معارضة القرآن قالوا ان ما فيه من الاخبار كذب اختلقه واخترعه او قرأ

الكتب السالفة ، فقال الله تعالى لهم افتروا انتم مثله وادحضوا حجته فذلك ايسر واهون مما تكلفتموه ، فمجزوا عن ذلك وصاروا الى الحرب وبذل النفس والمال وقتل الاباء الابناء . ولو قدروا على اطفاء امره بالمعارضة لفعلوه مع هذا التقريع العظيم . وفيه دلالة على جهة اعجاز القران وانها الفصاحة في هذا النظم المخصوص ، لأنه لو كان غيره لما قنع في المعارضة بالافتراء والاختلاق .

وقوله « فأتوا » وان كان لفظه لفظ الامر فلراد به التهديد والتحدي . والمثل المذكور في الآية ما كان مثله في البلاغة والنظم او ما يقاربه ، لان البلاغة ثلاث طبقات فأعلاها معجز وادناها واوسطها ممكن ، فالتحدي وقع بما هو في اعلا طبقة في البلاغة ، ولا يجوز ان يكون المراد بالمثل إلا الجنسية لان مثله في العين يكون حكايته وذلك لا يقع به تحدي . وانما يرجع الى ما هو متعارف بينهم في تحدي بعضهم بعضاً كمنافضات امرى القيس وعلقمه وعمر بن كلثوم والحارث بن جلزة وجريرو الفرزدق وغيرهم . ومعنى (ام) تقرير بصورة الاستفهام ، وتقديره بل « يقولون افتراء » وقال بعضهم ان الاستفهام محذوف ، كأنه قال أي كذبونك أم يقولون افتراء . وهذا ليس بصحيح لان (ام) ههنا منقطة ليست معادلة . وانما يجوز حذف الاستفهام في الضرورة .

وقوله « ادعوا من استطعتم من دون الله » اي ادعوا الى معاونتكم على المعارضة . وهذا غاية ما يمكن من التحدي والمحاجة .

وقوله « بمشر سور مثله » اي مثل سورة منه كل سورة منها . ومعنى « مفتريات » اي مختلفة يقال افتري واخترق واخترق ، وخلق وخرق وخرص واخترص اذا كذب .

قوله تعالى :

﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ قَهْلَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١٤) آية بلا خلاف

قيل في المعنى بقوله « فَأَنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ » قولان :

احدهما - ان المراد به المؤمنون ، والتقدير فَأَنْ لَمْ يَطْلُبُوا اجابتهك يا محمد والمؤمنين ، ولا يأتون بعشر سور معارضة لهذا القرآن ، فليعلم المؤمنون إنما انزل بعلم الله بهذا الدليل ، وهو قول مجاهد والجبائي .

والاخر - ان يكون المراد به المشركين ، فالتقدير فَأَنْ لَمْ يَسْتَجِبْ لَكُمْ مِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْمَعَاوَنَةِ وَلَا يَهَيِّأْ لَكُمْ الْمَمَارِضَةَ ، فقد قامت عليكم الحجة .
والاستجابة في الآية طلب الاجابة بالقصد الى فعلها ، يقال : استجاب واجاب بمعنى واحد . والفرق بين الاجابة والطاعة ان الطاعة موافقة للارادة الجاذبة الى الفعل برغبة أو رهبة ، والاجابة موافقة الداعي الى الفعل من اجل انه دعا به .

وقوله « انزل بعلم الله » يحتمل امرين :

احدهما - بعلم الله انه حق من عنده اي عالم به .

والاخر - بعلم الله بمواقف تأليفه في علو طبقتة .

وقوله « وان لا اله الا هو » اي فاعلموا ان لا اله الا هو ، وقوله « قهْلَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ » معناه هل انتم بمدقيام الحجة عليكم بما ذكرناه من كلام الله وانه انزله على نبيه تصديقاً له فيما اداه اليكم عن الله مسلمون له موقنون به ؟ لان كل من سلم له الأمر فقد استسلم له . قال مجاهد وهذا خطاب لاصحاب النبي (ص) من المسلمين .

قوله تعالى :

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا نُؤَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ (١٥) آية بلاخلاف .

شرط الله تعالى بهذه الآية ان « من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها ، وحسن بهجتها ، ولا يريد الآخرة ، فان الله تعالى يوفيه جزاء عمله فيها يعنى في الدنيا ، ولا يبخره شيئاً منه .

والزينة تحمين الشيء بغيره من لبسة او حليمة او هيئة ، يقال : زانه يزينه وزينه تزييناً ، والتوفية تأدية الحق على تمام ، والبخر نقصان الحق يقال بخره بخرساً اذا ظلمه بنقصان الحق . وفي المثل (يبخرها حقاء) وهي باخر .
وقيل في العمل الذي يوفون حقهم من غير بخر قولان :

احدهما - قال الضحاك ومجاهد هو ان يصل الكافر رحمه او يعطي سائلاً سأله او يرحم مضطراً او غير ذلك من افعال الخير ، فان الله تعالى يجعل له جزاء عمله في الدنيا بتوسيع الرزق ، واقرار العين فيما خول ، ودفع مكاره الدنيا .

الثاني - الغزو مع النبي (ص) للغنيمة دون ثوب الآخرة ، امر الله نبيه ان يوفيهم قسمهم وهذا من صفة المنافقين ، ذكره الجبائي .

وانما جاز ان يقول « من كان يريد الحياة الدنيا نؤف إليهم » ولم يجز ان تقول : من جأني اكرمه ، لأن الاجود في الشرط والجزاء ان يكونا مستقبليين او يكونا ماضيين بنية الاستقبال ، فان كان احدهما ماضياً ، والاخر مستقبلاً كان جائزاً على ضعف كما قال زهير :

ومن هاب اسباب المنايا تنلته . ولو رام اصباب السماء بسلم (١)

(١) اللسان (سبب) وروايته (المنية يلقيها) بدل (المنايا تنلته)

قلنا عنه جوابان :

احدهما - قال الفراء : ان المعنى من يرد الحياة الدنيا و (كان) زائدة .
الثاني - ان المعنى ان يصح انه كان ، كقوله « ان كان قبضه قد من دبر
فكذبت » (١) ولا يجوز مثل هذا في غير كان ، لانها ام الافعال .

قوله تعالى :

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ
مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٦) آية بلا خلاف .

قوله « اولئك » كناية عن الذين ذكروهم في الآية الاولى ، وهم الذين يريدون
الحياة الدنيا وزينتها ، دون ثواب الآخرة . فأخبر الله انه ليس لهم في الآخرة
مستقر الا النار ، وان اعمالهم كلها محبطة لا يستحقون عليها ثواباً لانهم اوقعوها
على غير الوجه المأمور به ، وعلى حد لا تكون طاعة ، وان جميع ما فعلوه في الدنيا
باطل لا ثواب عليه .

وقد بينا فساد القول بالاحباط (٢) على ما يذهب اليه المعزلة واصحاب الوعيد ،
سواء قالوا الاحباط بين الطاعة والمصيبة او بين المستحق عليها ، فلا معنى للتطويل
بذكره ههنا .

وقوله « وباطل ما كانوا يعملون » بعد قوله « حبط ما صنعوا فيها » يحقق ما
نقله : ان نفس الاعمال تبطل بان توقع على خلاف الوجه الذي يستحق به الثواب

قوله تعالى :

﴿ آمَنَ كَانَ عَلَىٰ يَدَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ

(١) سورة يوسف آية ٢٧ (٢) انظر : ٣٣٦ ، ٣٥٣ ، ٥٢٢ ، ٥٢٥

قبله كتاب موسى إماماً ورحمة أولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده فلا تك في صرته منه إنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ﴿ (١٧) آية بلاخلاف.

الالف في قوله «أثمن كان» الف استفهام، والمراد بها التقرير، والتقدير هل الذي كان على بيئته - يعني برهان وحجة من الله - والمراد بالبيئته ههنا القرآن، والمعنى بقوله «أثمن كان على بيئته» النبي (ص) وكل من اهتدى به واتبعه .

وقوله «ويتلوه شاهد منه» قيل في معناه أقوال :

أحدها - شاهد من الله هو محمد (ص)، وروي ذلك عن الحسين بن علي (ع) وذهب إليه ابن زيد واختاره الجبائي .

الثاني - قال ابن عباس ومجاهد وإبراهيم والفراء والزجاج : جبرائيل يتلوا القرآن على النبي (ص) .

الثالث - شاهد منه لسانه، روي ذلك عن محمد بن علي أعني ابن الحنفية، وهو قول الحسن وقتادة .

الرابع - روي عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين (ع) أنه علي بن أبي طالب ورواه الرماني، وذكره الطبري بإسناده عن جابر بن عبد الله عن علي (ع) . وذكر الفراء وجهاً خامساً - قال ويتلوه يعني القرآن يتلوه شاهد هو الأنجيل، ومن قبله كتاب موسى يعني التوراة . والمعنى ويتلوه في الحجة والبيئته .

وقوله «ومن قبله كتاب موسى» الهاء في «قبله» عائدة على القرآن المدلول عليه فيما تقدم من الكلام، والمعنى انه يشهد به بالبشارة التي فيه .

وقوله «إماماً ورحمة» العامل فيه إحدى اسمين :

أحدهما - الظرف في قوله ومن قبله .

الثاني - وشاهد من قبله كتاب موسى اماماً ورحمة، وخبر (من) في قوله « افمن كان على بينة من ربه » محذوف والتقدير افمن كان على بينة من ربه وعلى الاوصاف التي ذكرت كمن لا بينة معه قال الشاعر :

واقسم لو شيء انا نارسوله سواك
ولكن لم نجسد عنك مدفعا
وانشد القراء :

فا ادري اذا بعمت وجهاً
اريد الخير ايها يليني
الخير الذي انا ابتغيه
ام الشر الذي لا يا تليني (١)

قال ايها، وانما ذكر الخير وحده ، لان المعنى مفهوم ، لان المبتغي للخير متق للشر . وقال قوم خبره قوله « من كان يريد الحياة الدنيا » وقد تقدمه ، واستغني به . وقوله « اولئك يؤمنون به » كناية عن من كان على بينة من ربه انهم يصدقون بالقرآن ويعترفون بأنه حق .

وقوله « ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده » معناه ان كل من يجحده ولا يعترف به من الاحزاب الذين اجتمعوا على عداوته . وقال القراء يقال كل كافر حزب النار « والنار موعده » يعني مستقره وموعده « فلانك » يا محمد (ص) في شك من ذلك ، فالخطاب متوجه إلى النبي (ص) والمراد به جميع المكلفين .

وقوله « انه الحق من ربك » اخبار منه تعالى بأن هذا الخير الذي ذكره حق من عند الله ، ولكن اكثر الناس لا يعلمون صحته وصدقه لجهلهم بالله وجحدهم بنبوة بنبيه (ص) .

وروي ان الحسن قرأ (في مربة) بضم الميم ، وهي لغة اسد وتميم ، واهل

الحجاز يكسرون الميم وعليه القراء .

(١) مر هذا الشعر في ٢ : ١١٣

قوله تعالى :

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَأُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُوا لَآ شَهَادَةَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَيَّا رَبِّهِمْ أَلَا لعنةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ آية بلا خلاف .

قال الحسن معنى قوله « ومن اظلم ممن افتري على الله كذباً » لا أحد اظلم منه إلا انه خرج مخرج الاستفهام مبالغة في انه اظلم لنفسه من كل ظالم ، وانما كان المفتري على الله كذباً اظلم من كل ظالم ، لانه يجحد نعم الله ولا يشكرها .

وقوله « اولئك يعرضون على ربهم » اخبار منه تعالى ان من هذه صفته يعرض على الله يوم القيامة . والعرض اظهار الشيء بحيث يرى للتوقيف على حاله يقال عرضت الكتاب على فلان ، وعرض الجند على السلطان ، ومعنى العرض على الله انهم يقفون في المقام الذي يرى العباد ، وقد جعله الله تعالى للمطالبة بالاعمال ، فهو بمنزلة العرض في الحقيقة ، لانهم لا يخفون عليه في حال من الاحوال بل هو تعالى يراهم حيث كانوا وقوله « ويقولوا لاشهاد » يعنى الملائكة ، والانبياء ، والائمة يشهدون بما كان منهم من الكذب عليه تعالى . وقيل هو جمع شاهد مثل صاحب واصحاب ، وقيل جمع شهيد كشراف واشراف .

وقوله « الالعة الله على الظالمين » تنبيه من الله تعالى اخلقه بأنت لعنته على الظالمين الذين ظلموا انفسهم بادخال الضرر عليها وعلى غيرهم بادخال الآلام عليهم ، ولعنة الله ابعاده من رحمته .

قوله تعالى :

الَّذِينَ يَصِدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ

هُمُ كَافِرُونَ (١٩) آية بلا خلاف

وصف الله تعالى الظالمين الذين جعل لعنة الله عليهم بأنهم يصدون عن سبيل الله بمعنى أنهم يفرّون الخلق ويصرفونهم عن المصير اليه واتباعه بغير الحق ، ويجوز أن يكون صده عن الفساد بدعائه الي تركه ، والصد عن الحق سبب الامتناع منه اذا صادف منه ما يهواه فيفعله من اجل ذلك الداعي ، وانما جاز تمكين الصاد من الفساد لانه مكاف للامتناع . وليس في منعه لطف بأن يصد عن الفساد الى الصلاح ، فهو كشهوة القبيح الذي به يصح التكليف ، قال ابو علي ولو لم يكن اغواء الشيطان اضلالا لعدل من قبل نفسه ذلك او شرآ منه .

وقوله « يبغونها عوجا » معناه انهم يطلبون لسبيل الله عدولا عنه . والعوج العدول عن طريق الصواب ، وهو في الدين عوج بالكسر وفي العود عوج بالفتح ، فرقوا بين ما يرى وبين ما لا يرى ، فجعلوا السهل للسهل والصعب للصعب بالفتح والكسر والبغية طلبه أمر من الأمور تقول بغاه يبغيه بغية مثل طلبه يطلبه طلبه .

وقوله « وهم بالآخرة هم كافرون » اخبار منه تعالى أن هؤلاء الذين يصدون عن سبيل الله كافرون بالآخرة وبالبعث والنشور والثواب والمعقاب أي جاحدون غير مقرين .

وقوله « وهم بالآخرة هم كافرون » كرر (هم) مرتين كما قال « يمدكم انكم اذا متم وكنتم تراباً وعظاماً انكم مخرجون » (١) كرر (انكم) مرتين ووجه ذلك انه لما طال الكلام وفارق فعله كرره مرة اخرى .

قوله تعالى :

﴿ أَوَلَيْكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ

دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ
السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ آية بلا خلاف

اخبر الله تعالى عن هؤلاء الكفار الذين وصفهم بأن عليهم لعنة الله وانهم الذين
يصدون عن سبيل الله ويغفونها عوجاً بأنهم غير « معجزين في الأرض » أي لم يكونوا
فائزين فيها هرباً من الله تعالى إذا أراد إهلاكهم كما يهرب الهارب من عدوه وقد جد في
طلبه والاعجاز الامتناع من المراد بما لا يمكن معه ايقاعه وأنهم لم يكن لهم ولي يستطيع
الدفاع عنهم من دون الله . والولي الخالص بأن يلي بالماونة لدفع الاذية ، ومنه قولهم
يولاك الله بحفظه ، فلا ولي لهؤلاء يعاونهم ويدفع العقوبة عنهم ، لان الله تعالى قد
أبأسهم من ذلك .

وقوله « يضاعف لهم العذاب » قبل في معناه قولان :

احدهما - بحسب تضاعف الاجرام .

والاخر - كلما ضعف جاء ضعف ، وكله على قدر الاستحقاق .

وقوله « ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون » معناه انه كان يثقل
عليهم سماع الحق ورؤيته ، كما يقال : فلان لا يستطيع النظر الى فلان ، وحقبة
الاستطاعة القوة التي تقطاع بها الجارحة للفعل ، ولذلك لا يقال في الله أنه يستطيع .
وليس المراد بنفي الاستطاعة في الآية نفي القدرة بل ما ذكرناه ، لأنه لو لم يكن فيهم
قدرة لما حسن تكليفهم .

وقد ذكر الفراء فيه وجهاً مليحاً ، فقال : المعنى يضاعف لهم العذاب بما كانوا
يستطيعون السمع ولا يعقلون ، وحذف الباء كما قال « اليم بما كانوا يكذبون » (١)
أي بتكذيبهم وسقوط الباء جائز ، كما قال « احسن ما كانوا يعملون » (٢) ويقول

(١) سورة البقرة آية ١٠ (٢) سورة التوبة آية ١٢٢

القائل لأجزيتك ما عملت ، وبما عملت . واختار ذلك البلخي .
والسمع ادراك الصوت بما به يكون مسموعاً . والابصار ادراك الشيء بما به
يكون مبصراً .

قوله تعالى :

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا
يَفْتَرُونَ ﴾ (٢١) آية بلا خلاف .

ثم اخبر عنهم بخبر آخر وهو أنهم « الذين خسروا انفسهم » من حيث انهم فعلوا
ما يستحقون به العذاب وهلكوا بذلك في خسران انفسهم ، وخسرات النفس أعظم
الخسران ، لانه ليس عنها عوض ، وعن هلاك رأس المال عوض ، فسلامة النفس اجل
فائدة ، وما كان بعمده من نفع فهو ربح .

وقوله « وصل عنهم ما كانوا يفترون » قيل في معناه قولان :

احدهما - ذهب عنهم الانتفاع بالافتراء كما كانوا في الدنيا .

والثاني - ذهب عنهم الاوثان التي كانوا يؤملون بها الانتماع - في قول

الحسن .

« اولئك » اشارة الى البعيد ، (وهؤلاء) اشارة الى القريب واولاء مبني على
الكسر ، لانه اسم للجمع بمنزلة الواحد . والكاف في (اولئك) حرف يدل على ان الكلام
الذي معه مخاطباً به .

ووجه اتصال (ما) في الاية ان (اولئك) اشارة الى من تقدم ذكره
و (الذين) صفة لهم وهو موصول و (خسروا) صلته و (انفسهم) معمول الصلة
و (ضل) معطوف على الصلة و (كانوا) صلة فاعل معطوف الصلة و (يفترون)
خير صلة فاعل معطوف الصلة ، وهو تمام (الاسم) .

قوله تعالى :

﴿ لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٢٢) آية

بلا خلاف .

معنى (لاجرم) قال الزجاج معنى (لا) نفي لما ظنوه أنه ينبغي لهم كأن المعنى لا ينبغي لهم ذلك . ثم ابتداء (جرم) أنهم أي كسب ذلك الفعل لهم الخسران .
وقال غيره : معناه لا بد أنهم ، ولا محالة أنهم . وقيل معناه حقاً أنهم .
واصل (الجرم) القاطع فكأنه قال لا قطع من انهم في الآخرة هم الخاسرون
و (جرم) في قوله (لاجرم) فعل ، وتقديره لا قطع قاطع عن ذا إلا انهم كثر في كلامهم حتى صار كالمثل وهو من قول الشاعر :

ولقد طعنت ابا عبيدة طعنة جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا (١)

أي قطعتمهم إلى الغضب ، فرواية الفراء نصب فزارة ، والمعنى كسبهم ان يغضبوا ،
و خسران النفس بتعاطم ، لان خسران النفس بمذاب دائم اعظم من خسرانها بمذاب منقطع ،

و (هم) في قوله «هم الخاسرون» يحتمل وجهين :

احدهما - ان يكون فصلاً والأخسرون خبر (ان) و (هم) اذا كانت فصلاً لم تقع في النكرة . وقولهم : ما كانوا في الدراهم القائمون ، فلا يكون إلا اسماً فان جعلتها فصلاً قلت كانوا في الدراهم القائمون .

قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآخَبْتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ

أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾ آية بلا خلاف .

لما ذكر الله تعالى الكفار ووصف ما أعد لهم من العذاب وخسران النفس ،
اخبر - هنا - ان الذين يؤمنون بالله ويعتقدون وحدانيته ويصدقون رسله ، وعملوا
الاعمال الصالحة التي امرهم الله بها ورغبهم فيها « واخبتوا الى ربهم » اي خشعوا اليه
والاخبات الخشوع المستمر على استواء فيه ، واصله الاستواء من الخبت ، وهو الارض
المستوية للواسعة .

وقيل : ان الاخبات الانابة - ذكره ابن عباس - وقال مجاهد : هو الاطئنان الى
ذكر الله . وقال قتادة : هو الخشوع اليه والخضوع له .

وقال الحسن : هو الخشوع للمخافة الثابتة في القلب .

وقال الجبائي : الاخبات سكون الجوارح على وجه الخضوع لله تعالى .

وليس كل عمل صالح يستحق عليه حمد او مدح ، لانه مثل الحسن في انه
يقتسم قسمين : احدهما - يستحق عليه الحمد . والاخر - لا يستحق عليه ، كالمباح فكذلك
الصالحات . والمراد بالصالحات - هنا - الطاعة ، لانه وعد عليها الجزاء وفي قوله « ان
الحسنات يذهب السيئات » (١) .

وقوله « واخبتوا الى ربهم » قال قوم معناه اخبتوا ربهم ، فوضع (الى) مكان
اللام ، لان حروف الاضافة توضع بعضها مكان بعض ، كما قال « اوحى لها » (٢)
بمعنى اوحى اليها . والآخر ان معناه عمدوا باخباتهم الى الله .

وقوله « اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون » اشارة الى المؤمنين الذين وصفهم
بانهم يعملون الصالحات ويحببتون الى ربهم ، فآخبر عنهم انهم اصحاب الجنة اللازمون
لها وانهم فيها مخلدون دائمون .

(١) سورة هود آية ١١٥ (٢) سورة الزلزال آية ٥

قوله تعالى :

﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٢٤) آية بلا خلاف .

المثل قول سائر يشبه فيه حال الثاني بحال الاول ، والامثال لا تغير عن صورتها كقولك للرجل (اطرى انك ناعلة) وكذلك يقال للكافر هو اعمى اصم اي هو بمنزلة الذين قيل لهم هذا القول ، ويجري هذا في كل كافر يأتي من بعد ، و (الواو) في قوله « كالاعمى والاصم » قيل في دخولها قولان :

احدهما - العموم في التشبيه اي حال الكافر كحال الاعمى وكحال الاصم وكحال من جمع العمى والصمم .

الثاني - ان المعنى واحد ، وانما دخلت الواو لاتصال الصفة الاولى بعلامة . وانما قال : هل يستويان ، لانه اراد الفريقين : الموصوف احدهما بالصمم والعمى ، والآخر بالبصر والسمع . وقاعدة الآية تشبيه المؤمن والكافر في تباعد ما بينهما فشبها بالاعمى والبصير والاصم والسميع ، فالكافر كالاعمى والاصم في انه لا يبصر طريق الرشده ولا يسمع الحق وانه مع ذلك على صفة النقص .

والصمم عبارة عن فساد آلة السمع ولو كان معنى يضاد السمع اتعاقبا على الحي ، والامر بخلافه ، لانه قد ينتفي حال الصمم ولا يكون سامعاً ، وكذلك العمى عبارة عن فساد آلة الرؤية وليس بمعنى يضاد الابصار ، لان الصحيح ان الادراك ايضاً ليس بمعنى ، ونو كان معنى لما وجب ان يكون العمى ضده ، لانه لو كان ضده لعاقبه على حال الحي وكان يجوز ان يحضر المرئي من الاجسام الكثيفة من غير سائر فلا يرى مع حصول شروط الادراك لاجل وجود الضد ، وكذلك الصمم لا يلاضدله لانه ليس هناك حال يعاقبه على حال مخصوصة كما عاقبة العجز القدرة على حال الحياة .

وقوله « هل يستويان مثلاً » وان كان بصورة الاستفهام فهو لضرب من التوبيخ والتقريع .

وقوله « افلا تتفكرون » معناه أفلا يتفكرون في ذلك فيعلموا صحة ما ذكرنا

قوله تعالى:

﴿ وَآقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ لَمَّا نِيَّ لَكُمْ تَنْذِيرًا مُّبِينًا ۚ (٢٥) أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْيَوْمِ ۝ (٢٦) آتِسَانِ بِلا خلاف .

قرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمة (إني) بكسر الهمزة . الباقون بفتحها . قال ابو علي النحوي من فتحها حملاً على (أرسلنا) اي ارسلناه بأنني لكم ، ولم يقل انه لانه انتقل عن الغيبة الى الخطاب ، ومثله كثير قال الله تعالى « وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة » ثم قال بعده « نخذها بقوة » (١) فكذلك الآية . ومن كسر يضم القول قبلها كأنه قال أرسلنا نوحاً الى قومه فقَالَ اني لكم نذير ومثله كثير قال الله تعالى « والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم » (٢) اي يقولون سلام عليكم ، وقوله تعالى « والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقرّبونا الى الله زانين » (٣) اي قالوا ما نعبدهم ويكون الكلام على ظاهره لم يرجع من الغيبة الى الخطاب ، وليس لأحد ان يرجع القراءة بالفتح من حيث ان ما بعده من قوله « أن لا تعبدوا إلا الله » محمول على الارسال فاذا فتحت كان أشكل بما بعدها لملها جميعاً على الارسال . وذلك أن من كسر حمل قوله « إني لكم » وما بعده على

(١) سورة الاعراف ١٤٤ (٢) سورة الرعد آية ٢٥ - ٢٦

(٣) سورة الزمر آية ٣

الاعتراض بين المفعول وما يتصل به مما بعده ، كما أن قوله « ان الهدي هدى الله »
اعتراض بينها في قوله « ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم قل ان الهدي هدى الله ان
يؤتى احد مثل ما أو تيتهم » (١) فكذلك قوله « إني لكم نذير مبين » لان التقدير ولقد
أرسلنا نوحاً لا نذار أن لا تعبدوا الا الله اني انذركم لتوحيدوا الله وأن تتركوا
عبادة غيره .

اقسم الله تعالى في هذه الآية أنه أرسل نوحاً وأمره أن يقول لهم اني مؤد
عن الله ومخوفكم من عقابه وترك طاعته ، لأن اللام في قوله « لقد » لام القسم وهي
تدخل على الفعل والحرف الذي يختص بالفعل مما يصح معناه معه ، ولام الابتداء للاسم
خاصة . ومعنى (قد) وقوع الشيء على وجه التقريب من الحال تقول : قد ركب الامير
- لقوم يتوقعون ركوبه - .

وقوله « ان لا تعبدوا الا الله » يحتمل ان يكون موضع تعبدوا من الاعراب
نصباً ، والمعنى ان لا تعبدوا الا الله ، ويجوز أن يكون موضعه جزماً على تقدير أي
لا تعبدوا . ويحتمل أن يكون متعلقاً بقوله « أرسلنا » وتقديره أرسلنا بأن لا تعبدوا
الا الله على ما بيننا من الاعتراض ، وحملها جميعاً على الارسال .

وقوله « اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم » اي مؤلم عذابه وانما قال عذاب يوم
اليم بالجر ومعناه مؤلم ، لأن الألم يقع في اليوم ، فكأنه سبب الألم . ولو نصبته على ان
يكون صفة للعذاب كان جائزاً ، ولم يقرأ به احد ،

وانما بدى بالدعاء الى العبادة دون سائر الطاعات ، لأنها اهم ما يدعى اليه من
خالف الحق فيه ولانه يجب ان يفعل كل واحدة من الطاعات على وجه الاخلاص
والعبادة فيها لله . وانما قال « اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم » مع ان عذاب الكافر
معلوم ، كأنه يخاف ما لم يعلم ما يؤل اليه امرهم من ايمان او كفر ، وهذا لطف في

الاستدعاء واقرب الى الاجابة في غالب امر الناس .

قوله تعالى :

﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا
مِثْلَنَا وَمَا تَرَاكَ أَتَّبِعُكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ يُنَادُوا بِرَأْيِهِ وَمَا نَرَى
لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾ (٢٧) آية بلا خلاف .
قرا ابو عمرو « باديء الرأي » بالهمز في بادي . الباقون بلا همز .

قال ابو علي حدثنا محمد بن السدي ان الاحماني قال : يقال : انت بادي الراي

تريد ظلمنا لا يهمز (بادي) وباديء الرأي مهموز .

فمن لم يهمز اراد انت اول الراي ومبتدؤه وها في القرآن . وقال ابو علي من
قال (بادي الرأي) بلا همز جملة من بدأ الشيء وهو ظهوره ، وما اتبعك الا ارا ذل
فيما ظهر لهم من الراي اي لم يفعلوه بنظر فيه ولا بتبين له ، ومن همز اراد اتبعوك في
اول الامر من غير فكر فيه ولاروية ، والقراءتان متقاربتان ، لان الهمز في اللام منها
ابتداء الشيء واوله وابتداء الشيء يكون ظهوراً ، وان كان الشيء الظاهر قد يكون
مبتدأً وغير مبتدأ ، فلذلك يستعمل كل واحد منها مكان الآخر يقولون . انا بادي
بدا ، وباديء بدي ، فاني احمد الله .

اخبر الله تعالى في هذه الآية عن جماعة الرؤساء من قوم نوح الذين كفروا
وجحدوا نبوته انهم قالوا له « ما نراك الا بشراً مثلنا » والبشر مأخوذ من ظهور
البشرة لان الغالب على الحيوان غير الانسان ان يلبس البشرة منه بالصوف او الشعر
او الريش او الصدف ، والانسان مأخوذ من النسيان لانهم يصغرونه انيسيان ، ويجوز
ان يكون من الانسائ الا انهم زادوا الياء في التصغير . والمثل ما مسد مسد غيره في
الجنس بمعنى انه لو ظهر للمشاهد لسد مسده ، كما يسد الاسود مسد الاسود في الجنس

من غير فضل .

وقوله « ما تراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا » حكاية ايضاً عما قاله قوم نوح من أنه ما نرى من اتبعك الا انه رذل خسيس حقير من جماعتنا ، تقول : رذل ، وجمعه اراذل ، وجمع الجمع اراذل مثل كلب واكلب واكالب .

والعامل في (الذين) قوله « اتبعك » كأنه قال ما اتبعك الا الذين هم اراذلنا وتراك ملغى ، ذكره الفراء . قال ابو علي النحوي : هو نصب على الحال ، والعامل فيه (اتبعك) واخر الظرف وواقع بعد (الا) ولو كان غيره لم يجوز لان الظرف اتسم فيه في مواضع .

ومعنى « بادي الراي » اول الراي ما نراهم . والراي والرؤية من قوله « يرونهم » متلبهم راي العين ، (١) وهو نصب على المصدر كقولك ضربته اول الضرب . وقال الزجاج نصبه بـ (اتبعوك اول الراي) من غير فكر كأنه قيل اتبعوك راياً غير سديد ، ومن قرأ « بادي الراي بلا همز اراد ظاهر الراي قال الشاعر .

وقد علتني ذرأة بادي بدي وريثة تهمض في تشددي (٢)
وقال آخر .

اضحى لخالي شبيبي بادي بدي وصار للفحل لساني ويدي (٣)

(١) سورة آل عمران آية ١٣ (٢) بجاز القرآن ١ : ١٨٨ و اللسان والتاج (بدي ، ذراً) وتفسير الطبري ١٢ : ١٧ وسيبويه ٣ : ٥٤ ورواية اللسان (بالتشدد) بدل (في تشدد) وقد روى هذا الشعر مرارا وفي احدها رواه والذي بعده على انه شعر واحد (٣) اللسان (بدا) وقد جمع هذا الشعر مع الذي قبله - هنا - على انها شعر واحد ونسبه الى ابو نخله .

يقول الشاعر ظاهري في الشبه لخالي أي خرجت عن شرح الشباب الى حال الكهولة التي معها الرمي الصائب والحجا فصرت كالفحل في كلامي وبطشي .

وقوله « وما نرى لكم علينا من فضل » تمام الحكاية عن كفار قوم نوح وانهم قالوا لنوح انا لا نرى لك ولا لمثالك علينا زيادة خير ، لان الفضل هو زيادة الخير ، وانما قالوا ذلك ، لانهم جهلوا في طريقة الاستدلال .
وقوله « بل نظنكم كاذبين » ايضاً تمام الحكاية عن كفار قومه انهم قالوا له ولمن آمن معه هذا القول .

قوله تعالى:

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ يَمِينَةٍ مِّن رَّبِّي وَأَنسَانِي
رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمْوهَا وَأَن تُمْ لها كارِهون ﴾
(٢٨) آية بلاخلاف .

قرأ حمزة والكسائي وحفص « فعميت » بضم العين وتشديد الميم . الباقون بتخفيف الميم وفتح العين .

وقال ابو علي من قرأ « فعميت » بالتخفيف لقوله « فعميت عليهم الابناء يومئذ » (١) وهذه مثلها ويجوز في قوله (فعميت) امران :

احدهما - ان يكون عموا هم ، الا ترى ان الرحمة لا تعمى وانما يعمى عنها ، فيكون هذا من المقلوب ، كقولهم ادخلت القلنسوة في راسي وادخلت الخاتم في اصبعي ونحو ذلك مما يقرب اذا زال الاشكال . والآخر - ان يكون معنى عميت خفيت كقول الشاعر :

ومعه اطرافه في مهمه اعشى الهدى في الحائر بن العمه (٢)

(١) سورة القصص آية ٦٦ (٢) قائله رؤبة بن العجاج ديوانه : ١٦٦

وتفسير الطبري ١ : ٣١٠ وقد مر في ١ : ٨١

اي خفي الهدى ألا ترى ان الهدى ليس بذى جارحة تلحقها هذه الآفة ، وقد قيل للسحاب العمى خلفاء ما يخفيه كما قيل له الغمام ومن ذلك قول زهير :

ولكنني عن علم ما في غد عمى (١) .

ومن شدد اعتبر قراءة الاعمش فإنه قراها فعاها عليهم .

وروى ذلك الفراء عن أبي ، والمعنيان متقاربان . قال الفراء يقال عمى علي الخبر وعمى بمعنى واحد .

حكى الله تعالى عن قوم نوح ما قاله لقومه جواباً عما قالوه لهم مما حكيناه ، فإنه « قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة ، اي برهان وحجة من المعجزة التي تشهد بصحة النبوة . وخصهم بهذا اذ هو طريق العلم بالحق لا ما التمسوا من اختلاف الخلق . وقوله « أتأني رحمة من عنده » يرد عليهم ما ادعوه من أنه ليس له عليهم فضل ، فبين ذلك بالهداية الى الحق من جهة البرهان المؤدي الى العلم .

وقوله « فعميت » يحتمل امرين :

احدهما - خفيت عليكم ، لأنكم لم تسلكوا الطريق المؤدي اليها .

والآخر - ان يكون المعنى عميت عنها ، واذاف العمى الى البينة لما عموا عنها لضرب من المجاز ، لان المعنى ظاهر في ذلك ، كما يقال : ادخلت الخاتم في يدي والقلمسوة في راسي ، والمراد ادخلت يدي في الخاتم ورأسي في القلمسوة .

ومن قرأ بتشديد الميم وضم العين اذاف التعمية الى غيرهم ممن صدم عن النظر فيها واغواهم في ذلك من الشياطين والمضلين عن الحق .

وقوله « انزلتموها وانتم لها كارهون » انضطر كم الى موجب البينة مع العلم مع كراهتكم لذلك فيبطل تكليفكم الاستدلال بالبينة المؤدية الى المعرفة اي اضطر كم الى حال الضرورة .

ووجه اخر وهو ان يكون المراد ان الذي علي ان ادل بالبينه ، وليس علي ان اضطر كم الي المعرفة .

وفي قوله « انلزمكوها » ثلاث مضمرات ضمير المتكلم وضمير المخاطب وضمير الغائب ، وهو احسن ترتيب بدأ بالتكلم ، لانه اخص بالفعل ثم بالمخاطب ثم بالغائب ، ولو اتى بالمنفصل لجاز لتباعده عن العامل بمافرق بينه وبينه فاشبهه ما ضربت إلا إياك وما ضربني إلا أنت . واجاز الفراء « انلزمكوها » بتسكين الميم جعله بمنزلة عضد وعضد وكبد وكبد ولا يجوز ذلك عند البصريين ، لان الاعراب لا يلزم فيه النقل كما يلزم في بناء الكلمة ، وانما يجيزون مثل ذلك في ضرورة الشعر كقول امرء القيس :

فاليوم اشرب غير مستحقب إنما من الله ولا واعل (١)

وقال اخر .

وناع بخبر نسا بمهلك سيد تقطع من وجد عليه الا نامل (٢)

وقال اخر .

اذا اعوججن قلت صاحب قوم (٣)

يريد صاحب قوم

قوله تعالى :

﴿ وَبِأَقْوَمٍ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ
وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَأُوا قُورًا رَبَّهُمْ وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ
قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾ (٢٩) آية بلا خلاف .

في هذه الآية حكاية ما قال نوح لقومه اي لا اطلب منكم مالا أجزأ على الرسالة

(١) ديوانه : ١٣ و تفسير القرطبي ٩ : ٢٦ (٢) مجمع البيان ٣ : ١٥٥

(٣) مجمع البيان ٣ : ١٥٥ ، صاحب بسكون الباء

ودعائكم الى الله فتمتنعون من اجابتي بل اجري وثوابي في ذلك على الله .
 وقوله « وما انا بطارد الذين امنوا » معناه ابي لست اطرد المؤمنين من عندي
 ولا ابعدهم على وجه الالهانة .
 وقيل انهم كانوا سألوهم طردهم ليؤمنوا انفسهم ان يكونوا معهم على سواء ذكره
 ابن جريج والزجاج .
 وقوله « انهم ملاقوا ربهم » اخبار بأن هؤلاء المؤمنين ملاقوا جزاء ربهم بمقاب
 من طردهم في قول الزجاج .
 وقوله « ولكني اراكم قوماً يجولون » معناه اراكم يجولون انهم خير منكم لا يمانهم بربهم وكفرهم به
 وقال قوم : انهم قالوا له ان هؤلاء اتبعوك طمعاً في المال على الظاهر دون الباطل
 فقال لهم نوح انهم ملاقوا جزاء اعمالهم فيجازيهم على ما يعلم من بواطنهم ، وليس لي
 الا الظاهر احملهم على ظاهر الايمان فانتم تجولون ذلك .

قوله تعالى :

﴿ وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُمْهُ أَفَلَا تَدْرُونَ ﴾

(٣٠) آية بلا خلاف .

ثم قال لهم نوح (ع) « يا قوم » واراد به الجماعة الذين يقومون بالأمر
 و (قوم) اسم جمع لا واحد له من لفظه . و « من ينصرني من الله » اي من يمنعي من
 الله ، يقال نصره من كذا يعنى منعه منه ، ونصره عليه بمعنى اعانه عليه حتى يفلح ،
 ونصره الى كذا بمعنى نصره معه ، ومنه قوله « من انصاري الى الله » (١) ويجوز ان
 يقدر الله الكافر على الكفر ، ولا يجوز ان ينصره عليه ، لان النصره على الشيء زيادة
 في القوة ليقع ذلك الشيء ، وهذا لا يجوز على الله . والقدرة تصلح للضدين على منزلة

سوا ولا دليل فيها على ارادة احدهما .

وقوله « افلا تذكرون » معناه افلا تتفكرون ، فتعلمون ان الامر على ماقلته .
 و فرق الطبري بين التذكر والتفكر بأن قال : التذكر طلب معنى قد كان حاضراً
 للنفس و (التفكر) طلب معرفة الشيء بالقلب وان لم يكن حاضراً للنفس .
 و (النصره) المذكورة في الآية ليست من الشفاعة في شيء ، لان النصره هي
 المنع على وجه المغالبة والقهر . والشفاعة هي المسألة على وجه الخضوع .

قوله تعالى :

﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا
 أَقُولُ إِنِّي مَلِكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدِرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ
 اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الْضَالِّينَ ﴾ (٣١) آية
 بلا خلاف .

في هذه الآية تمام الحكاية عما قال نوح لقومه وحاجهم به ، وهو أن قال لهم
 مضافاً الى ما مضى حكايته « ولا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول
 اني ملك ، والمعنى اني لا ارفع نفسي فوق قدرها ، فادعي ان عندي خزائن الله من
 الأموال فأعطيكم منها واستطيل عليكم بها ، أو اقول اني اعلم الغيب ، أو اقول لكم اني
 ملك روحاني غير مخلوق من ذكر واتى بخلاف ما خلقني الله ، بل انا بشر مثلكم وانما
 خصني الله بالرسالة وشرفني بها .

وقيل معنى خزائن الله مقدراته لأنه يوجد منها ما يشاء . وفي وصفها بذلك

بلاغته .

وقيل « لا اقول لكم عندي خزائن الله » فدعوكم الى ان اعطيكم منها ، ذكره

ابن جريج .

و (الغيب) ذهب الشيء عن الإدراك ، ومنه الشاهد خلاف الغائب . وإذا قيل علم الغيب معناه علم من غير تعلم ، وهو جميع الغيب ، وعلى هذا لا يعلم الغيب إلا الله تعالى .

وقوله « ولا أقول للذين تزددري أعينكم » أي لست أقول للذين احتقرتهم أعينكم . و (الأزدراء) الافتعال من الزرابة ، يقال : زريت عليه إذا عبته ، وازريت عليه إذا قصرت به ، والأزدراء الاحتقار .

وقوله « لن يؤتيهم الله خيراً » معناه لا أقول لهؤلاء المؤمنين الذين احتقرتموهم أنهم لا يعطيهم الله في المستقبل خيراً من أعمالهم ، ولا يثيبهم عليها ، من حيث لا علم لي بباطنهم بل الله أعلم بما في أنفسهم هل هم مؤمنون في باطنهم أم لا ، ومتى قلت لا يعطيهم خيراً كنت إذا من الظالمين الذين ظلموا أنفسهم وغيرهم .

قوله تعالى :

﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا

إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (٣٢) آية .

في هذه الآية حكاية عما قال قوم نوح لنوح جواباً عما قاله لهم فيما تقدم « يا نوح قد جادلنا ، أي خاصمتنا وحاججتنا فأكثرت مجادلنا ، وروي فأكثرت جدالنا - والمعنى واحد ، فلسنا نؤمن لك « فأتنا بما تعدنا » من العذاب « ان كنت من الصادقين » فيما تقوله على الله تعالى .

وحقيقة المجادلة المقابلة بما يقبل الخصم من مذهبه بالحجة أو شبهها ، وهو من الجسد لشدة القتال ، ويقال للخصم اجدل ، لأنه أشد الطير . و (الاكثار) الزيادة على مقدار الكفاية . و (الاقلال) النقصان عن مقدار الكفاية .

والفرق بين الجدال والحجاج ان المطلوب بالحجاج ظهور الحجة ، والمطلوب بالجدال الرجوع عن المذهب .

والمراد مذموم لانه مخاصمة في الحق بعد ظهور الحق ككري الضرع بعد دروره ، وليس كذلك الجدال .

وفي الآية دلالة على حسن الجدال في الدين ، لانه لو لم يكن حسناً لما استعمله نوح مع قومه ، لان الانبياء لا يفعلون إلا ما يحسن فعله .

قوله تعالى :

﴿ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا آتَمُّ بِمُجْزِينَ ﴾ (٣٣)

آية بلا خلاف .

فأجابهم نوح (ع) عما قالوه فقال انما يأتي بالعذاب الله تعالى دون غيره ، يأتي به متى يشاء ، ولستم تقوتونه هرباً ،

ومعنى (انما) اختصاص ما ذكر لمعنى دون غيره ، تقول : انما زيد كريم أي هو كريم دون غيره ، وانما دخل (انما) بمعنى الاختصاص بالمذكور دون غيره ، لأنها لتحقيق المعنى ، ومن تحقيقه أن يكون لها دون غيره إذ المشترك لم يحقق على شيء بعينه ، واذا دخلت (انما) هذه على (اسم) كان الاسم مرفوعاً ، لأن (ما) كافة للعامل ، ولولا ذلك لما دخلت على الفعل ، والاعجاز هو الفوت بالهرب .

وفي الآية دلالة على أن المجادلة تقوم بها الحجة على مخالف الحق ، لأنه لو لم تقم بها الحجة ما جادلهم نوح ولما قال الله تعالى للنبي (ص) « وجادلهم بالتي هي احسن (١) »

قوله تعالى :

﴿ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ

يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٣٤) آية بلا خلاف .
هذه الآية عطف على قول نوح إنما ياتكم بالعذاب الله ان شاء ولستم تفوتونه ،
« ولا ينفمكم نصحي » .

ويحتمل قوله « يريد ان يغويكم » امرين :

احدهما - ان كان الله يريد ان يخيبكم من رحمته بأن يجرمكم ثوابه ، ويعاقبكم
لكفركم به ، ولا ينفمكم نصحي يقال : غوى يغوي غياً ، ومنه قوله تعالى « فسوف
يلقون غياً » (١) اي خيبة وعذاباً وقال الشاعر :

فمن يلق خيراً أ محمد الناس أمره ومن يغولاً يعدم على الغي لأمماً (٢)

فلما كان الله قد خيب قوم نوح من رحمته وثوابه وجنته أعلم نبيه نوحاً بذلك في قوله
« ان يؤمن من قومك الا من قد آمن » (٣) وانهم سيصيرون الى خيبة وعذاب ،
اخبرهم الله بذلك على لسان نبيه ، فقال « ولا ينفمكم نصحي » مع اتيانكم ما يوجب
خيبتكم والعذاب الذي جره عليكم قبيح أفعالكم ، ويريد الله اهلاككم وعقوبتكم على ذلك ،
وحكي عن طي انها تقول اصبح فسلان غاويأ اي مريضاً . وحكي عن غيرهم سماعاً منهم
أغويت فلاناً اهلكته ، وغوى الفصيل اذا فقد اللبن فمات ، بكسر الواو في الماضي ، وفتحها
في المستقبل ، ومنه قوله تعالى « وعصى آدم ربه فغوى » (٤) اي خاب من الثواب الذي
كان يحصل له بتركه .

والوجه الثاني - ان يكون جرى على عادة العرب في تسمية العقوبة باسم الشيء
المعاقب عليه ، فيكون المعنى ان كان الله يريد عقوبتكم على اغوائكم الخلق واطلالكم
اياهم ، فسمى عقوبته اياهم على اغوائهم اغواءً كما قال « وجزاء سيئة سيئة » (٥) « ومكروا

(١) سورة مريم آية ٥٩ (٢) سر تخريجه في ٢ : ٣١٢ وهو في مجمع البيان ٣ : ١٥٤

(٣) سورة هود آية ٣٦ (٤) سورة طه آية ١٢١ (٥) سورة الشورى آية ٤٠

ومكر الله (١) و«الله يستهزى بهم» (٢) ونظائر ذلك كثيرة . ومثله قوله حكاية عن ابليس « بما اغويتني » (٣) فإنه يحتمل هذين الوجهين ، الاول يحتمل ان يكون فباخبيتني ، والثاني فيما جازيتني على اغواء الخلق عن الهدى ، ولا يجوز أن يكون المراد بذلك ان يجعلهم كفاراً على ما يذهب اليه المجرة ، لان الاغواء بمعنى الداء الى الكفر أو فعل الكفر لا يجوز عليه تعالى لقبحه كقبح الامر بالكفر .

والنصح اخلاص العمل من الفساد على الاجتهاد فيه . والنصح نقيض الغش . وكان نصح نوح لقومه إعلامهم موضع النهي ليتقوه ، وموضع الرشد ليتبعوه . وانما شرط النصح بالارادة - في قوله « ان اردت ان انصح » مع وقوع هذا النصح - استظهار آفي الحجة لانهم ذهبوا الى انه ليس بنصح ، فقال لو كان نصحاً ما نفع من لا يقبله .

وقوله « هوربكم واليه ترجعون » اخبار من نوح ان الله الذي عذبكم وخيبكم من رحمته هو الذي خلقكم ويميتكم ثم يردهم بان يحييكم ليعجزاكم على افعالكم ويعاقبكم على كفركم بنعمه حيث لا ينفعكم استدراك ما فات ، ولا ينفعكم الندم على ما مضى .

وقال الحسن معنى الآية ان كان الله يريد ان يعذبكم وينزل بكم عذابه فانتم عند ذلك لا ينفعكم نصحي لان الله تعالى لا يقبل الايمان عند نزول العذاب . وقال بعض العلماء : ان قوم نوح كانوا يعتقدون ان ما هم عليه بارادة الله لولا ذلك لغيره واجبرهم على خلافه ، فقال نوح على وجه الانكار عليهم والتعجب من قولهم ان نصحي لا ينفعكم ان كان القول كما تقولون وتمنقدونه ، حكى ذلك البخاري .

(١) سورة آل عمران آية ٥٤ (٢) سورة البقرة آية ١٥

(٣) الاعراف آية سورة ١٥ و سورة الحجر آية ٣٩

قوله تعالى :

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتِرَاءُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتَهُ فَعَلِيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَجْرِمُونَ ﴾ (٣٥) آية بلا خلاف .

معنى قوله « أم يقولون » اخبار من الله تعالى بان هؤلاء الكفار الذين ليس يقبلون ما أتاهم به من عند الله يقولون ليس هذا القرآن من عند الله بل افتراء وتخرصه وكذبه على الله ، فمعنى (أم) في الآية (بل) ، فأمر الله تعالى نبيه (ص) أن يقول لهم إن افتريته ، فعلى اجرامي .
وقيل في معناه قولان :

احدهما - انه وعيد ، باني ان كنت افتريته فيما أخبركم به من الخبر عن نوح فعلى عقاب جرمي ، وان كانت الأخرى فعليكم عقاب تكذبي ، وستعلمون صدق قولي واينا الاحق .

الوجه الثاني - انه قال ذلك على وجه الاحتجاج بصحة أمره بأن لا يتقول مثل هذا مع ما فيه من العذاب في الآخرة والعار في الدنيا مع انه ذو امانة وصيانة . وهو في خطاب محمد (ص) .

وقوله « وانا بريء مما تجرمون » معناه ليس علي من اجرامكم ضرر وانما ضرر ذلك عليكم فاعملوا بحسب ما يقتضيه العقل من التفكير في هذا المعنى .

والفرق بين افتراء الكذب وبين قول الكذب ان قول الكذب قد يكون على وجه تقليد من الانسان لغيره ، واما افتراؤه فهو افتعاله من قبل نفسه .

ومعنى اجرم اذنب ومثله جرم قال النميري حار الزبرقان :

طريد عشيرة ، ورهين ذنب
بما جرمت يدي وجنى لعاني (١)

(١) تفسير الطبري ١٢ : ١٨ والقرطبي ٩ : ٢٩ واللسان والتاج (جرم) وبجاز

ومعنى اجرم افترف السيئة بفعلها لأنه من القطم ، وأذنب اي تشبه بالذنب في
المعقوط ، وجرم واجرم في الماء ثم اكثر ، قال الشاعر :
كذا الناس مجروم عليه وجارم

قوله تعالى :

﴿ وَآوْحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ
قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (٣٦) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى في هذه الآية انه اوحى الى نوح ، وقال له انه ان يؤمن احد
من قومك في المستقبل اكثر من الذين آمنوا ، فلا تبتئس أي لا تنقم ولا يلحقك حزن
لاجلهم ، يقال ابتأس ابتأساً فهو مبتئس ، وقد يكون البؤس النفر ، والابتأس حزن
في الاستكانه انشد ابو عبيده .

ما يقسم الله اقبل غير مبتئس منه واقعد كبرمانعم البال (١)
واصله البؤس وهو الفقر والمسكنة . ولما اعلم الله نوحاً (ع) أن احداً من
قومه لا يؤمن فيما بعد ، ولا من نسلهم قال « رب لا تذر على الارض من الكافرين دياراً
انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً » (٢) ذكره قتادة وغيره . والمقل
لا يدل على أن قوماً لا يؤمنون في المستقبل وإنما طريق ذلك الصمم ، وقد يغلب في
الظن ذلك مع قيام التجوز ، ألا ترى انه يغلب في ظنوننا أن الروم مع كثرتهم
لا يؤمنون جملة إلا انه ليس بمتنم مع ذلك أن يؤمنوا ، لان الله كلفهم الايمان ، فلولم
يكن ذلك جائزاً لما كلفهم .

(١) قائله حسان ديوانه ٣٢٦ ﴿ شرح البرقوقي ﴾ واللسان (باس) وجمع البيان ٣ : ١٥٦

(٢) سورة نوح آية ٢٦ - ٢٧

قوله تعالى :

﴿ وَأَصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِينَا وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا
إِنَّهُمْ مُفْرَقُونَ ﴾ (٣٧) آية بلا خلاف .

في هذه الآية اخبار من الله تعالى عما أمر به (عز وجل) نوحاً (ع) - حين
أياسه من ايمان قومه فيما بعد ، وانه مهلكهم بالطوفان - بأن يتخذ الفلك ويصنعها
والصنع جعل الشيء موجوداً بعد أن كان معدوماً ، ومثله الفعل ، وبفصلان من
الحدوث من حيث أن الصنعة تقتضي صانعاً ، والفعل يقتضي فاعلاً من حيث اللفظ .
وليس كذلك الحدوث ، لانه يفيد تجدد الوجود لا غير .

اللغة :

والصناعة الحرفة التي يكتب بها . والفلك السفينة ويكون ذلك واحداً وجمعاً ،
كما قيل في أسد و اسد قالوا في فلك وفلك ، لان (فعلا وفعلا) جمعها واحد ، وبأتيان
بمعنى واحد كثيراً يقال : عجم وعجم وعرب وعرب ، ومثله فلك وفلك . والفلك والفلكة
يقال لكل شيء مستدير او شيء فيه استدارة ، وتفلك تدي المرأة إذا استدار ،
ومنه الفلك .

وقوله « باعيننا » معناه بحيث تراها وكأنها ترى بأعين على طريق المبالغة والمعنى
بمحافظة إياك حفظ من براك ويملك دفع السوء عنك .

المعنى :

وقال الجبائي باعين اوليائنا من الملائكة الذين يعلمونك كيفية عملها ، والموكلين بك .
وقيل معناه بعلمنا . وقوله « ووحينا » اي على ما اوحينا اليك من صفتها وحالها .
قال ابن عباس امره الله تعالى ان يبنيها على هيئته جؤجؤ الطائر ويجوز ان يكون

المراد بوحينا اليك ان اصنعها .

وقوله « ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مفروقون » نهي لنوح (ع) ان يراجع الله تعالى ويخاطبه ويسأله في امرهم بأن يعذبهم ، ويؤخر إهلاكهم ، لأنه حكم بأهلاكهم واخبر بأنه سيفرقهم ، فلا يكون الامر بخلاف ما اخبر به . ويجوز الامر بما علم انه لا يكون ، ولا يجوز ان يدعوا بما يعلم انه لا يكون ، لان في ذلك ايهاً بأنه لا يرضى باختياره ، وليس كذلك الامر ، لأنه يتناول من يجوز عليه هذا المعنى . وكسر (انهم) على الابتداء .

قوله تعالى:

﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكَلَّمَا مَرْءًا عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ ۗ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنِّي فَإِنَّا نَسْخَرُوا مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (٣٨) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾

آيتان بلاخلاف .

اخبر الله تعالى في هذه الآية عن نوح انه اخذ في عمل السفينة ، قال الحسن كان طولها الف ذراع ومئتي ذراع وعرضها سبعمائة ذراع . وقال قتادة كانت طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراع وارتفاعها ثلاثين ذراعاً وبابها في عرضها . وقال ابن عباس كانت ثلاث طبقات : طبقة للناس ، وطبقة للطير وطبقة للدواب والوحش .

وقوله « وكلمنا مرءاً عليه ملاء من قومه سخروا منه » اخبار من الله عن اشرف قومه ورؤسائهم انهم كلما اجتازوا به وهو يعمل السفينة هزءوا من فعله . وقيل إنهم كانوا يقولون : يا نوح صرت نجاراً بعد النبوة على طريق الاستهزاء .

وقال الرماني: السخرية اظهار خلاف الباطن على جهة يفهم منها استضعاف العقل

ومنه التسخير : التذليل استضماماً بالقهر .

والفرق بين السخرية واللعب ان في السخرية خديعة واستنقاصاً ، ولا يكون الا لحيوان ، وقد يكون اللعب بجهاد لانه طلب الفرجة من غير مراعاة لما يمتب ، كعمل الصبي وانما كانوا يسخرون من عمل السفينة ، لانه كان يعملها في البر على صفة من الهول ولا ماء هناك يحمل مثلها فكانوا يتضحكون ويتعجبون من عمله .
وقوله « انا نسخر منكم كما تسخرون » جواب من نوح لهم بأنا نسخر منكم يعني ندمكم على سخرتكم ، وسماه سخرية ، كما قال « وجزاء سيئة سيئة مثلها » (١) وقوله « ومكروا ومكر الله » (٢) واطلق عليه اسم السخرية على وجه الازدواج .
وقال قوم معناه ان تستجهلونا في هذا الفعل فاننا نستجهلكم ، كما تستجهلون ، ذكره الزجاج .

وقوله « فسوف تعلمون » (سوف) ينقل الفعل عن الحال الى الاستقبال مثل السين سواء الا ان فيه معنى التسويف وهو تعليق النفس بما يكون من الامور .
وقوله « من يأتيه عذاب » قيل في معنى (من) قولان :
احدهما - ان يكون بمعنى اي ، كما انه قال فسوف تعلمون اينا يأتيه عذاب يخزيه .
الثاني - ان يكون بمعنى الذي ، والمعنى واحد .
و (من) اذا كانت استفهاماً استغنت عن الصلة ، واذا كانت بمعنى الذي فلا بد لها من الصلة ، كما استغنت (كم . وكيف) لان البيان مطلوب من المسئول دون السائل .

الخزي العيب الذي يظهر فضيحته والعار به ، ومنه الذل والهوان .
وقوله « وبحل عليه » معناه ينزل عليه . وقال الرماني الحلول النزول للمقام وهو من الحل خلاف الارتحال . وحلول المرض وجوده في الجوهر من غير شغل حيز .

(١) سورة الشورى آية ٤٠ (٢) سورة آل عمران آية ٥٤

وقوله « عذاب مقبم » اي دائم لا يزول .

قوله تعالى :

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ ۗ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَاهْلِكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ (٤٠) آية بلا خلاف .

قرأ حفص « من كل زوجين » بتنوين في اللام هنا ، وفي المؤمنون . وقال ابو الحسن يقال للثنتين هما زوجان ، قال الله تعالى « ومن كل شيء خلقنا زوجين (١) » يقال للمرأة زوج ، وللرجل زوجها قال الله تعالى « وخلق منها زوجها » (٢) وقال « امسك عليك زوجك » (٣) وقال بعضهم زوجة . قال الاخطل :

زوجية اشمط مرهوب بوادره قد صار في رأسه التنخومص والنزع (٤)

وقال ابو الحسن يقال للثنتين هما زوج . قال ابو علي الفارسي بدل على أن الزوج يقع للواحد ، قوله « ثمانية أزواج من الضان اثنتين ومن المعز اثنتين » الى قوله « ومن الابل اثنتين ومن البقر اثنتين » (٥) وقال الكسائي اكثر كلام العرب بالهاء وقال القاسم بن معن : انه سمعها من العرب من اسد شنوءة ، وليس في القرآن بالهاء ، وهو أفصح من اثباتها عند البصريين .

ومن قرأ بالاضافة كان قوله « اثنتين » مفعول الحمل . والمعنى احمل من الأزواج إذا كانت اثنتين اثنتين زوجين ، فالزوجان من قوله « من كل زوجين » يريد بها الشيع ،

(١) سورة الذاريات آية ٤٩ (٢) سورة النساء آية ١

(٣) سورة الاحزاب آية ٣٧ (٤) ديوانه ٦٩ . الشمط : البياض مع السواد ،

وإذا بدا في رأسه البياض قيل : خوصه الشيب . والنزع : الصلع .

(٥) سورة الانعام آية ١٤٣ - ١٤٤

ولا يراد به الناقص من الاثنين ، ومنه قول الشاعر:

فما لك بالامر الذي لا تستطيع بدار

ومن نون حذف المضاف من (كل) والمعني من كل شيء أو من كل زوج زوجين اثنين ، فيكون انتصاب اثنين على أنه صفة لزوجين ، وذكر تأكيذا كما قال «الهيذانين» (١) . اعلم الله نوحاً في هذه الآية أن وقت هلاك قومه الكفار فور التنور ، وفي (التنور) اقوال :

منها ان الماء اذا طار من التنور الذي يخبز فيه .

وقيل التنور عين ماء معروفة ، وتنور الخابزة وافقت فيه لغة العرب لغة المعجم .

وقيل ان التنور وجه الارض ، ذكره ابن عباس ، واختاره الزجاج .

وقيل التنور تنور الصبح ، روي ذلك عن علي (ع) .

و (حتى) متعلقة بقوله « واصنع الفلك بأعيننا ووحينا . . . حتى » .

اخبر الله تعالى انه لما جاء امره باهلاك قوم نوح (ع) لاستحقاقهم ذلك

بالكفر ، وطار التنور يعني خروج الماء من موضع لم يمهّد خروجه منه علامة لنوح (ع)

وهو تنور الخبز - في قول ابن عباس والحسن ومجاهد - وقيل هو تنور آدم (ع) ويقال

طار اذا ارتفع ما فيه ، كما يفور القدر بالغليان ، طار ، يفور ، فوراً . وقال ابن عباس :

طار إذا نبع .

وقوله « قلنا حمل فيها من كل زوجين اثنين » اخبار منه تعالى انه امر نوحاً ان

يحمل معه في سفينته من كل جنس زوجين ، والزوج واحد له شكل إلا انه قد كثر على

الرجل الذي له امرأة ، قال الحسن في قوله « من كل شيء خلقنا زوجين » قال سماه

زوج والارض زوج والشتاء زوج ، والصيف زوج ، والليل زوج ، والنهار زوج ، حتى

يصير الامر الى الله الفرد الذي لا يشبهه شيء . قال الاعشى :

وكل زوج من الديباج تلبسه ابو قدامة محبواً بذاك معاً (١)
وقوله « واهلك » معناه واحمل معك « اهلك » إلا من سبق عليه القول بالاهلاك .
قال الضحاك وابن جريج هو ابنه وامرأته .

وقوله « ومن آمن » تقديره واحمل من آمن . ثم اخبر تعالى فقامال « وما آمن
معه الا قليل » . قال ابن جريج القليل الذين نجوا معه كانوا ثمانية وقال الاعمش كانوا
سبعة ، وقال ابن عباس كانوا ثمانين ، وكان فيهم ثلاثة : بنيه : يافث وسام وحام ، وثلاث
كذائن له ، يافث جد الترك ، والروم والصقالبة ، واصناف البيضان . وحام جد الموذان
وهم الحبش والنوبة والزنج وغيرهم . وسام ابو فارس واصناف المعجم .

قوله تعالى :

﴿ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللّٰهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا اِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٤١) آية .

القراءة والأعراب والحجة :

قرأ حمزة والكسائي « مجراها » بفتح الميم . الباقلون بضمها ، وكلهم ضم ميم مرساها .
ومن ضمها قابل بينها وبين مرساها لما بينها من المشاكلة . ومن فتح ، فلانه قال بعده
« وهي تجري » ومن اختار الاول ، قال التقدير اجري فجرت .
قال ابو علي الفارسي يجوز في « بسم الله مجراها ومرساها » ان يكون حالا
من شيئين :

احدهما - ان يكون من الضمير الذي في (اركبوا) ومن الضمير الذي في
(فيها) ، فان جعلت « بسم الله مجراها » خبر مبتدأ مقدم في قول من لا يرفع بالظرف ،
(١) ديوانه ٨٦ وتفسير القرطبي ٩ : ٣٥ . ومعنى البيت ان ابا قدامة يعطى كل
ما تعطاه .

او جعلته مرتفعاً بالظرف ، ولم يكن قوله « بسم الله مجراها » إلا جملة في موضع الحال من الضمير الذي في (فيها) ولا يجوز ان يكون الضمير في قوله « اركبوا فيها » لانه لا ذكر فيها يرجع الى الضمير الا ترى ان الظرف في قول من يرفع به ارتفع به الظاهر ، وفي قول من رفع مثل هذا بالابتداء قد حصل في الظرف ضمير المبتدأ ، فاذا كان كذلك خلت الجملة من ضمير يعود من الحال الى ذي الحال . واذا كان كذلك لم يكن الا حالا من الضمير الذي في (فيها) .

ويجوز ان يكون قوله « بسم الله » حالا من الضمير الذي في (اركبوا) على ان لا يكون الظرف خبراً عن الاسم الذي هو (مجراها) على ما كان في الوجه الأول ، ويكون المعنى اركبوا الآن متبركين بسم الله في الوقتين الذين لا ينفك الراكبون فيها منها من الارساء والاجراء ، وليس يريد اركبوا في وقت الجري والرسو ، فوضع مجراها نصب على هذا الوجه بأنه ظرف عمل فيه على المعنى . وفي الوجه الاول رفع بالابتداء وبالظرف .

ومن فتح الميم فلانه قال « وهي تجري » ومن ضم ، فلان جرت بهم واجري بهم متقاربان في المعنى ، ويقال جرى الشيء وجريت به واجريته ، وانما ضموا الميم من (مرساها) لقوله « اياها مرساها » (١) وقوله « والجبال ارساها » (٢) ومن امال او ترك الامالة ، فكلاهما حسنان .

المعنى واللغة

اخبر الله تعالى عما قال نوح حين دنا ركوبهم السفينة « اركبوا فيها » يعنى في السفينة ، والركوب العلو على ظهر الشيء . فنه ركوب الدابة وركوب السفينة ، وركوب البر وركوب البحر .

(١) سورة الاعراف آية ١٨٦ وسورة النازعات آية ٤٢ (٢) سورة النازعات آية ٣٢

والعامل في « بسم الله » يحتمل ثلاثة اشياء : احدها (اركبوا) ، والثاني أبتدؤا
ببسم الله . والثالث - أجزاها وأرساها .
والمجري يحتمل ثلاثة اوجه : احدها - ان يكون موضع الاجراء . والثاني وقت
الاجراء . والثالث - نفس الاجراء .
وقيل كان اذا اراد أن تجرى قال « بسم الله » فجزت ، فاذا اراد أن ترسو قال
« بسم الله » فرست ذكره الضحاك قال ليبيد :

عمرت حين ثلاثاً قبل مجرى : احس لو كان للنفس اللجوج خلود (١)
والارساء امسك السفينة بما تقف عليه ، ارساها ارساء ورست ترسو قال غنتره :
فصرت نفساً عند ذلك حرة ترسو إذا نفس الجبان تطلمع (٢)
وقوله « ان ربي لغفور رحيم » اخبار منه تعالى حكاية عما قال نوح لقومه
« ان ربي لغفور رحيم » اي سائر عليهم ذنوبهم رحيم بهم منعم عليهم .
ووجه اتصال الآية بما قبلها انه لما ذكرت النجاة بالركوب في السفينة ذكرت
النعمة بالمغفرة والرحمة ليجتلب الطاعة كما اجتلب النجاة .

قوله تعالى :

﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي
مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ أَرَكِبْ مَعْنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴾ (٤٢) آية
بلا خلاف .

اخبر الله تعالى عن حال السفينة بعد الفرق انها كانت تجري على الماء في امواج

(١) ديوانه : ٢٥ واصلاح المنطق : ١٨٦ واللسان والنتاج (جرى) وبجاز القرآن

٢٨٨ وغيرها .

(٢) ديوانه طبع (دار بيروت) : ٢٩ والدار المنشور ٣ : ٣٣٨ وروية الديوان

فصبرت عارفة لذلك حرة ترسوا إذا نفس الجبان تطلمع

كالجبال .

والجري مسرير كمر الماء على وجه الارض . والسفينة تجري بالماء والفرس يجري في عدوه ، ويقال هذه العلة تجري في احكامها اي تمر فيها من غير مانع منها . والموج جمع . ووجه وهي قطعة عظيمة ترتفع عن جملة الماء الكثير ، ومنه امواج البحر واعظم ما يكون اذا اشتدت به الريح ، وشبه الله تعالاه الامواج بالجبال في عظمها ، والجبل جسم عظيم الغلظ شاخص من الارض هو لها كالوتد في عظمه ، وجمعه اجبال وجبال وقوله « ونادى نوح ابنه وكان في معزل » فالمعزل موضع منقطع عن غيره . وكان ابن نوح في ناحية منقطعة عنه حين ناداه وقرا « يا بني اركب » بفتح اليا « بالاقون بكسرها . وفي قوله « يا بني » ثلاث ياءات ، ياء التصغير ، وياء الاصل ، وياء الاضافة . وفي قوله « يا بني ان الله اصطفى لك الدين ، (١) يا آن ، ياء الجمع وياء الاضافة .

قال ابو علي الفارسي : الوجه كسر الياء ، لان السلام من (ابن) ياء او واو ، وحذفت من (ابن) كما حذفت من (اسم) فاذا حقرت ألحقت ياء التحقير ، ولم أن ترد اللام الذي حذفت لانك لو لم تردها لوجب ان تحرك ياء التصغير بحركات الاعراب ، وهي لا تحرك أبداً بحركات الاعراب ولا غيرها ، فاذا أضفته الى نفسك اجتمعت ثلاث ياءات : ، الاولى التي للتحقير ، والثانية لام الفعل ، والثالثة هي التي للاضافة تقول بني ، فاذا ناديت جاز فيه وجهان : اثبات الياء وحذفها ، فمن قال يا عبادي فأثبت الياء فقياسه أن يقول يا بني ، ومن قال يا عباد يقول يا بني حذفت التي للاضافة ، وابقيت الكسرة دلالة عليها . وهذا هو الجيد عندهم . ومن فتح الياء اراد الاضافة كما ارادها في قوله يا بني اذا كسر الياء التي هي آخر الفعل ، كأنه قال يا بني ثم أبدل من الكسرة الفتحة ، ومن الياء الالف ، فصار (يا بني) كما قال :

يا بنت عما لا تلومي واهجمي (١) .

ثم حذفت الالف كما كانت تحذف الياء في يابني انها ، وقد حذفت الياء التي للاضافة
اذ ابدت الالف منها قال ابو الحسن :

فلست بمـدرك ما فأت مني بلهف ولا بليت ولا لواني (٢)

كذلك سمع من العرب ، فقوله بلهف انما هو بلهفا ، فحذفت الالف . قال ابو
عثمان ووضع الالف مكان الياء في الاضافة مطرد وأجاز يازيد اقبل اذا اردت الاضافة

قوله تعالى :

﴿ قَالَ سَأُوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَمْعَصِنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ
مِنَ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمَغْرِبِينَ ﴾
(٤٣) آية بلا خلاف .

حكى الله تعالى في هذه الآية ما أجاب ابن نوح أباه (ع) فانه « قال سأوي الى
جبل يعصمني من الماء » اي سأرجع الى مأوى من جبل يعصمني من الماء اي يمنعني
منه ، يقال أوى يأوى أوياً إذا رجع الى منزل يقيم فيه و (العصمة) المنع من الآفة
والمعصوم في الدين الممنوع بالالطف من فعل القبيح لاعلى وجه الحيلولة .
فان قيل كيف دعا نوح ابنه الى الركوب معه في السفينة مع أن الله تعالى نهاه
ان يركب فيها كافراً ؟

قلنا : فيه جوابان : احدهما - أنه دعاه الى الركوب بشرط أن يؤمن . الثاني - قال
الحسن والجبائي انه كان ينافق باظهار الايمان .

فان قيل : هلا كان ما صار اليه ابن نوح من تلك الحال الهائلة الجاه ؟

(١) بجمع البيان ٣ : ١٦٢ (٢) بجمع البيان ٣ : ١٦٢ . واللسان (لطف) ومعنى
البيت ان الذي فات لا يدرك بقول : والهفا ، وقول لو أني فعلت كذا لما صار كذا

قلنا : لا لان الالهاء لا يكون إلا بأحد شيئين :

احدها - بأن يخلق فيه العلم بأنه متى رام خلافه منم منه .

الثاني - تتوفر الدواعي من ترغيب او ترهيب ، ولم يحصل له واحد من الأمرين ، لأنه جوز أن يكون من عجائب الزمان ، وأنه وقع الى نوح علم به ، فتقدم فيه .
وقوله « لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم » حكاية لما قال نوح لولده حين « قال ساوى الى جبل يعصمني من الماء » بأنه لا مانع اليوم من امر الله واستثني من رحم ، وقيل فيه ثلاثة اقوال :

احدها - انه استثناه منقطع ، كأنه قال من رحم فانه معصوم .

الثاني - لا عاصم إلا من رحمتنا برحمة الله سبحانه لنا كأنه قال لا عاصم إلا الله فنجا ، وهو نوح (ع) ، وهو اختيار ابي علي النحوي . وقال لانه يحتمل أن يكون (عاصم) بمعنى معصوم مثل دافع بمعنى مدفوق ، فيكون الاستثناء متصلا .
وقال ابن كيسان لما قال (لا عاصم) كان معناه لا معصوم ، لان في نفي العاصم نفي المعصوم ثم قال « إلا من رحم » فاستثناه على المعنى ويكون متصلا .
وقوله « وحال بينها الموج » اخبار منه تعالى انه حال بين نوح وولده الموج ، « فكان من المفرقين » .

قوله تعالى:

﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ
وَقَضِيَ الْأَمْرُ وَأُسْتُوتَ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾
(٤٤) آية بلا خلاف .

حكى الله تعالى في هذه الآية قصة نوح وقومه بأوجز لفظ وأبلغه ، وبلوغ الغاية

التي لا تدانيها بلاغة ولا تقاربها فصاحة ، لان قوله « وقيل يا ارض ابلعي ماءك »
اخبار منه عن اذهاب الماء عن وجه الأرض في اوجز مدة فجرى ذلك مجرى ان
قال لها ابلعي فبلعت .

والبلع في اللغة انتزاع الشيء من الحلق الى الجوف ، فكانت الارض تبلع الماء
هكذا حتى صار في بطنها الغراء ، يقال بلعت وبلعت يفتح اللام وكسرهما .

وقوله « ويا سماء اقلعي » اخبار ايضاً عن اقشاع السحاب ، وقطم المطر في
اسرع وقت ، فكأنه قال لها اقلعي فأقلعت .

والاقلاع اذهاب الشيء من اصله حتى لا يبقى منه شيء . واقلم عن الأمر اذا
تركه رأساً .

وقوله « وغيض الماء » اي اذهب به عن وجه الارض الى باطنها ، يقال غاض
الماء يغيض غيضاً اذا ذهب في الارض .

وقوله « وقضى الامر » معناه اوقع الهلاك بقوم نوح على تمام . والقضاء وقوع
الأمر على تمام واحكام .

وقوله « واستوت على الجودي » جبل معروف قال الزجاج بناحية امد ، وقال
غيره بقرب جزيرة الموصل ، قال زيد بن عمر بن نفيل :
وقبلنا سبج الجودي والجمد .

وقيل : ارست على الجودي شهراً ، وقال قتادة اهبطوا يوم عاشوراء* .
وقوله « وقيل بعنا للقوم الظالمين » معناه ابدعهم الله من الخير بعداً ، على وجه
الدعاء . ويجوز ان يكون الله تعالى قال لهم ذلك . ويجوز ان يكون المؤمنون دعوا
عليهم بذلك ، وهو منصوب على المصدر .

وقيل في هذه الآية وجوه كثيرة من عجيب البلاغة :

منها انه خرج مخرج الامر على جهة التعظيم من نحو « كن فيكون » (١) لانه
من غير معاناة ، ولا لغوب .

ومنها حسن تقابل المعنى . ومنها حسن ائتلاف الالفاظ . ومن ذلك حسن
البيان في تصوير الحال .

ومنها الايجاز من غير اخلال ، ومنها تقبل الفهم على اتم الكمال الى غير ذلك مما
عليه هذا الكلام في الحسن العجيب واللفظ البديع .

قوله تعالى :

﴿ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ
وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴾ (٤٥) آية بلا خلاف .

حكى الله تعالى عن نوح أنه حين رأى قومه قد اهلكهم الله تعالى « فقال يارب
ان ابني من اهلي وان وعدك الحق » لأنه تعالى كان وعده بأنه ينجيه وأهله ، وامره
بأن يحملهم معه في الفلك في قوله « قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك » فسأل
نوح ربه ان ابنه ان كان ممن وعده بنجاته ان ينجيه ، فسأله بهذا الشرط ، لانه لا يجوز
ان يسأل نبي من انبياء الله امراً لا يجاب اليه ، وخاصة على رؤس الملأ ، لان ذلك ينفر
عنهم . وانما يجوز ان يسأل بما يظهر له بشرط مقترن بالكلام وحال يدل عليه ، فيعرف
انه لم يحصل الشرط .

والرب والمالك واحد . وقيل إن الرب المالك للشيء من كل وجه يصح ان
يملك به ، وهو اسم الملك ، ولا تصح الصفة به على الاطلاق إلا لله تعالى . والانسان قد
يكون مالكا بالاطلاق .

(١) سورة البقرة آية ١١٨ وآل عمران : ٤٧ ، ٥٩ والانعام : ٧٣ والنحل : ٤٠ .

ومريم : ٣٥ ويس : ٨٣ والمؤمن : ٦٣ .

وقوله « و انت احكم الحاكمين » يعني في قولك وفعلك ، لأنه حق تدعو اليه
الحكمة ، فقال نوح ذلك على وجه الاعتراف تعظيما لله تعالى .

قوله تعالى :

﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا
تَسْأَلُنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾
(٤٦) آية بلا خلاف .

قرأ الكسائي وبعقوب « انه عمل غير صالح » على الفعل ، ونصب (غير) الكسائي .
الباقون « عمل » اسم مرفوع منون (غير) رفع .
وقرأ ابن كثير (تسألني) بالتشديد ، وفتح النون ، وافقه نافع في التشديد إلا انه
كسر النون . الباقون بالتخفيف والكسر من النون إلا ان ابا عمرو يثبت الياء في الاصل .
قال ابو علي النحوي (سالت) فعل يتعدى الى مفعولين وليس مما يدخل على
المبتدأ وخبره ، ويمتنع ان يتعدى الى مفعول واحد .
فن قرأ بفتح اللام ، ولم يكسر النون عداه الى مفعول واحد في اللفظ . والمعنى
على التعدى الى ثان .

ومن كسر النون دل على انه عداه الى مفعولين ، احدهما - اسم المتكلم والاخر -
الاسم الموصول ، وحذف النون المتصلة بيا المتكلم ، كما حذف من قولهم (اني) كراهة
اجتماع النونات .

ومن اثبت الياء فهو الاصل ، ومن حذفها اجز بالكسرة الدالة عليها .
في هذه الآية حكاية عما اجاب الله به نوحا حين سأله نجاه ابنه بأن قال له « يا نوح
انه ليس من اهلك . . . » وقيل في معناه ثلاثة اقوال :

احدها - قال ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك واكثر المفسرين : انه ليس من اهلك الذين وعدتك بنجاتهم معك ، وانه كان ابنه لصلبه بدلالة قوله « ونادى نوح ابنه ، فأضافه إليه اضافته مطلقاً .

والثاني - انه اراد بذلك انه ليس من اهل دينك ، كما قال النبي (ص) (سلمان منا اهل البيت) وانما اراد على ديننا .

وثالثها - قال الحسن ومجاهد انه كان لغيره ، وولد على فراشه فسأل نوح على الظاهر فأعلمه الله باطن الأمر فنفاه منه على ما علمه ، فيكون على هذا هو نفسه عمل غير صالح ، كما يقولون : الشمر زهير ، وهذا الوجه ضعيف ، لان في ذلك طعنا على نبي وإضافة ما لا يليق به إليه . والمعتمد الاول .

وقال ابن عباس ما زنت امرأة نبي قط ، وكانت الخيانة من امرأة نوح انها كانت تنسبه الى الجنون . والخيانة من امرأة لوط انها كانت تدل على اضافته .
وروي عن علي (ع) انه قرأ ، ونادى نوح ابنها فنسبه الى المرأة ، وأنه كان يريه .

وروي عن محمد بن علي ابن الحسين (عليه السلام) وعروة بن الزبير انها قرأ « ونادى نوح ابنه ، بفتح الهاء وترك الالف كراهية ما يخالف المصحف ، وأرادا أن ينسبها الى المرأة ، وأنه لم يكن ابنه لصلبه .

وقال الحسن كان منافقاً يظهر الايمان ويستر الكفر .

وقوله « انه عمل غير صالح » فمن قرأ على الفعل ، فعندنا انه ليس من اهلك ، لانه عمل غير صالح ، وتقديره انه عمل عملا غير صالح ، وحذف الموصوف واقام الصفة مقامه ، وذلك يستعمل كثير ، وهذه القراءة تقوي قول من قال إن ابنه لم يكن على دينه ، لأن الله تعالى علل كونه ليس من اهله بأنه عمل عملا غير صالح .

واما من قرأ على الرفع والتنوين على الاسم فتقديره انه ذو عمل غير صالح فجا
على المبالغة في الصفة كما قالت الخنساء :

ترتم ما رتمت حتى اذا ادكرت فانما هي اقبال وادبار (١) .

قال الزجاج تقديره ، فانما هي ذات اقبال وادبار ، تصف الناقة في حنينها الى
ولدها . وقبل ان المعنى ان سؤالك اياي هذا عمل غير صالح ذكره ابن عباس ومجاهد
وابراهيم ، وهذا ضعيف ، لأن فيه اضافة القبيح الى الانبياء (ع) وذلك لا يجوز
عندنا على حال ، فالاول هو الجيد .

ويحتمل ان يكون المراد ان كونك مع الكافرين وانحيازك اليهم وتركك الركوب
معي عمل غير صالح .

« وقوله فلا نسألتني ما ليس لك به علم ، معناه لا نسألتني ما لا تعلم انه جائز في
حكيم ، لان هذا من سؤال الجاهلين . نهاء عن ذلك ، ولا يدل على ان ما نهاء عنه
قد وقع ، كما ان قوله « لئن اشركت ليحبطن عملك » (٢) لا يدل على وقوع الشرك
وقوله « اني اعظك ان تكون من الجاهلين » فالوعظ الزجر عن القبيح عن ما يدعو
الى الجهل على وجه الترغيب والترهيب . والصحيح ان الجهل قبيح على كل حال .
وقال الرماني انما يكون قبيحاً إذا وقع عن عمد ، فاما إذا وقع غلطاً او سهواً
لم يكن قبيحاً ولا حسناً ، وهذا ليس بصحيح ، لأن استحقاق النعم عليه بشرط بالعمد
فاما قبحه فلا ، كما نقوله في الظلم سواً .

قوله تعالى :

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ إِنَّ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ۗ ﴾

(١) مر تخریجه فی ٢ : ٩٥ وهو فی تفسیر الفرطبی ٩ : ٤٩

(٢) سورة الزمر آية ٦٥

وَلَا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾ آية بلا خلاف .

في هذه الآية اخبار عما قاله نوح (ع) حين عرفه الله حال ولده ، وانه لا يستحق الغفران ، ووعظه بأن يكون من الجاهلين ، فانه قال « إني أعوذ بك ان اسالك ما ليس لي به علم » فالعبادة طلب النجاة بما يمنع من الشر يقال : عاذ يعوذ عوذاً وعباداً ، فهو عاوذ بالله والعبادة الاعتصام بما يمنع من الشر . والمعنى اني اعتصم بك ان اسالك ما لا أعلمه ، وانما اعتصم من ذلك لان ما يعلمه الانسان يجوز ان يكون حسناً ، ويجوز كونه قبيحاً ، ولا يحسن أن يسأل ما يجوز كونه قبيحاً وان شرط حسن السؤال . ويذمغي أن بشرط ان كان ما سأله حسناً فيحسن السؤال حينئذ .

قال الرماني ولا يحسن ان تسأل فتقول : اللهم احبي افاربي في دار الدنيا على ما يصح ويجوز ، لأنه قد دل الدليل على ان ذلك لا يحسن في الحكمة ، فلا يجوز ان يسأله بحال ، وانما جاز اطلاق ما ليس لك به علم مع انه قد علمه سؤالاً ، لان هذا العلم لا يعتمد به لان المراد علم ماله ان يسأله اياه .

وانما حذف (يا) من قوله « رب اني أعوذ بك » واثبتته في قوله « يا نوح » لان ذلك نداء تعظيم ، وهذا نداء تنبيه فوجب ان يأتي بحرف التنبيه . وقوله (به) يحتمل وجهين :

احدهما - ان يكون كقوله « وكانوا فيه من الزاهدين » (١) و « اني لك من الناصحين » (٢) و « انا على ذلكم من الشاهدين » (٣) قال ابوالحسن انما يجوز في حروف الجزاء ذلك ، لان التقدير فيه ، والتعلق بمضمرة تفسيره هذا الذي يظهر بعد ، وان كان لا يجوز تسليطه عليه . ومثله « يوم يروى الملائكة لا بشري يومئذ

(١) سورة يوسف آية ٢٠ (٢) سورة القصص آية ٢٠

(٣) سورة الحج آية ٥٦

للمجرمين» (١) فانتصب يوم يرون بما دل عليه لا بشرى يومئذ ، ولا يجوز فيما بعد (لا) هذه ان يتسلط على يوم وكذلك « ما ليس لك به علم ، يتعلق بما دل عليه (علم) المذكور وان لم يجز ان يعمل فيه .

والثاني - ان يكون متعلقاً بالمستقرو وهو العامل فيه كتعلق الظرف بالمعاني ، كما تقول ايس لك فيه رضا فيكون (به) في الآية بمنزلة (فيه) .

قوله تعالى:

﴿ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأَوَّامٍ سَنَعْتُهُمْ ثُمَّ بِمَسْئِمٍ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٤٨)

آية بلا خلاف .

في هذه الآية حكاية ما أمر الله تعالى به نوحاً حين استوت السفينة على الجبل ، وانه قال له « اهبط » اي انزل من الجبل ، فاهبوط نزول من اعلى مكان في الارض إلى ما دونه من السماء .

وقوله « بسلام منا » قيل في معناه وجهان :

احدهما - بسلامة منا وتحية منا ، قال لبيد :

الى الحول ثم اسم السلام عليكما
ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر (٢)

قيل انه بمعنى السلام عليكما .

والثاني - قيل معناه بتسليم منا عليك ، وقوله « وبركات عليك » معناه ونعم دائمة وخير ثابت حالا بعد حال ، وأصله الثبوت ، فنه البروك والبركة لثبوت الماء

(١) سورة الفرقان آية ٢٢ (٢) ديوانه ٢ : ١ واللسان (عذر) . يخاطب

الشاعر ابتداء .

فيها قال الشاعر:

ولا ينجى من الغمرات إلا
براكاه القتال أو الفرار (١)
اي الثبوت للقتال . ومعنى تبارك الله ثبت تعظيم ما لم يزل ولا يزال .
وقوله « وعلى امم ممن معك » فالامة الجماعة الكثيرة على ملة واحدة متفقة ،
لأنه من (أمه ، يؤمسه أما) اذا قصده او الاتفاق في المنطق على نحو منطق الطير .
والمأكل والمشرب والمنكح ، حتى قيل ان الكلاب أمه . وقيل في معناه هنا قولان :
احدهما - انه اراد الامم الذين كانوا معه في السفينة فأخرج الله أممًا من نسلهم
وجعل فيهم البركة .

والثاني - قال قوم يعنى بذلك الامم من سائر الحيوان الذين كانوا معه ، لان
الله تعالى جعل فيها البركة ، وتفضل عليها بالسلامة حتى كان منها نسل العالم .
وقوله « و امم سئمتهم ثم يمسه منا عذاب اليم » معناه انه يكون من نسلهم
امم سئمتهم الله في الدنيا بضروب من النعم فيكفرون نعمه ويحدون ربو بيته ،
فيهلكهم الله . ثم يمسه بعد ذلك عذاب مؤلم موجه ، وإنما رفع (امم) لأنه استأنف
الاخبار عنهم .

قوله تعالى :

﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ
وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٤٩) آية

بلا خلاف .

(١) قاله بشر بن ابى خازم اللسان (برك) ومعنى البيت انه لا ينجى من غمرات
الموت إلا الثبات في الحرب او الفرار . ومعنى براكاه - هنا - ساحة القتال . ويقال براك
بمعنى ابركوا .

الإشارة بقوله « تلك » إلى ما تقدم ذكره من أخبار نوح وقومه وما أحل الله لهم من الأهلك ، والتقدير تلك الأنبياء من أنباء الغيب ، ولو قال ذلك كان جائزاً ، لأن المصادر يكتب عنها بالتأنيث نارة وبالتذكير أخرى يقولون : قدم فلان ففرحت بها وفرحت به ، أي بقدمه أو بقدمته . والغيب ما غاب عن النفس معرفته بطريق الستر له بخلاف السهو ، لأنه ذهب المعنى عن النفس بحال ينافي الذكر .

وقوله « نوحبها إليك » أي نوحى إليك تلك الأخبار .

وقوله « ما كنت تعلمها أنت ولا قومك » معناه أنت هذه الأخبار التي أعلمناك إياها لم تكن تعلمها قبل وحينما إليك ولا قومك من العرب يعرفونها قبل إخبارنا إليك .

وقوله « فأصبر ان العاقبة للمتقين » أمر للنبي (ص) بأن يصبر على اذى قومه وجهلهم بموضعه ، كما صبر نوح مثل ذلك على قومه ، وهو احد الوجوه التي لا جملها كرر الله تعالى قصص الانبياء في الاعراف ، وهود ، والشعراء ، ليصبر النبي (ص) على اذى قومه حالا بعد حال .

وقوله « ان العاقبة للمتقين »

اخبار منه تعالى بأن العاقبة

المحمودة لمن اتقى معاصي

الله وتحرز من

عقابه

تم المجلد الخامس
ويليه المجلد السادس

وأور قوله تعالى

والى عاد اخاتم هوداً قال يا قوم اعبدوا

الله ما لكم من إله غيره

آية (٥٠) من سورة هود

الفهارس

١ - فهرس الآيات المستشهد بها

آية	الصفحة	آية	الصفحة
٦٢	٣٦١	(٢) سورة البقرة	
١٧٧	٣٦٦	٢٥ فويل للذين يكتبون الكتاب	
١٩٤	٤٠٤	بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله	٧٩
٧٢	٤٠٥	٢٧ فامسك بعروف	٢٢٩
٢١٣	٤٠٩	٤٩ / ٧٨ / ١٢٨ / ٥٤٩	الله يستهزي
١٦٦	٤٢٣	بهم ويعدم في طفياهم يعمهون	١٥
٢٣١	٤٤١	٩٢ من السماء من ماء	١٦٤
٢٢٦	٤٤١	١٢٠ / ٣٩٣	هل ينظرون إلا أن
١٩٨	٤٦٠	٢١٨ وتركهم في ظلمات لا يبصرون	١٧
١٩١	٤٨٢	٢٧٦ فمن جاءه موعظة	٢٧٥
٦١	٤٨٤	٢٩٣ ثم عفونا عنكم	٥٢
٢٨٢	٤٨٥	٣٤٠ علم الله انكم كنتم تختافون	١٨٧
٣	٤٨٩	٣٤٨ الذي جعل لكم الارض فراشا	٢٢
٢٦٠	٤٩٤	٣٥٢ من ذا الذي يقرض الله	٢٤٥
١٠	٥٣٢	٣٦٠ وعسى ان تكرهوا شيئا	٢١٦

آية	الصفحة	آية	الصفحة
(٤) سورة النساء		يا بني ان الله اصطفى لكم	٥٦٠
وما ارسلنا من رسول الا ليطاع ٦٣	٤٤	كن فيكون	٥٦٤
يخادعون الله وهو خادعهم ١٤١	٤٩	(٣) سورة آل عمران	
ان امرؤ هلك ليس له ولد ١٧٥	٢٠٥	٤٨٤ / ٢٢ ضربت عليهم الذلة	١١٢
يخرفون الكلام عن مواضعه ٤٥	٢٣٧	وتؤمنون بالكتاب كله ١١٩	٢٧
واقبوا الصلاة وآتوا الزكاة ٧٦	٣٣٦	هب لي من لدنك ذرية ٣٨	٣١
فأنتك مع الذين انعم الله عليهم ٦٨	٣٦٧	انما نألي لهم ليزدادوا إنما ١٧٨	٤٢
٥٥٥ وبث منها رجالا كثيرا ١١٢	٤١٢	٥٤٩ / ٤٩ / ٥٥٤ والله خير الماكرين ٥٤	٤٩
فكيف اذا جئنا من كل امة ٤٠	٤٠٩	١٠١ ائمة نعاسا يغشى ١٥٤	١٠١
ليجمعنكم الى يوم القيامة ٨٦	٤٤٣	١١٢ / ٣٥٢ ثا وهنوا لما اصابهم ١٤٦	١١٢
كفى بالله ٥ ، ٤٤ ، ٦٩ ، ٧٨	٤٥٨	١٦٠ اذا قالت الملائكة ٤٥	١٦٠
١٧٠ ، ١٦٥ ، ١٣١ ، ٨٠		٣٦٢ لا ترغ قلوبنا بعد اذ هديتنا ٨٨	٣٦٢
واولى الامر منهم ٨٢	٤٦٩	٣٧٩ حسبنا الله ونعم الوكيل ١٧٣	٣٧٩
من قبل ان نطمس وجوها ٤٦	٤٨٥	٤٠٥ فادرؤا عن انفسكم الموت ١٦٨	٤٠٥
٥٠ يؤمنون بالجبت	٤٨٩	٤٩٩ وكنتم على شفي حفرة من النار ١٠٣	٤٩٩
(٥) سورة المائدة		٥٣٨ ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ٧٣	٥٣٨
فكلوا مما امسكن ٥	٢٧	٥٤٤ من انصاري الى الله ٥٢	٥٤٤
يخرفون الكلام عن مواضعه ١٤	٢٣٧	٥٦٤ كن فيكون ٤٧ ، ٥٩	٥٦٤
فلا خوف عليهم ٧٢	٣٦١		
أأنت قلت للناس ١١٩	٤٧٨		

آية	الصفحة	آية	الصفحة
		(٦) سورة الانعام	
١٣٣	٥٠١	ولوردوا العادوا لما نهوا عنه ٢٨	١١٨
١٣٤	٥٠١	١٨٠ / ٤١٩ فله عشر امثالها ١٦٠	
١٤٤	٥٣٧	٣٩٨ ثم قضى اجلا وأجل مسمى ٢	
١٥	٥٤٩	٤١٢ قل سيروا في الارض ١١	
١٨٦	٥٥٨	٤٢١ وهذا كتاب أنزلناه ٩٢ ، ١٥٥	
		(٨) سورة الانفال	
		٤٣٠ هذا لله بزعمهم وهذا شركائنا ١٣٦	
٢٨	١٢١	٤٣٧ ولا تزروا زرة وزر أخرى ١٦٤	
٤١	١٢٧	٤٤٣ ليجمعنكم الى يوم القيامة ١٢	
٣٥	٣٣٦	٥٥٥ ثمانية ازواج من ١٤٣ - ١٤٤	
		(٩) سورة التوبة	
		٥٦٤ كن فيكون ٧٣	
٨٠	٤٩	(٧) سورة الاعراف	
٧٤	٧٤	٧ ومن خالقنا أمة يهدون ١٨٠	
٣٦	١٤٠	٧ من يهد الله فهو المهتدي ١٧٧	
٦٤	١٤٦	٤٤ ونادى اصحاب الجنة اصحاب ٤٣	
٦	١٧٦	٢٨٨ لربهم يرهبون ١٥٣	
١٢٣	٢٦١	٣٨٦ يمرشون ١٣٦	
٨٥	٣١١	٤٢٤ وبلونا هم بالحسنات ١٦٧	
٨٩	٣٥٤	٤٨٥ ان تقولوا يوم القيامة ١٧١	
١٠٧	٣٦٤		

آية	الصفحة	آية	الصفحة
(١٢) سورة يوسف		٦٣ والله ورسوله أحق أن	٣٩١
٤ والشمس والقمر رأيتهم لي	٦٨	٤١ وكلمة الله هي العليا	٤٢٨
١٠٠ نزع الشيطان بيني وبين	٧٥	٨٢ فرح الخلفون بمقدمهم	٤٥٥
٨٥ حتى تكون حرضاً	١٧٩	١٢٢ احسن ما كانوا يعملون	٥٣٢
٢٤ ولقد همت به وهم بها لولا	٣٠٣	(١٠) سورة يونس	
١٠٢ وما كنت لديهم اذا اجمعوا	٤٦٨	٨٨ ربنا انك آتيت فرعون	٤٢
٤٥ وادكر بعد امة	٥١٩	٦٤ هو الذي يسيركم في البر والبحر	٦٤
٢٧ ان كان قبيصه قد من دبر	٥٢٧	١٠٢ كانوا اغشيت وجوههم	١٠٢
٢٠ وكانوا فيه من الزاهدين	٥٦٨	٢٩ كفى بالله	٤٥٨
(١٣) سورة الرعد		٩٠ اذا ادركه الفرق قال آمنت	٤٩٢
٣٠ وتطمئن قلوبهم بذكر الله	٩١	١٠٨ يا ايها الناس قد جاءكم الحق	٥٠١
٤٥ كفى بالله	٤٥٨	(١١) سورة هود	
٢٦ - ٢٥ والملائكة يدخلون عليهم	٥٣٧	١٦٦ وما من دابة في الارض الا	١٦٦
(١٥) سورة الحجر		١٠ انه لفرح نخور	٤٥٥
٣٩ بما اغويتني	٥٤٩	٨٣ ، ٦١ ، ٥٠ ، من اله غيره	٤٥٨
(١٦) سورة النحل		١٠٤ ذلك يوم مجموع له الناس	٤٦٩
٢٠ / ١٥٦٤ انما قولنا لشيء اذا اردناه	٤٠	١١٥ ان الحسنات يذهبن	٥٣٥
		٣٦ لن يؤمن من قومك الا من	٥٤٨

آية	صفحة	آية	صفحة
٢٩	٢٧٥	٧٨	٣٥
٨٠	٢٨٤	٦٨	٣٨٦
١١١	٣٧٨	٧٣	٤٣١
٤٣	٤١٤	٦٢	٤٧٣
٤٨	٤٤٣	٦٨	٤٨٣
١٠٠	٤٤٣	١٢٥	٥٤٧
١٩	٤٤٤		(١٧) سورة الاسرى
	(١٩) سورة صريم	٣	٣١
٨٤	٢٢	١٥	١٨٤
٥٩	٢٤	٦٤	٢٧٤
٤	٣١	٨١	٢٧٩
٦	٣١	٣٩٩ / ٣٩٧	١١
٢٨	٣٢٩	٧١	٤٢٤
٢٣	٣٩٥	١٤	٤٢٤
٥٩	٥٤٨	١٥	٤٣٧
٣٥	٥٦٤	٩٦	٤٥٨
	(٢٠) سورة ظه		(١٨) سورة الكهف
١٢٤	٤٤٣	٤٦	٣٢
١٢٤	٤٤٣	٣٥	٢٥٩

آية	صفحة	آية	صفحة
٨٩	١٥٧	١٢١	٥٤٨
١١٣	٤٤٤	(٢١) سورة الانبياء	
٣٢ ، ٢٣	٤٥٨	٧٣	٤٨
٣٥	٥٣١	٤٠	٤٨
(٢٤) سورة النور		٦٣	٦٨
٤	٦٤	١٠٣	٩١
٣٩	١١٥	٦٢	٩٢
٤٣	١٤٠	١٠٧	٢٨٧
٢٩٤	٢٩٤	١٨	٣١٦
٣٣٦	٣٣٦	٩٧	٣٦١
(٢٥) سورة الفرقان		٥٦	٥٦٨
٥٠	٤٤	٨٣	٥٠٧
٢٤	٢٢٥	(٢٢) سورة الحج	
٦٥	٣٢٩	٣٧	٣٧
٤١	٤٤٢	٧٨	٣٣٦
٢٢	٥٦٩	٦٠	٤١٥
(٢٦) سورة الشعراء		(٢٣) سورة المؤمنون	
٢٠٢	٤٨	٥٦	٧٨

آية	صفحة	آية	صفحة
٢٠	٥٦٨	٢٢	٦٨
أني لك من الناصحين		وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت	
(٢٩) سورة العنكبوت		١١٩	٤١٣
٢	١٧١	في الفلك المشحون	
احسب الناس ان يتركوا		٤	٥٠٠
٤	١٧٢	ان نشأ نزل عليهم من السماء	
ام حسب . . . الألسان بما يحكون		(٢٧) سورة النمل	
٣٣	١٧٨	٦٤	٦٨
انا منجوك واهلك		هانوا برهانكم إن كنتم صادقين	
٢٠	٤١٢	٣٦	٧٨
قل سيروا في الارض		اتعدو تنى بال	
٥٢	٤٥٨	١٨	١٢٢
كفى بالله		يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم	
٢٤	٥٠٣	٧٢	٢٨٨
فأتجاه الله من النار		ردف لكم	
(٣٠) سورة الروم		٢٨	٢٧٨
٣٠	٣٥٣	فلقه اليهم ثم تول عنهم	
فطرة الله التي فطر الناس عليها		٤٤	٣٣٤
٤٧	٣٦١	صر حمرد من قوارير	
وكان حقا علينا نصر المؤمنين		٨٨	٣٥٣
٣٦	٤١١	صنع الله الذي اتقن	
وان تصيبهم سيئة ما قدمت ايديهم		٦٩	٤١٢
٤٢	٤١٢	قل سيروا في الارض	
قل سيروا في الارض		٩	٤٥٩
٥-٤	٤٥٥	إنه انا العزيز الحكيم	
ويومئذ يفرح المؤمنون		(٢٨) سورة القصص	
(٣١) سورة لقمان		٨	٤٨٥ / ٤٢
٣٤	٥٥	فالتقطه آل فرعون	
ان الله عنده علم الساعة		٩	٤٢
١٥	٢٢٨	قرة عين لي ولك لا تقتله	
وانجاهدك على ان تشرك		٤١	٢١٤
١٩	٣٣٦ / ٣٣٧	وجاءهم ائمة يدعون	
لصوت الجير		٧٦	٤٥٥
		ان الله لا يحب الفرحين	
		٦٦	٥٤١
		فعميت عليهم الانبياء	

آية	صفحة	آية	صفحة
	(٣٦) سورة يس	(٣٢) ألم السجدة	
٩	فاغشينام فهم لا يبصرون	١٢	ولو ترى اذ المجرمون
٤١	في الفلك المشحون	(٣٣) سورة الاحزاب	
٨٢	كن فيكون	٢٧ / ٥٥٥	امسك عليك زوجك
	(٣٧) سورة الصافات	١٥	ان الذين يؤذون الله ورسوله
١٢	بل عجبت ويسخرون	٢٤٦	والذاكرين الله كثيراً
٣٧١	وانكم لتعمرون عليهم	٣٦٦	رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
	(٣٨) سورة ص	٤٥٨	كفى بالله
٤٧	المصطفين الاخير	(٣٤) سورة سبأ	
٣٢	حتى توارت بالحجاب	١٣٢	ويرى الذين اوتوا... والحق
٢٢	بغى بعضنا على بعض	(٣٥) سورة فاطر	
	(٣٩) سورة الزمر	٤١٥	ولا يحق المكر السيء الا بأهله
٣	والذين اتخذوا من دونه اولياء	٤٣١	ان تدعوم لا يسمعوا دعاءكم
٧	ولا تزر وازرة وزرى اخرى	٤٣٧	ولا تزر وازرة وزرى اخرى
	(٤٠) سورة المؤمن		
٧	الذين يحملون العرش ومن حوله		
٨٣	فرحوا بما عندهم من العلم		

آية	صفحة	آية	صفحة
	(٤٤) سورة الدخان	٨٥	٤٩٩ فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا
٣٢	ولقد اخترناهم على علم	٦٨	٥٦٤ كن فيكون
	(٤٧) سورة محمد		(٤١) سورة حم السجدة
٤	فاما منأ بعد واما فداء	١١	٢٠ اتيا طوعاً او كرها قالتا
	(٤٨) سورة الفتح	١٧	٢٣٠ واما نمودفهدينا هم فاستحبوا
٩ - ٨	انا ارسلناك شاهداً	٤٠	٢٧٤ اعملوا ما شئتم
٢٧	ولولا رجال مؤمنون ونساء	١٨	٥٠٣ ونحبينا الذين امنوا
٢٧	لتدخلن المسجد الحرام		(٤٢) سورة النشورى
١٢	وظننتم ظن السوء	١٦	٣٧٢ والذين يحتاجون في الله
١٠	فن نكت فاننا ينكت على نفسه	٢٢	٤٤٢ وترى الظالمين مشفقين
٢٦	والزمهم كلمة التقوى	٤٠	٥٤٨ / ٥٥٤ وجزاء سيئة سيئة
٢٨	كفى بالله		(٤٣) سورة الزخرف
	(٤٩) سورة الحجرات	٦٦	٩٥ هل ينظرون الا الساعة ان
١٤	قالت الاعراب	٧٦	١٣٢ ولكن كانوا هم الظالمون
٩	فقاتلوا التي تبغى حتى تقي	١٩	٢٥٨ وجعلوا الملائكة اناثاً
	(٥١) سورة الذاريات	٣٠	٣٨٣ ولما جاءهم الحق قالوا هذا
٥٦	وما خلقت الجن والانس إلا	٥١	٣٩٥ أليس لي ملك مصر
١٣	يوم هم على النار يفتنون	٨٠	٤٢٤ ورسلنا لديهم يكتبون

آية	صفحة	آية	صفحة
	﴿٥٨﴾ سورة المجادلة	٥٥٥	ومن كل شيء خلقنا زوجين ٤٩
١٣	٣٣٦/ ٣٤٠ فأقيموا الصلاة وآتوا		(٥٢) سورة الطور
٢١	٤٢٨ كتب الله لأغلبن انا ورسلي	٢٢	وأمددناهم بما كرهة
	(٥٩) سورة الحشر	٤٠	من مغرم مثقلون ٣٢٩
٧	١٤٣ ما أفاء الله على رسوله من اهل		(٥٣) سورة النجم
	(٦١) سورة الصف	٤-٣	٩٢ / ٤:٣ وما ينطق عن الهوى
٥	٣٦٢ فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم	٥٤	١٠٢ ففشاها ما غشى
	(٦٣) سورة المنافقون	٥٣	٢٩٨ وانزلنا نكتات اهوى
١٠	٥٤ / ٤٥٩ فأصدقوا كن		(٥٤) سورة القمر
٦	٣١٠ سوا عليهم استغفرت لهم ولم	١	٤٤٣ اقتربت الساعة
	(٦٤) سورة التغابن		(٥٥) سورة الرحمن
١٥	١٢١ انما امموا لكم واولادكم فتنة	٣١	٣٩٧ سنفرغ لكم
	(٦٥) سورة الطلاق	٥	٢٤٩ الشمس والقمر بحسبان
٣	٢٧٣ ومن يتوكل على الله فهو حسبه		(٥٧) سورة الحديد
٢	٤٤١ فاذا بلغن اجلهن	٢٥	٤٥ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات
	(٦٦) سورة التحريم	٢٢	١٩٢ ما أصاب من مصيبة في الارض
٩	٧٤ واغلظ عليهم		

آية	صفحة	آية	صفحة
(٧٦) سورة الدهر		(٦٧) سورة الملك	
هل أتى على الانعام حين ١	٢١٨	٣٠ ان اصبح ماؤكم غوراً	٢٥٨
(٧٩) سورة النازعات		١٥ فامشوا في مناكبها	٤١٢
٤٢ ايان مرساها	٥٥٨	(٦٨) سورة القلم	
٣٢ والجبال ارساها	٥٥٨	٤٦ من مغرم مثقلون	٢٢٩
(٨٤) سورة الانشقاق		(٧٠) سورة المعارج	
٢ واذنت لربها	٢٨٦	١ سأل سائل بعذاب واقع	١٣١
(٩١) سورة الشمس		(٧١) سورة نوح	
٥ وما بناها	٩٣	١٧ أنبتكم من الارض نباتاً	٤٥٥
(٩٢) سورة الليل		٢٧-٢٦ رب لا تذر على الارض	٥٥١
٣ وما خلق الذكر والاتي	٩٣	(٧٢) سورة الجن	
(٩٦) سورة العلق		١٥ واما القاسطون فكانوا لجهنم	٤٤٥
٢ خلق الانعام من علق	٢٨٧	(٧٣) سورة المزمل	
(٩٩) سورة الزلزال		٢٠ تجمدوه عند الله هو خيراً	٤٣٧
٨-٧ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً	٤٢٤	(٧٤) سورة المدثر	
٥ اوحى لها	٥٣٥	٥ والرجز فاهجر	٥٠١

٢ - فهرس الاماديث

	صفحة
عن ابي جعفر (ع) في تفسير « آتيناها آياتنا فانمسخ منها . . . »	٣٨
عن النبي (ص) : ان جبرائيل قال له : معنى « واسر بالمعروف » تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتمفروا عن ظلمك . . .	٧٤
عن ابي جعفر و ابي عبد الله (ع) : ان (الانفال) كل ما اخذ من دار الحرب بغير قتال ، وميراث من لا وارث له . . .	٨٦
عن النبي (ص) : ايما سرية خرجت بغير اذن امامها فأصابت من شيء فهو غول.	٨٨
عن النبي (ص) في حديثه مع اصحابه عند ما بلغه ان قريش خرجت لحماية العير ، وانه قال : سيروا على بركة الله وابشروا . . .	٩٧
عن ابي جعفر (ع) « ان شرّ الدواب » نزلت في بني عبد الدار .	١١٧
عن ابي عبد الله (ع) - في معنى « يحول بين المرء وقلبه » قال لا يستيقن القاب ان الحق باطل ابداً ولا يستيقن ان الباطل حق ابداً .	١٢٠
حديث مبيت علي (ع) على فراش رسول الله (ص) .	١٢٩
عن النبي (ص) ايما امرأة نكحت بغير اذن مولاه ففكاحها باطل .	١٤٢
عن النبي (ص) ان ذوي القربى بنو هاشم و بنو عبد المطلب .	١٤٥

	صفحة
عن النبي (ص) احلت لي الغنيمة ولم تحل لنبي قبلي .	١٨٤
عن ابي جعفر (ع) حديث النبي (ص) مع العباس وهو اسير يوم بدر	١٨٥
عن ابي جعفر (ع) ان المؤمنيز كانوا يتوارثون بالهجرة .	١٨٩
عن النبي (ص) . لا هجرة بعد الفتح .	١٩١
حديث عن ابي عبد الله (ع) في اول الاشهر الحرم ، واخرها .	١٩٧
عن النبي (ص) انه قال : لا يبلغ عني إلا رجل مني .	١٩٨
عن علي (ع) و ابي جعفر (ع) ان « ائمة الكفر » نزلت في اهل الجمل	٢١٤
عن ابي جعفر و ابي عبد الله (ع) ان « اجعلتم سقاية الحاج و عمارة	٢٢٣
المسجد الحرام كمن آمن بالله . . . » نزلت في العباس ، وعلي (ع) .	
عن ابي عبد الله (ع) لا يجوز دخول المشركين المسجد إلا ان يكون	٢٣٥
عبداً او احداً من اهل الذمة .	
عن ابي جعفر (ع) في ان « ليظهره على الدين كله » يكون ذلك عند	٢٤٤
خروج القائم (ع) . . .	
عن علي (ع) : كلما زاد عن اربعة آلاف فهو كثر ادبت زكاته او لم	٢٤٧
تؤد وما دونها فهو نفقة .	
عن النبي (ص) انه سئل اي مال يتخذ فقال : لساناً ذاكراً و قلباً	٢٤٧
شاكراً و زوجة تعين احدكم على دينه .	
عن النبي (ص) تراصوا في الصفوف لا يتخلكم اولاد الخذف .	٢٦٩
عن النبي (ص) ليس المسكين الذي ترده الأكلة . . . وانا . . .	٢٨٣
عن ابي جعفر (ع) ان سهم المؤلفه كان خاصاً على عهد رسول الله (ص)	٢٨٤

	صفحة
عن ابى جعفر (ع) ان الغارمين هم الذين ركبتمهم الديون في غير معصية .	٢٨٤
عن ابى جعفر وابى عبد الله (ع) ان لقاسم الزكاة ان يضعها في اي الاصناف شاء .	٢٨٥
عن النبي (ص) انه قال : من اراد ان ينظر الى الشيطان فلينظر الى نبتل .	٢٨٩
عن النبي (ص) من اطاع الله ورسوله هدى ومن عاصها فقد غوى	٢٨٩
عن النبي (ص) : والذي نفسي بيده لتتبعنهم حتى لو دخل احدكم جحر . . .	٢٩٧
ما روي عن النبي (ص) في الاستغفار للمنافقين انه قال : لا زيدن على السبعين .	٣١٠
روي عنه (ص) انه قال : لو علمت اني لو زدت على السبعين مرة لغفر لعلت .	٣١١
عن النبي (ص) انه قال - في خطبة الجمعة لرجال - اخرجوا فانكم منافقون .	٣٣٤
روي عن النبي (ص) ان الصدقة قد تقع في يد الله قبل ان تصل الى يد الصائل .	٣٣٩
في الخبر أن اعمال العباد تعرض على النبي (ص) في كل اثنين وخميس فيعلمها وكذلك تعرض على الأئمة فيمرفونها .	٣٤٠
قصة كعب بن مالك وما قال رسول الله (ص) فيه عندما تخلف واقر بان لا عذر .	٣٤٢

	صفحة
حديث أمر النبي (ص) بهدم مسجد ضرار وحرقه .	٣٤٤
عن النبي (ص) انه قال لاهل قبا: ماذا تعملون في طهركم فان الله احس عليكم التناؤ .	٣٤٦
عن النبي (ص) سياحة امتي الصوم .	٣٥٤
خبر ابي خيثمة ، وما قال النبي (ص) فيه - عند نخلفه ولحوقه بالمجاهدين	٣٦٢
عن النبي (ص) انه قال : (نظر الله الى اهل الارض فمقتهم إلا بقية من اهل الكتاب) .	٤٠٩
عن ابي جعفر (ع) في معنى « للذين احسنوا الحمى وزيادة » انه قال : ما أعطاهم اياه في الدنيا لا يحاسبهم فيه في الآخرة .	٤١٩
عن ابي جعفر (ع) في قوله تعالى « إن اناكم عذابه ٠٠٠ » انه ينزل في آخر الزمان على فسقة اهل القبلة .	٤٤٨
روي انه قيل لرسول الله (ص) ما يغنيهم اسرار الندامة ؟ قال يكرهون شمانة الاعداء .	٤٥١
عن الحسين (ع) حديث طويل في وصف اولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .	٤٦١
عن النبي (ص) انه قال في قتلى بدر : أولئك الملاء من قريش .	٤٧٣
عن النبي (ص) شككت ولا انا شاك .	٤٩٤
عن علي (ع) و ابي جعفر (ع) والحسين بن علي (ع) في معنى قوله تعالى « ويتلوه شاهد ٠٠٠ »	٥٢٨
عن النبي (ص) : سلمان منا اهل البيت .	٥٦٦

٣ - فهرس الردود

	صفحة
رد على من يقول : لا يهدي الى الحق إلا الله .	٧
رد على من يروي عن سليمان ابن بشار او مسلم بن بشار : من أت الله اخرج من ذرية آدم من ظهره واشهدهم على انفسهم وهم كالذر .	٣٤
رد على من يفسر « آتيناها آتنا فانسلخ منها » بأنه نبي عصى .	٣٨
رد على المجبرة في قولهم : يستدرج الله العباد الى الضلال والكفر .	٤٨
رد على الجبائي في استدلاله بـ « انما علمها عند الله » على بطلان قول الرافضة بالنص على الأئمة المعصومين .	٥٧
رد على المجبرة في تفسيرهم « قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله » .	٥٨
رد على من يقول لا تكون القدرة إلا مع الفعل .	٥٩
٦٠ - ٦٥ اخذ ورد حول تفسير آية ١٨٨ من سورة الاعراف ، ورد بعض الروايات ، ورد على من يقول ان آدم وحواء اشركا ابليس وغير ذلك .	٦٠ - ٦٥
رد على المجبرة في قولهم : كل ما في الارض من سفه وباطل وفسق فإنه يريد .	٩٦
رد على الغلاة القائلين ان الله حل بمحمد . وعلى من يقول الفعل من الله بالاجاد ومن العبد بالاكساب .	١١١

	صفحة
رد على من يجوز ان يكون في مقدور الله لطف لو فعله بالكافر لآمن	١١٨
رد على المجبرة في تفسيرهم « ان الله يحول بين المرء وقلبه » بأنه يحول بين الكافر والايمان .	١٢٠
١٣٥ / ٢٠٥ / ٢٦٦ رد على من يقول : المعارف ضرورية . وجواب من يسأل كيف الجعم بين آيتين .	١٣٥
رد على المجبرة في قولهم : يجوز أن يعاقب الله البريء بجرم السقيم	١٦٤
جواب من يسأل : اذا جاز مهادنة الكافر فهل يجوز المهادنة في الامامة ؟	١٧٥
استدلال على ان « وان جنحوا للسلم » غير منسوخة .	١٧٦
رد على المجبرة في قولهم باتحاد إرادة الله وإرادة العبد	١٨٣
رد على الجبائي في استدلاله - بان النبي (ص) وقع منه معصية - بالاجتماع .	١٨٤
يستدل على ان اليهود والنصارى غير عارفين بالله	٢٣٦
جواب من يسأل كيف اخبر عن اليهود بانهم يقولون « عزيز بن الله » مع انكارهم ذلك	٢٣٩
رد على من يتوهم ان « إذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا » فيها دلالة على الفضيلة .	٢٥٩
رد على من يقول : ان المنسوخ ما لا يجوز فعله	٢٦١
رد على من يقول ان « عفا الله عنك لم اذنت لهم » يدل على وقوع الذنب من النبي (ص)	٢٦٣
جواب من يسأل اي الجهادين افضل : جهاد العيف ام العلم ؟	٢٦٥

	صفحة
جواب سؤال : ما الفائدة من كتب ما يكون قبل كونه ؟	٢٧٣
رد على المجبرة في قولهم ان الله يريد الكفر	٢٧٩
رد على من يستدل بآية النفر على حجية الخبر الواحد	٣٧١
رد على من يستدل بـ « ما يكون لي أن ابدله . . . » على عدم صحة نسخ القرآن بالسنة .	٤٠٣
رد على الكافرين بالنبى (ص) وإقامة البرهان على صدق النبوة .	٤٠٦
جواب من يسأل كيف ذم الله المشركين على عبادة الوثن لانه لا ينفع ولا يضر مع انه لو ضر ونفع لم يجز عبادته	٤٠٧
رد على من يدعي ان المعارف ضرورية	٤١٠
رد على من لا يصدق بالقرآن	٤٣٥
استدلال على ان الله لا يظلم ، ورد على من ينسب له الافعال القبيحة	٤٤٠
استدلال على ان المؤمن منصور ابداً .	٤٨٠
رد على المجبرة في المشيئة	٥٠٠
رد على البلخي في استدلاله على ان كلام الله محدث	٥١٣
رد على المشركين وكل من يشك في نزول القرآن من الله	٥٢٤
رد على من يقول بالاحباط	٥٢٧
رد على المجبرة في مذهبهم ان الله يجعل الكافر كافراً	٥٤٩
جواب من يسأل كيف دعا نوح ابنه مع ان الله نهىه أن يركب فيها كافراً	٥٦١
رد على الرماني في قوله انما يكون الجهل قبيحاً اذا كان متمعداً	٥٦٧

٤ - فهرس المباحث اللغوية:

	صفحة
١٧ - ١٨ بحث في (بؤس ، وبس) وامثالها	
٢٤ بحث في (خلف) بتحريك اللام واسكانه	
٢٧ بحث في (ميثاق ، وموآبق ، ومياثيق وميزان وموازين) وامثالها	
٣٢ / ٤٨١ بحث في (ذرية) واشباهها	
٣٩ بحث في (خلد ، واخذ)	
٤٥ - ٤٦ بحث في (لحد وألحد) وامثالها	
٧٨ الفرق بين (مد ، وأمد)	
١١٩ الفرق بين الدعاء الى الفعل والامر به	
١٤٨ بحث في اشتقاق (دنيا) وامثالها	
١٧٤ - ١٧٥ بحث في (السلم) بالتحريك والاسكان	
١٨٢ بحث في (اسير ، واسرى ، واساى) وما يتعلق بذلك	
٢١٣ بحث في (ائمة) ونظائرها	
٢١٥ بحث في (ألا ، لا ، ليس)	
٢٢٦ - ٢٢٧ بحث في معنى (ابد) والفرق بينه وبين الخلود	
٢٤٣ متى يجوز دخول (إلا) في الايجاب ومتى لا يجوز	
٢٥١ - ٢٥٢ بحث في (النسي ، والنسيه) وامثالها	

	صفحة
بحث في (أذن ، إذن) وامثالها	٢٨٦
الفرق بين لام الابتداء ، ولام القسم	٣٥
بحث في (لما ، إذا ، متى ، لو) والفرق بينها	٣٠٦
بحث في (احد) في حالي النفي والايجاب	٣١٥
بحث في (فواعل) مثل خوالف وفوارس وهوالك	٣١٨
بحث في (السؤ) بالضم والفتح وامثالها	٣٢٩
بحث في (قربة ، وفُرَبات)	٣٣٠
الفرق بين (الآخر ، والآخر)	٣٤٢
بحث في (تقوى) وامثالها	٣٤٥
بحث في (جرف) وامثاله	٣٤٨
بحث في تأنيث الفعل وتذكيره	٣٦٠
بحث في (غلظة) بسكون اللام ونحريكها ، وبفتح الغين وكسرها	٣٧٢
٣٨٩ - ٣٩٠ بحث في (فعل ، فعلاء)	٣٨٩
٤٠٤ - ٤٠٥ بحث في (ادراكم به ، وادراكوه) وامثالها واشباهها	٤٠٤
الفرق بين (الامر والدعاء)	٤١٨
الفرق بين القاسط والمقسط	٤٤٥
الفرق بين الجعل والفعل والتغيير	٤٦٥
بحث في (تفعلان) . و (قيراط . ودينار)	٤٨٨
الفرق بين الاجابة والطاعة	٥٢٥
بحث في (عوج) بالفتح والكسر	٥٣١

	صفحة
بحث في العمى والصمم والسمع والبصر والادراك	٥٣٦
٥٣٩ ، ٥٤٠ بحث في (بادي) و (بادىء) وفي (انسان) و (مثل)	
٥٤٠ بحث في (رذل) وجمعه وجمع جمعه	
٥٤١ / ٥٤٢ بحث في (عميت) بالتخفيف والتشديد	
٥٤٣ بحث في (انلزمكوها) واشباهها	
٥٤٧ الفرق بين الجدل والحجاج	
٥٥٢ بحث في (فَمَلْ . وَفَعَلْ)	
٥٥٥ بحث في زوج وزوجة	
٥٦٠ بحث في ياء المتكلم في حال النداء مثل (يا بني)	

٥ - فهرس الاصطال

آخر الداء الكبي	٢٤٨
بؤ بشسع كليب	٤٨٤
بيخمها حمقا	٥٢٦
اطرى انك ناعة	٥٣٦

٦ - فهرس الخطأ والصواب

صفحة	سطر	خطأ	صوابه	صفحة	سطر	خطأ	صوابه
٢١٦	٤	بأيديكم وينصركم بأيديكم	بأيديكم وينصركم بأيديكم	٥	١٨	وانما	وانما
		ويخزيهم وينصركم	ويخزيهم وينصركم	٧	٩	ولا ذلالة	ولا دلالة
٢٤١	١	صوف	صوف	٧	١٧	يهدية	يهدية
٢٦٩	٧	القائلون	القائلون	٩	٩	اتي	اتي
٢٧٤	١٥	واستقرز	واستقرز	٩	١٨	فرقة	فرقة
٢٨٩	١٩	يعصمها	يعصمها	١١	١٦	الجبائي وغيره الجبائي	الجبائي وغيره الجبائي
٤٦٠	١	في عرفات	في عرفات	١٢	١١	بمنزلة	بمنزلة
٤٨٥	١٨	وقولهم	وقولهم	١٤	١٤	فأتي	فأتي
٤٩٣	٨	الازل	الازل	١٥	٦	أخذ	أخذ
٥٣٤	١٦ ، ١٧	في الدرام في الدارم	في الدرام في الدارم	١٥	١٢	معدبهم	معدبهم
		ملاحظة: وقع تقديم وتأخير في	ملاحظة: وقع تقديم وتأخير في	٢١	١	النازلة	النازلة
		صفحة ٤٦٥ سطر ١٠ وصوابه:	صفحة ٤٦٥ سطر ١٠ وصوابه:	٥٤	٨	وقبل	وقبل
		وانه خلقه ليزول التعب والكلال	وانه خلقه ليزول التعب والكلال	٥٦	٨	تحفي	تحفي
		بالسكون فيه . وجعل النهار	بالسكون فيه . وجعل النهار	٦٦	١٦	لنفسه	لنفسه
		استدركنا خطأ الايات المستشهد بها في	استدركنا خطأ الايات المستشهد بها في	٨٥	١٠	لا اتقال	لا اتقال
		فهرسها .	فهرسها .	١٤٣	١٦	يعضه	يعضه

٧ - فهرس المواضع

(٧) سورة الاعراف

رقم الآية	الصفحة
١٥٧	٥ قل يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعاً
١٥٨	٦ ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون
١٥٩	٨ وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطاً أمماً
١٦٠	١٠ واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية واكلوا منها
١٦١	١٢ فبدل الذين ظلموا منهم اقولا غير الذي قيل لهم
١٦٢	١٣ واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر
١٦٣	١٥ واذ قالت أمة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم
١٦٤	١٧ فلما نسوا ما ذكروا به أنجبنا الذين ينهون عن السوء
١٦٥	١٩ فلما عتوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة
١٦٦	٢١ واذ تأذن ربك ليعتقن عليهم الى يوم القيامة
١٦٧	٢٢ - ٢٣ وقطعناهم في الارض أمماً منهم الصالحون ومنهم
١٦٨	٢٤ نخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض
١٦٩	٢٧ والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع
١٧٠	٢٨ واذ نقمنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع
١٧٢ - ١٧١	٣١ واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم

رقم الاية	الصفحة
١٧٤ - ١٧٣	٣٦ وكذلك تفصل الآيات ولعلمهم يرجعون وانزل عليهم نبأ
١٧٥	٣٨ ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الارض
١٧٦	٤٠ ساء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا
١٧٧	٤١ من يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل
١٧٨	٤٢ ولقد ذأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس لهم قلوب
١٧٩	٤٥ والله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون
١٨٠	٤٧ ومن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون
١٨٢ - ١٨١	٤٨ والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون
١٨٤ - ١٨٣	٥١ أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو الا نذير
١٨٥	٥٣ من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم
١٨٦	٥٤ يسألونك عن الساعة أيانا مرساها قل انما علمها عند ربي
١٨٧	٥٧ قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضراً إلا ما شاء الله
١٨٩ - ١٨٨	٥٩ هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها
١٩٢ - ١٩٠	٦٥ ايشركون مالا يخلق شيئاً وهم يخلقون
١٩٣	٦٧ إن الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم
١٩٤	٦٩ ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيدي يبطشون بها
١٩٦ - ١٩٥	٧١ ان وایي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين
١٩٧	٧٢ وإن تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وترامهم ينظرون اليك
١٩٨	٧٣ خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين
١٩٩	٧٤ وإما يفرغناك من الشيطان نزع فاستعد بالله

الصفحة	قم الآية
٧٥	ان الذين اتقوا إذا مسح طائف من الشيطان تذكروا
٧٧	واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون
٧٨	واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيبتنا قل إنما اتبع ما يوحى
٨٠	واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون
٨١	واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر
٨٢	ان الذين عند ربك لا يمتكبون عن عبادته

(٨) سورة الأنفال

٨٥	يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول
٨٩	انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم
٩٢	كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً
٩٥	وإذ يمدكم الله إحدى الطائفتين إنما لكم وتودون
٩٧	إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف
١٠٠	وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر
١٠١	إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء
١٠٣	اذ يوحى ربك الى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا
١٠٥	ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله
١٠٦	ذلك فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار
١٠٧	يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً
١٠٨	ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال

رقم الآية	الصفحة
١٧	١١٠ فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت
١٨	١١٢ ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين
١٩	١١٣ ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خير
٢٠	١١٤ يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تتولوا
٢١	١١٥ ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون
٢٢	١١٦ ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون
٢٣	١١٧ ولو علم الله فيهم خيراً لاسمهم ونو اسمهم لتولوا
٢٤	١١٨ يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله والمرسول اذا دعاكم
٢٥	١٢١ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة
٢٦	١٢٣ واذكروا اذا انتم قابل مستضعفون في الارض
٢٧	١٢٤ يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله ورسوله
٢٨	١٢٥ واعلموا أننا اموالكم واولادكم فتنة وأن الله
٢٩	١٢٦ يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً
٣٠	١٢٧ واذ يكفروا بك الذين كفروا ليشبتوك او يقتلوك
٣١	١٢٩ واذا تنلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء
٣٢	١٣٠ واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر
٣٣	١٣٢ وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم
٣٤	١٣٣ وما لهم الا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام
٣٥	١٣٥ وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء أو تصدية
٣٦	١٣٧ ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله

رقم الآية	الصفحة
٣٧	١٣٩ ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث
٣٨	١٤٠ قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف
٣٩ - ٤٠	١٤١ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله
٤١	١٤٣ واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسة والمرسول
٤٢ - ٤٣	١٤٧ اذ انتم بالمدوة الدنيا وهم بالمدوة القصوى
٤٤	١٤٩ اذ يريدكم الله في منامك قليلا ولو اراكم كثيرا لفشلتم
٤٥	١٥٢ واذ يركوهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا وبقليلكم
٤٦	١٥٣ يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا
٤٧	١٥٤ واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا
٤٨	١٥٥ ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً
٤٩	١٥٦ واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم
٥٠	١٥٨ اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء
٥١	١٥٩ ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم
٥٢	١٦٠ ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام لاعبيد
٥٣	١٦٢ كذاب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله
٥٤	١٦٣ ذلك بان الله لم يك مغيراً نعمه انعمها على قوم حتى
٥٥	١٦٥ كذاب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم
٥٦	١٦٦ ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون
٥٧ - ٥٨	١٦٧ الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة
٥٩	١٦٩ واما تخافن من قوم خيانة فانذ اليهم على سوا

رقم الآية	الصفحة
٦٠	١٧١ ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون
٦١	١٧٣ واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل
٦٢	١٧٤ وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله
٦٣	١٧٦ وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله
٦٤	١٧٧ يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين
٦٥	١٧٨ يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم
٦٦	١٨٠ الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفاً
٦٧	١٨١ ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يتخذن في الارض
٦٨	١٨٣ لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب
٦٩	١٨٥ فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً واتقوا الله
٧٠	١٨٦ يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى ان يعلم الله في
٧١	١٨٧ وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم
٧٢	١٨٨ ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وانفسهم
٧٣	١٩٠ والذين كفروا بمصنهم أولياء بعض إلا تعلموه تكن فتنة
٧٤	١٩١ والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله
٧٥	١٩٢ والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم

(٩) سورة التوبة

١	١٩٥ براءة من الله ورسوله الى الذين هادنهم من المشركين
٢	١٩٧ فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا انكم غير معجزي الله

رقم الآية	الصفحة
٣	١٩٩ واذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر ان الله
٤	٢٠٠ إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم
٥	٢٠٢ فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
٦	٢٠٣ وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله
٧	٢٠٦ كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله
٨	٢٠٧ كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولاذمة
٩	٢٠٩ اشترى بآيات الله ثمناً قليلاً فصدوا عن سبيله
١٠	٢١٠ لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة واولئك هم المعتدون
١١	٢١١ فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخوانكم
١٢	٢١٢ وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم
١٣	٢١٤ ألا تقاتلون قوماً نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول
١٤ - ١٥	٢١٦ قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزبهم وينصركم عليهم
١٦	٢١٨ ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا
١٧	٢٢٠ ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين
١٨	٢٢١ انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر
١٩	٢٢٢ أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن
٢٠	٢٢٤ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله
٢١	٢٢٥ يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنتات
٢٢	٢٢٦ خالدون فيها ابدان ان الله عنده اجر عظيم
٢٣	٢٢٧ يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واهوانكم اولياء

رقم الآية	الصفحة
٢٤	٢٢٨ قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم
٢٥	٢٣٠ لقد نصركم الله في موطن كثيرة ويوم حنين
٢٦	٢٣٢ ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين
٢٧	٢٣٣ ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور
٢٨	٢٣٤ يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس
٢٩	٢٣٦ قاتلون الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر
٣٠	٢٣٨ وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله
٣١	٢٤١ اتخذوا اخبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله
٣٢	٢٤٢ يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله
٣٣	٢٤٣ هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق
٣٤	٢٤٤ يا ايها الذين آمنوا ان كثيراً من الاحبار والرهبان
٣٥	٢٤٧ يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم
٣٦	٢٤٨ ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً
٣٧	٢٥١ انما النسى زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا
٣٨	٢٥٤ يا ايها الذين امنوا مالكم اذا قيل لكم اتقوا
٣٩	٢٥٦ إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم
٤٠	٢٥٧ إلا تنصروه فقد نصره الله اذا اخرجه الذين كفروا
٤١	٢٦٠ اتقوا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وانفسكم
٤٢	٢٦١ لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لا تبعوك
٤٣	٢٦٣ عفا الله عنك لما اذنت لهم حتى يتبين لك

رقم الآية	الصفحة
٤٤	٢٦٤ لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر
٤٥	٢٦٥ إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر
٤٦	٢٦٦ ولو ارادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن
٤٧	٢٦٨ لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالاً ولأضعوا
٤٨ - ٤٩	٢٧٠ لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقاتلوا لك الأمور
٥٠	٢٧١ ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا
٥١	٢٧٢ قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا
٥٢	٢٧٣ قل هل تربصوا بنا الا احدى الحسنين ونحن
٥٣	٢٧٤ قل اتفقوا طوعاً او كرهاً لن يتقبل منكم
٥٤	٢٧٦ وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا أنهم كفروا
٥٥	٢٧٧ فلا تصيبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم
٥٦	٢٧٩ ويخلفون بالله أنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم
٥٧	٢٨٠ لو يجدون ماجاً او مغارات او مدخلا لولوا
٥٨	٢٨١ ومنهم من يلزمك في الصدقات فان اعطوا منها رضوا
٥٩	٢٨٢ ولو انهم رضوا لما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله
٦٠	٢٨٣ إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها
٦١	٢٨٦ ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن
٦٢	٢٨٩ يخلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله احق
٦٣ - ٦٤	٢٩٠ الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم
٦٥ - ٦٦	٢٩٢ وان سألتم ليقولون انما كنا نخوض ونلعب

رقم الآية	الصفحة
٦٧	٢٩٤ المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرن بالمنكر
٦٨	٢٩٥ وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم
٦٩	٢٩٦ كالذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا
٧٠	٢٩٧ ألم يأتيهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد
٧١	٢٩٨ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرن بالمعروف
٧٢	٣٠٠ وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات
٧٣	٣٠١ يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم
٧٤	٣٠٢ يخلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر
٧٥	٣٠٤ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن
٧٦	٣٠٦ فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون
٧٧	٣٠٧ فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم الى يوم يلقونه
٧٨	٣٠٨ ألم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم وان الله علام الغيوب
٧٩	٣٠٩ الذين يامزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات
٨٠	٣١٠ استغفر لهم اولا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر
٨١	٣١١ فرح المخلفون بمعدتهم خلاف رسول الله وكرهوا ان يجاهدوا
٨٢	٣١٢ فليضحكوا قبلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون
٨٣	٣١٣ فان رجعت الله طائفة منهم فاستأذنوك للخروج
٨٤	٣١٤ ولا تصل على احد منهم مات ابدأ ولا تقم على قبره
٨٥	٣١٦ ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها
٨٦	٣١٧ واذا انزلت سورة ان امنوا بالله وجاهدوا مع

رقم الآية	الصفحة
٨٧	رضوا بأن يكونوا مع الخوالم وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ٣١٨
٨٨	لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم ٣١٩
٨٩ - ٩٠	اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ٣٢٠
٩١	ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ٣٢٢
٩٢	ولا على الذين اذا ما اتواك لتحملهم قلت لا اجد ما احملكم عليه ٣٢٣
٩٣	انما السبيل على الذين يستأذنونك وهم اغنياء ٣٢٤
٩٤	يعتذرون اليكم اذا رجعت اليهم قل لا امتذروا ان تؤمن لكم ٣٢٥
٩٥	سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم ٣٢٦
٩٦ - ٩٧	يخلفون لكم لتعرضوا عنهم الاعراب اشد كفراً وفاقاً ٣٢٧
٩٨	ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مفرماً ويتربص بكم الدوائر ٣٢٨
٩٩	ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ٣٣٠
١٠٠	والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار والذين ٣٣١
١٠١	ومن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة ٣٣٣
١٠٢	واآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر ٣٣٥
١٠٣	خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ٣٣٦
١٠٤	الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ٣٣٩
١٠٥	وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ٣٤٠
١٠٦	واآخرون مرجون لأمر الله اما يمهذبهم واما يتوب عليهم ٣٤١
١٠٧	والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتقريباً ٣٤٣
١٠٨	لا تقم فيه ابداً لمسجد أسس على التقوى من اول يوم ٣٤٥

رقم الآية	الصفحة
١٠٩	٣٤٧ افن اسس بنيامانه على تقوى من الله ورضوان خير
١١٠	٣٥٠ لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم
١١١	٣٥١ ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم
١١٢	٣٥٣ التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون
١١٣	٣٥٥ ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين
١١٤	٣٥٦ وما كان استغفار ابراهيم لآبيه الا عن موعدة
١١٥	٣٥٨ وما كان الله ليضل قوماً بعد اذ هديهم حتى يبين لهم
١١٦	٣٥٩ ان الله له ملك السموات والارض يحيى ويميت
١١٧	٣٦٠ لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار
١١٨	٣٦٣ وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض
١١٩	٣٦٦ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين
١٢٠	٣٦٧ ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا
١٢١	٣٦٩ ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً
١٢٢	٣٧٠ وما كان للمؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة
١٢٣	٣٧٢ يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار
١٢٤	٣٧٣ واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ائكم زادته هذه ايماناً
١٢٥	٣٧٤ واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً الى رجسهم
١٢٦	٣٧٥ اولاً يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين
١٢٨ - ١٢٧	٣٧٧ واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم لقد جاءكم رسول
١٢٩	٣٧٨ فان تولوا فقل حسبي الله لا إله الا هو عليه توكلت

(١٠) سورة يونس

١	٣٨١	آر . تلك آيات الكتاب الحكيم
٢	٣٨٣	أكان للناس عجيباً أن اوحينا الى رجل منهم أن انذر الناس
٣	٣٨٥	ان ربكم الله الذي خلق السماوات والارض
٤	٣٨٧	اليه مرجعكم جميعاً وعد الله حتماً انه يبدأ الخلق ثم يعيده
٥	٣٨٩	هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً
٦ - ٧	٣٩٢	ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله
٨	٣٩٣	اولئك ما واهم النار بما كانوا يكسبون
٩	٣٩٤	إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم
١٠	٣٩٥	دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام
١١	٣٩٦	ولو يعجل الله للناس الشر استعجابهم لا يخير لقضي
١٢	٣٩٩	واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعداً او قائماً
١٣ - ١٤	٤٠١	ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاهتهم رسلكم
١٥	٤٠٢	واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا
١٦	٤٠٤	قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادرككم به فقد لبثت
١٧	٤٠٦	فمن اظلم ممن افترى على الله كذباً او كذب بآياته
١٨	٤٠٧	ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم
١٩	٤٠٨	وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا

رقم الآية	الصفحة
٢٠	٤١٠ ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل إنما الغيب لله
٢١	٤١١ وإذا اذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم إذا لهم
٢٢	٤١٢ هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك
٢٣	٤١٤ فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق
٢٤	٤١٦ إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء
٢٥	٤١٨ والله يدعو إلى دار السلام ويهدى من يشاء
٢٦	٤١٩ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر
٢٧	٤٢٠ والذين كهبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها
٢٨	٤٢٢ ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا مكانكم
٢٩	٤٢٣ فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم أن كنا عن عبادتكم
٣٠	٤٢٤ هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت ورددوا إلى الله
٣١	٤٢٥ قل من يزرقكم من السماء والأرض أم من يملك السم
٣٢	٤٢٧ فذلكم الله ربكم الحق فإذا بعد الحق إلا الضلال
٣٣	٤٢٨ كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون
٣٤	٤٢٩ قل هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده قل الله
٣٥	٤٣٠ قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق قل الله يهدي للحق
٣٦	٤٣٢ وما يتبع أكثرهم إلا ظناً إن الظن لا يغني من الحق شيئاً
٣٧	٤٣٣ وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله
٣٨	٤٣٤ أم يقولون افتراه قل فأتوا بصورة مثله
٣٩	٤٣٥ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله

رقم الآية	الصفحة
٤٠	٤٣٦ ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك اعلم
٤١	٤٣٧ وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم انتم بريئون
٤٢	٤٣٨ ومنهم من يستمعون اليك افأنت تسمع الصم
٤٣	٤٣٩ ومنهم من ينظر اليك افأنت تهدي العمي
٤٤	٤٤٠ ان الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس انفسهم يظلمون
٤٥	٤٤١ ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار
٤٦	٤٤٤ واما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك
٤٧	٤٤٥ ولكل امة رسول فاذا جاء رسوهم قضي بينهم بالقسط
٤٨	٤٤٦ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين
٤٩	٤٤٦ قل لا املك لنفسي ضراً ولا نفماً الا ما شاء الله
٥٠	٤٤٧ قل ارايتم ان اتاكم عذابه بيا نكاً ونهاراً ماذا يستعجل
٥١	٤٤٨ اثم اذا ما وقع آمنتم به الآن وقد كنتم به تستعجلون
٥٢	٤٤٩ ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا
٥٣ - ٥٤	٤٥٠ ويستنبؤنك احق هو ولو ان لكل نفس ظلمت
٥٥	٤٥١ الا ان الله ما في السموات والارض الا ان وعد الله حق
٥٦ - ٥٧	٤٥٢ هو يحيي ويميت يا ايها الناس قد جاءكم موعظة
٥٨	٤٥٣ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير
٥٩	٤٥٦ قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً
٦٠	٤٥٧ وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة
٦١	٤٥٨ وما تكون في شأن وما تنلو منه من قرآن

رقم الآية	الصفحة
٦٢	٤٦٠ الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
٦٣	٤٦١ الذين آمنوا وكانوا يتقون
٦٤	٤٦٢ لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل
٦٥	٤٦٣ ولا يحزنك قولهم ان العزة لله ...
٦٦	٤٦٤ الا ان لله من في السموات ومن في الارض ...
٦٧	٤٦٥ هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً
٦٨	٤٦٦ قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه هو الغني ...
٦٩-٧٠	٤٦٧ قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون .متاع في الدنيا
٧١	٤٦٨ واتلوا عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر
٧٢	٤٧٠ فان توليتم فما سألتكم من اجر ان احدى الا على الله
٧٣	٤٧١ فكذبوه فنحنينا ومن معه في الفلك وجعلناهم خلاف
٧٤	٤٧٢ ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم فجاءهم بالبينات
٧٥	٤٧٣ ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون الى فرعون ...
٧٦-٧٧	٤٧٤ فلما جاءهم الحق ... قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم اسحر هذا
٧٨	٤٧٥ قالوا اجئتنا لتلقنا عما وجدنا عليه آباءنا
٧٩	٤٧٦ وقال فرعون اتوني بكل ساحر عليم
٨٠	٤٧٧ فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون
٨١	٤٧٨ فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر
٨٢	٤٧٩ ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون
٨٣	٤٨٠ فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون

رقم الآية	الصفحة
٨٤	٤٨١ وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فمليه توكلوا
٨٥ - ٨٦	٤٨٢ فقالوا على الله توكلنا ونحننا برحمتك من القوم
٨٧	٤٨٣ واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا اقوامكما بمصر بيوتاً
٨٨	٤٨٤ وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملائه زينة
٨٩	٤٨٦ قال قد اجيبت دعوتكما فاهتقيا
٩٠	٤٨٨ وجاوزنا ببني اسرائيل البحر، فأبعدهم فرعون
٩١	٤٩٠ آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين
٩٢	٤٩١ فاليوم نتجيك بيدك لتكون لمن خلفك آية
٩٣	٤٩٢ ولقد بوءنا بني اسرائيل مبوءاً صدق ورزقناهم
٩٤	٤٩٣ فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسأل
٩٥	٤٩٥ ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله
٩٦ - ٩٧	٤٩٦ ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون . ولو جاءتهم كل آية ٩٦ - ٩٧
٩٨	٤٩٧ فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها الا قوم يونس
٩٩	٤٩٩ ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعاً
١٠٠	٥٠٠ وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله
١٠١ - ١٠٢	٥٠٢ قل انظروا ماذا في السماوات و فهل ينتظرون الا مثل ١٠١ - ١٠٢
١٠٣	٥٠٣ ثم نتجني رسولنا والذين آمنوا كذلك حقاً علينا
١٠٤	٥٠٤ قل يا أيها الناس ان كنتم في شك من ديني فلا تعبدون تعبدون
١٠٥	٥٠٥ وأن أقم وجهك للدين حنيفاً ولا تكونن من المشركين
١٠٦	٥٠٦ ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك

رقم الآية	الصفحة
١٠٧	وان يمسك الله بضر فلا كاشف له الا هو
١٠٨	قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه
١٠٩	واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله

(١١) سورة هود

١	٥١١ اكر كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم
٢	٥١٣ ألا تعبدوا الا الله اتني لكم منه نذير وبشير
٣	٥١٤ وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم
٤ - ٥	٥١٥ الى الله مرجعكم الا انهم يشنون صدورهم ليستمخفوا منه
٦ - ٧	٥١٧ وما من دابة في الارض الا على الله رزقها . . . وهو الذي خلق
٨	٥١٩ ولئن اخربنا عنهم العذاب الى امة معدودة ليقولن
٩	٥٢٠ ولئن اذقنا الانمان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ايؤس
١٠	٥٢١ ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات
١١ - ١٢	٥٢٢ الا الذين صبروا فاعلمك تارك بعض ما يوحى اليك
١٣	٥٢٣ ام يقولون افتراء قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات
١٤	٥٢٥ فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله
١٥	٥٢٦ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها
١٦ - ١٧	٥٢٧ او ائلك الذين ليس لهم في الآخرة افمن كان على بينة
١٨ - ١٩	٥٣٠ ومن اظلم ممن افترى الذين يصدون عن سبيل الله
٢٠	٥٣١ او ائلك لم يكونوا معجزين في الارض . . .

رقم الآية	الصفحة
٢١	٥٣٣ اولئك الذين خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون
٢٢ - ٢٣	٥٣٤ لاجرم انهم في الآخرة هم الاخسرون . ان الذين آمنوا
٢٤	٥٣٦ مثل القرى التي كالأعمى والاصم ، والبصير والسميع
٢٥ - ٢٦	٥٣٧ ولقد ارسلنا نوحاً ان لا تعبدوا الا الله
٢٧	٥٣٩ فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشراً
٢٨	٥٤١ قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي
٢٩	٥٤٣ ويا قوم لا اسألكم عليه مالا ان اجري الا على الله
٣٠	٥٤٤ ويا قوم من ينصرني من الله ان طردتهم أفلا تذكرون
٣١	٥٤٥ ولا اقول لكم عندي خزان الله ولا اعلم الغيب
٣٢	٥٤٦ قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالتنا
٣٣ - ٣٤	٥٤٧ قال انما يا نبيكم به الله . . . ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح
٣٥	٥٥٠ ام يقولون افتراء قل ان افتريته فعلى اجرامي
٣٦	٥٥١ واوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن
٣٧	٥٥٢ واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا
٣٨ - ٣٩	٥٥٣ ويصنع الفلك وكلم امر عليه ملا . . . فسوف تعلمون من يأتيه عذاب
٤٠	٥٥٥ حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا حمل فيها من كل زوجين
٤١	٥٥٧ وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها
٤٢	٥٥٩ وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه
٤٣	٥٦١ قال ساوى الى جبل يعصمي من الماء قال لا عاصم
٤٤	٥٦٢ وقيل يارض ابلعي ماء كي ويا سماه اقلعي وغيض الماء

رقم الآية	الصفحة
٤٥	٥٦٤ ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق
٤٦	٥٦٥ قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسأني
٤٧	٥٦٧ قال رب اني اعوذ بك ان اسألك ما ليس لي به علم
٤٨	٥٦٩ قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم
٤٩	٥٧٠ تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كذت تعلمها

فهرس الفهارس

٥٧٣	فهرس الآيات المشتهد بها في غير موضعها
٥٨٤	فهرس الاحاديث
٥٨٨	فهرس الردود
٥٩١	فهرس المباحث اللغوية
٥٩٣	فهرس الامثال
٥٩٤	فهرس الخطأ والصواب
٥٩٥	فهرس للمواضيع

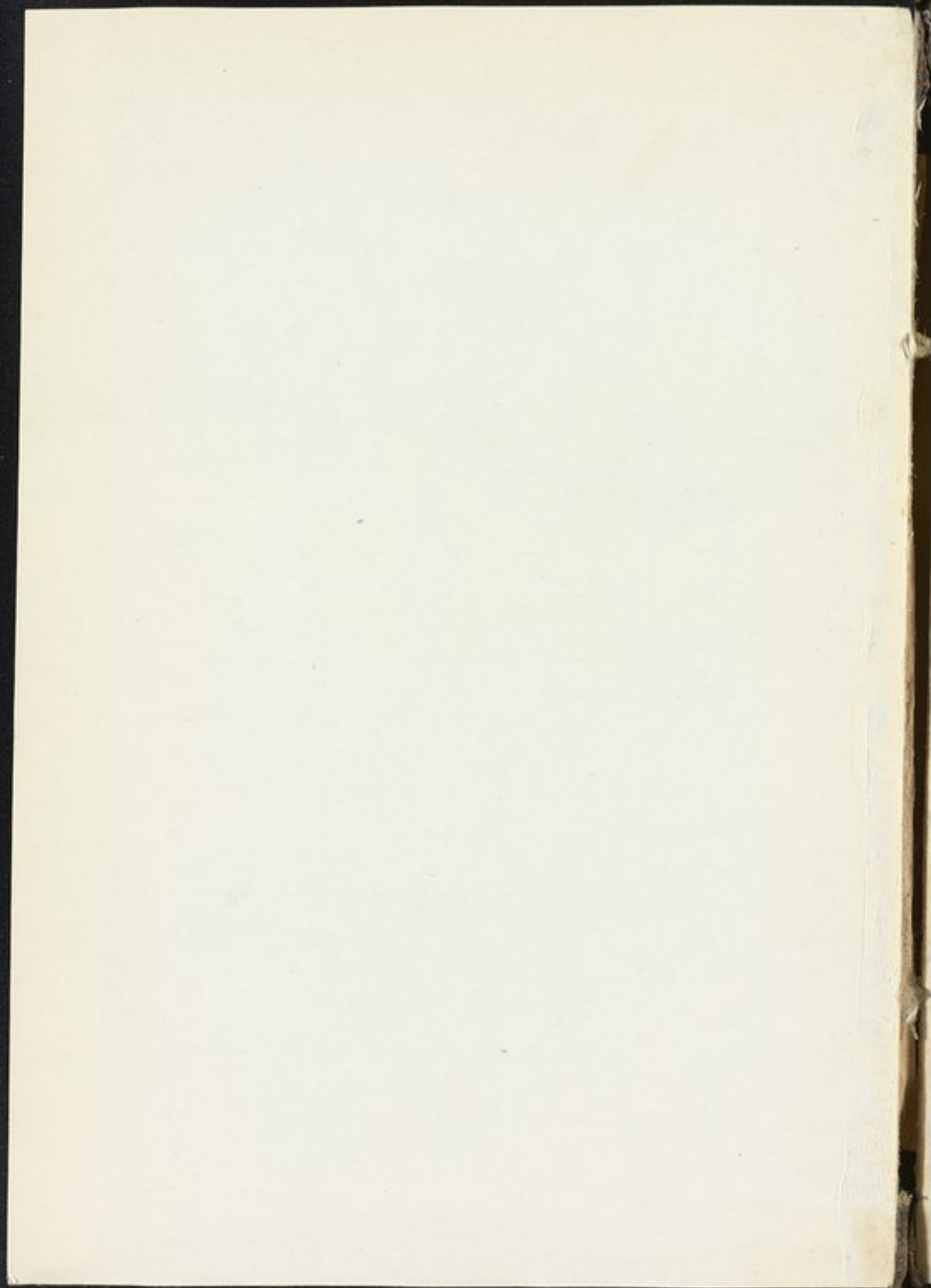


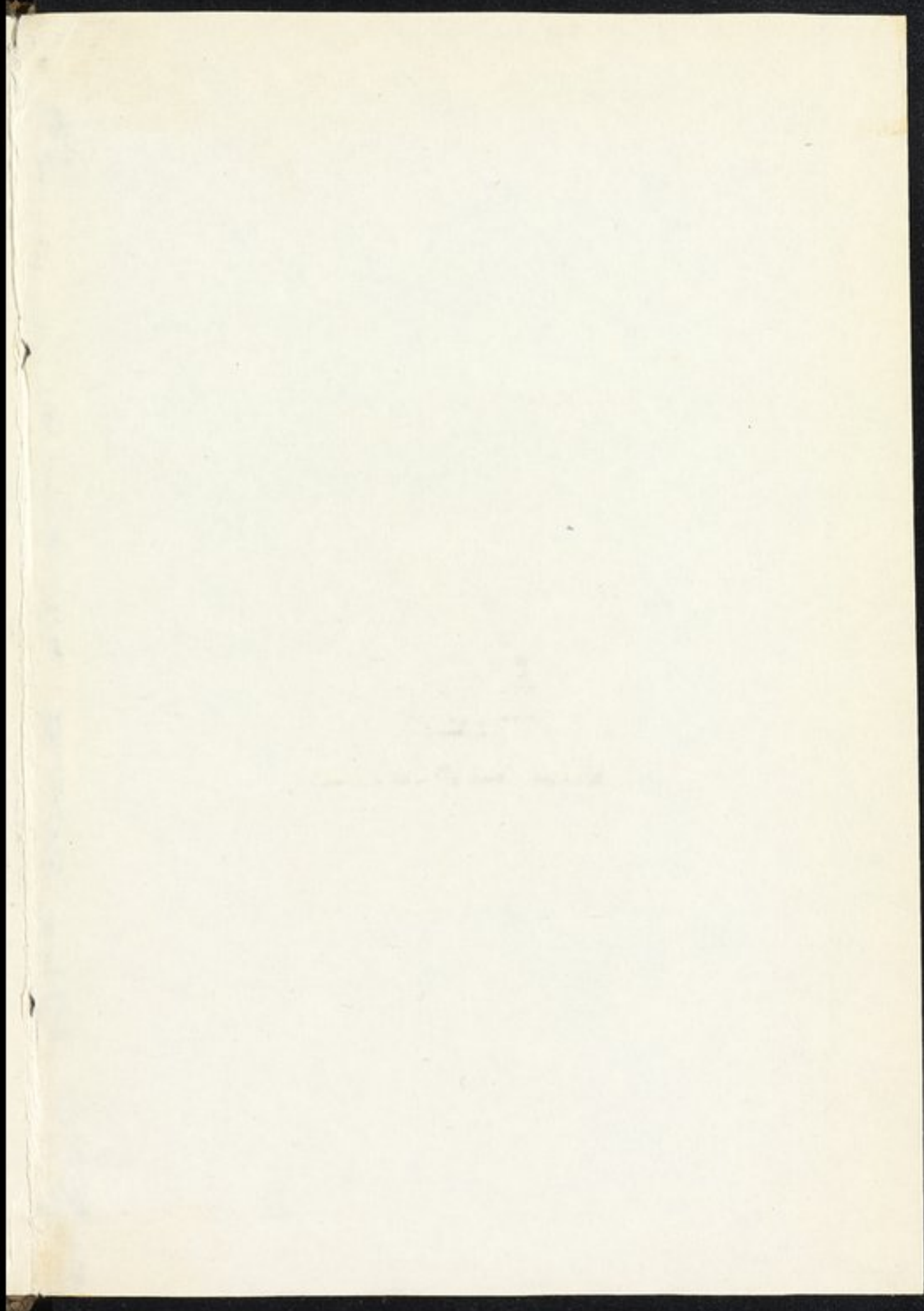
تم طبع هذا المجلد في
مطبعة النعمان - النجف للشيخ
الشيخ

جماد الاول سنة ١٣٨٠ هـ

تشرين الاول سنة ١٩٦٠ م







Library of



Princeton University.

